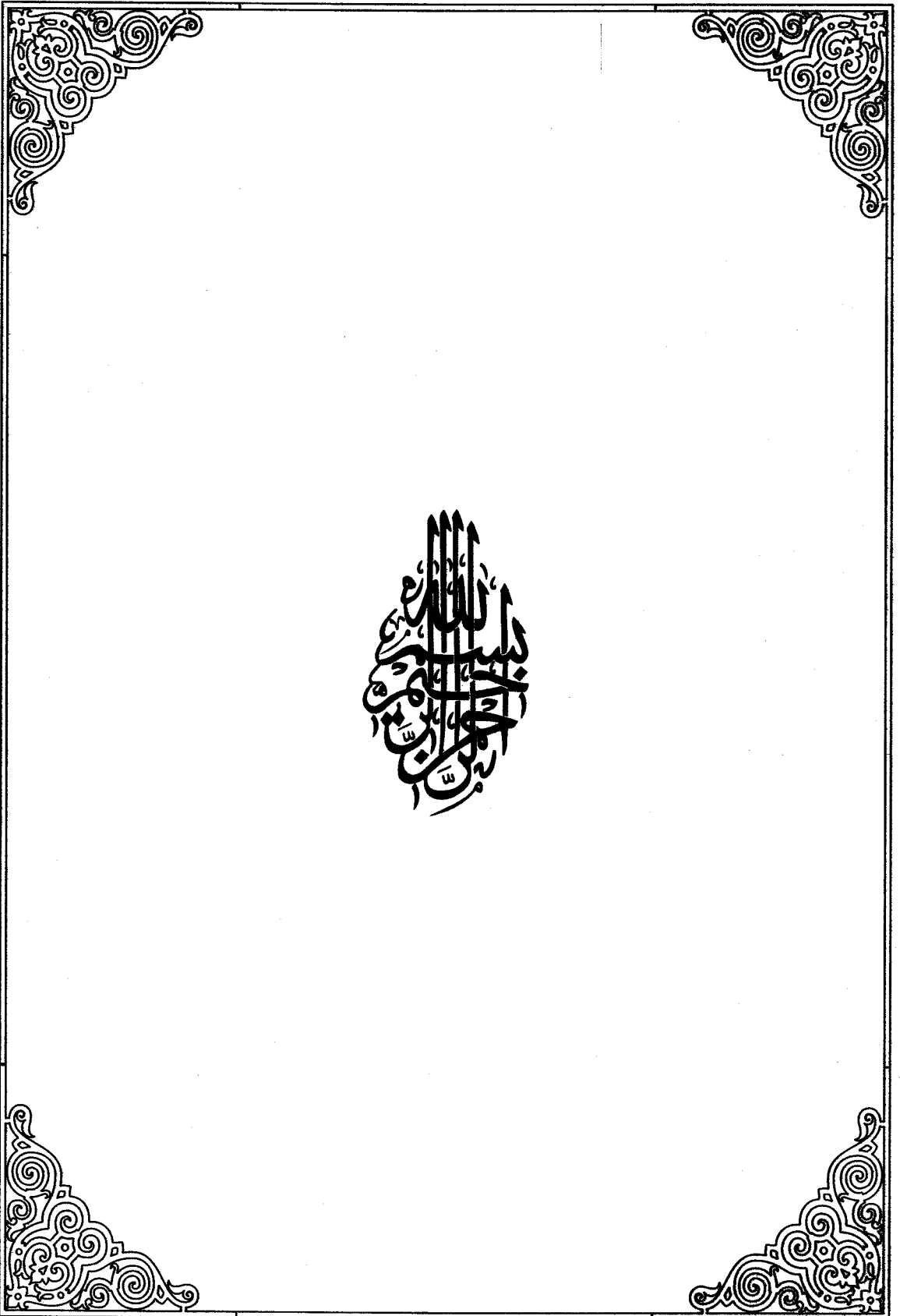


اعلام الطب العربي

في بلاد الأندلس
بنزهة الأندلسيون نموذجاً

تأليف الدكتور
تركي علي محمود العزاوي

دار النوازل®



الأمير الطبيب العربي

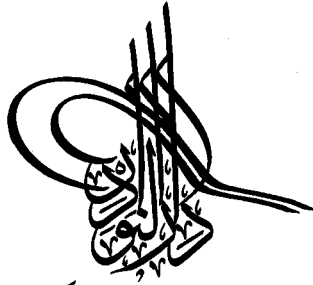
في بلاد الأندلس
بنو هراقلندس بن حمزة

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

ردمك: ٧-٧٢-٤٥٩-٩٩٣٣-٩٧٨ ISBN



9789933459727



سورية - لبنان - الكويت

مؤسسة دار النواذر م.ف - سورية * شركة دار النواذر اللبنانية ش.م.م - لبنان * شركة دار النواذر الكويتية ذ.م.م - الكويت

سورية - دمشق - ص.ب.: ٣٤٣٠٦ - هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)

لبنان - بيروت - ص.ب.: ٥١٨٠/١٤ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)

الكويت - الصالحية - برج السحاب - ص.ب.: ٤٣١٦ حولي - الرمز البريدي: ٣٢٠٤٦

هاتف: ٢٢٢٧٣٧٢٥ - فاكس: ٢٢٢٧٣٧٢٦ (٠٠٩٦٥)

www.daralnawader.com info@daralnawader.com

أسستها سنة: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م
فؤاد الدين ظالبي
المدير العام والرئيس التنفيذي

المقدمة

لعلم الطب تاريخُه مثلما لكل الناس تاريخهم، ومن البدهي أنه لا يمكن أن يُفهم حاضر الناس إلا بعد الوقوف على معرفة ماضيهم، وكذلك الأمم، فليس بمقدور أحد أن يفهمها في حاضرها إلا بقدر ما لديه من معرفة ماضيها، والوقوفُ على حاضر الطب يتوجب على رواده أن يطلعوا على ماضيه.

ولا شك في إن إقرار المعنيين بأهمية تاريخ الطب - عموماً - يكون قد وضعهم قصاد تاريخ الطب العربي بصورة خاصة. فلا جدال في أهمية الدور الكبير الذي لعبه العرب في تاريخ الطب، فبطلوع شمس الإسلام على ربوع جزيرة العرب، وانطلاق قاطنيها من الظلام الحندس إلى النور، ولدت ونشأت الحضارة الإسلامية التي بنيت على أسس الحضارات القديمة التي عفا عليها الزمن، فأعادت الحضارة العربية الإسلامية الحياة في العلوم المندثرة تلك، ورعتها وحفظتها كي تكون تراثاً لجميع بني البشر عبر التاريخ.

والجدير بالذكر أن الحضارة العربية الإسلامية لم تتوقف عند حد

الاقْتباس من تلك الحضارات، وإنما تفننت في دور الإبداع، فصنف العلماء العرب الكتب الجليلة القدر، والعظيمة النفع التي احتوت على تجاربهم، وأنت بالعديد من مكتشفاتهم ذات الأهمية الكبيرة في الأمراض والعلاجات، وقد قاموا بتطوير العناية بالمرضى، كما أبدوا اهتماماً كبيراً بالصحة العامة، فبادروا إلى فتح المستشفيات، وإنشاء المدارس الطبية.

إن الأمر الذي حدا بي على انتقاء تاريخ أسرة بني زهر الطبية في الأندلس عنواناً لهذا الكتاب هو: وصف مؤرخي علم الطب العربي - وفي مقدمتهم ابن أبي أصيبعة - لصناعة الطب التي إذا ما قيست بباقي الصنائع، فهي من أشرفها، وسائر البضائع، فهي من أرباحها، وتناولتها الكتب بشيء من التفصيل، وتضمنتها الأوامر الشرعية، فعُدَّ علمُ الأبدان قريناً لعلم الأديان، ومما يطلبه الإنسان: الخير واللذة، وهما يتم حصولهما للإنسان بوجود الصحة، فاللذة المستفادة من هذه الدنيا، والخير المأمول في الدار الآخرة لا يتم الوصول إليهما إلا بوجود الصحة، وقوة البنية، وذلك يتم بالصناعة الطبية؛ لأنها تحفظ الصحة الموجودة، وترد الصحة المفقودة، ولما كانت صنعة الطب من الشرف بهذا المقام، والحاجة إليه داعية في كل حين وزمان، وجب أن يكون الاعتناء بالصحة أشد، والرغبة في الحصول على قوانينها أكد وأجد.

ولما كان قد ورد الكثير من المشتغلين بعلم الطب، والراغبين في مباحث أصوله - وفيهم جماعة من كبار أهل هذه الصناعة، وذوي النظر فيه والبراعة، فمنهم من تواترت الأخبار بفضلهم، وشهدت لهم مصنفاتهم،

وأشارت إليهم مؤلفاتهم - لما كان الأمر كذلك، أقدمتُ على اختيار الموضوع سالف الذكر لدراسة تاريخ حياة أسرة بني زهر وجهودها العلمية، تلك الأسرة العربية الإسلامية العريقة التي أنجبت عدداً كبيراً من الأطباء المشهورين خلال ستة أجيال متتابة، اشتغل أبناءها، ونبغوا في الطب والفلسفة، والأدب والشعر، والسياسة والفقه، تلك التي يتصل نسبها بإياد بن معد بن عدنان، وكُنِّي أفرادها جميعاً بـ: (ابن زهر)، وقدمت ستة من الأطباء والطبيبات، وهم على التوالي:

١ - أبو بكر محمد بن مروان بن زهر (المتوفى سنة ٤٢٢هـ / ١٠٢٠م).

٢ - ابنه أبو مروان عبد الملك بن محمد (المتوفى سنة ٤٧١هـ / ١٠٨٧م).

٣ - أبو العلاء بن عبد الملك (المتوفى سنة ٥٢٥هـ / ١١٣٠م).

٤ - أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء (المتوفى سنة ٥٥٧هـ / ١١٦١م).

٥ - أبو بكر محمد بن عبد الملك (الحفيد) (المتوفى سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م).

٦ - أبو محمد عبدالله بن الحفيد (المتوفى سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م).

إن بني زهر هم من نبلاء الأندلس العرب الذين اشتهروا بالجاه والتقوى والطب بين القرنين (الخامس والسابع للهجرة / الحادي عشر

والثالث عشر للميلاد). هاجر جدهم الأعلى (زهر) من الجزيرة العربية إلى الأندلس، فاستقر أبناؤه أولاً في جفن شاطبة، وانتقلت إلى إشبيلية، لكن لم يُعرف تاريخ انتقال هذه الأسرة إلى إشبيلية الكائنة في جنوب غربي الأندلس.

إن الحلقة الأولى من سلسلة أطباء بني زهر يمثلها الطبيب أبو مروان عبد الملك بن محمد (المتوفى سنة ٤٧٠ هـ، أو ٤٧١ هـ / ١٠٧٧ - ١٠٧٨ م)، وبناءً على هذا التاريخ يمكن اعتبار البدء بدراسة تاريخ هذه الأسرة العربية الفريدة من نوعها في مجالي حياتها وجهودها العلمية، خاصة في حقل علم الطب الذي اشتهرت به، والذي تطور بصورة ملحوظة، فالطبيب أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء (المتوفى سنة ٥٥٧ هـ / ١١٦١ م) ارتقى سلم الشهرة في الطب، حتى وُصف بأنه أعظم طبيب سريري في الإسلام، وهو الذي صنف عدة تأليف في الطب، في مقدمتها: كتاب «التيسير في المداواة والتدبير» الذي تُرجم إلى عدة لغات عربية وشرقية، وترك أثراً كبيراً لدى المعنيين في الطب في أوروبا.

أما الزوايا التي تناولتها في دراسة أسرة بني زهر الأندلسية الطبية منها، فبالإمكان تلخيصها بالآتي:

أولاً: حال الطب في إسبانيا قبيل الفتح العربي الإسلامي، وفي الأندلس بعد الفتح.

ثانياً: أشهر أطباء الأندلس الذين سبقوا أسرة بني زهر، وتأثرت بهم، والذين عاصروها، وتأثرت وأثرت بهم.

ثالثاً: أسرة بني زهر: أصلها، ومن أين أتت، وأين استقرت، وبم
اشتهرت، وأبرز أفرادها بصورة مفصلة، وجهودهم العلمية.

رابعاً: دراسة أفراد أسرة بني زهر الستة: حياتهم، وجهودهم
العلمية، مع دراسة الطيبة (أم عمرو) أخت الحفيد وابنتها.

خامساً: عرض النقاط والملاحظات التي اكتشفت ما يكتنفها من
غموض، وهي بحاجة ملحة للبحث عنها، وإمالة اللثام عن وجهها؛ كي
يطلع الباحثون على حقيقتها، ومنها - على سبيل المثال لا الحصر -:
شحة وندرة المعلومات والأخبار عن (زهر) الأول الذي لم يعرف شيء
عنه سوى أنه جاء من الجزيرة العربية إلى الأندلس، وأنه كان حياً في
القرن الثالث للهجرة. وكذلك المدعو (مروان بن زهر) الذي أحجمت
جميع المصادر والمراجع المتيسرة عن ذكر أي شيء عنه، وكذلك أخت
الحفيد الطيبة أم عمرو؛ فإن أخبارها كانت ضئيلة.

إن المصادر والمراجع التي كتبت عن الطب العربي بعامة، وعن
أسرة بني زهر الأندلسية بخاصة، كانت قليلة؛ فإن عدداً من المجلدات
الجليلة ذات الصلة بهذا العلم الجليل وغيره كانت قد أكلتها المحرقة التي
أشعل أوارها الكاردنال (خميني) سنة (١٤٩٩ هـ / ١٩٨٠ م) بصورة متعمدة
في ساحات غرناطة؛ حيث أحرق أكثر من ثمانين إلى مئة ألف مخطوطة،
ولعل نادرة الأخبار عن زهر الأول، وابنه مروان وحفيده محمد، والطيبة
أخت الحفيد، وابنتها، وغير هؤلاء كثر، كانت بسبب ضياع وحرق البعض
الأعظم من التأليف القديمة القيمة، وتجنباً للإطالة المملة، هذا عرض

لأهم المصادر المتخبة ذات الأهمية البالغة في اعتمادي عليها في إعداد هذا الكتاب، وهي:

أولاً: «التيسير في المداواة والتدبير» لأبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر المتوفى (٥٥٧هـ / ١١٦١م)، تحقيق محمد بن عبد الله الروداني، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩١م.

والجدير بالذكر أن الباحث قد تيسرت له نسخة أخرى من هذا الكتاب بتحقيق الدكتور ميشيل الخوري، الناشر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (تونس) (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

كان ابن زهر قد صنف عدداً من الكتب في صناعة الطب لا مجال لذكرها هنا، لكن أهم تصانيفه وأبلغها أثراً وتأثراً كان - بلا شك - كتاب «التيسير في المداواة والتدبير»؛ إنه يُعدُّ الكتاب الأم بين تصانيفه وتصانيف أطباء عصره في بلاد الأندلس، فلهذا الكتاب أهمية خاصة في إعداد الأطروحة هذه. تظهر أهميته في مجمل النصوص الصغيرة المستلة من صفحاته النيرة، خاصة تلك التي تخص مشاهداته، واكتشافات واختراعات مؤلفه في صناعة الطب؛ فإنها كانت معيناً لما مدَّ الباحث في تبين علم هذا الطبيب، وساعدته في رسم شخصيته الفذة التي كانت المصادر التاريخية ضئيلة في ذكر ملامح حياته، عدا نبذ ليس إلا.

ثانياً: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) (ج ١٨)، راجعته وزارة العمومية، طبع دار المأمون، مصر، بلا تاريخ.

إن «معجم الأدباء» لا يقل أهمية عن سالفه، خاصة في علم الرجال، والتراجم للعلماء الذين لعبوا دوراً كبيراً في تدوين التاريخ العربي الإسلامي، وعملوا على ازدهار الحضارة العربية الإسلامية.

لقد أولى ياقوت في مصنفه الضخم هذا الأدباء العرب عامة، والأندلسيين منهم خاصة، أهمية كبيرة، فترجم لنيف وستين من الشعراء والكتاب النابغين في الأندلس، ومنهم: أبو بكر محمد بن عبد الملك ابن زهر الملقب بـ (الحفيد) المتوفى (سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م) الذي كان يحفظ شعر ذي الرمة، وانفرد بالإجادة في نظم الموشحات التي فاق بها أهل المغرب والمشرق، فاستعان الباحث بهذا المصدر ذي القيمة التاريخية المعروفة، وأخذ منه الشيء المهم من ترجمة الطبيب الأديب الشاعر المبدع أبي بكر محمد بن عبد الملك، وبعضاً من جميل شعره، وبدائع موشحاته.

ثالثاً: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لموفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بـ «ابن أبي أصيبعة» المتوفى (سنة ٦٦٨هـ / ١١٦٩م)، تحقيق الدكتور نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.

إنه مؤلف ضخم، وصف بأنه أحسن كتاب بين كتب التراجم، وهو يحوي على ما يقرب من ٤٠٠ ترجمة، فتكلم على عدد كبير من الأطباء العرب والعجم، والهنود والمغرب، وأورد الكثير من الشعر العربي، وإنه - على حد قول محققه - «لا يترك شاردة ولا واردة إلا يذكرها».

يعد هذا الكتاب - حقاً - العكازة اليمنى بيد الباحث بين المصادر الأولية التي اعتمدها في بحثه هذا.

تناول ابن أبي أصيبعة أسرة زهر العربية، الطبية، الأدبية، الفلسفية، الفقهية، فترجم لعدد من سلسلة أفرادها، مركزاً على اشتغالهم بعلم الطب والأدب، من أبرزهم: أبو العلاء زهر (المتوفى سنة ٥٢٥هـ / ١١٣٠م)، وابنه أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر (المتوفى سنة ٥٥٧هـ / ١١٦١م)، وابنه أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك (المتوفى سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م)، الحفيد الذي برز واشتهر في الأدب والشعر أكثر من شهرته في الطب والمداواة، ولم ينس من أفراد هذه الأسرة أحداً.

رابعاً: «وفيات الأعيان وأنباء الزمان» لابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر (المتوفى سنة ٦٨١هـ / ١٢٨٢م).

إن هذا الكتاب هو معجم في التراجم، سار فيه مؤلفه على حروف المعجم، فالملاحظ أنه لم يترجم فيه إلا لمن عرف تاريخ وفاته، ومن له شهرة بين الناس، فترجم لـ (٥٦) شخصية ثقافية أو علمية أو سياسية أندلسية، وكان لها دور في حياته الثقافية والعلمية والسياسية، ومن الرجال الذين ترجم لهم: أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر، فأخذ الباحث منه ما عزز الأطروحة من ترجمة الطبيب الشاعر

الأديب، خاصة من نتاجه الشعري البديع؛ كقوله وقد شاخ وغلب عليه
الشيب:

إني نظرت إلى المرأة إذ جليت فأنكرت مقلتي كل ما رأنا
... إلخ.

خامساً: «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» للشيخ أحمد
ابن محمد المقرئ التلمساني (المتوفى سنة ١٠٤١هـ / ١٦٣١م)، تحقيق:
الأستاذ يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،
الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، بيروت - لبنان.

إن هذا الكتاب موسوعة ضخمة عن الأندلس؛ حقق فيه المقرئ
التعريف بتاريخ الأندلس وجغرافيتها، وآدابها ورجالها، والذي تجدر
الإشارة إليه هنا هو: أن المؤلف كان قد كتب عن أفراد أسرة زهر - مدار
البحث - شيئاً من تاريخهم ونشاطاتهم في علم الطب والأدب والشعر
والفقه، لكن في أجزاء شتى من هذا الكتاب المؤلف من أحد عشر
مجلداً.

إن ما يؤخذ على المقرئ في كتابه عن تاريخ أسرة زهر هو:
أولاً: أنه تناول الموضوع منجماً ومتناثراً في أربعة مجلدات هي
على التوالي (٣، ٤، ٥، ٩).

ثانياً: أنه لم يكتب عن أفراد الأسرة وفق التسلسل الزمني، وإنما
قدم وأخر.

ثالثاً: أغفل الحديث عن بعض أفراد الأسرة؛ كزهر الأول، وابنه مروان، ولم يأتِ بأي خبر عنهما، كما أنه أهمل ذكر الطيبية (أم عمرو) أخت الحفيد، وابنتها، وهما طيبيتان ماهرتان على ما ذكرت غالبية المصادر والمراجع.



الفضل الأول

الطَّبُّ وَحَالُهُ فِي الْأَنْدَلُسِ

قُبَيْلَ الْفَتْحِ الْعَرَبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ وَبَعْدَهُ

أ - نبذة عن ماهية الطب، ومن استنبطه، وأين؟

أولاً - ماهية الطب:

عرّف ابن سينا علم الطب بيت الشعر الآتي المستل من أرجوزته:

الطَّبُّ حِفْظُ صِحَّةِ بُرءٍ مَرَضٍ مِنْ سَبَبٍ فِي بَدَنِ عَنْهُ عَرَضُ

وَنَسَبَ إِلَى الْفِيلَسُوفِ الطَّبِيبِ الشَّهِيرِ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ رَشْدٍ (المتوفى سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م) قوله معرفاً الطب: «إن صناعة الطب صناعة فاعلة، عن مبادئ صادقة - يلمسُ بها حفظُ بدن الإنسان، وإبطالُ المرض، وذلك بأقصى ما يمكن في واحد من الأبدان، فإن هذه الصناعة ليس غايتها أن يبرئ ولا بد، بل إن تعفن ما يجب، بالمقدار الذي يجب، وفي الوقت الذي يجب، ثم تنتظر في حصول غايتها؛ كالحال في صناعة الملاحاة وقود الجيوش»^(١).

(١) قطاية، د. سلمان، «شخصيات الطب العربي في لوحات» هي ثلاث صفحات خالية من اسم الناشر والمطبعة، والتاريخ، اطلع عليها الباحث في المكتبة =

صنفت العلوم الى ثلاثة أصناف : علم أعلى ، وآخر أسفل ، وثالث
أوسط .

فالأعلى عند جميع أهل الديانات هو - بالطبع - : علم الدين الذي
لا يصح لأحد التحدث فيه بغير ما أنزله الله في كتبه المنزل ، وعلى أقوال
الأنبياء والرسل - صلوات الله عليهم - نصاً .

أما العلم الأوسط ، فهو : معرفة علوم الدنيا التي لا تعرف الأشياء
منها إلا بمعرفة نظيراتها ، ويستدل عليها بجنسها ونوعها ؛ كعلم (الطب) ،
والهندسة .

أما العلم الأسفل ، فهو : إحكام الصناعات وأصناف الأعمال ؛ مثل :
السباحة ، والفروسية ، والتزويق ، والخط ، وما أشبه ذلك .

وقد قسموا العلم الأوسط بدوره إلى أربعة أقسام ، كانت هذه
الأقسام عندهم هي رؤوس العلوم ، وهي : علم الحساب ، والتنجيم ،
و(الطب) ، والموسيقا^(١) .

وثالث لا للدنيا ولا للآخرة ، فالذي للدنيا هو : (علم الطب) ، والنجوم ،
وما أشبه ، والذي للدنيا والآخرة هو : علم القرآن والسنن ، والفقه فيهما ،

= الوطنية ، واحتفظ بنسخة مصورة مما يعنيه منها .

(١) القرطبي ، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) «جامع
بيان العلم» ، تصحيح : عبد الرحمن محمد عثمان ، نشر المكتبة السلفية ،
المدينة المنورة ، باب الرحمن ، ط ٢ ، (١٣٨٨هـ / ١٩٨٦م) (٤٦ / ٢) .

والذي ليس للدنيا ولا للآخرة، فهو علم الشعر، والشغل به^(١).

ثانياً - أول من استنبط الطب :

اختلف المؤرخون في أول من استنبط الطب، ومن هو أول الأطباء كان، فزعم قوم أن أول من استخرج الطب هم المصريون؛ لسبب لا يخلو من الطرافة، وذلك أن امرأة مصرية كانت في حزن وهم شديدتين، وكانت مبتلاة بالإشراف على الهلاك، والمشقة التي يصعب احتمالها، وكانت تلك المرأة ضعيفة المعدة، ومملوءة الصدر بالأخلاق الرديئة، وكانت محتبسة الحيض، وبالمصادفة أكلت شيئاً من الراسن، فذهب عنها ما كان بها، وعادت إلى صحتها، فاستعمله كل من كان به مما كان بها، ويرى به، وعلى أثر ذلك استعمل الناس هذه التجربة على مختلف الآلام.

وادعى آخرون أن (هرمساً)* هو مستنبط سائر الصنائع والفلسفة والطب.

والبعض يقول: المستخرج لها هم السحرة، ويقال: أهل بابل، وقيل: أهل فارس، وقيل: الهند، وقيل: اليمن، وقيل: الصقالبة^(٢).

(١) المصدر نفسه (٢ / ٤٩).

(*) هو اسم من أسماء النبي إدريس عليه السلام عند العرب. د. كمال السامرائي، «مختصر تاريخ الطب العربي» (١ / ٣١)، دائرة الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة والإعلام، جمهورية العراق، ١٩٨٤ م.

(٢) ابن النديم، (المتوفى سنة ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م)، «الفهرست»، مطبعة: الرحمانية، مصر، (ص ٣٩٨).

ويُذكر أن الطب قد ظهر لأول مرة في ثلاث جزائر في وسط الإقليم الرابع، أولاها هي جزيرة (رودس)^(١)، والثانية هي (قنيدس)^(٢)، والثالثة هي (قو)^(٣)، من هذه كان أبقراط^(٤).
 ممن تكلم في الطب لأول مرة: «أقليوس الأول»^(٥)، وغوروس^(٦)، ومينس^(٧)، وبرمانيدس^(٨)، وفلاطن الطبيب^{(٩)*} وآخرون.

(١) جزيرة شرقي الأرخبيل اليوناني، ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرجي (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م)، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، تحقيق: د. نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، د. ت (ص ١٢)، هامش (٣).

(٢) جزيرة صغيرة في الدوديكتيز (ص ٣، هامش *)، المصدر نفسه، (ص ١٢)، هامش (٤).

(٣) جزيرة في بحر إيجه، موطن أبقراط، والرسام آبل، المصدر نفسه، (ص ١٢)، هامش (٥).

(٤) ترجمته في ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٤٣).

(٥) ترجمته في ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٤٣).

(٦) المصدر نفسه (ص ٣٩).

(٧) المصدر نفسه (ص ٤٠).

(٨) المصدر نفسه (ص ٤٠).

(٩) المصدر نفسه (ص ٤١).

(*) الدوديكتيز: هي اثنتا عشرة جزيرة أهمها (رودس) كانت لتركيا، واحتلتها إيطاليا (١٩١٢م)، عادت إلى اليونان ١٩٤٦م. فردينان توتل، «المنجد في =

ب - الطب في إسبانيا قبل الدولة العربية الإسلامية في عهد الأمويين :

قبل الفتح العربي الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية، وتأسيس الولاية الأموية العربية الإسلامية هناك، كانت تلك البلاد خالية من العلم، ولم يُعرف عند أهل هذه البلاد الاهتمام والعناية به، وبقيت على هذه الحال عاطلة من الحكمة، وغطاة في سبات عميق إلى أن افتتحها العرب المسلمون في رمضان عام (٥٩٢ / ٧١٠م)، واستمرت على تلك الحال أيضاً لا يلتفت قاطنوها إلى شيء من العلوم، حاشا علوم الشريعة، وعلم اللغة، إلى أن استقر واستتب الملك لبني أمية بعد خوض الناس بالفتنة. حينئذٍ نشط أصحاب الهمم من الناس لطلب العلوم، واستفاقوا لإشارة الحقائق.

وفي الحقبة الزمنية بين منتصف القرن الثامن والقرن الحادي عشر للميلاد بلغت الحضارة الأندلسية الذروة، وقد اشتهر في ذلك الوقت عدد من الأطباء في الصنعة الطبية، وتصنيف الكتب فيها، خاصة في الفترة بين القرنين العاشر والثالث عشر للميلاد، وقد أضاف المؤلفون المسلمون في الأندلس إلى ما نقلوه من الحركة العلمية في أقطار المشرق العربي والإسلامي، ومن خلاصة التجارب العلمية للعلماء المشاركة، إلا أن بعضاً من تصانيفهم كانت تحمل أثر الاستقلالية والطابع الشخصي^(١).

= الأدب والعلوم»، بيروت ١٩٥٦م، (ص ١٩٨)، أحمد عطية الله، «القاموس

السياسي»، ط ٣، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٨م، (ص ٥٣٢).

(١) صاعد الأندلسي: القاضي أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي =

وكان للمؤلفين من علماء الطب العرب المسلمين في المغرب العربي الأثر الكبير والبعيد المدى على الغرب اللاتيني، وذلك يُعزى إلى شدة اتصالهم بالأمم الغربية الأوربية عن طريق ولاية الأندلس العربية الإسلامية^(١).

إن مما يؤكد تخلف الأوربيين وهمجيتهم في العصور الوسطى: ما روي عن عجيب طب الإفرنج الذين قاموا بشمان حملات عسكرية لغزو بلاد الشام بحجة استرداد قبر المسيح والأراضي المقدسة بين سنتي (٤٩٠هـ / ١٠٩٦م، ٦٦٩هـ / ١٢٧٠م)^(٢). ففي حديث لـ (كليام دبور) صاحب طبرية الذي كان مقدماً حينذاك بين أهل المدينة، قال: «كان عندنا في بلادنا فارسٌ كبير القدر، فمرض، وأشرف على الموت، فجئنا إلى قس كبير من قسوسنا، قلنا: تجيء معنا حتى تبصر الفارس فلاناً؟ قال: نعم، ومشى معنا، ونحن نتحقق أنه إذا حطَّ يده عليه، عوفي، فلما رآه، قال: أعطوني شمعاً، فأحضرنا له قليل شمع، فلينه وعمله مثل عقد الإصبع، وعمل كل واحدة في جانب أنفه، فمات الفارس، فقلنا له: «قد مات»

= (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)، «طبقات الأمم»، مطبعة التقدم، مصر، د. ت، (ص ٨٢).

(١) عرب، د. مرسى، «دراسات في الشؤون الطبية العربية، من التراث الطبي العربي إلى المشاكل الطبية الحاضرة»، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٦٧م، (ص ٦٣).

(٢) فردينان توتل، «المنجد في الأدب والعلوم» معجم لأعلام الشرق والغرب، بيروت ١٩٥٦م، (ص ٣٠٩).

قال: «نعم، كان يتعذب، سددت أنفه حتى يموت ويستريح»^(١).

ومن عجيب طب الإفرنج أيضاً: أن طبيباً يدعى (ثابت) أحضرَ لمداداة مريضين من أصحاب صاحب المنصورة^(*)، وهما: فارس قد طلعت في رجله دُمْلَةٌ وامرأة قد لحقها نشافٌ، فعمل الطبيب (ثابت) لُبَيْخَةً، ففتحت الدملة، وصلحت، وحميت المرأة ورطبت مزاجها. وحضر طبيب إفرنجي، وقال: «هذا الطبيب ما يعرف شيء^(**) يداويهم»، وخاطب الفارس قائلاً: «أيهما أحب إليك: تعيش برجل واحدة، أو تموت برجلين؟ قال الفارس: «أعيش برجل واحدة»، قال الإفرنجي: «أحضروا لي فارساً قوياً، وفأساً قاطعاً، فأحضروا له - على الفور - الفارس القوي، والفأس القاطعة، فحط ساقه على قطعة من خشب، وقال للفارس: اضرب رجله بالفأس ضربةً واحدة واقطعها، فضربه ضربةً واحدة، فما انقطعت، وضربه ضربةً ثانية، فسال مخ الساق، ومات من لحظته. ثم التفت الطبيب الإفرنجي (الحاذق) إلى المرأة وقال: هذه امرأة في رأسها شيطان قد عشقها، وأمر بحلق شعرها، فحلقوه، وعادت تأكل من مأكَلهم الثوم والخردل، فزاد وتفاقم بها النشاف، فقال: «الشيطان قد دخل في رأسها»،

(١) أسامة بن منقذ، مؤيد الدولة أبو مظفر (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م)، كتابه «الاعتبار»، حرره فيليب حتي، مطبعة جامعة برنستون (الولايات المتحدة) ١٩٣٠م، (ص ١٣٧ - ١٣٨).

(*) قرب أفقا، و(أفقا): قرية في لبنان (كسروان) «المنجد» (ص ٢٨).

(**) عامية.

وأخذ موسى وشق رأسها على شكل الصليب، وسلخ وسطه حتى بان عظم الجمجمة، وصار يحكه بالملح - غضب الله عليه -، فماتت المرأة في الوقت^(١).

إن هذه الروايات والحكايات الموصوفة بالعجيبة، إنها - في الواقع - لا تدعو إلى الغرابة والعجب إذا ما عُلِمَ أن أوروبا الغربية - في غالب عصورها التاريخية كانت في متأى عن مناشئ ومنابع الحضارة القديمة؛ إذ لم تنل من الحضارة اليونانية إلا التزر اليسير، وما لبثت هذه أن اختفت حال ظهور الرهينة التي أوغل رجالها في محاربة العلوم، ومنها: (الطب)، وصاروا يتباهون بمقدرة الدين على شفاء البدن^(٢).

أما حال الطب الجراحي في أوروبا في القرون الوسطى، فأمره كان أدهى وأمر من باقي صنوف الطب؛ حيث كان الأطباء بتلك الأزمان يتجنبون هذا النوع من العلاج، حتى لو كان فيه أمل كبير لشفاء وإنقاذ المرضى من موت مؤكد، ولا يمكن دفعه إلا به. وسبب ذلك هو: خوفهم من العقاب القاسي الذي قرره الحاكم على الطبيب الذي يمارس الجراحة، ويفشل في إنجاحها. وكان القانون المعمول به في إسبانيا ينص على

(١) أسامة بن منقذ، كتاب «الاعتبار»، (ص ١٣٢)، زيفريد هونكه، «شمس العرب تسطع على الغرب»، ط ٤، تعريب: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠م، (ص ٢١٥ - ٢١٦).

(٢) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي»، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، العراق، ١٩٨٥م، (٢/ ٢٠٢).

وجوب تسليم الجراح الذي يفشل في عملية ما إلى ذوي المريض الذي توفي من جراء العملية الفاشلة؛ ليتخذوا بحقه ما يرونه مناسباً^(١).

واضح أن الفكر اللاهوتي كان يلعب دوراً خطيراً في أوروبا القرون الوسطى، ففي شهادة لكتاب ومؤرخين مشهورين من البيت الأوربي الحديث يتحدثون عن معتقدات أسلافهم التي عاشوا على الإيمان بها، ومنها: «أن علم العقاقير بأشكالها المختلفة، يرجع في أصله إلى الفن الباطل [هكذا!] الخادع القائم على المادة. ولئن آمننا جدلاً بأن المادة قادرة على شفاء العلل، إن وثق الإنسان بها، فكم هو حري بقدره الله أن تشفي المريض عندما يعتمد المرء على قوة خالقه؟ فلم إذن لا تتوجه إلى سيد العالمين، وإلا فامضِ أيها الإنسان العاجز الضعيف، وتداو كالكلب بالكُرنب^(*)، والأيل بالأفعى، والخنزير بالسرطان النهري، والأسد بالقروء، لماذا لا تؤله الأشياء الأرضية؟»^(٢).

(١) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢/ ٢٠٣).

(*) الكرنب: السلق، أو نوع منه، أحلى وأغض من القنبط (أغلظ أنواع الكرنب)، والبري منه مُرّ، ودرهمان من سحق عروقه المجففة في شراب ترياق مجرب من نهشة الأفعى. الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت سنة ٨١٧هـ / ١٤١٤م)، «القاموس المحيط». بيروت، دار الجيل (١/ ١٢٨، ٣٩٦).

(٢) زيغريد هونكه، «شمس العرب تسطع على الغرب»، ط٤، تعريب: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، بيروت، دار الآفاق الجديدة ١٩٨٠م، (ص ٢١٩).

وروي عن القديس يعقوب - واحد من رسل السيد المسيح - : أنه أوصى قومه بما يلي : «إن كان بينكم مرض ، فأخبروا شيوخ عشيرتكم ليقموا الصلاة عليه بعد أن يمسحوا جسده بالزيت الطاهر باسم السيد المسيح ؛ لأن صلاة المؤمن مستجابة ، ومنقذة من مخالب الأعداء»^(١).

وإجراء العمليات الجراحية بالآلات اعتبروه عملاً دون مستوى مركز الكنيسة ، ودون جلال الروح وقدسيتها ، ورفعة مكانتها^(٢).

ومن الأدلة الكثيرة التي من شأنها إمالة اللثام عن حقيقة كون الشعوب الأوربية كانت تغط في دياجير الظلام والجهل والتخلف في العصور الوسطى : أنهم اعتبروا التعافي بعقاقير غير عقاقير الكنيسة وأدوية الروح ، أو ممارسة ومزاولة مهنة الطب .

المعتقدات المتدنية عند الأوربيين في معالجة مرضاهم كانت - على ما يبدو - سائدة في أحقاب القرون الوسطى ، فلقد روي عنهم : أنهم كانوا يؤمنون بمجرد وضع اليد على جسد المريض من قبل طبييهم ، وطرده الشيطان من قبل مشعوذهم ، وإقامة الصلاة ، فتلك كانت وسائلهم المفضلة في معالجة مرضاهم التي حاول بها أطباء أوربا بواسطة مسوح الكهنوت والرهبان تخليص الإنسانية المريضة وإنقاذها من براثن الأمراض والآلام^(٣).

(١) زيفريد هونكه ، «شمس العرب تسطع على الغرب» (ص ٢١٨).

(٢) المرجع نفسه ، (ص ٢١٩ - ٢٢٠).

(٣) السامرائي ، د. د. كمال «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ٢٠٣).

الحق أن أخبار حال الطب في أوروبا إبان العصور الوسطى خاصة تلك التي تصف حالة التخلف التي كان يعيشها الإنسان الأوربي آنذاك كثيرة، لذا، فمن المستحسن الاكتفاء بما أُثِرَ عن القديس (فيلوس الروسانوي) (*) أنه رفض - وهو في حالة مرض - أن يُعرض على طبيب للمعالجة، وكان قد أُحضِرَ له طبيب يهودي تلقى علومه الطبية على أيدي العرب، وخاطب الطبيب بقوله: «قال أحد أصحابك اليهود: إنه لخير لي أن أعتد على الله من أن أعتد على البشر، وأنا أيضاً بغنى عن طبك عندما أعتد على الله، وأسلم أمري له، ولسيدنا يسوع المسيح»^(١).

ومن أقوالهم المثير للدهشة اعتقادهم بها قولهم: «إنه لمشين حقاً أن يعمل الطبيب بيديه»؛ فإن هذا القول بقي معمولاً به طوال عدة أجيال، حتى لدى الأطباء المتعلمين، فلقد كان من الأمور المعيبة عندهم، والحقيرة الموغلة في عيها وحقارتها: أن يمارس رئيس الطب مهنة يدوية، حتى جس النبض اعتبر من الأمور الدنيئة المهينة، وبالإيجاز: فقد حرمت الكنيسة على رجالها تعاطي صنعة الجراحة، ومعالجة الجراح المدماة، وتركت الخبرة البدائية مهنة الجراحة ومعالجة الجراح المدماة... وفي الغالب

(*) فيلوس: هو تلميذ القديس يوحنا فم الذهب، عاش بالقرب من أنقرة، ينسبون إليه رسالة وصف فيها مقتل نساك جبل سيناء (ت ٤٣٠م) هونكة، «شمس» (ص ٣٣٨، هامش ١٦).

(١) هونكة، «شمس العرب تسطع على الغرب» (ص ٢٢٢).

كان يتوارث الأبناء عن الآباء مثل هذه المهن^(١).

ج - الطب في الأندلس بعد الفتح العربي الإسلامي :

يبدو جلياً أن الحقبة الأولى من تاريخ افتتاح الأندلس الواقعة بين رمضان (٩٢هـ / ٧١٠م) إلى عهد الحكم بن هشام (١٨٠ - ٢٠٦هـ / ٧٩٦ - ٨٢١م) كانت امتداداً لحقب ما قبل الفتح، تلك التي سبقت الإشارة إليها بقول القاضي صاعد الأندلسي : «وكانت الأندلس - قبل تغلب الأمويين عليها - خالية من العلم... إلخ»^(٢).

إن هذه الحقبة - بطبيعة الحال - كانت غير صالحة لتحرك ذوي الهمم من العلماء لطلب العلوم، «فاستمرت الحال على ذلك لا يهتم أهل الأندلس بشيء من العلوم، خلا علوم الشريعة، وعلم اللغة، إلى أن استتب الأمر للأمويين بعد اشتعال أوار فتن واضطرابات تركت آثاراً سيئة فاستيقظ وتنبه ذوو الهمم من عشاق العلوم لإشارة الحقائق»^(٣)، فبدأت الحضارة الأندلسية تنمو حتى بلغت ذروتها بين (القرن الثاني للهجرة الثامن للميلاد، والخامس للهجرة الحادي عشر للميلاد)، فبرز في ذلك العهد عدد من الأطباء الذين اشتهروا في صناعة الطب والتأليف، خاصة في الفترة بين ابتداء (القرن العاشر ونهاية الثالث عشر الميلادي)؛ حيث

(١) المرجع نفسه (ص ٢٢٠).

(٢) «طبقات الأمم» (ص ٨٢).

(٣) التجاني الماحي، «مقدمة في تاريخ الطب العربي»، ط ١، الخرطوم، ١٩٥٩م، (ص ١١٣).

أضاف المصنفون من الأطباء الأندلسيين إلى ما اقتبسوه من الحركة العلمية في الشرق خلاصة تجارب المشاركة^(١).

إن اقتباس علماء الأندلس من علوم المشاركة لا يعني - أبداً - أن الشرق وحده مطلع شمس المعارف والحكمة، ومصدر الإشعاع لفلاسفة العرب، فلقد كان للمغرب العربي من ذلك القسط الأوفر، وذلك على عهد الخلفاء الأمويين. فقد أنشأ الحكم بن هشام (١٨٠ - ٢٠٦هـ/ ٧٩٦ - ٨٢١م) في قرطبة ندوة علمية كان العلماء يأتون إليها من شتى الأمصار، وأوفد الحَكَمَ الرسل إلى مختلف الجهات لابتتياع الكتب ونسخها، فأنشأ مكتبة كانت في القرن الرابع للهجرة العاشر للميلاد بمثابة التاج على مفرق الغرب، احتوت على ست مئة ألف مجلد، وقيل: إنها كانت تشتمل على (٣٨٤٠٠٠) مجلد، وهذا مؤشر يرى فيه [الحضارة والدولة] العربية في الأندلس، ومقدار اهتمامها وعنايتها بإعلاء مشعل العلم^(٢).

د - النهضة العلمية بالطب في الأندلس :

سبقت الإشارة - قبل قليل - إلى أن مشعل العلم قد علا في الأندلس، ومما يدل على ذلك هو: رواج بضاعة العلم عند أهل الأندلس، وكثرة

(١) صاعد الأندلسي، «طبقات الأمم» (ص ٨٢).

(٢) ابن بطلان، أبو الحسن (ت ٤٤٦ أو ٤٤٧هـ / ١٠٥٤ أو ١٠٥٥م) «دعوة الأطباء»، عني بطبعه وتصحيحه د. بشارة زلزل، طبع بالمطبعة الخديوية بالإسكندرية سنة ١٩٠١م، (ص ١٤٠).

المدارس الطبية فيها، فلقد أنشئ في إشبيلية - موطن أسرة بني زهر مدار البحث - مدرسة كبرى نبغ فيها مشاهير الأطباء والحكماء، وفي الوقت نفسه، كانت في «طليطلة» مدرسة أخرى للطب، سطع فيها نور الحكمة، وكذلك كانت في مدينة «مرسية» مدرسة ثالثة لا تقل إشعاعاً عن تلك المدارس الزاهرة^(١).

نتيجة للحركة العلمية في كبريات مدن الأندلس ارتفع اسم قرطبة إلى جانب جمالها، وعني سكانها بأنها كانت مركزاً ومصدراً للإشعاع العلمي، الأمر الذي دعا راهبة سكسونية أن تصفها بأنها: «ألمع مفخرة للنديا». وكان الطلبة يتوافدون إلى حلقات مساجدها، وإلى كلياتها العلمية، على اختلاف أجناسهم ومعتقداتهم الدينية.

إن مدارس الطب في قرطبة نالت شهرة عظيمة، وذلك لنجاح العمليات الجراحية التي أجريت فيها، والتي كان لها صدًى عالمي؛ فلقد اعترف علماء الطب المعاصرون بأن عمليات أبي الطيب خلف الزهراوي الجراحية في القرن الحادي عشر للميلاد تماثل اليوم العمليات الحديثة، وأن ابن زهر أبا مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر (ت ٥٥٧هـ/ ١١٦١م) الذي جاء بعده بقليل قد أبان عن أساليب مختلفة في الجراحة والعلاج^(٢).

(١) ابن بطلان، «دعوة الأطباء» (ص ١٤١).

(٢) الرفاعي، أنور، «الإنسان العربي والتاريخ»، دار الفكر - دمشق، ١٩٧١م، (ص ٣٨٠).

ففي حقل الجراحة حصل تقدم كبير؛ حيث قام الأطباء المسلمون - لأول مرة - بكثير من العمليات الجراحية الدقيقة، وتوصلوا إلى كيفية تفتيت الحصاة في المثانة، أو استخراجها، وأيضاً استطاعوا إيقاف النزف الدموي. والأبداع من هذا: أن العلماء المسلمين اهتموا إلى استخدام التخدير الطبي، فكانوا يهيئون قبل بدء العملية الجراحية علاجاً مخدراً يؤخذ من نبات (الزؤان)^(١)، ويعطونه للمريض كي يفقد شعوره بالألم وقت إجراء العملية.

إن أهم وأشهر جراحي المسلمين في الأندلس هو أبو القاسم خلف ابن عباس الزهراوي^(٢)، الذي سيأتي الحديث عنه بصورة تفصيلية في قسم: أهم الأطباء، وابن زهر المنوّه عنه قبل قليل، وسيأتي الكلام عليه في فصل خاص به.

من الحقائق التي لا تقبل الشك: أن أطباءنا العرب الأقدمين كانوا قد نقلوا عن سبقهم معلومات في الطب وغيره، فأضافوا إلى ما نقلوه إضافات

(١) الزؤان: هو ما ينبت - غالباً - بين الحنطة، وحَبّه يشبه حَبّها، إلا أنه أصغر، وإذا أكل يجلب النوم، الواحدة زؤانة. لويس معلوف، «المنجد في اللغة والأدب والعلوم» (ص ٢٩٧)، الأدوية المفردة والمركبة في كتاب «القانون» لابن سينا، تحقيق: مهند عبد الأمير الأعسم، دار الأندلس، ط ١، ١٩٨٤م، (ص ٦٦).

(٢) الحاجم، غازي محمد، «دور العرب في تقدم الطب»، مجلة آفاق عربية، العدد (٨) السنة الخامسة، ١٩٨٠م، (ص ١٠١).

علمية، وقد توصلوا إلى الكثير من الابتكارات في فن الجراحة خاصة، فأضافت تجاربهم قسطاً كبيراً في الجراحة^(١).

إن علم التشريح في ماضيه واجه أقاويل حول تحريم الدين الإسلامي للتسليخ، فبالرغم من كل ذلك ازدهر هذا العلم، وكذلك علم منافع الأعضاء عند العرب^(٢)، وظل المجهود العلمي الذي بذله أهل الأندلس المسلمة - برغم كل تيارات المقاومة - طابعاً عبقرياً بارزاً لنتيجة واضحة للثقافة الأندلسية التي كانت حصيلة الثقافة الشرقية، وقد نشر لواءها عرب إسبانيا، ولاقوا بينها وبين البيئة الطبيعية الإسبانية والجنسية والاجتماعية^(٣).

ومن الحقائق الثابتة تاريخياً: أن العرب كانوا هم المبتكرين لعلم الصيدلة؛ إذ أن أكثر المستحضرات التي كانت ما برحت مستخدمة حتى القرن التاسع عشر للميلاد؛ مثل: أنواع الأشربة، واللزقات، والمراهم، والدهانات، والمياه المقطرة، وغير ذلك، وهذه كلها من ابتكارات الأطباء العرب، ومضافاً إلى هذا استحدثوا طرقاً لتناول الأدوية، رجع

(١) البدرى، عبد اللطيف، «الآلات الجراحية عند العرب»، مستل من البحوث والمحاضرات التي أقيمت في مؤتمر الدورة الثالثة والثلاثين لمجمع اللغة العربية، بغداد، مطبعة: المجمع العلمي العراقي، ١٩٦٦م، (ص ٦).

(٢) المرجع نفسه (ص ٣).

(٣) بروفنسال، ليفي، «الشرق الإسلامي والحضارة العربية في الأندلس»، تطوان، منشورات معهد الجنرال فرانكو للأبحاث العربية الإسبانية، دار الطباعة المغربية، مطبعة كريماوس، ١٩٥٤م، (ص ٣٧).

إليها الأطباء المعاصرون بعد أن طواها النسيان، وعفا عليها الزمن، وقد ادعى بعض المعاصرين أنها مستكشفات حديثة.

مثال ذلك: أنهم كانوا يجعلون هذا النوع من الأدوية تمتص أولاً من قبل النباتات مثلما فعل الطبيب (ابن زهر) أبو مروان عبد الملك بن زهر (ت ٥٥٧هـ / ١١٦١م)، الذي كان يشفي الإمساك بأن يوعز إلى المريض المصاب بهذا المرض بتناول حبات من العنب التي يسقى نباتها بمادة مسهلة^(١).

إن ما يعزز القول بأسبقية العرب لغيرهم في مجال الصيدلة: أنه في الوقت الذي بلغ فيه علم الطب شوطاً بعيداً استحدثت أول صيدلية في العالم، وفتحت في بغداد، فتحقق بذلك تطور طبي ما كان ليحلم به أحد في شتى الأقطار الإسلامية، ففي نفس الوقت كادت معلومات الأوربيين تكون معدومة في الطب؛ بسبب تزمّت القسيسة في الكنيسة، واستفحال الجهل الذي كان ضارباً أطنابه على أوربة، حتى كان الأوربيون يعدّون المرض ضرباً من ضروب العقاب، أو الجزاء الرباني، لذلك لا يجوز عندهم للمرء أن يسعى لمعالجة نفسه، وعندما يمرض أحدهم، يسرع إلى أقرب دير أو كنيسة؛ مترجياً ومتوسلاً ومنتظراً الشفاء. وعندما شاع مرض الطاعون في أوربا في منتصف القرن الرابع عشر، وقف

(١) مظهر، جلال، «أثر العرب في الحضارة الأوربية، نهاية عصور الظلام وتأسيس الحضارة الحديثة»، ط ١، منشورات دار الرائد، بيروت ١٩٦٧م، (ص ٢٧٦).

الأوربيون إزاءه مكتوفي الأيدي على كونه جزاءً أو عقاباً من الله، ففي حينه كتب العلامة ابن الخطيب الغرناطي كتابه الشهير «حقيقة السائل عن المرض الهائل» بغيته من ذلك البرهنة على أن المرض يحدث وينتشر بسبب العدوى^(١).

هـ- حركة تأليف الكتب في علم الطب:

تمخضت النهضة العلمية في مجال الطب عن نشاط واسع النطاق في تأليف وتصنيف الكتب، فمن أشهر التأليف التي ذاع صيتها في الأندلس قبل عصر بني زهر كتاب «الأدوار والألوف» لأبي معشر البلخي (ت ٢٧٢هـ / ٨٨٥م)، فهو من المصادر التي أخذ منها أبو داود سليمان ابن حيان الأندلسي المكنى بـ (ابن جلجل) (ت بعد ٣٧٧هـ / ٩٨٧م)، واستفاد منها الكثير^(٢). ولعل سلسلة الأطباء من أسرة (بني زهر) كانت هي الأخرى قد أخذت منه أثناء أحقابها الزمنية.

بدأ تأليف الكتب في علم الطب في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣هـ / ٨٥٢ - ٨٨٦م)، والأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م)؛ حيث برع بعض من الأطباء بتصنيف الكتب

(١) الحاجم، غازي محمد، «دور العرب في تقدم الطب»، مجلة آفاق عربية، العدد (٨)، السنة ١٩٨٠م، (ص ١٠١).

(٢) ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حيان (ت ٣٧٧هـ / ٩٨٧م) «طبقات الأطباء والحكماء»، تحقيق: فؤاد سيد، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م، (المقدمة، ص، ي).

في علم الطب، بيد أن كتب هؤلاء لم تُعرف، ولعل ذلك يعزى إلى عدم الاهتمام بحفظها، أو لظروف عدم الاستقرار في البلاد أدى إلى ضياعها، أما في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١ م)، فقد بدأ التأليف بظهور بعض الأطباء، ومنهم: يحيى بن إسحاق الطبيب الذي صنف كتاباً طبياً سماه «الإبريسم»، وهو يتألف من خمسة أسفار، وهذا الكتاب هو أول تأليف يذكره ابن جليجل للأطباء الأندلسيين، الأمر الذي يعزز قول ابن جليجل بجلب الكتب من المشرق في هذا العصر، وقد استفاد علماء الأندلس منها، علماً بأن ابن جليجل نفسه نقل في كتابه هذا - يعني: «طبقات الأطباء والحكماء» - فقرات من كتب بقراط، وجالينوس وغيرهما، وأغلب الظن أنه نقل عن الترجمات العربية التي وصلت إليه من المشرق^(١).

ولا شك في أن من الشواهد والأدلة التي تعزز صحة نقل كتب العلوم إلى الأندلس في وقت مبكر: أن كتاب «الحشائش» لـ (دسقوريدس)^(*) الذي ترجمه (أسطفن بن بسيل)، وأصلحه حنين بن إسحاق^(**) المتوفى

(١) ابن جليجل، «طبقات الأطباء والحكماء» (ص ١٠١).

(*) ويسمى أيضاً: «هيولى علاج الطب من الحشائش والسموم» صنفه ديوسقوريدس في أنواع النباتات، وما ينتفع من أوراقها وأزهارها وأثمارها وجذورها في التداوي. السامرائي، كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ١٥٥).

(**) هو أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي، والعباد قبائل عربية اجتمعوا على النصرانية بالحيرة، والنسبة إليهم (عبادي). (ابن أبي أصيبعة، =

سنة (٢٦٠هـ / ٨٧٣م)، وهي السنة التي دخل فيها كتاب «الحشائش» الأندلس - وهو في أصله اليوناني - هدية من ملك القسطنطينية إلى عبد الرحمن الناصر^(١).

وفي عصر عبد الرحمن الناصر انتشرت التصانيف المشرقية في الأندلس، وبخاصة كتب الطب والعلوم الأخرى، جاء في كتاب «طبقات الأطباء والحكماء» قول (ابن جليجل: «ثم ظهرت دولة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد، فتتابعت الخبرات في أيامه، ودخلت الكتب الطبية من المشرق، وجميع العلوم، وقامت الهمم، وظهر الناس ممن كان في صدر دولته من الأطباء»^(٢).

يستنتج من هذا القول لابن جليجل: أن أطباء الأندلس في عصر الناصر وما تلاه كانوا - بما فيهم سلسلة أطباء أسرة زهر - شبه عيال على علوم الطب المشرقية، وذلك لكون الحركة العلمية في المشرق كانت أقدم، ودولتها كانت أقدر على توفير مستلزمات الحركة العلمية، وتهيئة الظروف الملائمة لتقدم وازدهار أنشطة التأليف في مختلف صنوف المعرفة، خاصة علم الطب منها.

حل - بعد ذلك - عصر الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦هـ / ٩٦١ - ٩٧٦م) الذي كان له الفضل الكبير في تصاعد الحركة العلمية والثقافية

= «عيون الأنباء» (ص ٢٥٧).

(١) ابن جليجل، «طبقات الأطباء والحكماء» (المقدمة، ص، ي).

(٢) ابن جليجل، «طبقات الأطباء والحكماء» (ص ٩٧).

في الأندلس، ففي هذا العصر تم استجلاب المؤلفات من المشرق، فقد كان هذا الأمير مشغولاً بالعلوم، وكان شديد الحرص على امتلاك الدواوين والكتب الأدبية والعلمية، وكان يبعث إلى مختلف الأقطار وشتى البلدان، ويبدل الأعلاق والدفاتر الغالية الأثمان، حتى نفق ذلك عنده، فحملت الكتب إليه من كل فج عميق إلى أن امتلأت بيوته، وغصت بها خزائنه. وكان للحكم وراقون في أقطار البلاد ينتقون له غرائب ونفائس التصانيف، وله رجال يبعث بهم إلى الآفاق باحثين عن نفائس التواليف^(١).

وفي عهد المستنصر ازدهرت الحركة العلمية حتى غدت قرطبة أكبر منار للتعليم في العالم الإسلامي، وقد جمع في مكتبة هذه المدينة الزاهرة - على ما قيل - (٤٠٠ ألف مجلد)، وكان من نتائج هذه النهضة والحركة العلمية أن جُلب إلى الأندلس الكثير من المؤلفات المشرقية^(٢) النادرة، وذات القيمة العالية، فليتصور الباحث الجهود المضنية والجسارة، والعزيمة العنيدة التي ساعدت على إتحاف قرطبة بهذا الكم الكبير من الكتب الطبية النفيسة.

وفي إشبيلية حيث كان أبو القاسم المراكشي وابن زهر^(*) أخوين

(١) ابن الأبار، أبو عبدالله القضاعي (ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م)، «الحلة السيرة»، تحقيق:

حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٦٣م، (ص ١٠١).

(٢) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» منشورات دار مكتبة الحياة، المقدمة، (ب، ت، ص، ي).

(*) إن كل واحد من أطباء بني زهر يكنى بـ (ابن زهر)، لذا كان على المؤلف =

لمن سبقهما في بغداد وبقية الأقطار، ومنهم: الرئيس أبو علي بن عبدالله بن سينا (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) والرازي أبو بكر محمد بن زكريا (ت ٣١١هـ / ٩٢٣م)، وابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد (ت ٥٩٥هـ / ١١٩٨م)، وابن الهيثم أبو علي محمد بن الحسن (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م)، وابن النفيس الدمشقي (ت ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م) المعروف باكتشافه الدورة الدموية^(١).

وفي وقت لاحق لعصر المستنصر بالله واجهت حركة إحياء العلوم القديمة(*) معارضة شديدة من قبل الشيوخ والأعيان، والتي صارت موضوعاً للنقد، والتقليل من شأنها، الأمر الذي أدى إلى تعطيل اندفاع المغرب العربي نحو إضرام نار الشعلة العلمية التي أشرقت على المغرب من المشرق^(٢).

= أن يفصح أيّ ابن زهر يقصد؟ ينظر: د. محمد كامل حسين، «الموجز في تاريخ الطب» (ص ٢٦٤). (الباحث).

(١) حمدي، طارق إبراهيم، «الطب العربي، ماضيه التليد وحاضره المشرق»، مجلة آفاق عربية، العدد (١٠)، سنة ١٩٨٠م، (ص ٤٨ - ٤٩).

(*) أغلب الظن أن الكتب القديمة المقصودة هي: كتب الفلسفة والمنطق التي - قيل - لاقت معارضة دينية. ينظر: المرجع أدناه (ص ٣٧) (الباحث).

(٢) بروفنسال، ليفي، «الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية»، نشر معهد الجنرال فرانكو للأبحاث العربية الإسبانية، دار الطباعة المغربية، تطوان، مطبعة كريمادس، ١٩٥٨م، (ص ٣٧).

وبعد أن آلت أمور الدولة في الأندلس إلى حكم المنصور بن أبي عامر (*) (٣٦٦ - ٣٩٣ هـ / ٩٧٦ - ١٠٠٢ م) حصلت كبوة مفاجئة غير محموددة العواقب في مسار النهضة العلمية في هذا البلد العربي المتحضر للنهوض الحضاري؛ إذ حالما تسنم المنصور هذا عرش الأندلس، أمر بحرق وإتلاف جميع الكتب ذات الصلة بالعلوم القديمة، فبعضها قد رُمي على شجرة النار، وألقي البعض الآخر في أعماق آبار القصر، ودُفن تحت التراب والحجارة، أو أُتلف بطرق أخرى^(١)، وعلى ما يبدو: أن التاريخ يعيد نفسه - كما يقولون - بين حين وآخر؛ فإن ما يؤكد هذا القول فعلة هولاكو ببغداد (سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م)، وما جرى لكل معلّم حضاري عظيم في العراق (سنة ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م).

نتيجة لموقف المنصور بإبادة عصارة الفكر النير لفحول العلماء التي أودعوها في بطون تأليفهم التي لا تقدر بثمن، نتيجة لكل ذلك تقلص ظل علوم الحكمة عندما شنت الحرب ضد الفلاسفة، واضطر ابن رشد ذاته إلى التخلي عن المضي في ذلك، وبرغم كون المنصور غير

(*) أغلب الظن أن (المنصور) المقصود هنا هو: (يعقوب بن عبد المؤمن الموحيدي) الملقب بالمنصور أيضاً، ولأن فترة حكم الأول هي (٣٦٦ - ٣٩٣ هـ)، بينما الثاني (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ)، أما ابن زهر، وابن رشد، فكانا معاصرين للمنصور الموحيدي، لا العامري، وقد توفيا سنة ٥٩٥ هـ. عليه فلا يستبعد أن يكون هذا الخلط من صنع النساخ ليس إلا. (الباحث).

(١) بروفنسال، ليفي، «الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية» (ص ٣٧).

قاصد اضطهاد رجال الطب، فإنه قد أناط بابن زهر نفسه مأمورية متابعة وملاحقة الفلاسفة؛ لثقته به، إلا أنه أمر بتدوين الأحاديث، وترتيب الجرايات بغية حفظها، فمال الناس إليها رغبة بالمادة، فانحسر عدد المعتنين بالحكمة والطب، وكان اعتقال المنصور لابن رشد وأبي جعفر الذهبي قد زاد الناس خشية في مصير الفلاسفة والأطباء^(١).

في عصر الطوائف في الأندلس (٣٩٩ - ٤٤٨ هـ / ١٠٠٩ - ١٠٥٦ م) ازدهرت الحركة الفكرية أيما ازدهار، وكان من آثار هذا الازدهار ذبوع المكتبات العامة - وكذلك الخاصة - ذبوعاً يلفت النظر، وذلك لأن تصدعاً هائلاً قد حصل في وحدة البلاد، وأن كل مدينة أندلسية صارت عاصمة لسلطنة كبيرة أو صغيرة، أما أمراء الطوائف، فقد طفقوا يتنافسون في اقتناء الكتب النادرة والنفيسة، وكانت الكتب تُجلب بغزارة إلى شبه الجزيرة من شتى بقاع العالم الإسلامي. وبالرغم مما أصاب قرطبة من آثار الفتن والحروب الأهلية، غدت مركزاً للعلوم والدراسات المتقدمة، ولبثت - برغم ما نال المكتبة الأموية الكبرى من التبيد المؤسف والمؤلم - مستقراً للعديد من المجموعات النفيسة الخاصة، كذلك كانت إشبيلية مستقر أسرة بني زهر، وحاضرة بني عباد، وهي المدينة الثانية بعد قرطبة، في ازدهار العلوم والثقافة، وكانت تحتوي - إضافة إلى مكتبة بني عباد الملوكية الكبرى - عدداً كبيراً من المكتبات الخاصة، وكانت

(١) بن عبد الله، عبد العزيز، «الطب والأطباء العرب»، الرباط، المطبعة الاقتصادية،

١٩٥٩ م، (ص ٢١).

مدينة (المرية) أيضاً من المدن التي اشتهرت بمكتباتها القيمة . ومن المدن التي اشتهرت بكثرة مكتباتها : بطليوس ، وطليلة ، وسائر القواعد الأندلسية . وبطبيعة الحال كان لهذه الثروات المكتبية التأثير الكبير في ازدهار الحركة الفكرية والثقافية زمن الطوائف^(١) .

ونتيجة للجهود المضنية التي بذلها علماء الأندلس في مجال التأليف في مختلف صنوف العلم ، خاصة في الطب والصيدلة ، فقد تركوا لخلفهم خير تراث ، وثروة كبيرة من الكتب ، وضمنوها بأشياء حديثة بعضها ما فتى معمولاً به حتى اليوم^(٢) .

ومن أولئك الأطباء الأفاضل : أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي القرطبي (ت ٤٠٤هـ / ١٠١٣م) صاحب كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» الموسوعة الطبية ، والذي ترجم بعضه إلى اللغة اللاتينية في القرن العاشر للهجرة ، السادس عشر للميلاد ، وهذا الكتاب متخصص في علم الجراحة ، ضمنه مؤلفه آراء جديدة أكد عليها ، فمنها : تمكنه من سحق الحصاة في المثانة ، وتشريح الأجسام الحية منها والميتة ، كما تمكن من إجراء عمليات في العيون ، وكذا في الأسنان والولادة ، واستطاع اتخاذ

(١) عنان ، محمد عبدالله ، «دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي» ، ط ١ ، مطبعة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م ، (ص ٤١٥ - ٤١٦) .

(٢) الحجي ، عبد الرحمن علي ، «الحضارة الإسلامية في الأندلس» ، ط ١ ، مطابع دار العلم ، لبنان ، بيروت ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ، (ص ٥٨) .

الخيوط اللازمة لرتق الجروح من أمعاء بعض الحيوانات^(١).

ومنهم: عائلة بني زهر التي أنجبت سلسلة من الأطباء، أبرزهم: عبد الملك بن زهر الذي ألف كتاباً قيماً عُدَّ مفخرة من مفاخر التراث العربي الإسلامي في علم الطب^(٢). وهو كتاب «التيسير في المداواة والتدبير»^(٣)، وسيأتي الحديث عنه بتفصيل في الفصل الخاص بمؤلفه^(٤).

و- أثر الطب العربي في الأندلس على أوروبا:

منذ منتصف (القرن الخامس للهجرة، الحادي عشر للميلاد) بدأ الطب العربي في الأندلس يؤثر في أوروبا، إلا أن الأثر صار واضحاً وجلياً بعد القرن الثالث عشر، حينما أصبح الطب العربي بمثابة القدوة التي يصدر منها شعاع الفكر الأوربي في كل معاهد الدراسات الطبية، وأضحى الطب العربي المادة الدراسية التي اعتمد عليها الأساتذة والطلبة معاً في كليات الطب بالجامعات التي أسست، وبدأت تظهر آنذاك في «بادوا»^(٥)،

(١) عاشور، سعيد عبد الفتاح، «المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية»، ط ١، ١٩٦٣م، نشر دار النهضة العربية، القاهرة، (ص ١٥٧ - ١٥٨).

(٢) الحججي، عبد الرحمن علي، «الحضارة الإسلامية في الأندلس» (ص ٨٤).

(٣) أبو مروان عبد الملك بن زهر، «التيسير في المداواة والتدبير»، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة التراث، تحقيق: محمد عبدالله الروداني، الرباط، مطبعة فضالة، المحمدية (المغرب).

(٤) تنظر: (ص ١٩٣).

(*) بادوا: مدينة في إيطاليا الشمالية. فردينان توتل، «المنجد»، (ص ٥٨).

وبولونيا، ومونتيلير^(١).

لقد استفاد الأساتذة والطلاب الأوربيون من كتب الطب العربي الأندلسية، وبادروا إلى ترجمة غالبية ما حصلوا عليه من الكتب إلى اللغة اللاتينية واليونانية، وصارت تدرس علوم الطب العربية في الجامعات الأوربية على أساس المصنفات الإسلامية في علم الطب^(٢).

إن الأوربيين - من أساتذة وطلاب - لا يواجهون صعوبات في الحصول على كتب مختلف العلوم من الأندلس، ذلك لقرب موئل العلم «قرطبة» إليهم، وهي المدينة الأندلسية التي امتازت بمدرستها الجامعة التي كان يتقاطر إليها طلاب الحكمة من مختلف الأمصار، ففي هذه المدرسة تعلم البعض من علماء الإفرنج أيام جهالتهم، ولما تحسّسوا طعم لذة العلوم، واتضحت منافعهما، انطلقوا إلى الاقتداء بالعرب المسلمين، ومما زان مدرسة قرطبة قيام محمد بن علي بإنشاء حديقة غناء فيها لأجل أن تكون بمثابة المختبر العلمي لدرس علوم النباتات، ومما قيل - شعراً - في وصف قرطبة:

بأربع فاقت الأقطارَ قرطبةٌ وهُنَّ: فنطرة الوادي، وجامعها

(١) الدوري، تقي الدين عارف، «تاريخ العرب المسلمين وحضارتهم في الأندلس»، نشر جامعة ناصر خميس، ليبيا، ط ١، ١٩٩٧م، (ص ٣٣٢).

(٢) البوشي، محمد عبد الحميد، «الإسلام والطب»، المكتبة الثقافية (١٢٥) دار القلم، القاهرة ١٩٦٥م، (ص ١٤٦).

هاتان ثتان، والزهراء ثلاثة والعلمُ أفضلُ شيءٍ وهو رابعها^(١)

لم تكن قرطبة منبع الإشعاع العلمي الوحيد في الأندلس، وإنما ساهمت طليطلة بمدرسة للترجمة في القرن الثاني عشر بنصيب وافر في ترجمة كتب الطب الأندلسية تلك التي عمت شهرة آفاق البلدان الأوربية، وساهمت أيضاً بتدريس علوم الطب، ولقد تجاوزت حركة الترجمة المدارس العلمية إلى المؤلفين من أطباء العرب في المغرب والأندلس، فكان لهم تأثير بعيد المدى على الغرب الأوربي، وذلك لاتصالهم الوثيق بأمامه عن طريق الأندلس^(٢). ومن هؤلاء كان ابن الجزار العربي المسلم أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد (ت ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) الطبيب الأندلسي، وهو أعظم تلاميذ الطبيب إسحاق الإسرائيلي. وكان قد صنف كتابه الشهير «زاد المسافر»، تُرجم هذا الكتاب إلى اللاتينية بين الرعيل الأول من كتب الطب العربية المترجمة إلى اللغات الأجنبية، كان هذا الكتاب معروفاً وذائع الصيت بين أطباء القرون الوسطى؛ لاحتوائه على معلومات نافعة جداً، وهي عن الأمراض الباطنية، إلا أن المترجم الذي قام بترجمته - وهو المترجم (قسطنطين) - انتحله، وأسنده لنفسه، ولم يضع عليه اسم مؤلفه الحقيقي^(٣).

(١) ابن بطلان، «دعوة الأطباء» (ص ١٤٠ - ١٤١).

(٢) عرب، مرسى محمد، «لمحات من التراث الطبي العربي»، نشر منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٧٥م، (ص ٣٥).

(٣) آرنولد، سير توماس، «تراث الإسلام»، ط ٢، تعريب: جرجيس فتح الله، =

ومن الكتب النافعة التي استفاد منها الأوروبيون: تلك الموسوعة التي كتبها أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي (المتوفى سنة ٤٠٤هـ / ١٠١٢م)، ذلك الطبيب العظيم الذي سبقت حياته ظهور أسرة بني زهر الطبية بقليل، صنف موسوعته في الطب، وأسماها: «التصريف لمن عجز عن التأليف»، فلقد تُرجم بعض من أجزاء هذه الموسوعة إلى اللغة اللاتينية في القرن السادس عشر، وكان المترجم يدعى (جيرارد الكريموني)^(*)، وطبعت ترجمة هذه الموسوعة عدة مرات، آخرها كانت طبعة أكسفورد عام ١١٩٢هـ. فإن ما يدعو إلى الفخر بهذا الطبيب العربي الكبير هو بقاء موسوعته عدة قرون الكتاب الوحيد المعول عليه في فن الجراحة في عالم الطب في أوروبا^(١).

وترجمت لأبي القاسم الزهراوي أقسام من آثاره بقلم كل من (برغفار) البلنسي، و(آرناد) من «فيلانوفات» (ت ٧١٣هـ / ١٣١٣م)، ولأرنالد - وهو خاتمة مشاهير مترجمي الكتب الطبية بإسبانيا - تدين بترجمة بعض من كتب الرئيس ابن سينا، والكندي، وأيضاً ابن زهر، وغيرهم^(٢).

= بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٤م، (ص ٤٦٧).

(*) من أقدم المستشرقين، نقل إلى اللاتينية: فلسفة الكندي (ت ٥٨٣هـ / ١١٨٧م).
فردينان توتل، «المنجد» (ص ١٤٦).

(١) الدوري، تقي الدين عارف، «تاريخ العرب المسلمين وحضارتهم في الأندلس» (ص ٣٢٩).

(٢) آرنولد، توماس، «تراث الإسلام» (ص ٤٩٨).

ولأبي القاسم الزهراوي رسالة جراحية، ضمنها وصفاً دقيقاً وصوراً كثيرة للآلات الجراحية التي أسهمت بدور كبير في التأثير على وضع أسس الجراحة في أوربا، وقد ترجمت إلى اللاتينية، واللغة البروفنسية، والعبرية في وقت متقدم^(١).

أما الطبيب الكبير ابن زهر (أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر) المتوفى (٥٥٧هـ / ١١٦٢م)، وأعظم طبيب من سلسلة أطباء أسرة بني زهر، الذي عدّه ابن رشد أعظم طبيب مسلم، فقد كتب في الطب عدة كتب، أهمها: كتاب «التيسير في المداواة والتدبير»، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة اللاتينية، وطبع أكثر من مرة^(٢)، في العام ١٢٨٠م بمعونة اليهودي^(*) في البندقية؛ حيث طبع في أوقات متأخرة مرات عدة، إن هذا الكتاب يعد مثلاً عظيماً للاستقلال الفكري؛ لأنه مؤسس على التجارب الشخصية، لذلك لم يحظَ هذا الكتاب من العرب مثلما حظي به من أوربا من نجاح. وكان الفيلسوف ابن رشد المتوفى في مراكش (سنة ٥٩٥هـ / ١٠١٩م) تلميذاً وصديقاً لأبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر. كتب ابن رشد حوالي ستة عشر كتاباً طبياً، ذاع صيت أحدها

(١) المرجع نفسه (ص ٤٧٤).

(٢) الدوري، تقي الدين عارف، «تاريخ العرب المسلمين وحضارتهم في الأندلس» (ص ٣٣٢).

(*) كوهين العطار، أبو المنى داود بن أبي النصر الإسرائيلي مؤلف كتاب «منهاج الدكان ودستور العيان» المرجع أدناه (ص ٤٨٦).

بترجمته اللاتينية أسماه: «الكليات في الطب»، طبع مرات عدة مع كتاب «التيسير» لابن زهر^(١).

مما تقدم يظهر - بجلاء - أنه كان للعرب المسلمين بعامة والأندلسيين بخاصة، فضل كبير جداً على أوروبا في عدة ميادين من ميادين العلم والصناعة والفن، إلا أن فضلهم في تزويد أوروبا بفلسفة أرسطو كانت نقلاً عن ابن رشد، وبالطب نقلاً عن ابن سينا، وغير ابن سينا من الأطباء العرب لا يماثله فضل في تغيير مسار الحضارة الحديثة، ويكفي أن يُعلم أن ما تمت ترجمته من كتب الطب عن المسلمين بقي العمدة في تدريس هذا الفن في الجامعات الأوربية إلى أواسط القرن السابع عشر^(٢).

وعن طريق ترجمة كتب علماء الطب المسلمين في الأندلس دخلت الصيدلة العربية إلى أوروبا بعدة طرق، منها: الترجمة التي أفرد أصحابها فيها أبواباً للمادة الطبية؛ مثل: كتابات ابن سينا وابن زهر، وغيرهما، وطبعت تصانيف هؤلاء عدة مرات، وبقيت العمدة في الدراسة والتلخيص في جامعات أوروبا حتى عام ١٨٣٠م^(٣).

ومما يؤكد أثر الطب العربي الأندلسي على الأوربيين: رحيل

(١) آرنولد، سير توماس، «تراث الإسلام» (ص ٤٨٦).

(٢) نيسنسون، صموئيل، «سير ملهمة من الشرق والغرب»، بقلم إسماعيل مظهر، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بدون تاريخ، (ص ٨).

(٣) مظهر، جلال، «الحضارة الإسلامية»، مصر - نشر مركز كتب الشرق الأوسط، (ص ٨٣، ب، ت) (ص ٨٣).

عدد من الأطباء الأندلسيين إلى الأمصار الأوربية، فسكن بعضهم في (ساليرنو) (*)، و(مونييليه) (**)، وأسسوا في هاتين المدينتين عدداً من المدارس الطبية كانت قد لعبت في أوقات لاحقة دوراً مهماً في مسار تاريخ الحضارة الأوربية خاصة، بعدما تحولت نقطة ارتكاز العالم الفكري من الشرق إلى الغرب. وبذلت جهود جهيدة ومبتكرات عظيمة عملت على تطوير معارف البشرية عدة قرون، لكن - للأسف - انحدر الجميع في هوة سحيقة من الانهيار العلمي المحزن، إلا أن الطب العربي الإسلامي كان قد أزال التراب الثقيل الذي كان يطمس علوم اليونان، وأحيائها ثانية، وعكس ضوء الشمس الآفلة في اليونان، وجعل نور العلم يزهر ويتلألأ كالبدر في سماء العصور المظلمة، وهناك بدور سطعت من تلقاء ذاتها، وأضاء سناها ظلمة هذه السماء، وأنارت ديجورها، ثم أَفَلَت تلك البدور، وانطفأ ضوءها في فجر أحياء الحضارة والتقدم برغم بقاء بصيص من أثرها ما زال حياً حتى اليوم^(١).

وتأثر الأوربيون بما امتاز به العلماء الأندلسيون من التألق في

(*) ميناء إيطالي، يقع على ساحل «كالبريا»، ويطل على خليج يُعرف باسمه. عطية الله، أحمد، «القاموس السياسي»، ط ٣، القاهرة، نشر دار النهضة العربية ١٩٦٨م، (ص ٦٠٤).

(**) مدينة في فرنسا، شهيرة بجامعة، لا سيما معهد الطب. فردينان توتل، «المنجد في الأدب والعلوم»، (ص ٥٢١).

(١) حمدي، طارق إبراهيم، «الطب العربي» (ص ٤٨).

الحضارة والمدنية، وبالتدقيق في المباحث الفلسفية، واستكشاف الكثير من المبادئ التي أسست عليها المكتشفات العلمية التي كانت من مفاخر هذا الزمان. ولا مبالغة في القول: إن مبدأ (دارون)^(*) في التحويل والارتقاء مأخوذ عن العرب. ففي مصنف محمد بن أحمد الوراق المعروف بـ (الكتبي) في علم الطبائع، قال في طبائع القرد: «هذا الحيوان عند المتكلمين في الطبائع مركب من إنسان وبهيمة، وهو من تدرج الطبيعة من البهيمة إلى الإنسان. (كذا)، وهو يحاكي الإنسان بصورته وأفعاله...»، ودارون يدعي بأن جده (جراسيموس) أول من قال بمبدأ التحول في الحيوانات، مذكراً على (لمرك) الفرنسي فضل الأسبقية، وإنما الفضل يعود - حقاً - للكتبي الذي كشف عن هذه الحقيقة بعبارة صريحة قبل أن يوجد لمرك، وجراسيموس، ودارون بقرون^(١).

ومما يلفت النظر ويثير العجب: ما أورده الطبيب العربي الأندلسي أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) صاحب كتاب «المسالك والممالك»، أو «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» حينما حوّم ببصيرته على الآراء المعروفة الآن، والتي كشف عنها العلامة الفرنسي (باستور)^(**)

(*) عالم إنكليزي، (ت ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م)، عالم بالطبيعة، قال: إن تطور الأجناس نتيجة (انتخاب طبيعي) تقوم به الطبيعة لفائدة الأجناس الأكثر أهلية للبقاء. فردينان توتل، «المنجد في الأدب والعلوم» (ص ١٩٣).

(١) ابن بطلان، «دعوة الأطباء» (ص ١٤٢).

(**) هو عالم فرنسي (ت ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م) أكب على درس الأمراض السارية، =

نتيجة لتجاربه الرائعة، وهي مبادئ الفساد والتعفن، وبين صحة تولد الجراثيم الويلة، ومنفعة التلقيح. قال البكري في الكتاب الثاني عشر من مؤلفه المشار إليه في كلامه على الهوام والحشرات ما نصه: «إذا أوقدت ناراً في وسط غيضة؛ لترى ما يغشى النار من الحشرات، بدت لك صور عجيبة، وأشكال غريبة، على أن الخلق الذي يغشى النار يختلف باختلاف المواضع من الغياض والجبال، والسهول والبراري؛ فإن في كل بقعة من هذه البقاع أشكالاً من المخلوقات مخالفة لما في البقعة الأخرى، وقد خلقت هذه الحشرات من المواد الفاسدة، والعفونات الكائنة؛ ليصفو الجو منها، ولا يعرض له الفساد الذي هو سبب الوباء، وهلاك الحيوان والنبات، والذي يحقق ذلك: أننا نرى الذباب والديدان في دكان القصاب والدباس، ولا نراها في دكان البزاز والحداد، فهي تمتص العفونات، وتتغذى بها، فيصفو منها، ويسلم من الوباء، وجعل صغارها مأكولاً لكبارها، وإلا ملأت وجه الأرض منها».

وأردف البكري قوله: «وأعجب ما في هذا النوع: أن كل ما جُعِلَ سبباً لضرر حيوان، جُعِلَ لحمه دفعاً لذلك الضرر؛ فإن الأطباء الأقدمين وجدوا في لحم الحية قوة تقاوم السموم، فأدخلوا لحمها في الترياق(*)،

= واكتشف دواء الكلب بالتلقيح فردينان توتل، «المنجد في الأدب والعلوم»، (ص ٥٩).

(*) سيأتي الحديث عن هذا الموضوع - مفصلاً - في الفصل الخاص بابن زهر عبد الملك بن أبي العلاء، صاحب كتاب «التيسير» تنظر (ص ٢١٩).

والتجربة دلت على أن من لدغته العقرب، يقتلها، ويطلي موضع اللدغ برطوبة بدنها؛ فإن الألم يسكن في الحال»^(١).

هؤلاء - حقاً - هم أشهر وأعظم الأطباء العرب الذين اقتدى واهتدى الأوربيون بهداهم، واقتفوا دروبهم وآثارهم في العصور التي كان الجهل والتخلف والهمجية ضاربة أطناها بينهم، وكانوا على حالة أقل ما يقال فيها أن الإنسان الأوربي لم يكن يعرف للقميص معنى إلى أن أخذوا اسمه من العربية، كما استعرنا منهم الآن أغلب أسماء ملابسنا؛ كالبنطلون، والبلطو، حيث انقلبت الآية، وكذلك الزمان بالبشرية انقلب^(٢).

أما أهم مصادر نقل الثقافة العربية الإسلامية إلى أوروبا، فكانت عديدة، في مقدمتها: الأندلس، وصقلية، والمغرب، ومصر، والشام، والحروب الصليبية، إلا أن الأندلس وصقلية كانتا مركزي احتكاك مباشر بأوروبا، وفي ذات الوقت كانتا مركزي إشعاع هامين في الدولة الإسلامية، ومنهما كانت إمدادات الجامعات الأوربية - التي أنشئت قربهما، وبتأثير منهما في الجنوب الأوربي من مثل: ساليرنو، ومونتبلية، آنفتي الذكر - بالمصادر العلمية، وبالعلماء، وكانت تلك المراكز العلمية في أوروبا معتمدة على طليطلة، وإشبيلية، وقرطبة بصورة خاصة؛ لأنها كانت بمثابة البوابات المفتوحة مباشرة على أوروبا^(٣). وبذا كان الطب العربي الإسلامي أساساً

(١) ابن بطران، «دعوة الأطباء» (ص ١٤٢ - ١٤٣).

(٢) المصدر نفسه (ص ١٤٦).

(٣) الهوني، د. فرج محمد، «تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية»، الدار =

لعلم الطب عند الفرنجة الذين تمكنوا أن يأخذوه مع الكثير من مفردات اللغة العربية، وإن العرب هم الذين أدخلوا الطب والعلوم الأخرى إلى (مونييليه) منذ سبع مئة سنة، وإلى الكثير من المدن الفرنسية والإيطالية، وقد جاؤوا بها من الأندلس، وكان البعض من الأوربيين قد درسوا العلوم المختلفة على أيدي العلماء العرب، ونهلوا من كتب العرب العلمية في العلم الطبيعي والعلوم الأخرى، وقد فُقد أصله العربي، وبقيت ترجمته اللاتينية. وإن كل المادة الطبية التي أخذها الأوربيون من العلماء العرب بقيت إلى القرن السابع عشر هي المعتمد عليها وحدها^(١).

تردد لدى بعض المؤرخين: أن الحروب الصليبية كانت سبباً لإدخال العلوم العربية إلى أوربة. إلا أن الأمر لم يكن كذلك، وإنما دخلت العلوم أوربة من الأندلس، وصقلية، وإيطالية، فمنذ سنة (٥٢٥هـ / ١١٣٠م) شرع مكتب للمترجمين في طليطلة بنقل أهم كتب العرب إلى اللغة اللاتينية، فتوجت أعمال ذلك المكتب بالنجاح، فانتقل العرب إلى عالم جديد. ولم يحصر الغرب نشاطه في الترجمة في ترجمة مؤلفات العلماء العرب؛ كالرازي، وأبي القاسم الزهراوي، وابن سينا، وابن رشد

= الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ط ١، ١٩٨٦م، (ص ٢٦٢).

(١) محمد كرد علي، «الإسلام والحضارة العربية»، ط ٣، مطبعة لجنة الترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٨م، (١ / ٢٣٣).

وحدها إلى اللغة اللاتينية، وإنما تم نقل كتب العلماء اليونان التي سبق للمسلمين أن ترجموها إلى اللغة العربية؛ مثل: كتب جالينوس، وبقراط، وأفلاطون، وأرسطو، وإقليدس، وأرخميدس، وبطليموس، فكان عدد ما ترجم من الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية ما ينوف على ثلاث مئة كتاب. فمن المؤكد أن القرون الوسطى ما كانت تعرف كتب اليونان القديمة إلا من خلال تلك التي ترجمت إلى لغة أتباع [الرسول محمد ﷺ]، فبفضل العرب المسلمين اطلع الأوربيون على فحوى كتب اليونان التي ضاعت أصولها؛ مثل: كتاب جالينوس في الأمراض السارية^(١).

لقد أدرك الأوربيون أن علماء الطب العرب لم يكونوا مجرد نقلة لعلم الطب اليوناني القديم، يتضح ذلك من مخالفة الأطباء العرب المسلمين لكثير من الأطباء اليونانيين في مجال علم التشريح، فهم الذين توصلوا إلى توافق علم التشريح مع علم الجراحة. وهذا ما اعتمد عليه الأوربيون لاحقاً^(٢). وذلك حينما صار علم التشريح داخلاً في المناهج الدراسية في الجامعات الأوربية، وقد اتضح من خلال برنامج تدريس هذا العلم في أوروبا الذي نشر سنة ١٦١٧م: أن المؤلفات اليونانية الطبية لم تحصل إلا على اليسير من القبول هناك، فكان كل الاعتماد - تقريباً - على

(١) لوبون، غوستاف، «حضارة العرب»، تعريب: عادل زعير، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م، (ص ٦٧٧).

(٢) هونكه، زيغريد، «شمس العرب تسطع على الغرب»، (ص ٣١٠).

الكتب الطبية العربية^(١).

ومن التصانيف الطبية العربية التي لاقت ذيوفاً واسعاً في أوربا: كتاب الطبيب العربي الأندلسي أبي القاسم الزهراوي المسمى «التصريف لمن عجز عن التأليف»^(*)، وهو مختص بعلم الجراحة، ترجم إلى اللغة اللاتينية التي هي لغة العلم في أوربا في القرن الخامس عشر، وترك هذا الكتاب أثراً كبيراً وعميقاً لدى الجراحين في إيطاليا وفرنسا؛ حيث ظل معمولاً به باهتمام بالغ حتى العصر الحديث^(٢).

ترجم كتاب التصريف إلى اللغة اللاتينية لأهميته مرات عديدة في أوربا، وكان الاهتمام يتركز على المقالة العاشرة في هذا الكتاب الخاصة بالجراحة^(٣). واعتبر الأطباء الأوربيون الجزء الثالث منه كشفاً جديداً في عالم الجراحة، فالزهراوي هو الذي وضع أسس هذا الفرع من علم الطب في أوربا، وذلك بعد أن كانوا ينظرون إلى علم الجراحة على أنه عمل حقير وسفيه. إن هذا الكشف الجديد اعتمدت عليه الجراحة لأول مرة على علم التشريح. ولقد انتهج الأوربيون نفس المنهج الذي سار عليه

(١) الهوني، د. فرج محمد، «تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية» (ص ٢٦٧).

(*) ينظر الملحق (ص ٤٠٧).

(٢) نصر، سيد حسين، «العلوم في الإسلام»، الدار العربية للكتاب - ليبيا، تونس، ١٩٧٨ م، (ص ١٥١).

(٣) التجاني الماحي، «مقدمة في تاريخ الطب العربي» (ص ١١٧).

الزهرروي في علم الجراحة، وقد نقل عن الرازي (دوشولياك) أعظم جراح أوربي في القرن الرابع عشر الكثير من آرائه، وذكره في تصانيفه مستشهداً به أكثر من مئتي مرة^(١).

وبذا يمكن التأكيد على أن الجراحة العربية استطاعت أن توجه علم الجراحة في أوربا قرونًا طويلة؛ حيث استندت طبابة الجراحة في أوربا في آماذ طويلة من الزمن على أكثر من ثلاثة آلاف أستاذ عربي، وخضعت الجامعات الأوربية خصوصاً بـ (أدوا) و(بافيا)^(*).

ز - الظروف السياسية التي واكبت علم الطب في الأندلس:

سبقت الإشارة إلى ما قاله صاعد الأندلسي حول العلم في إسبانيا قبل تغلب الأمويين؛ حيث قال: «وكانت الأندلس قبل تغلب بني أمية عليها خالية من العلم»^(٢)، وأشير - أيضاً - إلى أن الفترة من سنة (٩٢هـ/ ٧١٠م) إلى عهد الحكم بن هشام (٨١٠ - ٢٠٦هـ/ ٧٩٦ - ٨٢١م) كانت غير موآتية لنهضة علمية كما ينبغي؛ بسبب انشغال قيادة الدولة بشؤون الفتوح، واستتباب الأمن، ونشر العقيدة الإسلامية، والاهتمام بعلموم الشريعة الإسلامية دون غيرها^(٣).

بدأت النهضة العلمية في الأندلس بالانتعاش زمن الحكم الأول

(١) هونكه، زيفريد، «شمس العرب تسطع على الغرب» (ص ٢٨٨).

(*) تنظر: (ص ١٧)، هامش (*)، وهامش (١).

(٢) «طبقات الأمم» (ص ٨٢).

(٣) التجاني المآحي، «مقدمة في تاريخ الطب» (ص ٨٢).

(الرّبضي) الذي أبدى اهتماماً كبيراً بجمع الكتب العلمية، واشتدت العناية في زمنه برفع منار العلم حتى غدت قرطبة في أيامه يشار إليها بالبنان^(١).

وفي عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣هـ / ٨٥٢ - ٨٨٦م) ظهر أول من اشتهر في علم الطب في بلاد الأندلس، وهو: أحمد ابن إياس القرطبي، وفي عهد هذا الأمير بدأت دراسة الطب على أسس علمية رصينة^(٢).

أما في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠هـ / ٩١٢ - ٩٦١م)، فقد بدأ تأليف الكتب، فألف يحيى بن إسحاق كناشاً في الطب، وهو أول مؤلف يذكره ابن جليجل^(٣). ففي عهد الناصر عُرِفَ انتشار الكتب المشرقية في الأندلس، وبصورة خاصة كتب الطب^(٤)، الأمر الذي يشير إلى اهتمام الخليفة الناصر بالعلوم عموماً، وبالطب خصوصاً.

وكان الحَكَم الثاني (المستنصر بالله، ٣٥٠ - ٣٦٦هـ / ٩٦١ - ٩٧٦م) من أعظم الخلفاء المفضلين على الآداب، عمل على نشر العلم وإشاعته في بلاده، حتى كاد أن يمحو الأمية، وأنشأ خزانة كتب لعامة العلوم

(١) ابن بطلان، «دعوة الأطباء» (ص ١٤٠).

(٢) بدر، أحمد، «دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة»، ط ٢، دمشق، ١٩٦٩م، (ص ١٩٢).

(٣) مراد، د. آمنة صبري، «لمحات من تاريخ الطب القديم»، نشر مكتبة النهضة الحديثة، مطبعة الكيلاني الصغير، القاهرة، ١٩٦٦م، (ص ٢٥٩).

(٤) ابن جليجل، «طبقات الأطباء والحكماء» (المقدمة، ص، ي).

احتوت على زهاء أربع مئة ألف مجلد، قد زهت في أيامه قرطبة، وكانت جامعتها أعظم جامعات الدنيا، وكان الحَكَم الثاني عالماً، أديباً وشاعراً، ويعرف علوم الفلاسفة^(١).

ولما جَدَّد المرابطون فتح الأندلس، وملكها يوسف بن تاشفين، انقطع إليه من الأندلس من أهل كل علم مبرزوه، فأصبحت مكانته أشبه بمكانة وحضرة بني العباس في الأيام الأولى لدولتهم، فاجتمع له ولابنه [علي] من خيرة الكتاب والبلاغيين ما لم يسبق بمثل له في العصور الماضية، ومن رجاله كان الفيلسوف والطبيب الشهير (ابن طفيل) المتوفى سنة (٥٨١هـ / ١١٨٥م)، وهو الذي جلب إليه العلماء من شتى الأقطار، وذكره بفضل المكانة العلمية للفيلسوف والطبيب المعروف ابن رشد (المتوفى سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م). وكان ملوك الأندلس مغرمين باختيار كبار العلماء للوزارة ليدبروا أمر الدولة، ومن العلماء من برز في السياسة والإدارة مثلما برز في الطب والأدب^(٢)، وكان عبد الملك بن زهر وزيراً للموحدين^(٣).

يستنتج مما تقدم: أنه كان القرنان (الخامس والسادس للهجرة،

(١) محمد كرد علي، «الإسلام والحضارة العربية» (١ / ٢٦١).

(٢) المراكشي، محيي الدين أبو محمد عبد الواحد (ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م)، تاريخ الأندلس «المعجب في تلخيص أخبار المغرب»، مطبعة السعادة، مصر، بدون تاريخ، (ص ١٥٩) (ب، ت).

(٣) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ١٥٧).

الحادي عشر والثاني عشر للميلاد) أبرز العصور العلمية في الدولة الأندلسية العربية المسلمة، برغم كل الاضطرابات، وعدم الاستقرار الذي حصل بسبب تدخل المرابطين والموحدين، وذلك يعزى إلى اهتمام ورعاية الخلفاء للعلم والعلماء، ولتحرر الفكر الذي لم يسبق له أن تحرر مثلما حصل في هذا العصر، ويدل على ذلك: ظهور نوابغ العلماء الأفاضل أمثال: ابن طفيل، وابن باجه، وابن رشد الذي هو أعظم فيلسوف أنجبته الأندلس، وبني زهر الذين توارثوا علم الطب جيلاً عن جيل طوال ثلاثة قرون، وبرز من بينهم أعظمهم هو أبو مروان عبد الملك (*) الذي اعتبره البعض من المؤرخين أكبر طبيب خرجته المدرسة العربية^(١).

وفي عصر الموحدين كان أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨ - ٥٨٠هـ / ١١٦٢ - ١١٨٤م) معروفاً بإيثاره الشديد للعلم، وتعطشه المفرط إليه، وعلوَّ الهمة إلى دراسة الفلسفة، فجمع الكثير من أجزاءها، وبدأ من ذلك بعلم الطب، فحفظ من كتاب «الملكي»^(٢) أكثره المتعلق

(*) في سلسلة أطباء بني زهر طبيبان بهذا الاسم: «أبو مروان عبد الملك»؛ لذا كان الأصوب أن يوضح أيهما هو المقصود؟؛ كأن يذكر تاريخ وفاته مثلاً، فالأول توفي سنة ٤٧١هـ، والثاني توفي سنة ٥٥٧هـ، أو يذكر اسم أبيه، فالأول: (أبو مروان عبد الملك بن محمد)، والثاني: (أبو مروان عبد الملك ابن أبي العلاء زهر). (الباحث).

(١) بنعبدالله، عبد العزيز، «الطب والأطباء العرب» (ص ١٦).

(٢) لعلي بن العباس المجوسي، ترجمته في كتاب «مختصر تاريخ الطب العربي» للدكتور كمال السامرائي (١ / ٥٣٦).

بالعلم دون العمل ، وتجاوز إلى ما هو أفضل منه من أصناف علوم
الفلسفة ، فأمر بجمع كتبها ، فاجتمع له مثل الذي اجتمع للحكم المستنصر
بالله ، ولما علم أبو يعقوب بأن رجلاً يُعرفُ بـ (المراني) كانت لديه جملة
كبيرة من الكتب ، أرسل إلى داره - والمراني لا يعلم بذلك - كافوراً
الخصي مع جماعة من العبيد ، وأمره بأن لا يأخذ من الدار سوى الكتب ،
وبعد أخذ الكتب من دار الرجل ، ولأه ولاية ضخمة ما كان يحلم بها
يوماً من الأيام ، واستمر على جمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب ،
ويبحث عن العلماء إلى أن اجتمع له ما لم يتحقق لملك قبله ، وكان ممن
صحبه من العلماء : أبو بكر محمد بن طفيل أحد فلاسفة وأطباء
المسلمين^(١) .



(١) المراكشي ، عبد الواحد ، «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» (ص ١٥٥) .

الفصل الثاني

أ- أشهر الأطباء الذين سبقوا أسرة بني زهر

ابن جليجل الأندلسي

(ت بعد ٣٧٧هـ - ٩٨٧م)

تمهيد:

إن البدء بالحديث عن ابن جليجل في هذا الفصل لا يعني أنه هو أول من ظهر في الأندلس ممن اشتغل في علم الطب هناك؛ إذ ليس بالأمر السهل أن يحدد زمن لدخول الطب العربي إلى الأندلس بعد الفتح العربي الإسلامي، ولا يمكن الاعتقاد بأن الطبيب أبا إبراهيم المذحجي الذي صاحب عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس هو المبتدئ بحركة نشر العلوم الطبية بالأندلس، وأغلب الظن أن المذحجي كان قد مارس الطب بأفكار وأساليب لم تكن معروفة آنئذ في إسبانيا ويعتقد أن الفعاليات العلمية الطبية كانت قد ظهرت بجلاء ولأول مرة زمن الأمير الحَكَم الأول (ت ٢٠٦هـ / ٨٢٢م)، أو الأمير محمد الأول (ت ٢٧٣هـ / ٨٧٣م) في أبعد تقدير^(١).

ولما كان عدد الأطباء العرب الذين ظهوروا في الأندلس قبل ظهور

(١) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢/ ١٤٩ - ١٥٠).

أطباء أسرة بني زهر كثيراً، ولا ضرورة للحديث إلا عن أشهرهم، اختيار كل من: ابن جلدجل، والزهرراوي، وابن وافد.

أما ابن جلدجل، فهو أبو داود سليمان بن حسان، الأندلسي^(١)، كان طبيباً فاضلاً خيراً بالمعالجات، وكان جيد التصرف في صناعة الطب^(٢)، وكانت ولادته بقرطبة عام (٣٣٣هـ / ٩٤٤م)^(٣).

ذكر ابن الأبار أن أصل ابن جلدجل من مدينة قرطبة^(*)، ولوحظ وهو يتردد على جامعها وجامع الزهراء لسمع الحديث فيهما، وكان قد تعلم اللغة على قراءة سيويه، والنحو على ابن القوطية، ويقول بعض البحاثة: «إن انقطاع نسب ابن جلدجل باسم أبيه يدعو إلى الظن أن أصله من الموالي الإسبان الذين حملوا أسماء عربية تسبق ألقابهم الأعجمية^(**)»، كما فعل ابن بشكوال المؤرخ، وابن القوطية النحوي، وابن سيده اللغوي^(٤).

(١) التجاني الماحي، «مقدمة في تاريخ الطب العربي» (ص ١١٤).

(٢) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٤٩٣).

(٣) التجاني الماحي، «مقدمة في تاريخ الطب العربي» (ص ١١٥).

(*) إن الانتساب لمكان إقامة المرء ليس أصلاً فيه، وإنما الأصل هو الانتساب إلى العشيرة أو القبيلة. أما الانتساب إلى المكان، فهو لقب ليس إلّا. (الباحث).

(**) إن ابن جلدجل لم يلقب بلقب أعجمي، وإنما كُنّي بـ (ابن جلدجل)، و(جلدجل) كلمة عربية أصيلة. ينظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (٣/ ٣٦١).

(٤) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢/ ١٦٣ - ١٦٤).

بدأ ابن جلجل دراسته لعلم الطب وهو في ريعان صباه، في الرابعة عشرة من عمره، والغريب في أمر دراسته الطب: أنه لم يعرف له معلم في هذه الصناعة، لكن معاصريه كانوا من مشاهير الأطباء، منهم: محمد بن سعيد، وعبد الرحمن بن إسحاق بن هيثم، وأبو عبدالله الصقلي، ومحمد الشجار. ولا شك في أنه اجتمع ببعض من هؤلاء، ومن المرجح أنه تعلم عليهم، وأخذ عنهم، وقد أتقن الطب بالممارسة حتى برز فيها، وذاع صيته في الأندلس، وأضحى من مشاهير الأطباء^(١).

أما علمه بصناعة الطب، فإن له بصيرة واعتناء فائقاً بقوى الأدوية المفردة^(*)، وتمكن من تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب (ديسقوريدس) العين زربي، وكشف غوامضها في كتاب «تفسير أسماء الأدوية المفردة»، وقد قال في أول كتابه هذا: «إن كتاب ديسقوريدس تُرجم بمدينة السلام [بغداد] في الدولة العباسية في أيام جعفر المتوكل [٢٣٢هـ / ٨٤٧م - ٢٤٧هـ / ٨٦١م]^(٢) وكان المترجم له (إصطفى بن بسيل) الترجمان من

(١) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ١٦٤).

(*) هنا يكون ابن جلجل قد سبق أبا العلاء - زهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد - بتصنيف كتاب في الأدوية المفردة، ولا بد إذن أن يكون أبو العلاء زهر قد تأثر بتصنيف ابن جلجل وعلمه في الطب. ينظر: البغدادي، «هدية العارفين» (١ / ٣٧٥).

(٢) الخضري بك، الشيخ محمد، «تاريخ الأمم الإسلامية» ط ١٠، مطبعة الاستقامة، القاهرة، بدون تاريخ، (ص ٢٥٤ - ٢٥٥).

اللسان اليوناني إلى اللسان العربي، وتصفح ذلك حنين ابن إسحاق المترجم، فصصح الترجمة، وأجازها، فما علم إصطفن من تلك الأسماء اليونانية في وقته له اسماً في اللسان العربي، فسرّه بالعربية، وما لم يعلم له في اللسان العربي اسماً، تركه في الكتاب على اسمه اليوناني اتكالاً منه على أن يبعث الله بعده من يعرف ذلك، ويفسرّه باللسان العربي؛ إذ التسمية لا تكون بالتواطؤ من أهل كل بلد على أعيان الأدوية بما رأوا، وأن يسموا ذلك، إما باشتقاق، وإما بغير ذلك من تواطئهم على التسمية، فاتكل إصطفن على شخوص يأتون بعده ممن قد عرف أعيان الأدوية التي لم يعرف هو لها اسماً في وقته، فيسميها على قدر ما سمع في ذلك الوقت، فيخرج إلى المعرفة»^(١).

ومما يدل على طول باع ابن جليجل في علم الطب: أنه عبر عن تمكنه من ذلك بقوله: «كان لي في معرفة تصحيح هيولى الطب الذي هو أصل الأدوية المركبة حرص شديد، وبحث عظيم، حتى وهبني الله من ذلك بفضل به بقدر ما اطلع عليه من نيتي في إحياء ما خفت أن يُدرَس وتذهب منفعتة لأبدان الناس، فالله قد خلق الشفاء، وبثه فيما أنبته الأرض، واستقر عليها من الحيوان المشاء، والسابح في الماء والمنساب، وما يكون تحت الأرض في جوفها من المعدنية، كل ذلك فيه شفاء ورحمة ورفق»^(٢).

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٤٩٣).

(٢) المصدر نفسه (ص ٤٩٤ - ٤٩٥).

وكان ابن جليجل مولعاً بدراسة النباتات، وقد تجمعت لديه معلومات ثرة وقيمة عن أنواعها، ومعرفة فوائدها، وكيفية استعمالها في الطب، ولقد انكب على دراسة كتاب (ديوسقوريدس) في النبات المكتوب باللغة اليونانية التي كان ابن جليجل يحسنها، وساعده في ذلك الراهب نقولا^(١).

أما تلاميذ ابن جليجل، فلم يذكر سوى ابن البغونش أبي يحيى سعيد ابن محمد من مواطني مدينة قرطبة، الذي تعلم الطب على ابن جليجل... ثم انتقل ابن البغونش إلى طليطلة، واتصل بأميرها إسماعيل بن عبد الرحمن ابن إسماعيل بن ذي النون، (ت ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م)^(٢).

وفي مجال تصنيف الكتب ألف ابن جليجل:

١ - كتاب «تفسير أسماء الأدوية المفردة»، من كتاب (ديسقوريدس)، ألفه سنة (٣٧٢هـ / ٩٨٢م)، في مدينة قرطبة، زمن دولة هشام بن الحكم المؤيد بالله (٣٦٦ - ٣٩٣هـ / ٩٧٦ - ١٠٠٢م).

٢ - مقالة في ذكر الأدوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه مما يستعمل في صناعة الطب وينتفع به، وما لا يستعمل؛ كي لا يهمل ذكره.

٣ - «رسالة التبيين فيما غلط فيه بعض المتطببين».

٤ - كتاب يتضمن ذكر شيء من أخبار الأطباء والفلاسفة في أيام المؤيد بالله^(٣).

(١) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ١٦٥).

(٢) المرجع نفسه (٢ / ١٦٤).

(٣) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٤٩٥). المقري، =

٥ - كتاب ما فات «ديسقوريدس» ذكره من أسماء النبات، ومقالة في أدوية الترياق.

إن كتاب ابن جلجل الموسوم بـ«طبقات الأطباء والحكماء» يعد من المصادر المهمة في موضوعه، وقد نقل منه القفطي، وابن أبي أصيبعة في كتابيهما عن تاريخ الأطباء^(١).

مما تقدم يظهر أن ابن جلجل كان غير مكثّر من تأليف الكتب، وأن الكتاب الكامل الوحيد الذي بقي سالماً هو كتابه التاريخي «طبقات الأطباء والحكماء»، أما باقي مؤلفاته، فكانت عن النبات^(٢).

أدرك ابن جلجل آخر حكم الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١ م)، وعاصر ابنه الحكم الثاني المستنصر بالله (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١ - ٩٧٦ م)، كما أدرك أيام الخليفة هشام المؤيد بالله (٣٦٦ - ٣٩٩ هـ / ٩٧٦ - ١٠٠٩ م)، وكان طبيبه الخاص، وفي زمن هذا الخليفة الأخير صنف أكثر كتبه، توفي ابن جلجل بعد سنة (٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م)^(٣).

* * *

= «نفع الطيب» (٤ / ١٧٠).

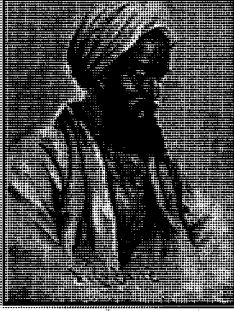
(١) التجاني الماحي، «مقدمة في تاريخ الطب العربي» (ص ١١٥).

(٢) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ١٦٥ - ١٦٦).

(٣) المرجع نفسه (ص ١٦٤).

أبو القاسم الزهراوي ١٠١٣هـ - ٤٠٤هـ م

مَن هو الزهراوي؟



في القرن (الرابع للهجرة العاشر للميلاد) ظهر في مدينة قرطبة أعظم جراح في تاريخ الطب العربي، وهو عربي الأرومة، اسمه (أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي، نسبة إلى مدينة الزهراء إحدى

ضواحي قرطبة، وعاصر طبيب البلاط ابن جلعجل - آنف الذكر - صاحب كتاب «طبقات الأطباء والحكماء»^(١).

اختلف المؤرخون في تثبيت تاريخ ولادته، فعرب يقول: «ولد سنة (٣٢٥هـ / ٩٣٦م)^(٢)، ومطلوب يقول: (٣٩٣هـ / ١٠٠٢م)^(٣)، والبوشي يقول: ولد في القرن الخامس للهجرة^(٤).

كان الزهراوي طبيباً فاضلاً، ذا خبرة واسعة بالأدوية المفردة

(١) براون، د. إدوارد جي، «الطب العربي»، محاضرات ذكرى «فتزباتريك»،

تعريب: د. داود سليمان علي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤م، (ص ٩٥).

(٢) عرب، مرسي محمد، «لمحات من التراث الطبي العربي» (ص ٣٦).

(٣) مطلوب، نضير، «علاج كسر العظام عند الزهراوي» (ص ٨٤)، مجلة آفاق

عربية، عدد (٧)، ١٩٧٩م، (ص ٨٤).

(٤) البوشي، محمد عبد الحميد، «الإسلام والطب» (ص ٥٠١).

والمركبة، وكان جيد العلاج^(١)، وطارت شهرته في ممارسة الجراحة وعده المؤرخون فخر فن الجراحة العربية؛ لأنه أول جراح نبغ بين الأطباء العرب^(٢)، وأبو القاسم هو أكبر مَنْ برع في عمل اليد وإجراء العمليات الجراحية المعقدة باستخدام الآلات والأدوات الجراحية^(٣).

إذن فالزهراوي يُعد من الأطباء العظام في نظر المؤرخين الأوروبيين، قال سيديو: «وكان لإسبانيا الإسلامية أطباءؤها العظام. أبو القاسم (ت ٥٠١هـ / ١١٠٧م)، وابن زهر [يعني: أبا مروان بن أبي العلاء زهر] (ت ٥٥٧هـ / ١١٦١م)، وابن رشد (ت ٥٩٥هـ / ١١٩٨م)، وابن البيطار (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)»^(٤).

لقد تمكن كل من أبي القاسم الزهراوي، والطبيب الأندلسي الشهير ابن زهر [عبد الملك بن أبي العلاء زهر صاحب كتاب «التيسير في المداواة والتدبير»] أن يتحرر عن الأسلوب الإغريقي القديم، وأن يتخذ من الجراحة علماً مستقلاً بذاته، له طرائقه وأساليبه ووسائله وآلاته^(٥).

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٠١).

(٢) عرب، مرسى محمد، «لمحات من التراث الطبي العربي» (ص ٣٦).

(٣) ماهر عبد القادر محمد، «مقدمة في تاريخ الطب العربي»، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بدون تاريخ، (ص ٧٠)، ينظر: الملحق رقم (٢ - ٨).

(٤) «تاريخ العرب العام» ط ٢، تعريب: عادل زعيتر، بيروت، دار إحياء التراث، ١٩٧٩م، (ص ٣٨٦).

(٥) مجموعة من الأساتذة والدكاترة، «موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين، دار مطابع المستقبل، القاهرة، (٣/ ٢١)، د. ت.

مما تقدم يستنتج أن أبا القاسم خلف بن عباس الزهراوي هو أعظم من أنجبته الأندلس من الأطباء العرب المسلمين، كما أنه أشهر جراحي العرب على الإطلاق^(١).

إن هذا الطبيب العظيم أول من سما بشأن الجراحة، جاء في كتابه «التصريف لمن عجز عن التأليف»^(*): «والسبب الذي لا يوجد صانع محسن في زماننا هذا؛ لأن صناعة الطب طويلة، وينبغي لصاحبها أن يرتاض قبل ذلك في علم التشريح؛ حتى يقف على منافع الأعضاء وهيئتها ومزاجها، واتصالها وانفصالها، ومعرفة العظام والأعصاب، والعضلات وعددها ومخارجها، والعروق والنواض والسواكن، وموضع مخارجها؛ لأنه من لم يكن عالماً بما ذكر من التشريح، لم يخل أن يقع في خطأ يقتل الناس به؛ كما شاهدت كثيراً ممن تصور في هذا العلم، وادعاه بغير علم ولا دراية، وذلك أنني رأيت طبيباً جاهلاً قد شقَّ على ورم خنزيري في عنق امرأة، فأصاب شريانات العنق، فنزف دم المرأة حتى سقطت ميتة بين يديه، ورأيت طبيباً آخر قد تقدم في إخراج حصاة لرجل قد طعن في السن، وكانت الحصاة كبيرة، فتهور فأخرجها بقطعة من جرم المثانة، فمات الرجل إلى نحو ثلاثة أيام، وكنت قد دُعيت لإخراجها، فرأيت من عظم الحصاة وحال العليل ما قدرتُ عليه ذلك».

واستطرد الزهراوي متحدثاً في كتابه «التصريف...»، وموصياً

(١) مراد، د. آمنة صبري، «لمحات من تاريخ الطب العربي» (ص ٢٦١).

(*) ينظر: الملحق.

صغار الأطباء بقوله: «ولهذا يا بني ينبغي لكم أن تعلموا أن العمل باليد ينقسم قسمين: عمل تصحبه السلامة، وعمل يكون معه العطب في أكثر الحالات، وقد نهت في كل مكان يأتي من هذا الكتاب على العمل الذي فيه الضرر والخوف، فينبغي لكم أن ترفضوه وتحذروه؛ لئلا يجد الجاهل السبيل إلى القول والطعن، فخذوا لأنفسكم بالحزم والحيطة، ولمرضاكم بالرفق والتثبت، واستعملوا الطريق الأفضل المؤدي إلى السلامة والعاقبة المحمودة، وتنبكوا الأمراض الخطرة العسرة البُرة، وتزهوا عما تخافون أن يُدخلَ عليكم الشبهة في دينكم ودنياكم، فهو أتقى لجاهكم، وأرفع في الدنيا والآخرة لأقداركم»^(١).

ارتقى أبو القاسم سُلَّم الشهرة في عالم الطب حتى غدا قمرًا بين نجوم الطب العربي الإسلامي، وعُدَّ من أساطين الأطباء في الإسلام، ومن عظماء الجراحين العرب، فذاعت شهرته في الشرق والغرب، حتى زُيِّنَتْ بعض الكاتدرائيات بصورته^{(٢)(*)}.

* تصانيفه وأهم منجزاته في الطب والجراحة:

أهم مؤلفاته كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف»، فهو دائرة

(١) البدرى، د. عبد اللطيف، «الطب عند العرب»، الموسوعة الصغيرة (٨)،

منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٨م، (ص ٨٤).

(٢) الشطي، أحمد شوكت، «العرب والطب»، منشورات وزارة الثقافة والإعلام،

دمشق، ١٩٣٠م، (ص ٨٢).

(*) تنظر: (ص ٣٥).

معارف في الطب وفي الجراحة، والجزء الجراحي منه هو أول كتاب موضح بالصور وبالأشكال الجراحية، وقد ترجم الكتاب إلى اللغة اللاتينية، وهو يتكون من ثلاثة أقسام:

الأول: خاص بالكي.

والثاني: عن الجراحة العامة وكيفية عملياتها، وأوصاف أدواتها.

والقسم الثالث: خاص بالخلع والكسور، وفيه زهاء مئتين من أشكال الآلات الجراحية، وفي هذا الكتاب أوصى الزهراوي بضرورة معرفة التشريح بصورة دقيقة من قبل متخصصي علم الجراحة^(١).

تكلم الزهراوي في مقدمة الفصل الأول من مقالة علم الجراحة في كتابه «التصريف لمن عجز عن التأليف» على أسباب تخلف الجراحة عند العرب، ونسب السبب إلى عدم الاهتمام بالتشريح، والاطلاع على المصادر الأصلية لجالينوس وغيره.

وقد تخصص هذا الجزء بعمل الكي، وحالات وجوبه في مختلف الأحوال الجراحية، وأيضاً في الإصابة بالفالج والصرع، وفي حالة خلع مفصل الكتف، وفي النزيف نصح الزهراوي بالضغط على الشريان بالإصبع، ومن ثم بالكي^(٢).

(١) عرب، د. مرسى، «دراسات في شؤون الطب العربي» (ص ٦٤).

(٢) أبادير، د. فهم، «من تاريخ الطب عند العرب»، المؤسسة المصرية العامة للأدوية، (ص ٥٥) ب. ت.

وكان لكتاب «التصريف» هذا شهرة واسعة في الجامعات الأوربية إبان عصر النهضة، وكان بمثابة المصدر الرئيس لفن الجراحة في الجامعات الإيطالية والفرنسية وغيرها، ووزع مراتٍ عدةً بمختلف اللغات، وإذا كان للزهرراوي أعظم الفضل في تطوير فن الجراحة، وفي النواحي المختلفة^(١).

نصح الزهرراوي في كتاب «التصريف» بأن لا يكون هدف الطبيب هو الكسب المادي لإجراء العملية الجراحية؛ لأن الله عليم يراقب عمله، ثم وصف في الكتاب عمليات الفتق، والحصوة، والبتير، والناصور، وكذلك الغدة الدرقية، وللزهرراوي ملاحظات مهمة خاصة بالأسنان، فأوصى باستعمال الأسنان الصناعية المصنوعة من عظام الأبقار، كما أوصى باستعمال القسطرة الفضية في أمراض المثانة، معدداً مزاياها وفضلها على القسطرة المعدنية. وأنهى الزهرراوي هذا الفصل من الكتاب بوصف للآلات الجراحية^(٢).

إن كتاب الزهرراوي «التصريف» يقع في ثلاثين جزءاً، فالجزء الخاص بالجراحة يبحث - بالإضافة إلى ما تقدم - عن العمليات الجراحية في العيون، والنساء، والكسور وعلاجها. والزهرراوي يبين في هذا الفصل من الكتاب بأنه أول من ربط الشرايين، وأول من استعمل السنارة في إخراج الزوائد اللحمية من داخل الأنف، وأول من وصف إجراء عملية إخراج الحصاة من المثانة عند النساء عن طريق المهبل، وأول من استأصل

(١) عرب، مرسى، «لمحات من التراث الطبي العربي» (ص ٣٧).

(٢) أبادير، د. فهم، «من تاريخ الطب عند العرب» (ص ٥٥). ينظر الملحق.

الرضفة، وأول من وصف الناعور، وهو مرض يبطئ فيه تخثر الدم. وكان الزهراوي يخزغ الكبد، وهو أول من أدرك حسنات الوضعة المعمول بها في العمليات الجراحية التي توجب جعل الرأس منخفضاً عن أطراف المريض، ولقد نسبت هذه المسألة إلى (ترند بلتبرغ) الجراح الشهير، علماً بأنها من وصايا الزهراوي الذي عاش عمره قبله بزمان بعيد. ولقد سما صيت كتاب الزهراوي على «قانون» ابن سينا، وامتاز بصور الآلات والأدوات التي كان الزهراوي قد ابتكرها^(١).

إن كتاب «التصريف» كان قد اعتمد في أوروبا بحيث حلّ محل كتب اليونان، وظل العمدة في هذا الفن حتى القرن السادس عشر، فرسوم الآلات الجراحية كان لها أثرها الكبير لمن ظهر من بعده من الجراحين؛ كالطبيب الكبير ابن زهر عبد الملك بن أبي العلاء والأطباء الأوربيين، وقد ساعدت آلات الزهراوي هذه على وضع حجر الأساس للجراحة في جامعات أوروبا^(٢).

وإن من يتعمق في دراسة كتب الزهراوي، خاصة «التصريف» يجد أنه أول من وصف عملية تفتيت الحصاة في المثانة، وأول من بحث في

(١) الشطي، أحمد شوكت، «العرب والطب» (ص ٨٢)، ينظر الملحق.

(٢) يوسف، شريف، «أهم الصناعات العربية الإسلامية وأثرها في الغرب» (صناعة الآلات الجراحية)، مجلة آفاق عربية، العدد (١) السنة الخامسة ١٩٧٩م، (ص ٣٨).

التهاب المفاصل، وكذلك في السل، وهو أول من اكتشف مرآة خاصة بالمهبل، وآلة لتوسيع باب الرحم للعمليات، وهو الذي أشار في كتابه هذا باستخدام مساعدات وممرضات من النساء عند إجراء عملية جراحية لامرأة، وذلك لأنه أدعى إلى الطمأنينة والراحة^(١).

ومما توصل إليه الزهراوي: إجراء عمليات تقويم الأسنان غير المنتظمة، وعملية استئصال اللوزتين، ودون ملاحظات عن التقيح، وهو أول من وضع الوضع المعروف في الوقت الحاضر باسم (وضع والخر) للولادات العسرة، وهو الذي ذكر استعمال الآلات في التوليد، واختراع أدوات لتوسيع عنق الرحم، ووصف تفريغ جمجمة الجنين في الولادة العسرة، ووصف عمليات سقوط الرحم^(٢).

أوصى الزهراوي في كتابه «التصريف» باستخدام الكي بالنار في غالب الأدوية الموضعية، كما اشتغل بفن القبالة والولادة، وهو مخترع (البروينج)، وهو آلة تستعمل في أمراض البلعوم والمري، وهو مخترع آلة لمعالجة وشفاء الناسور الدمعي^(٣). وكان الزهراوي يستخدم الخيوط اللازمة لخياطة الجراح من أمعاء بعض الحيوانات، خصوصاً القطط.

(١) الرفاعي، أنور، «تاريخ العلوم في الإسلام»، دار الفكر، دمشق (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، (ص ١١٠).

(٢) عرب، مرسي محمد، «لمحات من التراث الطبي العربي» (ص ٣٧).

(٣) المعلوف، عيسى إسكندر، «تاريخ الطب عند العرب إلى يومنا»، دمشق، ١٩٢٥م، (ص ٢٥).

ولقد أوضح أهمية الكي في فتح الخراجات، واستئصال الأورام السرطانية^(١).

ومما جاء في «التصريف» أيضاً: وصف الزهراوي للآلات الجراحية، وطرق استخدامها الذي مكن لفن الجراحة من التطور بعد أن بقي هذا الفن الرفيع أزماناً طويلة لا يهتم به أحد، ولعل أبرز ما ورد في هذا الشأن: ما نصح به الزهراوي الجراحين بالأخذ بالتعليمات الخاصة باختراع وصناعة الآلات الجراحية لأغراض قد تعرض لهم، ويذكر أن معظم الآلات التي وصفها كانت من صناعته هو، واستعملها لمرضاه، سواء كان ذلك في المستشفيات، أو حتى في سوح القتال أيام الحروب^(٢).

وفي الفصل الثالث من المقالة العاشرة من «التصريف» بحث الزهراوي في كسور العظام، والخلع، والشلل المتسبب عن كسر في فقرات الظهر، وغير ذلك مما يعني الطبيب الجراح الاطلاع عليه. ويتميز كتاب «التصريف» بكثرة رسومه، ووفرة أشكال الآلات التي كان أبو القاسم يستعملها، وأكثرها من استنباطه^(*)، وبذا يمكن اعتبار هذا الكتاب موسوعة في غاية الأهمية في الطب والجراحة^(٣). ففي علاج الكسور

(١) عاشور، سعيد عبد الفتاح، «المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية»،

ط ١، نشر دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٣م، (ص ١٥٨).

(٢) مراد، د. آمنة صبري، «لمحات من تاريخ الطب القديم» (ص ٢٦٤).

(*) تنظر الملاحق الخاصة بالآلات الجراحية.

(٣) أبادير، د. فهم، «من تاريخ الطب عند العربي» (ص ٥٦).

والخلع كانت تعاليم الزهراوي تشبه إلى حد كبير ما يمارس في الوقت الحاضر، الأمر الذي يدل على فهم الزهراوي وإدراكه، وبُعد نظره في هذا العلم^(١)، وهو أول من وفق إلى ربط الشرايين لمنع نزيف الدم، ففي عصر الزهراوي عرف العرب تشريح الشرايين والأوردة الرئوية^(٢).

وتناول الزهراوي بمهارة نادرة، وقدرة فائقة لم تسبق بمثل، أمراض النساء والتوليد، فوصف - بدقة - حالات بقاء الأجنة في الأرحام، وكيفية معالجتها، وأدلى بوضعية (وليشر Welechet) للحامل بغية تسهيل الولادة. وبذلك فقد استفادت القابلات من عبقرية هذا الطبيب العظيم، فهو - حتى في ذلك الزمن - كان الأطباء يأتون بأرائهم للقابلات فقط أثناء الولادة، وكانوا يتزوون وراء حجب؛ كيلا يروا المريضة، أما أبو القاسم، فقد كان يقف وراء حجاب رقيق، ويشرع بإعطاء توجيهاته المناسبة في الحالات الصعبة والعسرة^(٣).

والجدير بالذكر أن الزهراوي كان قد أدرك أهمية التشريح في الوقوف على سبب الوفاة، والنتائج التي يمكن استخلاصها منه؛ كي يتفنع بها في الحالات المشابهة^(٤).

(١) مطلوب، د. نضير، «علاج كسر العظام عند الزهراوي»، مجلة آفاق عربية، عدد (٧) سنة ١٩٧٩م، (ص ٨٤).

(٢) ماهر عبد القادر محمد علي، «مقدمة في تاريخ الطب العربي» (ص ٧١).

(٣) مراد، د. آمنة صبري، «لمحات من تاريخ الطب العربي» (ص ٢٦٤).

(٤) مجموعة من الأساتذة، «موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين»، =

أن الحاجة الملحة دعت العلماء المسلمين أن يستخدموا التخدير الطبي عند إجراء العمليات الجراحية، فكانوا يضعون - قبل بدء العملية - علاجاً مأخوذاً من نبات (الزُّؤان)، ويعطونه للمريض المراد إجراء العملية له؛ كي يفقد صوابه وشعوره بالألم. وإن من أهم جراحي المسلمين كان الزهراوي القرطبي، وأيضاً ابن زهر^(*) الإشبيلي^(١) الذي سيأتي الحديث عنه في فصل قادم وخاص به.

عدَّ العلماء كتاب الزهراوي - مدار البحث - من أهم الوسائل في وصف الآلات الجراحية المستخدمة في إجراء العمليات الجراحية، وكيفية استخدامها، وإيضاح كل منها بالرسوم الإيضاحية، ولذلك فقد اكتسب الكتاب أهمية كبرى باعتباره الأول من نوعه في هذا الشأن^(٢). وكان هذا الكتاب القيم سبب تفوق أبي القاسم الزهراوي، خاصة وأن الزهراوي، قد بين فيه كيفية العلاج الطبي، وتحضير الأدوية والجرع المناسبة في علاج الأمراض المختلفة، والتغذية والصحة العامة، ومرادفات الأدوية ومنافعها، وخواصها وأوزانها، وكذا مقاييسها^(٣).

= دار ومطابع المستقبل، القاهرة (٣ / ٢١) ب. ت.

(*) في أسرة بني زهر كُنِيَ الأطباء الستة بكنية (ابن زهر)، لذا كان الأصوب أن يبين المؤلف أي ابن زهر يقصد. (الباحث).

(١) الحاجم، غازي محمد، «دور العرب في تقدم الطب»، مجلة آفاق عربية، عدد (٨) ١٩٨٠م، (ص ١٠٠).

(٢) ماهر عبد القادر محمد علي، «مقدمة في تاريخ الطب العربي» (ص ٧).

(٣) مراد، د. آمنة صبري، «لمحات من تاريخ الطب العربي» (ص ٢٦١).

في ختام الحديث عن أشهر مصنفاته ، وهو كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» ، جاء دور ذكر بقية تأليفه التي وردت أسماؤها في شتى المصادر والمراجع ، وهي :

١ - «رتبة الحكيم» .

٢ - «غايات الحكيم» .

٣ - «كتاب في أمراض النساء» .

٤ - «كتاب في الجراحة» .

٥ - «كتاب في الأدوية» .

وهذان الأخيران كلاهما ترجما إلى اللاتينية ودُرّسا في جامعة (أوكسفورد) ، والزهرابي أول من ربط الشرايين لوقف نزف الدم ، وأول من استعمل الحرير وأوتار العود بهيئة الخيوط للربط في الجراحة ، وأدخل استعمال محلول الملح في تنظيف الجروح ، وهو الذي قال عنه نجيب محفوظ : «إنه كان فخر الجراحة العربية»^(١) ، وله كتاب في الأدوية المفردة^(٢) . وآخر اسمه «القياس والتجربة»^(٣) ، وكان أبو القاسم مشهوراً

(١) البوشي ، محمد عبد الحميد ، «الإسلام والطب» (ص ١٤٦) .

(٢) المقرئ ، الشيخ أحمد بن محمد التلمساني ، (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م) ، «نفع الطيب» ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٦ ، (١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م) ، (٣ / ٤٤٣) .

(٣) ابن بطلان ، «دعوة الأطباء» (ص ١٤٢) .

بعلمه بالأدوية المفردة والمركبة؛ بحيث لقب أحياناً بالطبيب الصيدلي الجراح^(١).

* أثر الزهراوي في أوروبا:

عُدَّ الزهراوي من أعظم الجراحين العرب، وأستاذ فن الجراحة في أوروبا في العصور الوسطى، وعصر النهضة الأوربية إلى القرن السابع عشر، لكن لم تعرف مصنفاته في أوروبا إلا في القرن الخامس عشر^(٢)، ولم يُنصَف من أحد كما أنصفه المسيو (بورتان) في تاريخه عن التشريح والجراحة^(٣).

أشارت المراجع إلى أن الزهراوي لم يؤثر على أوروبا فحسب، وإنما أثر وتأثر، فلقد استند إعداد الجزء الخاص بالجراحة في كتابه «التصريف» على الكتاب السادس لـ (بولس الأجيوني)^(٤)، إلا أنه أضاف الكثير إليه من إبداعاته، مثال ذلك: أنه يصف أنواع الخيوط المختلفة المستعملة في علاج الجروح، وقد أشار لأول مرة إلى الأخطار التي

(١) مراد، د. آمنة صبري، «لمحات من تاريخ الطب القديم» (ص ٢٦١).

(٢) الرفاعي، أنور، «تاريخ العلوم في الإسلام» (ص ١١٠).

(٣) ل. أ. سيديو، «تاريخ العرب العام» (ص ٣٨٦).

(٤) طبيب وجراح يوناني من جزيرة أجيونا الواقعة غرب شاطئ أثينة، عاصر صدر الإسلام، وربما أدرك بعض الأطباء العرب، لقب بـ (القوابلي)؛ لاشتهاره بجراحة الأمراض النسائية والتوليد. د. كمال السامرائي، «مختصر تاريخ العربي» (١/ ٢١٩).

تحدث عن بتر الأطراف فوق الركبة أو فوق الكوع، ويحذر من قطع الأوعية الدموية أثناء العملية الجراحية نتيجة الجهل بأمكانها، أو عدم الممارسة، وهو يصف للمرة الأولى أسباب نوع من النزف يصعب إيقافه، وهو ما يسمى اليوم بمرض (الهيموفيليا)، وقد ذكر الزهراوي في جزء الجراحة في «التصريف» معالجة خمسين مرضاً من أمراض الكلى؛ من جملةها: استئصال السرطان^(١).

إن أثر الزهراوي في أوساط علم الطب والجراحة في أوربا وتطورهما وتقدمهما أثر عميق الغور جداً، ما استطاع أحد أن يتنكر لفضله، أو يحط من قيمته من أكثر المتعصبين من أمم الغرب، وهم يكتفون بذكر اسمه مترجماً (Albucassis)، الأمر الذي يجعل طلاب العصر الحديث لا يعرفون أن ذلك الطبيب الجراح هو أبو القاسم الزهراوي^(٢) الأندلسي، فالأندلس كانت الدولة الوحيدة في أوربا التي تخرج مدارسها الطبية أطباء مؤهلين وأكفاء في الجراحة، فهي قد بلغت ذروتها بظهور هذا الجراح العربي العظيم^(٣).

ومما يؤكد أثر الزهراوي على أوربا: اعتراف المؤرخين الأوروبيين بأن كتبه في الجراحة كانت بمثابة المصدر العام الذي أخذ منه كل من ظهر من الجراحين بعد القرن الرابع عشر، وأن مدرسة (سالرنو) التي أنشأها

(١) مراد، د. أمنة صبري، «لمحات من تاريخ الطب القديم» (ص ٢٦١).

(٢) المرجع نفسه (ص ٢٦٥).

(٣) يوسف، شريف، «أهم الصناعات العربية الإسلامية» (ص ٣٨).

المسلمون في جنوب إيطاليا، تلك التي أضحت أول جامعة للطب في أوروبا، كانت ذات فضل كبير في نقل العلوم والفنون الطبية الإسلامية في مختلف حقول العلم والمعرفة. وقد جُلِبَ إليها الأساتذة المسلمون الذين درَّسوا فيها زمناً طويلاً، وقد عين فيها قسطنطين الأفريقي رئيساً، فترجم الكثير من مؤلفات المسلمين الطبية إلى اللغة اللاتينية^(١).

وبعد ترجمة «التصريف» إلى اللاتينية كان له أعظم الأثر في العالم اللاتيني مدى خمسة قرون؛ إذ عزز فيهم الثقة بفائدة التراث العربي وآثارهم بغية الاستزادة منه. ويُذكر أن بعض أبواب المقالة العاشرة من «التصريف» الخاصة بالجراحة مقتبس من (بولص الإيجانيطي) الذي كان لكتابه في الجراحة أثر عظيم على مهنة الجراحة إلى وقت ظهور كتاب «التصريف»^(٢) الذي ترجمه إلى اللاتينية (جيرارد الكريموني)^(*) عام (٥٨٣هـ / ١١٨٧م)، وكان المصدر الرئيس للجراحة في جامعات إيطاليا وفرنسا وغيرهما.

وقد نُشر عدة مرات، وبمختلف اللغات عندما تطورت الطباعة، ونشر في البندقية عام (٩٠٣هـ / ١٤٩٧م)، وفي بازل^(**) عام (٩٤٨هـ /

(١) الحاجم، د. غازي محمد، «دور العرب في تقدم الطب»، آفاق عربية، عدد (٨)، السنة الخامسة، ١٩٨٠م، (ص ١٠١).

(٢) التجاني الماحي، «مقدمة في تاريخ الطب العربي» (ص ١١٧).

(*) ينظر الهامش (*) (ص ٤٣) من هذه الأطروحة.

(**) بازل، أوبال: مدينة سويسرية تقع على نهر (الراين). عطية الله، أحمد، «القاموس السياسي» (ص ١٧٥).

١٥٤١م)، وفي أوكسفورد عام (١١٩٢هـ / ١٧٧٨م)، وترجمه إلى الفرنسية الجراح الفرنسي المعروف (جاي دي شاليك)^(١). وظل هذا الكتاب منهجاً مدرسياً للجراحة قرناً عدة في مدرستي (ساليرنو)، و(مونبيلييه)، وغيرهما من مدارس الطب المتطورة، وساعد على وضع أسس الجراحة في عموم أوروبا^(٢).

وترك الزهراوي، كذلك، مرجعاً آخر صغيراً في وصف الآلات المستعملة في العمليات الجراحية، وطرق استعمالها، مع إيضاح ذلك بالرسم^(٣)، ويعد هذا المرجع فريداً في نوعه وموضوعه، لذا اكتسب أهمية كبيرة^(٤).

يستنتج من كل ما تقدم من مآثر الطبيب العربي الكبير (الزهراوي): أنه هو الذي رفع شأن الجراحة، وصيرها فرعاً طبياً خاصاً ذا مكانة سامية بين فروع الطب، ولا غرابة - بعد ذلك - في أن يُنعت بأنه (أبو الجراحة)^(٥)، كيف لا، وقد احتفظت كاتدرائية

(١) مراد، د. آمنة صبري، «لمحات من تاريخ الطب القديم» (ص ٢٦٤ - ٢٦٥).

(٢) هونكه، زيغريد، «شمس العرب تسطع على الغرب» (ص ٣٤٧).

(*) تنظر الملاحق الخاصة بالآلات الجراحية: ٢ - ٨، (ص ٢٩٧ - ٣٠٣).

(٣) عاشور، د. سعيد عبد الفتاح، «المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية» (ص ١٥٨).

(٤) الشطي، أحمد شوكت، «العرب والطب»، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٠م، (ص ٨٢).

ميلانو(*) بإيطاليا بصورة ملونة مصنوعة من الزجاج القديم للزهرراوي مع الطبيين المسلمين: ابن سينا، والرازي؛ تخليداً لهم جميعاً، وتقديراً لجهودهم في مجال علم الطب والجراحة^(١).

ومن مآثورات الزهرراوي ما أسداه من نصح للمشتغلين في علم الطب والجراحة: قوله: «صناعة الطب طويلة، وينبغي لصاحبها أن يرتاض قبل ذلك في علم التشريح؛ حتى يقف على منافع الأعضاء وهيئتها؛ لأن الأطباء بالاسم كثيرة، وبالفعل قليلة»^(٢).

كانت مكانة الزهرراوي لدى الأوربيين عظيمة جداً، فقد مدح العلامة (هَلَر) كتاب «التصريف»، ولا سيما القسم الطبي منه؛ لأنه لم يتحدَّ الزهرراوي غيره بالنقل، ولكنه اعتمد على نفسه في تحري الحقائق^(٣).

أما عن خبر وفاة الزهرراوي، فقد اختلف فيه أيما اختلاف، فابن

(*) ميلانو، أو ميلان: العاصمة الصناعية في شمال إيطاليا، عطية الله، أحمد، «القاموس السياسي» (ص ١٢٨٤).

(١) الرفاعي، أنور، «تاريخ العلوم في الإسلام»، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٣م، (ص ١١٠).

(٢) حسين، د. محمد كامل، «الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب»، إدارة الثقافة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ليبيا، (ص ١٦٢)، ب. ت.

(٣) ابن بطلان، «دعوة الأطباء» (ص ١٤٢).

بطلان يقول: توفي الزهراوي سنة (٤٠٤هـ / ١٠١٣م)^(١)، وقال المعلوف: توفي سنة (٤١٠هـ / ١٠١٩م)^(٢)، وعاشور يدعي أنه توفي سنة (٥٠١هـ / ١١٠٧م)^(٣).

ومن أجل تصويب ما يعثر عليه من أخطاء الباحثين لزم الرجوع إلى موضوع تاريخ ولادة الزهراوي المشار إليه في الصفحة (٦٥) من هذه الأطروحة؛ ليضاف إلى ما ورد من أخبار مختلفة قول (د. نضير مطلوب): «ولد [الزهراوي] في الزهراء بجوار قرطبة في الأندلس سنة (٣٩٣هـ / ١٠٠٢م)، ولمع في النصف الثاني من القرن العاشر»^{(٤)(*)}.

نظرة إلى تاريخي ولادة ووفاة الزهراوي يتضح أنه عاش قبل ظهور أطباء أسرة بني زهر، وليان مدى تأثير الأطباء الستة من بني زهر بما تركه هذا الطبيب العظيم من تراث في علم الطب والجراحة سيشير

(١) المصدر نفسه (ص ١٤٢).

(٢) المعلوف، عيسى إسكندر، «تاريخ الطب عند العرب» (ص ٢٧).

(٣) عاشور، سعيد عبد الفتاح، «المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية» (ص ١٥٧).

(٤) مطلوب، نضير، «علاج كسر العظام عند الزهراوي»، مجلة آفاق عربية، العدد (٦) سنة ١٩٧٩م، (ص ٨٤).

(*) هذا وهم واضح إذا كانت وفاة الزهراوي سنة (٤٠٤هـ / ١٠١٣م). (الباحث).

الباحث حيثما وجد من أثر للزهرراوي بين سطور التراث الطبي لبني زهر،
وذلك في الفصول القادمة الخاصة بهم.

* * *

ابن وافد

١٠٦٨ هـ - ٤٦١ م



هو الوزير أبو المُطَرِّف عبد الرحمن بن محمد بن
عبد الكبير بن يحيى بن وافد بن مهند اللخمي^(*)، أحد
أشراف أهل الأندلس، ذوي السلف الصالح منهم،
والسابقة القديمة فيهم^(١)، اتخذ طليطلة موطناً له^(٢)،
وكان ذلك في زمان ابن ذي النون، وكان من أشراف طليطلة، ومن
البارزين من علمائها في الفقه والطب، وكانت له معرفة بالفلاحة، وكان
واحداً ممن تتلمذ على أبي القاسم الزهرراوي، وسار على أفكار كل من

(*) بنو لخم: من قبائل العرب، أصلهم من اليمن، في القرن الثاني والأول قبل
الهجرة رحل بعضهم إلى شمالي جزيرة العرب، وإلى بلاد سورية وفلسطين
والعراق؛ حيث شادوا مملكة لخم في الحيرة، كانوا مسيحيين فردينان توتل،
«المنجد» (ص ٤٦٠).

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٤٩٦).

(٢) براون، إدوارد «الطب العربي»، محاضرات ذكرى (فتزباتريك)، تعريب:

د. داود سليمان علي، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٤ م، (ص ٩٥).

(ديوسقوريدس، وجالينوس)، وكان مولعاً في صنع الأدوية، ومهر بها برغم رغبته بالعزوف عن استعمالها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وكان يفضل الأخذ من الأدوية المفردة على المركبة^(١).

ولد ابن وافد في ذي الحجة من سنة سبع وثمانين وثلاث مئة للهجرة، وكان في الحياة سنة ستين وأربع مئة^(٢).

• مصنفاته:

لابن وافد كتب عدة منها:

١ - كتاب الأدوية المفردة.

٢ - كتاب الوسادة في الطب.

٣ - كتاب تدقيق النظر في علل حاسة البصر.

٤ - كتاب المغيث.

٥ - مجربات في الطب^(٣).

٦ - رسالة في الطب^(٤).

(١) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢/ ٤٨٢).

(٢) ابن أبي أصيبعة، «عيون» (ص ٤٩٦)، مراد، د. أمّنة صبري، «المحات من تاريخ الطب القديم» (ص ٢٦٠).

(٣) المصدر نفسه (ص ٤٩٦).

(٤) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢/ ٤٨٢).

٧ - مقالة في الحمامات^(١).

برع ابن وافد بعلم الطب، وبالفلسفة، ويُعرف عنه: أنه كان مشغولاً بدراسة تأليف أرسطو، وجالينوس، وكان متميزاً في تعويله - قبل العلاج - على الأدوية السهلة والبسيطة، ومؤلفاته آنفة الذكر ضمنها مقالات (ديسقوريدس)، و(جالينوس)^(٢). ولقد عني عناية فائقة بقراءة كتب جالينوس، وتفهمها، ومطالعة كتب أرسطوطاليس، وغيره من الفلاسفة^(٣).

قيل: إن له نواذر محفوظة، وغرائب مشهورة في الإبراء والإشفاء من العلل والأمراض الصعبة والمستعصية المخوفة بأيسر وأسهل العلاج وأقربه^(٤).

ومما روي عن ابن وافد: قول صاعد الأندلسي: «وتمهر بعلم الأدوية المفردة حتى ضبط منها ما لم يضبطه أحد في عصره، وألف فيها كتاباً جليلاً لا نظير له، جمع فيه ما تضمن كتاب (ديسقوريدس)، وكتاب (جالينوس) المؤلفان في الأدوية المفردة، ورتبه أحسن ترتيب». قال:

(١) العامري، د. محمد بشير، «كشاف عن مشاهير الأطباء الأندلسيين ومؤلفاتهم المخطوطة والمطبوعة»، مجلة كلية التربية للبنات، العدد ١٢ (٢) ٢٠٠١م، (ص ١٨٠).

(٢) ابن بطلان، «دعوة الأطباء» (ص ١٤٤).

(٣) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٤٩٦).

(٤) المصدر نفسه (ص ٤٩٦).

«وأخبروني أنه عانى جمعه، وحاول ترتيبه وتصحيح ما ضمنه من أسماء الأدوية وصفاتها، وأودعه إياه من تفصيل قواها، وتحديد درجاتها نحواً من عشرين سنة حتى كمل موافقاً لغرضه، وتم مطابقاً لبغيته»^(١). فلعلّ بني زهر قد أخذوا منه الكثير من علوم الطب.

* منهجه في الطب:

اتخذ ابن وافد منزعاً لطيفاً، ومذهباً نبيلاً في مداواته لمرضاه، ملخص ذلك هو: أنه كان لا يرى التداوي بالأدوية في حال التمكن بالتداوي بالأغذية أو ما شابهها، أو قريباً منها. ففي حال الحاجة القصوى إلى الأدوية، فحيث لا يرى التداوي بالأدوية المركبة في حال التداوي بالأدوية المفردة. وإذا ألجئ إلى المركب منها، فإنه يبتعد عن الإكثار من التركيب، ويقتصر على أقل ما يمكنه منه^(٢).

خدم ابن وافد المأمون بن ذي النون (٤٢٩ - ٤٦٧ هـ / ١٠٣٨ - ١٠٧٥ م)^(٣)، وتوفي سنة (٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م)^(٤).



(١) المصدر نفسه (ص ٤٩٦).

(٢) صاعد الأندلسي، «طبقات الأمم» (ص ١١٠).

(٣) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ٤٨٢).

(٤) ابن بطلان، «دعوة الأطباء» (ص ١٤٤)، السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ٤٨٢).

ب- أَشْهُرُ الْأَطْبَاءِ الَّذِينَ عَاصَرُوا أُسْرَةَ بَنِي زَهْرٍ

ابن باجه

(ت ٥٢٣هـ / ١١٢٨م)



هو خلف بن حزم^(١)، أبو بكر محمد بن يحيى ابن الصائغ، والمعروف بابن باجه، من الأندلس كان في العلوم الحكمية علامة دهره، وفريد زمانه^(٢)، والذي أشار إليه ابن خلدون بقوله: «هو أبو بكر بن الصائغ

التجيبى السرقسطي» والذي قال في حقه لسان الدين [بن الخطيب] في «الإحاطة»: «إنه آخر فلاسفة الإسلام بجزيرة الأندلس»، وكان بينه وبين الفتح بن خاقان صاحب [قلائد العقيان] معاداة، فلذلك هجاء في «القلائد»، وجعله آخر ترجمة فيها إذ قال ما نصه: «الأديب أبو بكر بن الصائغ، هو رَمَدُ عين الدين، وكمد نفوس المهتدين، اشتهر سخفاً

(١) روم لاندو، «الإسلام والعرب»، تعريب: منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٦٢م، (ص ٢٢٩).

(٢) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٥).

وجنوناً، وهجر مفروضاً ومسنوناً، فما يتشرع، ولا يأخذ في غير الأضاليل ولا يشرع، ولا أشجى فؤاده من رجل ما تطهر من جنبه، ولا أظهر مخيلة إنابه، ولا استنجى من حدث، ولا أشجى فؤاده في حدث، ولا قرَّ بتباريه في ميدان تهوره، الإساءة إليه أجدى من الإحسان، والبهيمة عنده أهدى من الإنسان، نظر في تلك التعاليم، وفكر في أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم، ورفض كتاب الله الحكيم العليم، ونبذه وراء ظهره ثاني عطفه، وأراد إبطال ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، واقتصر على الهيئة، وأنكر أن تكون منه إلى الله تعالى فيئة^(١).

ولد ابن باجه حوالي نهاية القرن الحادي عشر للميلاد^{(*) (٢)}، وبرز منذ نعومة أظفاره بالعلم والطب، والفلسفة والموسيقا والشعر.

كان الفيلسوف والطبيب ابن باجه من أسبق المفكرين من المسلمين إلى الفصل بين حقائق الدين والعقل، وبرغم أن البعض من زملائه وإخوانه في الدين قد رفع آثاره وتراثه في الفلسفة إلى منزلة آثار الفارابي العظيم، فقد ذاع صيته في الغرب أكثر ما ذاع بوصفه عالماً في الفلك، وعالماً في

(١) المقري، «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» (٩ / ٢٥٢).

(*) يبدو أن الفتح بن خاقان كان - في هجائه لابن باجه - قد هبط إلى مستوى العوام الذين قصدوا إهلاكه بسبب نزعة التحررية في الفكر لمرات عديدة، إلا أن الله لم يشأ قتله على أيديهم. (الباحث).

(٢) روم لاندو، «الإسلام والعرب» (ص ٢٢٩)، صموئيل ووليام دي ويت، «سير ملهمة من الشرق والغرب» (ص ٣).

الرياضيات، ومن المشتغلين بالكيمياء Alchemy^(١).

نقل عن ابن باجه أنه كان حراً في رأيه في النظر إلى مشكلات الدين والكتب المقدسة، واتَّهم بأنه أنكر البعث، وذهب مذهباً أن الموت هو الحد الفاصل بين الوجود والعدم، إلا أنه - بالرغم من طبيعة العصر الذي عاشه - فإنه كان متسماً بمنصب وزير، كان مقرباً من العظماء، وعلى ما يبدو أن السبب فيما أشيع عنه من ذلك مذاع كله عن ابن خاقان القيسي صاحب «قلائد العقيان» إذ قال: «نظر في كتاب التعاليم، وفكر في أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم... إلخ»^(٢)، ولذلك بُليَ بمحن كثيرة، وشناعات من قبل العوام من الناس، وأرادوا قتله عدة مرات، إلا أن الله أنقذه^(٣).

أما عن إمكانياته العلمية، فإنه كان مميزاً في اللغة العربية والأدب حافظاً للقرآن، ويعد من الأفاضل في صناعة الطب، وكان متقناً لصناعة الموسيقى، متمكناً باللعب بالعود^(٤) وكان من أوائل فلاسفة العرب في الأندلس وأنبهم شهرة وذكر^(٥). ومن فلاسفة الأندلس الأعلام

(١) المرجع نفسه (ص ٢٢٩).

(٢) مظهر، إسماعيل، «سير ملهمة من الشرق والغرب» (ص ٣).

(٣) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٥).

(٤) المصدر نفسه (ص ٥١٥).

(٥) المصدر نفسه (ص ٥١٥).

وأشرفها^(١)، انصرف إلى دراسة العلوم والفلسفة والفلك والطب والرياضيات، وكان ابن باجه مجلسياً يميل إلى الأنس والطرب على سماع نغم العود^(٢).

وقد أقبل على العلوم الشرعية، فرأس فيها، أو زاحم ذلك، إلا أنه لم يسطع على أقواله ضياء هذه المعارف، ولا سجل فيها باطناً وجد بعد موته^(٣).

أما تلاميذ ابن باجه، فأبرزهم الفيلسوف الكبير أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (المتوفى سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م)، والطبيب أبو الحسن سفيان الأندلسي (المتوفى سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م)^(٤).

ومما يروى عن صلة ابن باجه برجالات الحكم في الأندلس: أن حاكم «سرقسطه» اتخذ منه وزيراً وصديقاً، وأن الحاكم هذا كان قد افتتن وأعجب بشعر ابن باجه إلى درجة أنه أخذ على نفسه عهداً ألا يقدم عليه ابن باجه إلا على فراش من الذهب، وخشي ابن باجه أن يكون ذلك العهد عائقاً لاتصاله بأمير سرقسطه، فبادر إلى وضع قطعة من الذهب في كل من نعليه^(٥).

(١) مظهر، إسماعيل، «سير ملهمة من الشرق والغرب» (ص ٣).

(٢) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ٤٦١).

(٣) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٥).

(٤) المصدر نفسه (ص ٥١٦).

(٥) مظهر، إسماعيل، «سير ملهمة من الشرق والغرب» (ص ٣).

ومن الوقائع التي ألفت بابن باجه : أنه لما سقطت سرقسطه في أيدي النصارى [من القوط الغربيين] سنة (٥١٣هـ / ١١١٩م)، فرَّ هارباً إلى مدينة فاس في المغرب، فوجد هناك اختلافاً في الأجواء الفكرية، وانحرافات عما كان قد ألفه من ممارسة في حرية التفكير والنظر، الأمر الذي جعله هدفاً للسهم المسمومة التي أطلقت عليه بقصد قتله لاتهامه بالإلحاد^(١)، وفعلاً ورد خبر يقول : «إنه مات مسموماً في باذنجان بمدينة فاس في شهر رمضان سنة ٥٢٣هـ / ١١٢٨م»، وقيل : سنة ٥٢٥هـ / ١١٣٠م^(٢)، وقيل : سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٨م^(٣). فهو إذن من معاصري أبي العلاء زهر المتوفى سنة ٥٢٥هـ / ١١٣٠م.

أما عن نتاج ابن باجه، فإن ما عُرِفَ عن وقائع حياته كان قليلاً، إلا أن ابن أبي أصيبعة يذكر أنه ترك ما ينوف على خمسة وعشرين كتاباً ضاع أغلبها^(٤)، بحث في بعض كتبه في العقل الإنساني . . . وقال بأن الفكر أرقى طبائع الإنسان، وأنه من طريق الفكر . . . يستطيع المرء أن يتصل بالمعرفة وبالعقل الفعال^(*)؛ أي : بالله»، وأضاف يقول : «غير أن

(١) مظهر، إسماعيل، «سير ملهمة من الشرق والغرب» (ص ٣).

(٢) المقري، «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» (٩ / ٢٥٢).

(٣) مظهر، إسماعيل، «سير ملهمة من الشرق والغرب» (ص ٣).

(٤) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٥ - ٥١٦).

(*) وصف ابن باجه بأنه فيلسوف، وفعلاً جاءت بعض المصادر والمراجع بنماذج من أفكاره الفلسفية، ووصف بعض الأطباء من أسرة بني زهر (مدار هذه =

الفكر قد يكون طريق الضلال والبوار ما لم ينصرف إليه المفكر مستقلاً بذاته، متفرداً بنفسه، مبتعداً عما ينقل عن الناس خاصة أو عامة، وأن العاقل من يترفع عن الغوغاء والأدعاء، ولا يقيم لما يقولون وزناً في تفكيره وحكمته»^(١).

أما كتب ابن باجه، فقد ذكر ابن أبي أصيبعة له تسعة وعشرين بين كتاب، وشرح، وقول، وكلام، ورسالة، وفصل، وتعاليق، ونبد، وأجوبة لمسائل. وكان بعضها في الفلسفة، والحيوان، والنبات، والسياسة المدنية، والهندسة، والحكمة. والبعض الآخر في علم الطب، وهو المطلوب أن يُذكر هنا وهي:

١- قول على بعض المقالات الأخيرة من كتاب الحيوان لأرسطوطاليس.

٢- كلام على شيء من كتاب الأدوية المفردة لجالينوس.

٣- كتاب التجريبتين على أدوية ابن وافد، واشترك في تأليف هذا الكتاب أبو بكر بن باجه، وأبو الحسن سفيان الأندلسي، والكتاب أحد مصادر كتاب «الجامع» لمفردات الأدوية لابن البيطار.

٤- كتاب اختصار الحاوي للرازي.

٥- كلام في المزاج بما هو طبي^(٢).

= الأطروحة) بالفلسفة، لكن لم ترد أفكار فلسفية لهم جميعاً. (الباحث).

(١) مظهر، إسماعيل، «سير ملهمة من الشرق والغرب» (ص ٣).

(٢) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنبياء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٦ - ٥١٧)،

السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢/ ٤٦١).

والجدير بالذكر: أن لابن باجه مقالة في الموسيقى، كانت قد فقدت مع الضائعات من التراث العربي، وما حكي عنها أنها من فوائد وغرائب وعجائب التأليف الموسيقي في الفنون الأندلسية، وقد أكتب ابن باجه على دراسة العلوم، وبرز في المعرفة بالموسيقا ونظم الشعر، فخلق في سماواته^(١).

وخلاصة كل ما مضى من حديث عن ابن باجه: أنه كان عالماً بالطب، والرياضة، والفلسفة، وكان واسع المعرفة، قليل الابتكار. عُيِّنَ وزيراً قرابة عشرين عاماً لدى أبي بكر بن إبراهيم صهر علي بن يوسف ابن تاشفين زعيم المرابطين، وارتحل في أخريات أيامه إلى مدينة فاس؛ حيث وقع في شباك لخصومه ومناوئيه، ف قيل: دُسَّ له السمُّ حوالي عام (٥٣٣هـ / ١١٣٨م)، وأن الذي دبَّرَ له هذه المكيدة الطيب أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر المتوفى سنة ٥٥٧هـ / ١١٦١م، ومن غريب الأمور أن يقع فيلسوف فريسة بين يدي فيلسوف آخر، وواضح أن سبب تصفيته هو اتهامه بالإلحاد والخروج عن الدين، ومما تلقاه ابن باجه من عنتٍ وأذى: كرهُ ابن خاقان له، والهجاء الذي مرَّ ذكره الذي أظهر ابن خاقان كأنه يمثل نظرة عوام الأندلس إلى العلماء والفلاسفة^(٢).



(١) مظهر، إسماعيل، «سير ملهمة من الشرق والغرب» (ص ٣).

(٢) أمين، أحمد، «ظهر الإسلام»، ط ٤، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦م،

(٢٣٩ / ٣).

ابن رشد

(٥٩٥هـ / ١١٩٨م)



هو القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد^(١)، الإمام العلامة، شيخ المالكية، وقاضي الجماعة بقرطبة^(٢)، الملقب بالحفيد، وفيلسوف الوقت^(٣)، ويسميه

أهل المغرب Avwrrroes^(٤)، مولده ومنشؤه بقرطبة^(٥)، وتاريخ مولده سنة (٥٢٠هـ / ١١٢٦م)^(٦)، وقيل: سنة (٥١٩هـ / ١١٢٥م)^(٧)، وقال

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٣٠).

(٢) الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م)، «سير أعلام النبلاء»، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، (١٩ / ٥٠١ - ٥٠٢)، ب. ت.

(٣) المصدر نفسه (٢١ / ٣٠٧).

(٤) التازي، عبد الهادي، «جامع القرويين»، المجلد الأول، دار الكتاب اللبناني، ط ١، بيروت، ١٩٧٢م، (ص ١٧٥)، مراد، د. أمنة صبري، «لمحات من تاريخ الطب القديم» (ص ٢٦٥).

(٥) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٣٠).

(٦) أشباخ، يوسف، «تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين»، تحقيق: محمد عبدالله عنان، (ص ٥٠٠ - ٥٠١).

(٧) مجموعة من الأساتذة، «موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين (٣ / ٣٨).

البوشي: سنة (٥١٤هـ / ١١٢٠م)^(١). يمت بنسبه إلى أسرة عريقة أنجبت عدداً من الفقهاء والقضاة والأطباء والأدباء والفلاسفة، وكان قد تولى هو نفسه القضاء على إشبيلية من سنة (٥٦٢ - ٥٦٦هـ / ١١٦٦ - ١١٧٠م)، ثم تولى بعد ذلك القضاء على قرطبة^(٢).

درس أبو الوليد بن رشد الفلسفة، والقانون، والطب، وشرح آثار أرسطو^(*)، وانشرت أفكاره الحرة في عقول الأوربيين في القرن السابع عشر^(٣)، فألم بفلسفة أرسطوطاليس إماماً تاماً، وصار من أشهر أتباعه، والذابين عن فلسفته، وآراؤه منشورة في كتب الفلسفة والتاريخ، فاشتهر بها أكثر من اشتهاره بعلم الطب^(٤).

* ديانته :

كان ابن رشد فقيهاً وعالماً، حافظاً للفقہ، مبرزاً فيه على جميع

(١) البوشي، د. محمد عبد الحميد، «الإسلام والطب» (ص ١٤٩).

(٢) الشطي، د. أحمد شوكت، «العرب والطب»، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٠م، (ص ٨٥).

(*) هذا دليل واضح على أن ابن رشد كان فيلسوفاً أكثر منه طبيباً، وكان تلميذاً لابن زهر عبد الملك بن زهر. (الباحث).

(٣) عرب، د. مرسي محمد، «لمحات من التراث الطبي العربي» (ص ٣٧)، التجاني الماحي، «مقدمة في تاريخ الطب العربي» (ص ١٢٢).

(٤) التجاني الماحي، «مقدمة في تاريخ الطب العربي» (ص ١٢٢)، وهنا دليل ثانٍ على تتلمذ ابن رشد على ابن زهر. (الباحث).

أهل عصره، وكان عارفاً بالفتوى، بصيراً بأقوال وآراء أئمة المذهب المالكي، متعمقاً في علم الفرائض والأصول، وكان من أهل الرياسة في العلم، والبراعة والفهم، مع الديانة والفضل والوقار، ووصف بالحلم، والسمت الحسن، والهدي الصالح. روى عنه أبو الوليد بن الدباغ، فقال: كان أفقه أهل الأندلس^(١)، وله مؤلفان ثمينان وقيمان في الأمور العقائدية والشرعية الإسلامية هما: «الكشف من مناهج الأدلة في عقائد الملة»، و«فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال»^(٢). وله في الفقه: كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»^(٣).

من هذا يستتج أن ابن رشد كان مسلماً عميق الإيمان بالإسلام وقد نشأ في أسرة بلغت شأواً بعيداً في الفقه والسياسة والقضاء، وكان جده أبو الوليد قاضي قرطبة من كبار الفقهاء المالكيين. فهو - من شدة حرصه عمل على التوفيق بين الشريعة والفلسفة في تأليفه، وانخرط في سلك الحياة السياسية، وجرياً على سنة والده وجده درس الكلام والفقه والأدب، فتمكن بقسط وافر منها، وصنف «مختصر المستصفى في

(١) الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (١٩ / ٥٠١).

(٢) العظماوي، د. إبراهيم، «الطب والأدب، نظرة بين الماضي والحاضر»، مجلة آفاق عربية، العدد (١٠) السنة (٦)، ١٩٨١م، (ص ٨٦).

(٣) هونكه، زيغريد، «شمس العرب تسطع على الغرب» (ص ٢٠٣).

الأصول» لكنه برز وبزَّ معاصريه في ميداني الفلسفة والطب^{(١)(*)}.

كان أبو الفيلسوف الطبيب ابن رشد قاضي قضاة الأندلس، فرباه على حب الفضيلة والعلم، فبرز في علم الفقه، وفي الحديث، وكذلك في الجدل، وفي الاطلاع على مذاهب الأولين، ودرس الطب، وصار مدرساً له في مدرسة قرطبة، ووصف بالإباء، عيواً للمحابة، عَرَّض مرة بالخليفة، فحرمه من مخالطة الآخرين إلا اليهود، واتهم بالزندقة، فوضعت اليد على كل ما يملك، وثار الناس عليه، فهرب إلى فاس، إلا أنه ضبط فيها، وأجبر على الوقوف مرغماً بباب الجامع ليصق المارون عليه، وعاد إلى قرطبة يجر أطراف الأذى والعذاب، وبعدئذٍ دعاه يعقوب المنصور سلطان مراکش، فحسنت أوضاعه، وأعيد إليه ما خسره^(٢).

وقيل إنه لما اتهم بالزندقة من بعض خصومه، نفى إلى الأندلس بجوار قرطبة، وفرضت عليه إقامة إجبارية ورقابة مشددة، واستردت مكانته في أواخر حياته، ودعي مرة أخرى إلى مراکش حيث عفا عنه

(١) البستاني، فؤاد أفرام، «دائرة المعارف، قاموس عام لكل فن ومطلب»، المجلد الثالث، بيروت، ١٩٦٠م، (ص ٩٣).

(*) إن ابن رشد كان تلميذاً لابن زهر. ابن بطلان، «دعوة الأطباء»، (ص ١٤٥)، وبرز في علم الفلسفة دون غيره. الشطي، أحمد شوكت، «العرب والطب» (ص ٨٥)، لذا فهو فيلسوف قبل أن يكون طبيباً. (الباحث).

(٢) ابن بطلان، «دعوة الأطباء» (ص ١٤٥).

المنصور^(١)، وأعاده من منفاه في قرية أليسانه^(*). ثم إن جماعة من الأعيان في إشبيلية شهدوا لابن رشد أنه غير ما نسب إليه، فرضي المنصور عنه، واستدعاه إلى وظيفته في مراکش^(٢). وأظهر المنصور أنه فعل بابن رشد وجماعة آخرين ذلك بسبب ما يدعى فيهم أنهم كانوا يشتغلون بالحكمة، وعلوم الأوائل، وهؤلاء الجماعة هم: أبو الوليد ابن رشد، وأبو جعفر الذهبي، والفقير أبو عبدالله محمد بن إبراهيم قاضي بجاية، وأبو الربيع الكفيف، وأبو العباس الحافظ الشاعر القرابي^(٣).

أما فعاليات ابن رشد الدراسية، فقد نبغ في دراسته في الفقه، والطب، والفلسفة، والرياضيات، وكان ولوعاً بدراسة الفلسفة اليونانية، بخاصة ما يتعلق بأفكار أرسطو، الأمر الذي جلب له بعض الجهالة والوشاة^(٤)، وكان مشهوراً بالفضائل، معتنياً بالتحصيل العلمي، وهو

(١) أشباح، يوسف، «تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين» (ص ٣١٦)، هامش (١).

(*) أليسانه: من أعمال قرطبة، بينها وبين قرطبة أربعون ميلاً. المقرئ، «نفع الطيب» (١/ ١٥٨)، ولم تذكر المصادر والمراجع سبباً مقنعاً لنفيه، وأغلب الظن أن السبب هو تحرره الفكري، وانشغاله بعلوم الفلسفة اليونانية. (الباحث).

(٢) الشطي، أحمد شوكت، «العرب والطب» (ص ٨٥).

(٣) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٣٢).

(٤) العظماوي، د. إبراهيم، «الطب والأدب، نظرة بين الماضي والحاضر»، =

الأوحد في علم الفقه والخلاف^(١).

أما أساتذته، فقد اشتغل على كل من: الفقيه الحافظ أبي محمد ابن رزق^(٢). وحدث عنه، وعن أبي مروان بن السراج، ومحمد بن خيره، ومحمد بن فرج الطلائي، والحافظ أبي علي. وأجاز له: أبو العباس بن ولهاث^(٣). وكان قد اشتغل وتلمذ بالتعاليم وبدراسة الطب على أبي جعفر ابن هارون، ورافقه مدة من الزمن، وأخذ عنه الكثير من العلوم الحكيمة^(٤)، وأخذ الطب عن أبي مروان بن جربول البلنسي، وألف فيه التأليف الكثيرة^(٥). وتلمذ ابن رشد في الفلسفة على ابن باجه، وفي علوم الدين على أئمة المالكية الأندلسيين^(٦).

* فلسفته:

ظهر ابن رشد في (القرن السادس للهجرة، الثاني عشر للميلاد) في مدينة قرطبة في الأندلس، وكان فيلسوفاً أكثر منه طبيباً، وفي زمنه

= آفاق عربية، العدد (١٠) سنة (٦)، ١٩٨١م، (ص ٨٦).

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٣٠).

(٢) المصدر نفسه (ص ٥٣٠).

(٣) الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (١٩ / ٥٠١).

(٤) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٣١).

(٥) البستاني، فؤاد أفرام، «دائرة المعارف»، بيروت، ١٩٦٠م، (ص ٩٣).

(٦) مجموعة من الأساتذة، «موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين»

(٩٨ / ٣).

ظهر ابن زهر [أبو مروان عبد الملك صاحب كتاب «التيسير في المداواة والتدبير»] في إشبيلية^(١). وكان لابن رشد الفيلسوف الطيب الأديب مناظرة فكرية مع [أبي حامد محمد] الغزالي (ت ٥٠٥هـ / ١١١١م) الذي صنف كتاباً أسماه «تهافت الفلاسفة» هاجم فيه الغزالي الفلسفة والفلاسفة، معتقداً أنها تعمل على تخريب الإيمان ومبادئ الدين... فردَّ عليه ابن رشد بكتابه المعروف «تهافت التهافت»، فناقش فيه أفكار الغزالي وغيره من المفكرين^(٢). ويعدُّ كتابه هذا «تهافت التهافت» من أهم مصنفاته الفلسفية، وترجمت كتبه إلى العبرانية واللاتينية، لكن - للأسف - ضاعت بعض الأصول العربية لمصنفات ابن رشد^(٣).

ومن آثاره الفلسفية: ملخصات لجملة من كتب أرسطو، منها: «ما بعد الطبيعة، الأخلاق، البرهان، السماع الطبيعي، السماع والعالم، النفس. ولخص لجالينوس: القوى الطبيعية»^(٤).

ولقد جاء في الخبر: أن ابن رشد كان يؤثر الفلسفة على الطب، الأمر الذي جعل اهتمامه الكبير بالفلسفة وبالأعلى عليه، فلقد غضب عليه

(١) براون، إدوارد، «الطب العربي» (ص ٩٥).

(٢) العظماوي، د. إبراهيم، «الطب والأدب، نظرة بين الماضي والحاضر»، آفاق عربية، العدد (١٠) السنة (٦)، ١٩٨١م، (ص ٨٦).

(٣) مراد، د. أمّنة صبري، «لمحات من تاريخ الطب القديم» (ص ٢٦٩).

(٤) هونكه، زيغريد، «شمس العرب تسطع على الغرب» (ص ٢٠٣).

الجهلة من العوام، والمفكرون على حد سواء، واستاء منه الخليفة نفسه، وجنى على هذا المفكر الكبير الباحثون القدامى والمحدثون، فما أنصفه أحد من الأولين، ولا من الآخرين، الأبعدين والأقربين، وبرغم ذلك كله ظلت أفكاره العظيمة في الطب والفلسفة شعلة متوهجة لدرجة عجيبة؛ مما منحها خلوداً أبدياً^(١).

والجدير بالذكر: أنه لما جلس المنصور أبو يوسف يعقوب على كرسي الخلافة بُعيد وفاة والده أبي يعقوب يوسف سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) لقي الفيلسوف ابن رشد على يديه ما لقي على يدي والده من حظوة وإكرام، لكن الحساد والوشاة ما زالوا بالمنصور حتى أوغروا صدره وأثاروا حفيظته عليه، فأمره بالإقامة الدائمة باليسّانة صحبة عدد من المشتغلين بالحكمة والعلوم، وأوعز بإحراق كتبه وسائر كتب الفلسفة، وحظر الاشتغال بالفلسفة والعلوم جملة، ما عدا علم الطب، وعلم النحو، والحساب.

واختلف المؤرخون في معرفة أسباب نقمة المنصور على ابن رشد، فعزاها البعض منهم إلى امتعاض المنصور منه لقوله في كتاب «الحيوان» عند ذكر الزرافة: «وقد رأيتها عند ملك البربر» - يعني: المنصور^(٢) -،

(١) العظماوي، د. إبراهيم، «الطب والأدب، نظرة بين الماضي والحاضر»، آفاق عربية، العدد (١٠) السنة (٦)، ١٩٨١م، (ص ٨٦).

(٢) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٣٢).

وعزاها آخرون إلى تبذله مع المنصور في الحديث ؛ إذ كان يخاطبه عند حضوره بين يديه، أو حاوره في شيء من العلوم بعبارة: «تسمع يا أخي»، إلا أن هذه الأسباب لا ترقى - في الحقيقة - إلى مستوى محنة الفيلسوف الكبير والطبيب الشهير ابن رشد على يد المنصور واضطهاده له. ولعلها إرضاء للجمهور الذي كان ينظر إلى الفلسفة بعين الحيطة وسوء الظن، أو إرضاء للفقهاء المتربصين بالفلسفة والفلاسفة شراً، وأدلة ذلك ما كان ابن رشد يتلقاه من تهمة وهجاء^(١).

* علاقته بقصر الخلافة، ومناصبه:

قبل نكبه كان الفيلسوف الطبيب البارع ابن رشد مكيناً لدى المنصور يعقوب بن يوسف (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٨٤٠ - ١١٩٨ م)، وكان وجيهاً في دولته، وكذلك كان لدى ولده الناصر الذي احترامه كثيراً. حُكي: أنه لما كان المنصور بقرطبة متوجهاً إلى مقاتلة ألفونس^(*) عام (٥٩١ هـ / ١١٩٤ م)، استدعي ابن رشد، فعندما حضر عنده احترامه كثيراً، وقربه إليه حتى اجتاز به المكان الذي كان يعقد فيه أبو محمد عبد الواحد الشيخ حفص الهتاني^(**) صاحب عبد المؤمن. فعندما فعل المنصور ذلك،

(١) البستاني، فؤاد أفرام، «دائرة المعارف» (ص ٩٣).

(*) هو ألفونس الثاني، ملك البرتغال. ابن أبي أصيبعة «عيون الأنباء» (ص ٥٣١)، هامش (١).

(**) واحد من أفراد أسرة من البربر يدعون: الحفصيين، وعميدهم أبو حفص عمر ابن يحيى الهتاني القائد البربري، ومن أوائل مريدي ابن تومرت، وأحد ضباط =

وأجلسه بقربه، حاوره، ثم غادر وجماعة الطلبة وثلة من أصحابه كانوا بانتظاره بغية تقديم التهئة له بمنزلته لدى المنصور، وترحيبه به. فقال ابن رشد: «والله! إن هذا ليس مما يستوجب التهئة به؛ فإن أمير المؤمنين قد قربني دفعةً إلى أكثر مما كنت أؤمله فيه، أو يصل رجائي إليه». فشيع جماعة من خصومه بأن أمير المؤمنين قد أوعز بقتله، فلما خرج سالماً، أمر خدمه أن يخفوا إلى بيته، ويقولوا لهم أن يصنعوا له فراخ حمام مسلوقة إلى حين يأتي إليهم لكي يطيب قلوبهم بسلامته^(١).

نُصّب ابن رشد قاضياً في مدينة قرطبة، وإشبيلية، وكان زميله ابن طفيل (ت ٥٨١هـ / ١١٨٥م) قد استقدمه إلى مراكش، وقدمه إلى ملك الموحدين يوسف بن يعقوب، فعمل له طبيباً خلفاً لابن طفيل، وطلب منه ابن طفيل أن يشرح كتب أرسطو، ويسطها، فكرس ابن رشد لهذا الغرض جُلَّ حياته. وقد تسنم ابن رشد مناصب رفيعة في الأندلس، ومراكش، وقدم لملوكها وأمراءها خدمات جُلَّى، وأنجز لهم مهمات عديدة، إلا أنه اضطهد وسجن عدة مرات لأسباب قيل عنها: دينية، أو سياسية، أو شخصية^(٢).

= عبد المؤمن المخلصين ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء» (ص ٥٣١).

(١) المصدر نفسه (ص ٥٣١).

(٢) مجموعة من الأساتذة، «موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين»

(٩٨ / ٣).

ومن صور ما لقيه ابن رشد: أنه حينما نفاه الخليفة المنصور إلى
اليسّانة، استنزل عليه لعنات الناس، وحُرِمَ عليه وعلى غيره ممن اشتغل
بالفلسفة، كل أمور الفلسفة، وأبصر ابن رشد كتبه تُعدَم وسط لهيب نيران
محرقة لا تبقي ولا تذر، وكان في الثامنة والستين، وقد بقي له من العمر
أقل من ثلاث سنوات^(١).

* هو وابن زهر:

هناك شبه بين أسرتي ابن رشد وابن زهر [عبد الملك بن أبي العلاء
زهر]؛ فأسرة ابن رشد طيبة كأسرة ابن زهر، ومن حيث الأب كان فقيهاً،
كما أن الملاحظ أنه كان من مداخل الفلسفة والفقه^(٢). وكان بين ابن رشد
وأبي مروان بن زهر مودة، وحينما صنف ابن رشد كتابه الشهير «الكليات»
في الأمور الكلية، أراد من ابن زهر أن يصنف كتاباً في الأمور الجزئية؛
ليكون كتاباهما ككتاب واحد متكامل في صناعة الطب. ولذلك قال
ابن رشد في آخر كتابه المذكور ما هذا نصه: «فهذا هو القول في شفاء
عرض من الأعراض الداخلة على عضو عضو من الأعضاء، وهذا - وإن
لم يكن ضرورياً؛ لأنه منطوق بالقوة فيما سلف من الأقاويل الكلية -،
ففيه تتميم ما، وارتياض؛ لأننا نترل فيها إلى علاجات الأمراض بحسب

(١) المرجع نفسه (٣ / ٩٨).

(٢) أمين، أحمد، «ظهر الإسلام»، نشر في مكتبة النهضة المصرية، ط ٤،

القاهرة ١٩٦٦م، (٣ / ٢٤٥).

عضو عضو، وهي الطريقة التي سلكها أصحاب الكنانيش^(*)، حتى نجتمع في أقاويلنا هذه إلى الأشياء الكلية الأمور الجزئية؛ فإن هذه الصناعة أحق صناعة ينزل فيها إلى الأمور الجزئية ما أمكن، إلا أنا نؤخر هذا إلى وقت نكون فيه أشد فراغاً؛ لعنايتنا في هذا الوقت بما يهم من غير ذلك، فمن وقع له هذا الكتاب دون هذا الجزء، وأحب أن ينظر بعد ذلك إلى الكنانيش، فأوفق الكنانيش له الكتاب الملقب بـ «التيسير في مداواة والتدبير» الذي ألفه في زماننا هذا [الكلام لابن رشد] أبو مروان بن زهر، وهذا الكتاب سألته أنا إياه، وانتسخته، فكان ذلك سبيلاً إلى خروجه، وهو - كما قلنا - كتاب الأقاويل الجزئية التي قلّت فيه، شديدة المطابقة للأقاويل الكلية، إلا أنه مزج هنالك مع العلاج العلامات، وإعطاء الأسباب على عادة أصحاب الكنانيش، ولا حاجة لمن يقرأ كتابنا [الكليات] هذا إلى ذلك، بل يكفي من ذلك مجرد العلاج فقط، وبالجملّة: من تحصل له ما كتبناه من الأقاويل الكلية، أمكنه أن يقف على الصواب والخطأ من مداواة أصحاب الكنانيش في تفسير العلاج والتركيب^(١).

(*) الكنانيش: مجموعة كالدفاتر تدرج فيها الشوارد والفوائد، «المنجد» (ص ٧٤٥).

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٣١) ... ملاحظة: يدرك الباحث أن هذا النص كان طويلاً، وتجاوز الحد المعتاد، لكن الدافع لنقله بهذا الكم هو لإثبات أن ابن زهر كان قد صنف كتابه «التيسير» بطلب من صديقه ابن رشد، ولأن البعض من المؤرخين كانوا قد نفوا أن يكون =

الحق: أن ابن رشد لم يكن معاصراً لأبي مروان عبد الملك بن زهر وحسب، وإنما كان معاصراً أيضاً لابنه أبي بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك (الحفيد) المتوفى في نفس السنة التي توفي فيها ابن رشد (٥٩٥هـ / ١١٩٨م)، وقد كانت بين ابن رشد وأ أسرة بني زهر مودة عظيمة^(١)، حتى قيل: إن ابن رشد كان تلميذاً لأبي مروان عبد الملك ابن أبي العلاء زهر (المتوفى سنة ٥٥٧هـ / ١١٦١م)^(٢)، لكن ابن أبي أصيبعة - وهو مؤرخ الأطباء العرب - لم يذكر هذا بين تلاميذ أبي مروان عبد الملك بن زهر^(٣).

* مميزات ابن رشد:

من خلال دراسة ما تيسر من تاريخ العلامة الفيلسوف والطبيب العربي الشهير ابن رشد يمكن تلخيص مميزاته بالآتي: هو فقيه متضلع في الفقه، طبيب طائر الصيت في هذا المجال، فلكي، إضافة إلى ما برز في علم الفلسفة دون غيره، وكان صديقاً حميماً لابن طفيل^(٤) الطبيب الفيلسوف

= ابن زهر قد كتبه بإيعاز من ابن رشد أو غيره، وسيأتي تفصيل لهذا الموضوع في فصل لاحق. (الباحث).

(١) جمعة، محمد لطفي، «تاريخ فلاسفة الإسلام» القاهرة، ١٩٢٧م، (ص ١١٩).

(٢) ابن بطلان، «دعوة الأطباء» (ص ١٤٥)، أمين، أسعد خير الله، «الطب العربي»، مطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٤٦م، (ص ١٥٧).

(٣) «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٩ - ٥٢١).

(٤) الشطي، أحمد شوكت، «العرب والطب» (ص ٨٥).

الذي قالوا - بحقه مدحاً - : «هل لكم في الطب مثل ابن طفيل صاحب رسالة «حي بن يقظان» المقدم في علم الفلسفة؟!»^(١).

عُني كثيراً بأرسطو، وترجم له إلى اللغة العربية نحواً من خمسين كتاباً، منها: فلسفة ابن رشد^(٢)، وقد امتاز بأنه أضحى في زمانه من أعظم مفكري الإسلام وفلاسفته. برع في علوم الفقه والطب والفلسفة^(٣)، حيث أَلَم بفلسفة أرسطوطاليس إماماً تاماً، وأضحى من أشهر أتباعه، والذابين عن فلسفته. وامتاز بآرائه الفلسفية المبسوبة في كتب الفلسفة، وكتب التاريخ، واشتهر بها أكثر من اشتهاره بالطب^(٤). وتميز أيضاً بالذكاء غير الاعتيادي، ثم إنه كان قوي النفس، لكنه رث الثياب^(٥)، وكان كثير الكتابة، متقدماً في علوم كثيرة، وتفوق بنوع خاص في الفلسفة والطب - كما ذكر -، وتفوقه بالفلسفة جعله غير مرغوب فيه من قبل المفكرين المسلمين على العموم^(٦). وتميز أيضاً بسيرته الحسنة في القضاء؛ فقد

(١) المقري، «نفح الطيب» (٤ / ١٨٥).

(٢) التازي، عبد الهادي، «جامع القرويين» (ص ١٧٥).

(٣) أشباخ، يوسف، «الأندلس في عهد المرابطين والموحدين» (ص ٣١٦)، هامش (١).

(٤) التجاني الماحي، «مقدمة في تاريخ الطب العربي» (ص ١٢٢).

(٥) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٣١).

(٦) أشباخ، يوسف، «تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين» (ص ٥٠٠ - ٥٠١).

سار فيه أحسن سيرة، وأقوم طريقة، واستعفى من القضاء، وأعفى، ونشر مصنفاته، وعول الناس عليه، ولجؤوا إليه، وكان حسن الخلق، سهل اللقاء، وافر النفع لخاصته، جميل المعشر لهم، وباراً بهم^(١).

• رأي ابن رشد بالتشريح:

لقد روي عن ابن رشد: أنه قال - رداً على الأقاويل حول تحريم الدين الإسلامي للتسليخ -: «إن معرفة الأعضاء بالتسليخ تقرب من الله تعالى، ويستشهد بالآية الكريمة ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، وأوضح أن مركز التصور لدى الإنسان يقع في الجزء الأمامي للدماغ، ووصف - بدقة متناهية - الدوران الدموي الشعري في الكبد، وكذلك طريق هضم الأكل وامتصاصه. ومن غريب وعجيب ملاحظاته: أنه أشار إلى الصلة بين شعر اللحية والخصية، ويبيّن أنه في حال تعطل الخصية يتعطل شعر اللحية، ويُستتج من هذه الأمور: أن ابن رشد كان قد مارس التسليخ، ومثله فعل أبو القاسم الزهراوي^(٢)، وابن زهر الإشبيلي.

إن من أهم آرائه الطبية ما أعلنه: أن من اشتغل بعلم التشريح، ازداد إيماناً بالله؛ مما أدى إلى هيجان ومناهضة رجال الدين^(*) له، علماً

(١) الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (١٩ / ٥٠١).

(٢) مراد، د. آمنة صبري، لمحات من تاريخ الطب القديم (ص ٢٦٥).

(*) إن موقف رجال الدين إزاء رأي ابن رشد بالتشريح يفترض أن يكون على عكس ما ذكر؛ لأن ابن رشد لم يُدلّ برأي يسيء إلى الدين، وإنما يؤكد =

بأنه لا توجد نصوص في الدين الإسلامي تمنع أو تحرم التشريح للأغراض العلمية واكتساب المعرفة، وبرغم ذلك يدعي بعض المسلمين أن التشريح محرم، ومنهم من يُعَدُّ التشريح عائقاً أو حجر عثرة في طريق إقامة المدارس الطبية، مع أن - الله سبحانه وتعالى - قد قال في الآية الكريمة^(١): ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

ومما يؤكد صحة وسلامة ونفع منهج هذا الفيلسوف الكبير، والطبيب الشهير: اعتزاز الأجيال اللاحقة بما تركه من تراث عظيم؛ فقد أنشئت في عام (١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م) بمدينة الدار البيضاء مدرسة للطب تحمل اسم ابن رشد؛ تعظيماً لاسمه، واعترافاً بفضلته في تاريخ الطب العربي^(٢)، ولأنه كان يحتل المقام الأول^(*) بين علماء الأندلس في علم الطب، خاصة فيما يتعلق بنظرياته الطبية تلك التي حاول أن ينوه فيها بالفروق الموجودة بين تعاليم أرسطو، وتعاليم جالينوس، ودفاعه بحماس

= الخالق، ويعزز الإيمان بقدرته. (الباحث).

(١) المرجع نفسه (ص ٢٦٥).

(٢) عرب، د. مرسي محمد، «لمحات من التراث الطبي العربي» (ص ٣٧).

(*) إن المقام الأول في الطب كان لأبي مروان عبد الملك بن زهر، صاحب كتاب

«التيسير» الذي وصفه لسان الدين بن الخطيب في «جيش التوشيح»

(ص ٢٧٢)، بالطبيب العملاق، وفيلسوف حتى في «تاريخ العرب المطول»

(٢ / ٦٨٦) بـ «أعظم طبيب في الإسلام»، أما ابن رشد، فكان الأول في

الفلسفة كما أشار أكثر من مصدر. (الباحث).

عن نظريات أرسطو ضد نظريات جالينوس^(١).

* مؤلفات ابن رشد الطبية :

للفيلسوف المعروف والطبيب الشهير ابن رشد مؤلفات كثيرة في العلوم التي أجاد فيها؛ كالفقه، والفلسفة، والطب، وغير ذلك، وبما أن المطلوب - هنا - الإشارة إلى مصنفاته في الطب، ففيما يلي أهم مؤلفاته الطبية :

١ - كتابه الشهير «الكليات»، وهو في عدة مجلدات، تناول به شرح فلسفة أرسطو^(٢)، وقد أجاد في تأليف هذا الكتاب، وهو الذي حمّله على الطلب من صديقه أبي مروان عبد الملك بن زهر أن يؤلف كتاباً في الجزئيات، فاستجاب له ابن زهر بتأليف كتاب «التيسير»؛ ليكون متمماً لكتاب «الكليات»^(٣)، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك. قيل: إن ابن رشد في تأليفه للكليات - كان قد نقد فيها كتابات ابن زهر وابن سينا^(٤).

والجدير بالذكر: أن ابن رشد كان قد بين في «الكليات» أن مرض

(١) أشباح، يوسف، «تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين» (ص ٥٠١).

(٢) ابن بطلان، «دعوة الأطباء» (ص ١٤٦).

(٣) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٣٠).

(٤) مجموعة من الأساتذة، «موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين» (٩٨ / ٣).

الجدري لا يصيب مرتين، ووصف فيه عمل شبكة العين^(١)، ونشره بالتصوير الفريد البستاني في تطوان سنة (١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م)^(٢).

٢ - شرح أرجوزة ابن سينا في الطب . (المنسوب إليه).

٣ - كتاب جوامع كتب أرسطوطاليس .

٤ - كتاب تلخيص الاستقصاء لجالينوس .

٥ - كتاب العلل .

٦ - كتاب الحميات .

٧ - كتاب حيلة البرء .

٨ - كتاب عن مسائل في الشفاء .

٩ - مقالة في الرد على ابن سينا^(٣) .

١٠ - تلخيص كتاب المزاج لجالينوس .

١١ - تلخيص كتاب التعرق لجالينوس .

١٢ - تلخيص كتاب القوى الطبيعية لجالينوس .

١١ - تلخيص أول كتاب الأدوية المفردة لجالينوس .

(١) الشطي، د. أحمد شوكت، «العرب والطب» (ص ٨٥)، عرب، د. مرسى

محمد، «لمحات من التراث الطبي العربي» (ص ٣٧).

(٢) البستاني، فؤاد أفرام، «دائرة المعارف»، بيروت، ١٩٦٠م، (ص ٩٥).

(٣) الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (٣٠٨ / ٢١).

١٢ - مقالة في المزاج .

١٣ - مقالة في حميات العفن .

١٤ - مقالة في الترياق^(١) .

لم يكن ابن رشد يعرف لغة الإغريق ، ولذلك اعتمد على الترجمة التي انتشرت في المشرق ، وقد ترجمت أغلب آثاره الطبية والفلسفية إلى اللغات الأجنبية ؛ اللاتينية ، والعبرية ، وقد فُقد الكثير منها ، وبقيت الترجمة ، ومنها بنصوص عربية ، وبحروف عبرية ، وقد ترك أثراً بعيداً في التفكير ، واشتهر ابن رشد بالفيلسوف ، والشارح ، وكانت له مدرسة في الجامعات الأوروبية^(٢) .

* وفاة ابن رشد :

اختلف المؤرخون في تثبيت تاريخ وفاة ابن رشد . ذكر ابن بطلان أبو الحسن المختار (المتوفى في القرن الخامس للهجرة ، الحادي عشر للميلاد) قائلاً : «توفي ابن رشد سنة ٥٩٩هـ / ١١٩٨م»^(٣) . أما ابن أبي أصيبعة - وهو مؤرخ الطب والأطباء - فيقول : «كانت وفاة القاضي أبي الوليد بن رشد - رحمه الله - في مراكش أول سنة خمس وتسعين وخمس

(١) البستاني ، فؤاد أفرام ، «دائرة المعارف» ، بيروت ، ١٩٦٠م ، (ص ٩٥) .

(٢) هونكه ، زيفريد ، «شمس العرب تسطع على الغرب» (ص ٢٠٣) .

(٣) «دعوة الأطباء» (ص ١٤٦) .

مئة»(*) وذلك في أول دولة الناصر [أبي عبدالله محمد (٥٩٥ - ٦١٠هـ / ١١٩٨ - ١٢١٣م)]، وكان ابن رشد قد عاش عمراً طويلاً، وخلف ولداً طيباً، وعالمًا بالصناعة يدعى: (أبا محمد عبدالله)، وخلف أيضاً أولاداً اشتغلوا بالفقه، وعينوا قضاة في الكور^(١).

وعن وفاة ابن رشد قال الذهبي شمس الدين (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م): «عاش [ابن رشد] سبعين سنة ومات في ذي القعدة سنة عشرين وخمس مئة»(**)، وصلى عليه ابنه أبو القاسم^(٢).

كانت وفاته في مراکش، ودفن في مدينة قرطبة^(٣).

* * *

(*) إن مما يلفت النظر - هنا - أن وفاة ابن بطلان كانت في (القرن الخامس للهجرة)، في حين كانت وفاة ابن رشد في (نهاية القرن السادس للهجرة)، إذن، فالرواية هذه غير صحيحة، وأغلب الظن أن الخطأ يعزى إلى فعل النساخ. وفي التاريخ المؤثر هنا لوفاة ابن رشد خطأ آخر؛ ففي قول ابن بطلان: (توفي سنة ٥٥٩هـ / ١١٩٨م) خطأ. الصواب: (٥٥٩هـ / ١٢٠٢م). الباحث.

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٣٢).

(**) هنا خطأ واضح، ولا يعدو أن يكون من فعل النساخ، فإن هذا التاريخ (سنة

٥٢٠هـ) هو تاريخ ولادة ابن رشد وليس تاريخ وفاته. ينظر: ابن قنفذ القنطيني،

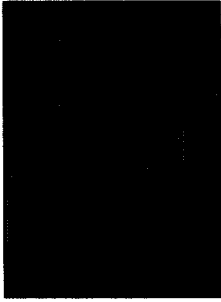
«الوفيات» (ص ٢٩٨)، هامش (١)، وابن الأبار، «التكملة» (١ / ٢٦٩).

(٢) الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (١٩ / ٥٠١).

(٣) هونكه، زيغريد، «شمس العرب تسطع على الغرب» (ص ٢٠٣).

موسى بن ميمون

(ت ٦٠١هـ / ١٢٠٤م)



هو الرئيس أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي، يهودي، وعالم بسنن اليهود، وهو واحد من أجبارهم وفضلائهم، وكان يرأسهم في الديار المصرية، وهو فريد زمانه في صناعة الطب، ومتفن في العلوم، وهو جيد المعرفة في الفلسفة^(١). وكان والده ميمون بن يوسف ذا حَسَبٍ رفيع، ورجل دين ومنطق، وكان يتمتع بدرجة محترمة بين ملته اليهود، عاصر الوزير حسداي ابن شبروط، وكذلك العالم الطبيب مروان بن جناح، وغيرهما ممن عاش في ذلك المحيط العلمي المتقدم بقرطبة^(٢).

ولما استولى عبد المؤمن الكومي الزناتي أمير الموحدين على قرطبة في سنة (٥٤٣هـ / ١١٤٨م)، نزح ابن ميمون - مضطراً - إلى المرية^(*) التي كانت آنذاك قد دخلت في حوزة القشتاليين، وكان في المرية: ابن باجه، وابن رشد، وبسبب مطاردة الذميين، نزح إلى مدينة (فاس المغربية)،

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٨٢).

(٢) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ٥٤).

(*) مدينة بالآندلس محدثة، أمر بينائها الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد سنة

(٣٤٤هـ / ٩٥٥) الحميري، أبو عبدالله بن عبد المنعم (٨٦٦هـ / ١٤٦١م)،

«صفة جزيرة الأندلس»، تحقيق: أ. بروفنسال، دار الجيل، بيروت، ط ٢،

١٩٨٨م، (ص ١٨٣).

وكان آنذاك قد بلغ الأربع وعشرين سنة، ومنها سافر إلى فلسطين (سنة ٥٦١هـ / ١١٦٥م) التي كانت حينئذ بيد الصليبيين، فلم يمكث بها أكثر من ستة أشهر، هجرها بعد ذلك متوجهاً إلى الفسطاط بمصر، وذلك في أواخر حكم الفاطميين^(١).

ذُكر أن الرئيس ابن ميمون كان قد أسلم في المغرب، وحفظ القرآن، واشتغل بالفقه، لكنه عندما توجه إلى فسطاط مصر، ارتد عن الإسلام^(٢). وقيل: إنه لما أعلن إسلامه، كان في عمر اثنتي عشرة سنة، فقرأ القرآن، وبعض كتب اللغة، وتوسع في تعلمه، فدرس الفقه، وحفظ كثيراً من آي الذكر الحكيم. وقيل أيضاً: إنه أسلم مكرهاً عندما آلت مدينة (المرية) إلى الموحدين الذين بالغوا بالتعصب إلى الإسلام، وتعقب الذميين^(٣). وحاول أن يقرب الأفكار المنطقية من العلوم الدينية، فنشر بالعبرية كتاباً بذلك، وسماه: «دليل الحائرين»، لكن هذا الكتاب لم يقنع القراء في مصر، فسموه: «ضلالة الحائرين»^(٤).

أما ما يتعلق بصلة ابن ميمون بسلطات الحكم، فلقد كان السلطان الملك الناصر صلاح الدين يرى له، ويستطبه، وأيضاً كان ولده علي^(٥)،

(١) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ٥٤).

(٢) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٨٢).

(٣) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ٥٤).

(٤) المرجع نفسه، (ص ٥٤).

(٥) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٨٢).

كان ذلك بعدما دخل صلاح الدين الأيوبي مصر سنة (٥٦٤هـ / ١١٧٤م)، فانضم ابن ميمون إلى حاشية صلاح الدين الأيوبي، ونال منه الحماية والرعاية، وصار طبيبه وجليسه، ثم ترأس الطائفة الموسوية في القاهرة، وصار حبرها في الشريعة الموسوية^(١). وقيل: إن تعيينه لصلاح الدين لم يشغله عن معالجة المرضى الآخرين، كما لم يمنعه من المضي في تصنيف المؤلفات^(٢).

والجدير بالذكر: أن ابن ميمون كان قد احترف أولاً باشتغاله بتجارة الجواهر^(٣)، والطب^(٤) فاشتهر أمره فيه، وما لبث أن صار طبيب صلاح الدين الأيوبي^(٥).

ومما يؤكد علوَّ مقام ابن ميمون لدى معارفه من العلماء: مدحه بعضهم، وأثنى عليه في شعر جميل. قال - بحقه - القاضي السعيد بن سناء الملك:

أرى طبَّ جالينوسَ للجسم وحده وطبَّ أبي عمران للعقل والجسم
فلو أنه طبَّ الزمان بعلمه لأبراه من داء الجهالة بالعلم

(١) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢/ ٥٦).

(٢) أبادير، د. فهم، «من تاريخ الطب عند العرب» (ص ٥٧).

(٣) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢/ ٥٦).

(٤) عرب، د. مرسي، «دراسات في الشؤون الطبية العربية» (ص ٦٥ - ٦٦).

(٥) الشطي، أحمد شوكت، «العرب والطب» (ص ٨٦).

ولو كان بدر التّم من بسطه لَتَمَّ لَهُ ما يدعيه من التّم
وداواة يوم التّم من كَلَفٍ به وأبرأه يوم السّرار من السّقم^(١)

تتلمذ ابن ميمون على ابن باجه، وابن رشد، وكان عمره آنذاك اثنتي عشرة سنة^(٢). وإذا يكون ابن ميمون معاصراً للطبيب أبي بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن زهر الملقب بـ: (الحفيد) المتوفى سنة (٥٩٥هـ / ١١٩٨م)، ومتأثراً بطبه وأدبه وشعره.

* تأليف ابن ميمون :

ترك ابن ميمون جملة من الكتب الطبية، هذه أهمها :

- ١ - إختصار الكتب الستة عشر لجالينوس .
- ٢ - مقالة في البواسير وعلاجها .
- ٣ - مقالة في تدبير الصحة، صنفها للملك الأفضل علي ابن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي يوسف بن أيوب .
- ٤ - مقالة في السموم .
- ٥ - كتاب شرح العقار .
- ٦ - كتاب كبير على مذهب اليهود^(٣) .

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٨٢).

(٢) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ٥٤).

(٣) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٨٢).

٧ - الرسالة الأفضلية، تبحث في الحالات النفسية المختلفة وأثرها في الصحة، وعلاجها برياضة النفس^(١).

٨ - فصول القرطبي، أو فصول موسى بن ميمون، وقد استخلص فيها من كتابات جالينوس.

٩ - المقالة الفاضلية، وسماها: السموم والتحرز من الأدوية القتالة، وقد أبرز فيها ابن ميمون الكثير من تجاربه الخاصة.

١٠ - رسالة في الربو.

١١ - رسالة في البواسير^(*).

إن أهم رسائله هي: «الرسالة الأفضلية»، التي بعث بها إلى الملك الأفضل علي ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب تلبية لأمره؛ لأنه كان كثير الأسقام، عصبي المزاج، منقبض النفس، وتبحث هذه الرسالة في الحالات النفسية على اختلافها؛ مثل: الغضب، والحزن، والفرح، وأثر ذلك في الصحة، وعلاجها بترويض النفس وتقويتها بممارسة مبادئ الأخلاق الفاضلة، والتمسك بالدين^(٢).

(١) عرب، د. مرسى، «دراسات في الشؤون الطبية العربية» (ص ٦٥ - ٦٦).

(*) أغلب الظن أن ابن ميمون كان قد اطلع على كتاب «السير في المداواة والتدبير» لأبي مروان عبد الملك بن زهر الذي وصف فيه مرض (البواسير) وعلاجه. انظر: (ص ٢٧٨) من الكتاب أعلاه، تحقيق: محمد بن عبدالله الروداني.

(٢) أبادي، د. فهم، من «تاريخ الطب عند العرب» (ص ٥٧).

١٢ - كتاب «تعليق على أقوال بقراط» .

١٣ - مقالة في الجماع .

١٤ - مقالة في بيان الأعراض .

١٥ - كتاب «دلالة الحائرين»، وقد حوى هذا الكتاب نظريات في تقريب الفلسفة اليونانية والعربية من التعاليم الدينية، فلم ترق لبعض الناس، لذا سموا هذا الكتاب بـ «ضلالة الحائرين»، وقد اشتهر ابن ميمون من محاولته التوفيق بين الاعتقاد والبرهان، وبين الدين والعلم، أكثر من اشتهاره بعلم الطب^(١). وقد تكون أكثر ممارساته بصناعة الطب تقليدية، لا أصالة لها، ويستند فيها على تأليف أبقرط، وجالينوس؛ حيث تجمعت لديه أكثر أفكارها الطبية في كتاب له عنوانه «أفروشيم موسى NMoses Aphorisme»؛ أي: فصول موسى، وهو نفس عنوان كتاب «الفصول لأبقرط Aphorisme»^(٢).

وعندما انقضت الدولة العلوية اشتمل على ابن ميمون القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البياني، ونظر إليه، وعين له رزقاً، وكان ابن ميمون قد شارك الأطباء، ومن عادته: أنه لا ينفرد برأيه؛ لقلّة مشاركته، ولم يكن وقفاً في المشاركة والتدبير، وغلب عليه النحلة الفلسفية،

(١) الشطي، د. أحمد شوكت، «العرب والطب» (ص ٨٦).

(٢) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ٥٦).

وصنف رسالة في المعاد الجسماني، وأنكر عليه مقدمو اليهود، فأخفاها، عدا من يرى رأيه، وقد كفره بعض يهود أنطاكية وطرابلس، ولعنوه. وله تصنيفات في الرياضيات، والطب^(١).

وكان موسى بن ميمون قد اتخذ الطب حرفة عملية منذ غرق أخ له في البحر الهندي، وأصبح «أوحد زمانه في صناعة الطب، وفي أعمالها»^(٢)، وطار صيته الطبي في مصر، وخدم في دار السلطان إلى أن أصبح الطبيب الخاص للملك الأفضل نور الدين أبي الحسن علي بن صلاح الدين الذي تسنم حكم مصر بعد وفاة أخيه الملك العزيز سنة (٥٩٥هـ / ١١٩٨م)^(٣). وقد تزوج موسى بأخت أبي المعالي اليهودي، وكان كاتباً عند أم الملك الأفضل، وتزوج أبو المعالي أخت موسى بن ميمون^(٤).

أما قيام الطبيب موسى بن ميمون بعمل الطبيب الخاص في قصر

(١) ابن العبري، أبو الفرج بن أهرون الملطي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)، «مختصر تاريخ الدول»، وقف على طبعه الأب أنطوان صالحاني اليسوعي، الطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٨٠م، (ص ٤١٧).

(٢) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٨٢).

(٣) ولفنستون، د. إسرائيل، «موسى بن ميمون، حياته ومصنفاته»، ط ١، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦م، (ص ٢٠).

(٤) القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي ابن القاضي الأشرف يوسف (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)، «أخبار العلماء بأخبار الحكماء»، ط ١، ١٣٢٦هـ، تصحيح محمد أمين الخانجي الكتبي، مطبعة السعادة، مصر، (ص ٣١٦).

الملك الأفضل علي بن صلاح الدين يوسف، وهو أكبر أولاد أبيه، فلم يشغله عن معالجات المرضى على اختلاف مللهم ونحلهم، ولم يعفه عن التدوين والتصنيف^(١).

وفي خطاب إلى تلميذه يوسف بن عقين يذكر موسى بن ميمون ما يأتي: «... وأعلمك أنه حصلت لي شهرة عظيمة في الطب عند الكبراء؛ مثل: قاضي القضاة، والأمراء، ودار الفضل، وغيره من رؤساء البلد، فمن لا يُنال منهم شيء... فكان هذا داعياً لقضاء الأيام في القاهرة لزيارة المرضى، حتى إذا ما انتهت كنت متعباً، وإن أمكنتني الفرصة، طالعت في كتب الطب ما أحتاج إليه، وأظنك تعلم صعوبة ذلك عند من له دين وتحقيق، ويريد أن لا يقول شيئاً إلا وهو يعلم له دليلاً، وأين قيل، ووجه القياس في ذلك، وكان ذلك داعياً أيضاً إلى أن لا أجد ساعة أنظر فيها شيئاً من أمور شرعية، ولا أقرأ إلا يوم السبت، وأما سائر العلوم، فليس لها وقت... وقد تأذيت كثيراً جداً من هذا الباب»^(٢).

* وفاة موسى بن ميمون:

توفي الطبيب موسى بن ميمون يوم الاثنين الثالث عشر من ديسمبر من سنة (٦٠١هـ / ١٢٠٤م)، وقد حملت جثته إلى طبرية في فلسطين،

(١) ولفنستون، د. إسرائيل، «موسى بن ميمون، حياته ومصنفاته»، ط ١، مطبعة

التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦م، (ص ٢٢).

(٢) ولفنستون، د. إسرائيل، «موسى بن ميمون، حياته ومصنفاته» (ص ٢٣ - ٢٤).

ووري الثرى هناك بين أرماس كبار بني إسرائيل^(١)، وإلى هذا اليوم له
مقام وتعظيم في المعبد الذي دفن فيه موسى^(٢).
ولقد أطلق أهل قرطبة - من باب الوفاء له - اسم موسى بن ميمون
على الشارع الذي ولد فيه هذا الطبيب الشهير؛ إجلالاً لذكراه، ورفعته
لاسم الأندلس التي أنجبته وأنشأته^(٣).



-
- (١) القفطي، جمال الدين أبو الحسن (ت: ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) «أخبار العلماء
بأخبار الحكماء»، ط ١، تصحيح: محمد أمين الخانجي، مصر، مطبعة
السعادة، ١٣٢٦هـ، (ص ٣١٩).
- (٢) ولفنستون، د. إسرائيل، «موسى بن ميمون، حياته ومصنفاته» (ص ٢٧).
- (٣) المرجع نفسه (ص ٢٧).

ج - الْأَطْبَاءُ الْأَنْدَلُسِيُّونَ الَّذِينَ تَلَمَّذُوا عَلَى ابْنِ زَهْرٍ

أولاً - المصدوم (ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢م) :

هو أبو الحسين بن أسدون، الملقب بـ: (المصدوم)، والمشهور به، وهو أحد تلاميذ أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر، وكان المصدوم متديناً، خيراً، مهتماً بصناعة الطب، وقد ذاعت شهرته بها، وكان أديباً شاعراً، ولادته ونشأته بمدينة إشبيلية؛ حيث كان مقيماً بها، وكان يحضر لدى المنصور (يعقوب) الموحيدي (٥٨٠ - ٥٩٥هـ / ١١٨٤ - ١١٩٨م)، وكان المنصور يطلب إحضاره وقت المداواة، توفي المصدوم سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م^(١)، ومن تلاميذه: عبد العزيز بن مسلمة^(٢).

ثانياً - الغزال (ت في أيام الناصر ٥٩٥ - ٦١٠هـ / ١١٩٨ - ١٢١٣م) :

هو أبو جعفر الغزال، من أهل (المَرِيَّة)^(*). أقدم إلى أبي بكر محمد

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٣٥).

(٢) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢/ ١٨٢) هامش ٨.

(*) مدينة أندلسية محدثة، أمر ببنائها الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد سنة =

ابن عبد الملك بن زهر (الحفيد)، ولازمه ملازمة حقيقية، ودرس عليه صناعة الطب، وعلى أطباء آخر حتى تمكن من إتقان الصناعة، وقدم خدمة طبية للمنصور، وكان واسع الخبرة بصناعة الأدوية المركبة، والتعرف على مفرداتها، وكان المنصور قد اعتمد عليه في تهيئة المعاجين والأدوية المركبة، وبأخذها منه دون تردد. وكان المنصور قد منع الخمر وأبطلها، وأكد على أن لا يأتي بشيء منه إلى الحضرة، أو يكون عند أحد. وبعد حين قال المنصور للطبيب أبي جعفر بن الغزال: «أريد أن تجمع حوائج الترياق الكبير وتركبه»، فامثل له، وجمع حوائجه، وأعوزه الخمر الذي يعجن به أدوية الترياق، وبلغ ذلك حضرة المنصور، فقال له: «تطلبه من كل ناحية، وانظر لعل يكون عند أحد منه ولو شيء يسير لتكمل الترياق»، فطلبه أبو جعفر من كل أحد، ولم يجد شيئاً منه. فقال المنصور: «والله! ما كان قصدي بتركيب الترياق في هذا الوقت إلا لأعتبر هل بقي من الخمر شيء عند أحد أم لا؟».

وتوفي أبو جعفر بن الغزال في أيام الناصر (٥٩٥ - ٦١٠هـ / ١١٩٨ - ١٢١٣م)^(١).

= (٣٤٤هـ / ٩٥٥م). الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم (جمعة سنة ٨٦٦هـ / ١٤٦١م) «صفة جزيرة الأندلس» منتخبة من كتاب «الروض المعطار في خبر الأقطار» (ص ١٨٣).

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٣٦).

ثالثاً- الشذوني (ت في دولة المستنصر ٦١٠ - ٦٢٠هـ / ١٢١٣ - ١٢٢٣م):

هو أبو محمد الشذوني(*)، ولد ونشأ بإشبيلية، وصف بشدة الفطنة، وحدة الذكاء، وكان ذا معرفة جيدة بعلم الهيئة، واشتغل بعلم الطب على الطبيب الشهير أبي مروان عبد الملك بن زهر، ولازمه مدة طويلة، وكان قد باشر أعمالها، واشتهر بالعلم والجودة في العلاج، وخدم الناصر خدمة طبية، توفي في إشبيلية في دولة المستنصر (٦١٠ - ٦٢٠هـ / ١٢١٣ - ١٢٢٣م)^(١).

رابعاً- أبو بكر ابن القاضي الزهري (ت في دولة المستنصر الموحيدي ٦١٠ - ٦٢٠هـ / ١٢١٣ - ١٢٢٣م):

هو أبو بكر ابن الفقيه القاضي أبي الحسن الزهري القرشي، قاضي إشبيلية، ولد ونشأ في إشبيلية، وصف بالجود والكرم، وحسن الخلق، وبشرف النفس، كان مشغلاً بالأدب، ومتميزاً بالعلوم، وكان أحد الفضلاء والبارعين في صناعة الطب، والمعتبرين في أعمالها، وقدم خدمة طبية جلية للسيد أبي علي بن عبد المؤمن صاحب إشبيلية، ومن فضائله. أنه كان يطبب الناس المحتاجين مجاناً، ويكتب النسخ لهم. كان في أول

(*) نسبة إلى «شذونه» بالأندلس، وهي كورة جليلة القدر، نزلها جند فلسطين من العرب. الحميري، «صفة جزيرة الأندلس» (ص ١٠٠).

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٣٥)، السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢/ ٦٢٣)، هامش ٣٣.

صباه يميل إلى لعبة الشطرنج، ويكثر اللعب به، ولكونه مجيداً في الشطرنج جداً صار يُنعت به.

قال أبو مروان الباجي: «سألت القاضي أبا بكر بن أبي الحسن الزهري عن سبب تعلمه صناعة الطب، فقال لي: إنني كنت كثير اللعب بالشطرنج، ولم يكد يوجد من يلعب مثلي به في إشبيلية إلا القليل، فكانوا يقولون: أبو بكر الزهري (الشطرنجي)، فكان إذا بلغني ذلك، أغتاض منه، ويصعب علي. فقلت في نفسي: لا بد أن أشتغل عن هذا بشيءٍ وغيره من العلم؛ لأنعت به، ويزول عني وصف الشطرنج، وعلمت أن الفقه وسائر الأدب - ولو اشتغلت به عمري كله -، لم يخصني منه وصف أنعت به، فعدلت إلى أبي مروان عبد الملك بن زهر، واشتغلت عليه بصناعة الطب، وزال عني ما كنت أكره الوصف به.

وعاش أبو بكر بن أبي الحسن عمراً طويلاً: خمساً وثمانين سنة، وتوفي في دولة المستنصر الموحدي (٦١٠ - ٦٢٠ هـ / ١٢١٣ - ١٢٢٣ م) (*)، ودفن بإشبيلية^(١).

(*) إن هذه الرواية تبدو ضعيفة، فإذا علمنا أن وفاة أبي مروان بن زهر سنة (٥٥٧ هـ / ١١٦١ م)، فكم يكون عمر أبي بكر القاضي الزهري عند وفاة ابن زهر؟ (الباحث).

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٣٥)، السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ٦٢٣)، هامش ٣٣.

خامساً - أبو الحجاج يوسف بن موراطير (ت في دولة المستنصر ٦١٠ - ٦٢٠هـ - ١٢١٣ - ١٢٢٣م):

هو من شرقي الأندلس، من «موراطير»: قرية بلنسية، كان فاضلاً في الطب، ذا خبرة به، مزاولاً لأعماله، طريقته مرضية، ورأيه مقبول، عالم بالأمور الشرعية، سمع الحديث، وقرأ المدونة(*)، وكان أديباً شاعراً، محباً للمجون، وكثير النوادر.

قال أبو مروان الباجي: كنا في تونس مع الناصر، وكان في المعسكر غلاء، وقلَّ وجود الشعير، فعمل أبو الحجاج بن موراطير موشحة في الناصر، وأتى بضمنه تغيير بيت للحفيد أبي بكر محمد بن عبد الملك بن زهر في موشحة له قال فيها:

ما العيد في حُلَّةٍ وطاقٍ وشمّ طيب وإنما العيد في التلاقي مع الحبيب
فعمل ابن موراطير:

ما العيد في حُلَّةٍ وطاقٍ من حرير وإنما العيد في التلاقي مع الشعير
فأطلق له الناصر عشرة أمداد شعير كان ثمنها حينذاك خمسين ديناراً. وكان أبو الحجاج بن موراطير يقدم خدمات طبية للمنصور أبي يوسف يعقوب الموحدي. وبعد وفاة المنصور صار في خدمة ولده

(*) المدونة: كتاب من أجل الكتب في الفروع المالكية، ألفه الإمام مالك بن أنس، رواه الإمام سحنون عن ابن القاسم العتقي (المتوفى سنة ١٩١هـ / ٨٠٦م).
فردينان توتل، «المنجد في الأدب والعلوم» (ص ٤٨٩).

الناصر أبي عبدالله محمد بن يعقوب، ثم بعد ذلك خدم ولده المستنصر ابن الناصر. وكان أبو الحجاج بن موراطير قد عاش عمراً طويلاً، وكان صاحب حظ لدى المنصور، مكيماً عنده، ذا منزلة رفيعة؛ إذ كان يدخل مجلس الخاصة من المشايخ للمذاكرة في علم العربية وغيرها، وتوفي بإصابته بمرض النقرس في مراكش في دولة المستنصر^(١).



(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٣٣)، السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢/ ٦٢٣)، هامش ٣٢.

الفصل الثالث أُسْرَةُ بَنِي زَهْرٍ الْأَنْدَلُسِيَّةِ

* تَعْرِيفُهَا :

«بنو زهر» كنية لأسرة عربية من العلماء المسلمين، نشأت في الأندلس منذ بداية القرن العاشر إلى أوائل القرن الثالث عشر^(١)، وقيل: ما بين القرنين (الخامس - السابع للهجرة، الحادي عشر - الثالث عشر للميلاد)^(٢)، وصفت بأنها أسرة أندلسية عظيمة، كني أفرادها جميعاً بـ: (ابن زهر)، ونبغ منهم عدد غير قليل. فبعضهم من تولى منصب الوزير، ومنهم من اشتغل بالطب، وأشهرهم: أبو مروان [عبد الملك] ابن أبي العلاء زهر المولود في إشبيلية^(٣). وبنو زهر عائلة إشبيلية تعد من نبلاء الأندلس العرب الذين عرفوا بالجاه والتقوى والطب^(٤)، والفلسفة،

(١) بروفنسال، ليفي وآخرون، «دائرة المعارف الإسلامية» (١ / ١٨٣).

(٢) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ١٧٧).

(٣) حسين، د. محمد كامل، «الموجز في تاريخ الطب» (ص ٢٦٤).

(٤) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ١٧٧).

ووليت الوزارة^(١). وقد تردد اسم (بني زهر) على مدى ثلاثة قرون، وهم الذين توارثوا العلوم الطبيعية، [والفلسفية، والأدبية] كابراً عن كابر، سواء كان ذلك في العدو الأندلسية، أو المغربية، اللتين كانتا - معاً - تابعتين لدولة المرابطين (٤٤٨ - ٥٤١ هـ / ١٠٥٦ - ١١٤٧ م)، والموحدين (٥٤١ - ٦٣٣ هـ / ١١٤٧ - ١٢٣٥ م)، وكان هذا الاسم مقروناً بالغذاء المعرفي الواسع الذي تتمتع به، والذي كان يتمتع به أفراد هذه الأسرة العربية الأصيلة^(٢) التي قدمت ستة أجيال متتالية من الأطباء والطبيبات المشهورين، ولقد برز (أبو العلاء بن زهر^(*)) في الطب، ثم تلاه ابنه (أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء)، الذي وصف بأنه أعظم طبيب سريري في الإسلام^(٣).

* أَصْلُ بَنِي زُهْر:

يعود نسبُ بني زهر الأندلسيين إلى قبيلة (إياد بن عدنان)، إحدى

(١) مجموعة من الدكاترة، «موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين» (١٠٢ / ٣).

(٢) التازي، عبد الهادي، «ابن زهر الحفيد»، الدرس الافتتاحي للسنة الأكاديمية ١٩٩٧ - ١٩٩٨ م، جامعة ابن زهر، أغادير، المغرب، (ص ٤).

(*) انفرد الطبيب أبو العلاء باسم (زهر)، وليس بكنية (ابن زهر). عبد الهادي التازي، «الدرس الافتتاحي لجامعة ابن زهر» (ص ٤). (الباحث).

(٣) عرب، د. مرسى، «دراسات في تاريخ الشؤون الطبية العربية» (ص ٦٦).

قبائل العرب العدنانية التي كان لها في - القرن الثالث للميلاد - شرف في أهل تهامة، وعزٌّ ومنعةٌ، كان ذلك قبل هجرتها إلى العراق، ونزولها بنواحي سواد الكوفة حيث استقرت زمناً، ثم انتشرت بعد ذلك على نهر الفرات إلى أن وصلت أرض الجزيرة؛ حيث حارب الإياديون الأعاجم، ودحروهم مرة، ولقوا على أيديهم القتل والنفي عدة مرات^(١).

يُدعى جد بني زهر الأعلى للفرع الأندلسي: (زهرأ)، ويلقبه ابن الأبار بـ: (الإيادي)؛ لأن نسبه مرتبط بإياد بن معد بن عدنان الذي يعد أحد أجداد الجنس العربي، وكان لزهر الإيادي ولد يسمى: (مروان)^(٢). وكان زهر حياً في (القرن الثالث للهجرة - التاسع للميلاد)، ومنه تفرع بنو زهر الأندلسيون، ومنهم هذه السلالة الطيبة الطيبة^(٣).

بالرغم من وضوح نسبة أسرة بني زهر إلى الجد الأعلى (زهر) أتت بعض المراجع بنسبتها إلى حفيده (مُحمَّد)، فقالت: عائلة إشبيلية من نسل الفقيه محمد بن مروان بن زهر الإيادي الإشبيلي^(٤)، ناسيةً أو

(١) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن محمد»، مجلة الدارة، العدد (٣) السنة (١٢)، ١٩٨٦م، (ص ١٤٥).

(٢) بروفنسال، ليفي وآخرون، «دائرة المعارف الإسلامية»، (١/ ١٨٣).

(٣) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن محمد»، مجلة الدارة، العدد (٣) السنة (١٢)، ١٩٨٦م، (ص ١٤٥).

(٤) مجموعة أساتذة، «موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين»، (٣/ ١٠٢).

متناسية الجد الأعلى (زُهرًا) الذي انتسبت إليه، وحملت اسمه. زعم بعض الباحثين أن أبا مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر، ووالد أبي بكر محمد (الحفيد) كان يهودياً! وكأنهم استكبروا على المسلمين أن يظهر فيهم أطباء عظماء أمثال هؤلاء العباقرة، فسلبوه جنسيته، وألبسوه جنسيه غريبة أخرى عنصرية بليدة وحاقدة^(١).

ورداً على هؤلاء الباحثين الذين لم يترددوا في تضمين كتبهم هذا الادعاء الذي لا أساس له من الصحة، انبرى باحث عربي أصيل، فتعمد الإتيان بترجمة أبي بكر محمد (الحفيد) بن أبي مروان عبد الملك بن زهر، رافعاً نسبه إلى معد بن عدنان. وقد كان الرقم الرابع في سلسلة بني زهر هو: محمد المكنى بأبي بكر، والملقب بالحفيد بن عبد الملك بن زهر بن الحاج عبد الملك بن محمد بن مروان بن عبد الملك بن خلف بن عبدالله بن زهر بن عيسى بن عبد الملك بن دعمي بن جرير بن مالك بن عبدالله بن عباد بن سلام بن مالك بن عبد هبل بن مالك بن لخم بن قنص ابن ميعة بن برجان بن الدوس بن الدليل بن أمية بن حذافة بن زهر بن إياد ابن معد بن عدنان الإيادي^(٢).

إن الجد الأعلى لأسرة (بني زهر) الأندلسية زهراً جاء إلى

(١) قطاية، سلمان، «مخطوطات الطب والصيدلة في المكتبة العامة بحلب»، ط ١

(١٣٩٦هـ / ١٩٩٦م) (ص ٣٦٠).

(٢) التازي، د. عبد الهادي، «ابن زهر الحفيد»، الدرس الافتتاحي للسنة الأكاديمية

١٩٩٧ - ١٩٩٨م، جامعة ابن زهر، (ص ٥).

الأندلس^(١) من الجزيرة العربية. مع الذين هاجروا من الإياديين مع من هاجر من إخوتهم العرب إلى الأندلس بعد الفتح، فحطوا أولاً في مدينة «شاطبة»^(*) شرقي الأندلس، وما لبث أحفادهم أن تفرقوا في أنحاء الأندلس، وانتقلوا إلى إشبيلية الحاضرة الزاهرة الواقعة إلى الجنوب الغربي للأندلس^(٢).

*** وصف موجز لمدينة إشبيلية (موطن بني زهر):**

إن معنى اسم (إشبيلية): المدينة المنبسطة، وهي مدينة أزلية؛ أي: موهلة في القدم في غرب الأندلس وجنوبه، قريبة من البحر المحيط، وهي على شرقي النهر الأعظم^(**) وجنوبه. وللمدينة هذه خمسة عشر باباً، وأهم كورها: كورة شريش، وكورة طريف، وكورة أوتنة. ويضاف إليها

(١) الزبيدي، طارق صالح، «التراث العلمي العربي الطبي»، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد ١٩٩١ م، (ص ٣٤٠).

(*) شاطبة: مدينة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة، كان يعمل فيها الكاغد الجيد في أيام العرب، ويُحمل منها إلى سائر بلاد الأندلس فردينان توفل، «المنجد في الأدب والعلوم» (ص ٢٨٢).

(٢) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن محمد»، مجلة الدارة، العدد (٣) السنة (١٢)، ١٩٨٦ م، (ص ١٤٥).

(**) هو في قدر دجلة، وهو أعظم نهر بالأندلس، يسميه الأندلسيون: (النهر الأعظم)، وهو يجري في ابتدائه من الشرق إلى الغرب، ويصب فيه عدة روافد. القلقشندي، «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» (٥/ ٢٣٤ - ٢٣٥).

من الممالك: «شلب»، وفي شلب قصر اسمه: «قصر الشراخيب»، وهو الذي قال فيه شاعرهم:

وَسَلَّمَ عَلَى قَصْرِ الشَّرَاخِيبِ عَنْ فَتَى
لَهُ أَبَدًا شَوْقٌ إِلَى ذَلِكَ الْقَصْرِ^(١)

إن مدينة إشبيلية مدينة جليلة، بينها وبين قرطبة مسيرة ثلاثة أيام (ثمانون ميلاً). يقول أهل المعرفة: إن أصل تسميتها: (أشبالي)، ومعنى (أشبالي): المدينة المنبسطة - كما ذكر -، فيها آثار كثيرة للأولين، وهي من أمصار الأندلس، وافرة المنافع والفوائد، يطل عليها جبل الشرف، وهو شريف البقعة، كريم التربة، دائم الخضرة، يوجد القطن بأرضها، فيعم بلاد الأندلس، ويتجهز به التجار إلى أفريقية، وسجلماسة وما والاها، ويقبلها بساتين تسمى: جنات المصلى، وفيها قصب السكر، وفي نهاية نهر إشبيلية من كلتي ضفتيه جزائر كثيرة يحيط بها الماء، كلؤها وافر، ونتاجها صالح، وألبانها دائمة^(٢).

كانت مدينة إشبيلية قاعدة من القواعد. اتخذت داراً للحكمة زمناً

(١) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، «صبح الأعشى في صناعة الإنشاء»، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، (٢٥٨ / ٥).

(٢) الحميري، «صفة جزيرة الأندلس»، منتخبة من كتاب «الروض العطار في خبر الأقطار» (ص ١٨).

طويلاً، وبانت بكل فضيلة، واختالت (تباهت) بكل مزية، قابلت آثار
مدينتها المشرفة، وأعالي مجادلها المونفة.

وبنيان مدينة إشبيلية مُشْمَخِرٌ ومُنَجِد، ومسجد جامعها رائع التشييد،
تندر رؤية مثيل له في دقة فن بنائه، أما صومعته، فمن أتقن الصوامع
وأروعها عملاً، وأحلاها صنعا^(١). أما ديانة أسرة بني زهر، فقد كانت
لهم كعبة خاصة بهم في سنداد في سواد الكوفة تدعى: (كعبة شداد)،
كانوا يعبدونها، واعتنقوا الديانة النصرانية، ثم الإسلام^(٢).

* فضل ومكانة بني زهر في الأندلس:

إن لهذه الأسرة مكانة عالية، وفضلاً عظيماً بين فضائل أهل الأندلس،
فهذا إسماعيل بن محمد الشقندي^(*) يثني عليها في رسالة له مخاطباً

(١) العذري أحمد بن عمر بن أنس المعروف بـ: (ابن الدلائي) «نصوص عن الأندلس
من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار»، تحقيق: د. عبد العزيز الأهواني،
مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥م، (ص ٩٥).

(٢) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن محمد»، مجلة الدارة،
العدد (٣) السنة (١٢)، ١٩٨٦م، (ص ١٤٥).

(*) نسبة إلى (شقندة): بلدة رومانية كانت واقعة تجاه قرطبة (الأندلس) على
الشاطئ الأيسر للوادي الكبير، عندما حدثت الواقعة الحاسمة بين المعديين
واليمينيين (١٣٠هـ / ٧٤٧م). فردينان توتل، «المنجد في الأدب والعلوم»
(ص ٢٩٠).

ابن الريب بقوله: «وهل لكم في الطب مثل ابن طفيل صاحب رسالة «حي ابن يقظان» المقدم في علم الفلسفة، ومثل بني زهر: أبي العلاء، ثم ابنه عبد الملك، ثم ابنه أبي بكر، ثلاثة على نسق؟»^(١).

وفي رفعة مكانة هذه [الأسرة] عند العرب قال الحسين بن فهم: «سمعت ابن النطاح يقول: أحمد بن أبي دؤاد من قبيلة يقال لهم: (بنو زهر)، إخوة قوم يعرفون بحذاق.

وذكر أبو تمام الطائي هذا في خطابه لابن أبي دؤاد، فقال:

فَالْغَيْثُ مِنْ زُهرٍ سَحَابَةٌ رَأْفَةٍ وَالرُّكْنُ مِنْ شَيْبَانٍ طَوْدٌ جَدِيدٌ

وقال أبو الهذيل: دخلت على أبي دؤاد، فوجدت ابن أبي حفصة

ينشده:

فَقُلْ لِلْفَاخِرِينَ عَلَى نِزَارٍ وَمِنْهَا خَنْدِفٌ وَبُنُو إِيَادٍ
رَسُولُ اللَّهِ وَالْخُلَفَاءُ مِنَّا وَمِنَّا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادٍ^(٢)

مما تقدم تتضح المكانة السامية لبني زهر في الأندلس، ويبدو أنها ما نالت هذا المقام الرفيع إلا من خلال كونها مميزة بين أطباء الأندلس؛

(١) ابن حزم، وابن سعيد الشقندي، «فضائل الأندلس وأهلها»، نشر وتقديم

د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط ١، ١٩٦٨م، (ص ٣٤).

(٢) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)، «تاريخ

بغداد»، تحقيق وطبع: كولر وغرامير، بيروت، بدون تاريخ، (٤ / ١٤٠).

لتوارث أبنائها صناعة الطب، ونبوغهم جميعاً فيه^(١).

ومن طريف ما قالوه في بعض بني زهر: أنه ذُكِرَ لأحدهم يدعى
أبا الطيب بن الجزار في بعض بني زهر، ويكنى: أبا زيد، ولم يذكر اسمه
أنه قال:

قُلْ لِلْوَبَا أَنْتَ وَأَبْنُ زُهْرٍ جَاوَزْتُمَا الْحَدَّ فِي النَّكَايَةِ
تَرْفَقَا فِي الْوَرَى قَلِيلًا فَوَاحِدٌ مِنْكُمَا كِفَايَةٌ

وظهر أن هذين البيتين لأبي بكر أحمد بن محمد الأبيض، الذي
توفي سنة أربع وأربعين وخمس مئة - رحمه الله تعالى^(٢) -.

يستنتج من خلال تاريخ وفاة الشاعر قائل البيتين أعلاه (أحمد بن
محمد الأبيض) أن ابن زهر المقصود هنا هو أبو مروان عبد الملك بن
زهر المتوفى سنة (٥٥٧هـ / ١١٦١م)؛ لأنه كان معاصراً له، ولأن ابن
زهر هذا كان أعظم أطباء عصره، وأغلب الظن أن الأبيض كان قد هجا ابن
زهر بدافع الحسد والبغضاء؛ نظراً للشهرة والمكانة الرفيعة التي نالها ابن
زهر، خاصة لدى خلفاء دولتي المرابطين والموحدين، وإلا، فما هي
المثلبة التي وجدها في هذا الرجل الذي قدم خدمةً جليلةً لكل جنسه في

(١) البدرى، عبد اللطيف، «الطب عند العرب» (ص ٨٥).

(٢) ابن خلكان، أبو العباس، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر
(ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، «وفيات الأعيان»، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة -
بيروت، ١٩٧١م، (٤/ ٤٣٦).

مجال الطب؟! أكدت مصادر ومراجع تاريخية عدة على نبوغ أسرة بني زهر في علوم شتى، رأسها علم الطب، فقالوا: «نبغ في التاريخ: ابن الأبار، وفي الجغرافية: ابن جبير، وفي الفلك: البطروجي [نور الدين] Allpetrogius، وفي الطب: بنو زهر»^(١)، «وأما العلاج الطبي في القرن الثالث عشر للميلاد، فأول ما يسترعي الانتباه فيه هو: نبوغ أسرة ابن زهر التي أنجبت سلسلة كاملة من مشاهير الأطباء»^(٢)، «وهذه الأسرة مميزة بين أطباء الأندلس؛ لتوارث أبنائها صناعة الطب، ولنبوغهم جميعاً فيها»^(٣)، وأخيراً قالوا: «في ميدان الطب نبغ أبو الصلت الداني، وابن باجه، ومعاونه سفيان الأندلسي، وفي ذلك الوقت بدأ نجم بني زهر: أبي مروان، وأبي العلاء يظهر»^(٤).

✽ شهرة أسرة بني زهر:

لم يعد في الأمر شك - بعد دراسة حياة هذه الأسرة - أنها قد نالت قصب السبق في علم الطب، وكان عميدها أبو مروان عبد الملك بن

(١) بالثيا، أنخل جثالث، «تاريخ الفكر الأندلسي»، ط١، القاهرة، ١٩٥٥م، (ص ٢٢).

(٢) كحالة، عمر رضا، «العلوم الحقة في القرون الوسطى»، مطبعة الترقى، دمشق (١٣٩٢ هـ ١٩٧٢م)، (ص ٨٥).

(٣) بالثيا، أنخل جثالث، «تاريخ الفكر الأندلسي» (ص ٢٢).

(٤) المرجع نفسه (ص ٤٧١).

محمد بن مروان بن زهر (المتوفى سنة ٤٧١هـ / ١٠٧٨م) أول طبيب(*) من سلسلة أبنائها، وذاع صيت هذه الأسرة في الأندلس بصناعة الطب والحكمة، والرئاسة، والتقرب إلى ملوك الأندلس والمغرب، وخدمة العلوم، مثلما اشتهرت عائلة بني بخت يشوع في بغداد^(١)؛ فهم كانوا في الأندلس بمثابة أبناء بخت يشوع وحنين، وماسويه في المشرق العربي الإسلامي، وأشهرهم: أبو مروان عبد الملك^(**) بن محمد بن مروان بن

(*) ذكر في كتاب «العلوم عند العرب» (ص ٢٠) لقدرى حافظ طوقان: أن أبا بكر محمد بن مروان بن زهر (المتوفى سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م) والد عبد الملك بن محمد، كان جمع بين الطب والجراحة، وامتنع في كثير من الحالات عن إتمام عملية الشق على الحصاة، فكان (طوقان) منفرداً بهذه الرواية، وكان ينقصه ذكر السند الذي أخذها منه، فإن صحت روايته هذه، يكون أول أطباء أسرة بني زهر هو: محمد بن مروان بن زهر (المتوفى سنة ٤٢٢هـ)، وليس ابنه المذكور (المتوفى سنة ٤٧١هـ). (الباحث).

(١) المعلوف، عيسى إسكندر، «الأسر العربية المشتهرة بالطب» (ص ٢١).

(**) الصواب: أن أبا مروان عبد الملك بن محمد لم يكن أشهرهم، وإنما هو أولهم - على حد ما ذكره أغلب المراجع - خلا (قدرى حافظ طوقان) - مار الذكر - هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن القول:

إن مصنف كتاب «التيسير» هو أبو مروان عبد الملك بن محمد (المتوفى سنة ٤٧١هـ / ١٠٧٨م) غير صحيح، والراجع أن المقصود هنا هو أبو مروان عبد الملك بن محمد، بدون ذكر كتاب «التيسير»؛ لأن المؤلف هو حفيده أبو مروان عبد الملك بن زهر (المتوفى سنة ٥٥٧هـ).

زهر الإيادي الإشييلي الذي أخذ الطب عن أبيه وجده^(*)، وتحدى جالينوس، غير أنه كثيراً ما عَقِبَ عليه، وردَّ على ما بدا له من مظان الشبهات فيه، اشتهر بالحدق والتحقيق والتدقيق، وكان ذا منزلة رفيعة، والظاهر أنه لم يطبب كسائر أطباء زمانه، بَيِّدَ أنه كان يُستشار في الأمور المهمة^(١).

إن البعض من الأطباء - ومنهم أبناء أسرة زهر - نالوا شهرة كشهرة الخلفاء والملوك، ونال بعضهم شهرةً واسعة في أوربا، والمشهورون منهم يوجدون في كل بلاط، مثال ذلك: أسرة بخت يشوع في بلاط العباسيين في العراق، وفي بلاط الأمويين بالأندلس بنو زهر^(**) الذين اشتهروا لدى الأوربيين باسم Avenzoar، كما كونوا طائفة لها رئيس في بلاط الفاطميين بمصر^(٢).

وفي مسألة تحديد من هو الأشهرُّ من سلسلة أطباء أسرة بني زهر جاءت أقوال بعض المؤرخين - قدامى ومحدثين - ضبابية لا يُبَصِّرُ من

(*) إذا كان أبوه محمد طيباً، فإن جده مروان لم يذكر عنه أنه كان طبيباً. (الباحث).

(١) ابن بطلان، «دعوة الأطباء» (ص ١٤٤).

(**) إن أول طبيب في أسرة بني زهر توفي سنة ٤٧١هـ، وكان سقوط دولة بني أمية في الأندلس سنة ٤٢٢هـ، من هنا يُفهم أن ظهور أسرة بني زهر كان بعد سقوط دولة بني أمية في الأندلس. (الباحث).

(٢) ماجد، د. عبد المنعم، «تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى»، ط ٣، القاهرة ١٩٧٣م، (ص ٢٤٦).

خلالها المقصود، ذلك لأن كل طيب من سلسلة أطباء بني زهر كان
يكنى بـ: (ابن زهر)^(١)، من أمثلة ذلك :

قال ابن خلدون: «وكان في الإسلام في هذه الصناعة [الطب] أئمة
جاؤوا من وراء الغاية؛ مثل: الرازي، والمجوسي، وابن سينا، ومن أهل
الأندلس كثير، وأشهرهم ابن زهر»^(٢).

وذكر خودا بخش المؤرخ الهندي قائلاً: «نال الأندلسيون العرب
تقدماً ملحوظاً في الطب، وسأذكر لكم أسماء: يحيى بن إسحاق،
والكتاني، والزهرراوي، وابن زهر»^(٣).

ومن المحدثين - هذا ما قاله (طارق إبراهيم حمدي) -: «وفي
إشبيلية؛ حيث كان أبو القاسم المراكشي، وابن زهر أخوين لمن سبقهما
في بغداد وغيرها؛ أمثال: ابن سينا، والرازي، وابن رشد، وابن الهيثم،
وابن النفيس مكتشف الدورة الدموية». فأَيُّ ابن زهر يقصد هؤلاء
المؤرخون؟ فلو عبّر أيُّ منهم بالأسلوب الذي انتهجه (سير توماس
أرنولد) يُعرّف المقصود بسهولة؛ حيث قال: «من العجيب أننا نجد
في هذه الفترة من حكم البربر بإسبانيا من (٤٤٨هـ / ١٠٥٦م - ٦٦٨هـ /

(١) حسين، محمد كامل، «الموجز في تاريخ الطب» (ص ٢٦٤).

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)، المقدمة مطبعة مصطفى
محمد، مصر، (ص ٤٩٣).

(٣) «الحضارة الإسلامية»، تحقيق: د. علي حسني الخربوطلي، دار إحياء الكتب
العربية، (ص ١٨٢).

١٢٦٩م) على وجه التقريب أسماء عظيمة تسطع في سماء الثقافة الإسبانية المسلمة؛ كالبكري، والإدريسي، الجغرافيين، وابن زهر الجراحي الذي عاش في عصر المرابطين، ونبغ في عصر الدولة التي أعقبتها الفلاسفة: ابن باجه، وابن رشد، وابن الطفيل، وابن العربي المرسى الصوفي، واليهودي ابن ميمون الحكيم، وابن جبير السائح^(١)، فهنا يعرف المقصود من بني زهر من خلال قوله: (الجراحي)؛ إذ المشهور من سلسلة أطباء بني زهر بالجراحة هو الطبيب أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر (المتوفى سنة ٥٥٧هـ / ١١٦١م)، وصاحب كتاب «التيسير في المداواة والتدبير».

ولما أشارت طائفة من المؤرخين إلى اسم الطبيب الأكثر شهرة من أطباء بني زهر، اختلفت في هذه المسألة: فمنهم من عدّ أبا بكر محمد بن عبد الملك بن زهر (الحفيد) هو الأكثر شهرة^(٢)، وأرفع هذه الأسرة مقاماً، وترجع مكانته إلى تقدمه وتفوقه في الأدب، لا لمقدرته الطبية، وإليه تنسب الكثير من الأشعار الجميلة، ومنها موشحات زاخرة بالعواطف الرقيقة^(٣).

(١) «تراث الإسلام» (ص ٢٨).

(٢) الشطي، أحمد شوكت، «العرب والطب»، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٠م، (ص ٨٣)، الشطي، «مختصر تاريخ الطب» (ص ١٧٥)، أحمد أمين، «ظهر الإسلام» (٣/ ٢٤٢)، د. محمد مجيد السعيد، «ابن زهر الحفيد»، مجلة المورد، ٩٠ (٢)، ١٩٩٠م، (ص ١١).

(٣) الشطي، د. شوكت، «مختصر في تاريخ الطب وطبقات الأطباء عند العرب»، =

ومثلما اختلف المؤرخون فيمن هو الأشهر من أطباء أسرة زهر اختلفوا كذلك فيمن هو الأول من حلقات السلسلة الطبية مدار هذا البحث.

قال أحمد أمين: «من أشهر فلاسفة الأندلس: بنو زهر، وهم سلسلة من العلماء والأطباء، ظهوروا في الأندلس سنة في نسق، أولهم - وهو الجد الأعلى(*) - أبو بكر محمد بن مروان بن زهر، وقد اشتهر بالفقه والأدب (ت ٤٢٢هـ / ١٠٣٢٠م)، فهذه الأسرة - كما ترى - أسرة برزت في الطب، واشتهرت بالفلسفة، ولكن - مع الأسف - لم نعرف الكثير عن فلسفتهم»^(١).

وممن يوافق (أمين) في الاعتقاد بأن أبا بكر محمد بن مروان بن زهر هو أول أطباء بني زهر ما أورده (قدري حافظ طوقان) من أن أبا بكر محمد بن مروان بن زهر (ت ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م) كان قد جمع بين الطب والجراحة. بناء على هذا يكون أبو بكر محمد بن مروان بن زهر الإيادي الإشبيلي هو أول طبيب في سلسلة أطباء بني زهر المكونة من ست

= مطبعة جامعة دمشق، (١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م)، (ص ١٣٥).

(*) إن الجد الأعلى لهذه الأسرة هو (زهر) الذي حملت اسمه، والذي كان حياً في القرن الثالث للهجرة. د. فاضل السباعي، «مجلة الدارة»، العدد (٣) السنة (١٢)، ١٩٨٦م، (ص ١٤٥).

(١) «ظهر الإسلام» (٣ / ٢٤١).

حلقات؛ حيث جاء الخبر أن أسرة ابن زهر كانت قد أنجبت خلال ستة أجيال متتابعة عدداً من الأطباء والطبيبات المشهورين^(١)، لكن أغلب المراجع المتيسرة أغفلت ذكر أبي بكر محمد بن مروان بن زهر كأول طبيب لبني زهر، وأجمعت على أن ابنه أبا مروان عبد الملك (ت ٤٧١هـ / ١٠٧٨م) هو أول طبيب في السلسلة، كما ورد في بعض المراجع، فمنها من قال: «لعل أسرة بني زهر من الأسر التي استأثرت بشهرة كبيرة في الأندلس في ميدان الطب، وهم مع التسلسل:

١ - أبو مروان عبد الملك بن زهر (ت ٤٧١هـ) (*).

٢ - ابنه أبو العلاء بن أبي مروان زهر^(**) (ت ٥٢٥هـ / ١١٣١م).

٣ - ابنه أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء (المتوفى سنة ٥٥٧هـ / ١١٦١م).

٤ - ابنه أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك (الحفيد) (المتوفى سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٩م).

٥ - ابنه عبدالله بن الحفيد (المتوفى سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م)، «وبهذا

(١) «ظهر الإسلام» (٣/ ٢٤١).

(*) إن سنة وفاة أبي مروان عبد الملك بن محمد هي (٤٧١هـ / ١٠٧٨م)، وليس ٥٢٥هـ. د. كمال السامرائي، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢/ ١٧٨).

(**) إن أبا مروان هذا لم يلقب بـ: (زهر)، وإنما الذي لقب بهذا اللقب هو أبو العلاء فقط. ينظر: (هامش) (*) ص ١٣٠.

يكون الكاتب قد أغفل واحداً من الأطباء الستة، وهو أبو بكر محمد بن مروان^(١) بن زهر الإيادي، وطابقه مؤرخ آخر بالقول: «وممن اشتهر من الأطباء الأندلسيين عائلة بني زهر من أعيان إشبيلية الذين توارثوا علم الطب جيلاً بعد جيل، وأولهم: أبو مروان عبد الملك [بن محمد ت ٤٧١هـ / ١٠٧٨م]، ثم ابنه أبو العلاء [ت ٥٢٥هـ]، وحفيده أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء [ت ٥٥٧هـ]، والحفيد الآخر أبو بكر [ت ٥٩٥هـ]، وأبو محمد بن الحفيد»^(٢) [ت ٦٠٢هـ].

في ختام الحديث عن شهرة أسرة بني زهر الأندلسية يمكن إعطاء خلاصة لما تم ذكره في شأنها بأنها: أسرة شهيرة من أسر الأندلس البارعة في علم الطب، والأدب، والشعر، والسياسة، هاجر جدها الأعلى (زهر) من الجزيرة العربية إلى الأندلس، واستقر أبناؤه في البدء في جفن شاطبة من جنوب شرق الأندلس، وبعد لأي تفرق أحفاده في عدة مدن، وتوالى نوابغهم في أرفع مواقع ومراتب الطب والفقه والشعر والأدب، ونالوا مناصب إدارية، واستوزروا من القرن العاشر للميلاد إلى مطلع

(١) الشكعة، مصطفى، «مواقف المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية»، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج، بدون تاريخ، (٣ / ٣٣٦).

(٢) الدوري، تقي الدين عارف، «تاريخ العرب المسلمين وحضارتهم في الأندلس» (ص ٣١٢).

القرن الثالث عشر^(١).

أما شهرتها بالفلسفة، فإنها قد اشتهرت في الطب والفلسفة، لكن - للأسف - لم يُعرف الكثير^(*) عن فلسفتهم، ويُظنُّ أن السبب يعزى إلى ندرة علم الفلسفة في الأندلس، ويعزز هذا الظن قول ابن طفيل - وهو يصف حال الفلسفة في بلده - : «إن هذا العلم - الفلسفة - أندر من الكبريت الأحمر، ولا سيما في هذا الصقع - يعني: صقع الأندلس - الذي نحن فيه؛ لأنه - أي هذا العلم - من الغرابة في حد لا يظفر اليسير منه إلا الفرد بعد الفرد، ومن ظفر بشيء، منه لم يكلم الناس إلا رمزاً؛ فان الملة الحنيفية، والشريعة المحمدية قد منعت من الخوض فيه وحذرت منه، ولا تظنن أن أحداً من أهل الأندلس كتب شيئاً فيه كفاية»^(٢)، لذا - على ما يبدو - اتجهت أسرة زهر إلى الاشتغال بعلم الطب، والفقه، والشعر، والأدب، فازدهر الطب في الأندلس والمغرب بسبب هذه الأسرة التي كانت تحيي النازلة الطيبة في البيت بحضور الجد والأب والحفيد، وقد يكون أيضاً بحضور الستات وبنات الستات، هكذا كان حال ابن زهر الحفيد الذي كان جده أبو العلاء زهر يجد فيه متعة زائدة^(٣).

(١) البستاني، فؤاد أفرام، «دائرة المعارف» (ص ١٤٢).

(*) الحق أن المصادر والمراجع المعتمدة في هذا البحث لم تذكر كثيراً ولا قليلاً من فلسفة بني زهر. (الباحث).

(٢) أمين، أحمد، «ظهر الإسلام» (٣ / ٢٣٥).

(٣) التازي، عبد الهادي، «الدرس الافتتاحي لجامعة ابن زهر»، أغادير، (ص ٦).

* أثر الظروف السياسية على أسرة زهر :

في حين تدهور الوضع السياسي في الأندلس ، وتمزقت البلاد ، نهضت المغرب بزعامة المرابطي يوسف بن تاشفين ، فاستنجد به الأندلسيون طالبين عونهم ، فعبرت جيوشه المرابطية مضيق جبل طارق ، فكانت وحدة الجيشين المرابطي والأندلسي ، ووقعت معركة الزلاقة سنة (٤٧٩هـ / ١٠٨٦م) ، وكان النصر للعرب المسلمين ، وتوحد الأندلس والمغرب بدولة واحدة بزعامة ابن تاشفين (٤٦٣ - ٥٠٠هـ / ١٠٧٠ - ١١٠٦م) الذي أسقط ملوك الطوائف جميعاً ، وأصبحت الأندلس تابعة للمغرب ، خاضعة للحكومة المراكشية ، بعد أن كان المغرب ولاية أندلسية ، خاضعة للحكومة القرطبية^(١) .

والجدير بالملاحظة أنه برغم اضطراب عهد الطوائف ، وغزوات الإسبان المتتالية ، والثورات والقتال الداخلي ، وغياب الاستقرار السياسي . . . برغم كل ذلك كانت الأندلس بيئة مناسبة لنمو الكثير من الشعراء والعلماء والفلاسفة أيام دول : الطوائف ، والمرابطين ، والموحدين ، برز منهم : ابن زيدون ، وابن عمار ، وابن قزمان ، وابن باجة ، وابن البكري ، وابن حزم ، وابن حيان ، وابن طفيل ، وابن رشد ، و(بنو زهر) ، وهم ستة أطباء تعاقبوا في ستة أجيال^(٢) كانوا قد تأثروا وأثروا في الظروف السياسية

(١) السباعي ، فاضل ، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن زهر من خلال كتابه (التيسير)» ، مجلة الدارة ، العدد (٢) ، ١٩٨٥م ، (ص ٩٩ - ١٠٠) .

(٢) المصدر نفسه .

التي واكبت حياتهم وجهودهم العلمية، خصوصاً في علم الطب، وفيما يلي عرضاً سريعاً جداً لموقف كل منهم من الظرف السياسي الذي عاشه، وتأثيره به:

أولاً - أبو بكر محمد بن مروان (ت ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م):

أشارت المراجع إلى أن أبا بكر هذا كان قد عاش عمراً طويلاً (٣٣٦ - ٤٢٢هـ / ٩٤٧ - ١٠٣٠م)، ولقي في أيامه الأخيرة متاعب من قبل بني عباد الذين قفزوا على كرسي السلطة في إشبيلية على إثر زوال دولة الخلافة الأموية في الأندلس (سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م)، وتمزق أقطار الأندلس. فلقد عمد أول ملوك إشبيلية العباديين أبو القاسم محمد بن عباد، بعد أن تسلم العرش بعد أبيه القاضي (إسماعيل بن عباد) سنة (٤١٤هـ / ١٠٢٣م) إلى إقصاء شريكه^(٥) الأب في إدارة شؤون المدينة، وشدد قبضته على خصومه. وفي هذا الصدد وردت إشارة في بعض المصادر التاريخية إلى أن الفقيه محمداً قد ضاقت الدولة العبادية عن مكانه فيها، فأخرج من بلده، واستصفيت أمواله^(٦).

ثانياً - أبو مروان عبد الملك بن محمد (ت ٤٧١هـ / ١٠٧٨م):

كان من مشاهير الأطباء، مارس صناعة الطب في القيروان، وبعدها

(*) لم يشر المؤلف إلى شريك أبيه عباد في إدارة شؤون المدينة. (الباحث).

(١) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن محمد»، مجلة الدارة،

العدد (٣)، السنة (١٢)، ١٩٨٦م، (ص ١٤٦).

في القاهرة، وحينما عاد أدراجه إلى الأندلس، نزل في «دانية»، واستقر فيها، فلقى أميرها (مجاهداً)، فغمره مجاهدٌ بفضله، وضمه إلى بلاطه، فطارت سمعته، وحلقت في سماوات جميع أنحاء الأندلس، وقيل: إنه لم يكن طبيباً حاذقاً وبارعاً فحسب، وإنما كان فقيهاً غزير العلم كذلك. وقيل: إنه غادر دانية إلى إشبيلية، وهناك انتهت حياته تاركاً ثروة كبيرة، ويقال أيضاً: إنه توفي في دانية، ولم يفارقها قط^(١).

ثالثاً - أبو العلاء زهر (ت ٥٢٥هـ / ١١٣٠م):

كان الطبيب أبو العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد مقيماً بشرق الأندلس، واستقر هناك إلى أن انضم إلى رهط أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فلقيه المعتمد بن عباد، فاستماله إليه واستهواه، وأوشك أن يغلب على هواه، وصرف عليه أملاكه، فحن إلى وطنه، ونزع إلى مقر سلفه، لكنه لم يستقر في إشبيلية إلا عقب خلع المعتمد، وحل عند يوسف بن تاشفين محلاً لم يحله الماء من طالبه من العطاشى، ولا الروح من بدن الجبان^(٢)، ومنحه يوسف شرف الوزارة^(٣).

وحينما نُكِبَ المعتمد بن عباد سنة (٤٨٤هـ / ١٠٩١م) تلك النكبة

(١) بروفنسال وآخرون، «دائرة المعارف الإسلامية» (١/ ١٨٣).

(٢) المقرئ، «نفح الطيب» (٤/ ٤٠٠).

(٣) ابن قنفذ، ابن الخطيب (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م)، «الوفيات»، تحقيق: عادل نويهض، نشر المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٧١م، (ص ٢٧٥).

المؤلفة بيوسف بن تاشفين، ونفي عن ملكه إلى مراکش مخلوعاً مقيداً بسلاسل الحديد مع زوجته وبناته. حيثُذ سنحت الفرصة لأبي العلاء لإظهار الوفاء، لكنه انضم إلى يوسف بن تاشفين الذي منحه شرف الوزارة^(١). ولذلك جرت العادة أن يُسبق اسمه في الترجمات اللاتينية في العصور الوسطى بالصيغة الإسبانية «الجوازير»^(٢) Alguazir. ويذكر أن أبا العلاء زهراً كان أول طبيب أندلسي جاء من الأندلس إلى المغرب بعد استيلاء المرابطين على مقاليد الأمور في الأندلس، وكان تلقى علومه في قرطبة، ومنها: علوم الحديث والأدب، وزاويل صنعة الطب في إشبيلية حيث كان في خدمة (المعتمد بن عباد)، والمعتمد هو الذي استدعاه لمعالجة مرض (الرميكية)^{(٣)(*)} حينما كان أسيراً بأغلمات^(**)، وحال وصوله المغرب الأقصى، استوزره الأمير يوسف بن تاشفين،

(١) الدجيلي، عبد الصاحب عمران، «أعلام العرب»، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٦م، (١/ ٢٦٤).

(٢) بروفنسال وآخرون، «دائرة المعارف الإسلامية» (١/ ١٨٣).

(*) هي اعتماد الرميكية، زوجة المعتمد بن عباد. المقري، «نفح» (١/ ٤٢٢)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي.

(٣) بنعبداالله، عبد العزيز، «أسرة بني زهر»، كتاب «التيسير» لأبي مروان عبد الملك بن زهر، (ص ٢٦).

(**) في المغرب جنوب مراکش مياه غزيرة وبساتين، فيها قبور أولياء المسلمين، كانت قديماً قاعدة البلاد قبل تأسيس مراکش، ومن أعمال مملكة بني إدريس فردينان توتل، «المنجد في الأدب والعلوم»، بيروت، ١٩٥٦م، (ص ٢٦).

وخصه طبيباً له^(١).

رابعاً - أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء (ت ٥٥٧هـ / ١١٦١م):



وكان هذا الطبيب كوالده في خدمة المرابطين أول الأمر، وبعد زوال حكمهم التحق بخدمة الموحدين^(٢)، فاختص عبد المؤمن أمير المؤمنين ابن زهر عبد الملك ابن أبي العلاء طبيباً لنفسه، وجعل اعتماده عليه في الطب، وأناطه من الإنعام والعطاء فوق ما كان يتمنى،

وكان مكيناً عنده، عالي القدر، وألف ابن زهر لعبد المؤمن كتاب «الترياق السبعيني». ولم تكن خدمة ابن زهر للموحدين في مجال الطب فحسب، وإنما استوزر في بلاط عبد المؤمن مؤسس دولة الموحدين^(٣).

ولقد تنقل ابن زهر في أصقاع شمال أفريقية، ولأسباب ما فتئت تقبع خلف ستار الغيب تجاوز علي بن يوسف أمير مراكش حدود المعقول في تحقير ابن زهر، ثم سجنه في نهاية الأمر، وقد أشار ابن زهر في مصنفاته إلى ذلك في شيء من الألم والمرارة، وبعد وفاة علي بن يوسف بن تاشفين، وأزال الموحدون ملك المرابطين، كان انحيازه إلى عبد المؤمن دون ندم على ما فعل، ونال الجوائز الغالية الثمن، ومنح لقب الوزارة مثل أبيه قبله^(٤).

(١) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (١٧٨ / ٢).

(٢) بروفنسال، ليفي وآخرون، «دائرة المعارف الإسلامية» (١٨٤ / ١).

(٣) الشطي، شوكت، «مختصر تاريخ الطب» (ص ١٧٥).

(٤) بروفنسال، ليفي وآخرون، «دائرة المعارف الإسلامية» (١٨٤ / ١).

خامساً - أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر (الحفيد) (ت ٥٩٥هـ / ١١٩٨م):

مثلما اتصل أبوه بأمراء المرابطين اتصل بهم الطبيب الشاعر الأديب أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن زهر (ت ٥٩٥هـ / ١١٩٨م)، فقدم لهم خدمة طبية في آخر أيامهم، ثم اتصل بالموحدين، على الأخص بأبي يوسف يعقوب المنصور بن يوسف الموحيدي (٥٨٠ - ٥٩٦هـ / ١١٨٤ - ١١٩٩م)؛ حيث استدعاه إلى بلاطه في مراكش، واتخذة طبيبه الخاص، وخلع عليه، واجزل له العطاء والهبات، ومنحه لقب الوزارة. وكان مع ابن زهر بنت أخت له، كانت تزاوّل صناعة الطب، فبرعت في فن التوليد وأمراض النساء، بيد أن عطايا الملك للطبيب، وإقباله عليه، إضافة لما أنعم الله عليه به من الجاه والعريض، والحسب الرفيع، وسعة العيش، الأمر الذي أجج حسدَ الوزير أبي زيد عبد الرحمن بن يوجان، فما فتى يعمل له حتى دس له السم (*) ولبنت أخته، فتوفيا سنة (٥٩٥هـ / ١١٩٨م).

وكان المرحوم ابن زهر في أعلى شيخوخته، فحزن الملك عليه

(*) هذه الرواية بحاجة الى تأمل وتمحيص؛ إذ كان الطبيب المسموم مكيناً عند الملك، واتهم الوزير ابن يوجان بدس السم القاتل، وسجل المؤرخون هذه التهمة، فأين موقف الملك من المتهم بالقتل الوزير ابن يوجان؟! . فأغلب الظن أن الحكاية أثّرت ودونت دون علم الملك بها، وإلا، لكان للملك موقف مناسب. (الباحث).

أشد الحزن، وورثاه، وواري جثمانه الثرى في حديقة الأمراء، ودفن في مقابر الشيخ، وقد قارب التسعين، وخلف أبو بكر ابناً وابنةً شأن أبيه قبله^(١).

سادساً - أبو محمد عبدالله بن الحفيد (ت ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م):

كان طبيباً حاذقاً، تعلم الطب في مدرسة أبيه، ولقد ألحقه الخليفتان الموحدان: المنصور، ثم الناصر ببلاطهما، وغمره بفضلهما^(٢). كان هذا برفقة أبيه الذي كان طبيباً للمنصور وابنه الناصر، وقد بقي معزراً في مركزه حتى توفي مسموماً هو الآخر سنة (٦٠٢هـ / ١٢٠٥م) برباط الفتح^(*) في طريقه إلى مراکش، وهو في شرح شبابه غير مستوفٍ السنة الخامسة والعشرين من العمر، فنقل جثمانه إلى مدينة إشبيلية، ودفن في مقبرة أجداده خارج باب النصر^(٣).

وفي علم الطب ذاع صيت امرأة من أسرة بني زهر أيضاً هي أختُ

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٢)، البستاني، فؤاد أفرام، «دائرة المعارف» (٣/ ١٤٤).

(٢) بروفنسال، ليفي وآخرون، «دائرة المعارف الإسلامية» (١/ ١٨٥).

(*) رباط الفتح أو الرباط: ميناء على الأطلسي، وعاصمة المغرب، مدينة قديمة يرتقي تاريخ تأسيسها الأول إلى الفينيقيين الذين أقاموا فيها الشلة متجراً عامراً، وخلفهم الرومان، فجعلوا الشلة مدة العصور الطويلة حصناً حصيناً، ومركزاً ثقافياً، وحولها بنو مرين في القرن ١٣ و١٤ مدفناً ملوكياً بعد أن أسس الرباط الحالية عبدُ المؤمن السلطان الموحدي (القرن ١٢)، وعززها حفيده يعقوب المنصور. «المنجد» (ص ٢١٢).

(٣) البستاني، فؤاد أفرام، «دائرة المعارف» (١/ ١٤٥).

الحفيد أبي بكر محمد بن عبد الملك، وابنتها اللتان كانتا عالمتين بالطب والتداوي، ولهما ممارسة واسعة فيما يخص مداواة النساء، وكانتا تدخلان إلى نساء المنصور الموحد، ولا يقبل لمداواة أهله عداهما^(١).

* الجَد الأعلى لأسرة بني زهر: محمد بن مروان بن زهر الإيادي (ت ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م):

هو محمد بن مروان بن زهر الإيادي^(٢)، من أهل إشبيلية، يكنى: أبا بكر^(٣)، وهو ابن زهر الإشبيلي^(٤)، المحدث، والد شيخ الطب أبي مروان عبد الملك، وجد الأطباء: أبي العلاء زهر بن عبد الملك، وجد جد العلامة أبي بكر محمد بن عبد الملك الذي بقي إلى سنة خمس وتسعين وخمس مئة^(٥). وهو - على ما يقول ابن الأبار - جد(*) الفرع

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٤).

(٢) عياض، القاضي، (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م)، «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك»، تحقيق: د. أحمد بكير محمود، بيروت، (٧٤٧ / ٤) ب. ت.

(٣) ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م)، «الصلة»، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م، (ق ١ / ج ٨ / ٥١٤).

(٤) الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م)، «بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس»، ط مدينة مجريط بمطبع (روخس) ١٨٨٤م، (ص ١٢٠).

(٥) الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (١٧ / ٤٢٢).

(*) هو جد من تلاه من أسرة زهر، أما جد الأسرة الأعلى، فهو (زهر) الذي هو =

الأندلسي للأسرة^(١).

والشيخ محمد بن مروان هو أول من رفع اسم أسرة بني زهر^(٢)، وأول من كان له شأن خطير وهام بين معاصريه من العلماء وحملة الفكر العربي الإسلامي، فقد كان فقيهاً، واشتهر بالعلم والتقوى، والفصاحة والكرم^(٣).

والظاهر أن مسألة من هو الذي يمثل الحلقة الأولى في سلسلة أطباء بني زهر قد اختلف فيها البعض من المؤرخين، قال عبد العزيز بن عبد الله: «شُخِّصَت الحلقة الأولى من السلسلة في محمد بن مروان بن زهر الذي توفي عام (٤٢٢هـ / ١٠٣٠م)، والواقع أن أول حلقة في هذه السلسلة قد تمثلت في أبي العلاء بن زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان (ت عام ٥٢٥هـ / ١١٣١م)»^(٤) متعللاً بقوله: «فهو أول طبيب أندلسي ورد على المغرب بعد استيلاء المرابطين على الأندلس، وقد درس في قرطبة أيضاً

= جده وجد الأسرة كافة، وذلك لأن الأسرة كانت قد حملت اسمه، لا اسم حفيده محمد بن مروان بن زهر. (الباحث).

- (١) البستاني، فؤاد أفرام، «دائرة المعارف»، (٣ / ١٤٢).
- (٢) فراج، د. عز الدين، «فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية»، دار الفكر العربي، ١٩٨٧م، (ص ٢٥٢).
- (٣) بروفنسال، ليفي وآخرون، «دائرة المعارف الإسلامية»، (١ / ١٨٣).
- (٤) بن عبد الله، عبد العزيز، أسرة بني زهر، كتاب «التيسير» لعبد الملك بن زهر، (ص ٢٦).

علوم الحديث والأدب، وزاول الطب في إشبيلية^(*). في حين أشارت بعض المراجع إلى أقدم أجداد أسرة زهر الذين عرفت بهم كتب التراجم، وأشارت إلى علو قدرهم في سوح العلم والأدب، هو: أبو بكر محمد بن مروان بن زهر، كان مشهوراً بالأدب والفتوى والشورى، متفنناً في العلوم، جامعاً للدراية والرواية^(١).

ولد أبو بكر سنة (٣٣٦هـ / ٩٤٧م)، وتثقف بثقافة ذلك العصر في علوم الفقه والأدب، وعرف بالفصاحة والتقوى والكرم، فذاع ذكره، فكان أول من اشتهر من آل زهر^(٢).

نشأ أبو بكر محمد بن مروان بن زهر في الدولة العبادية، وكان أول من تُنى عليه الخناصر، وتسنحه البواصر^(٣).

تتلمذ ابن زهر على ابن الأحمر، وابن ثابت، وابن عيسى، وأبي يحيى بن بطلال، وأبي بكر بن القوطية، وابن زرب، والجسري^(٤). روى عن أبي بكر بن معاوية القرشي، وأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم،

(*) الواقع أن إسناد بن عبد الله الأولوية إلى أبي العلاء زهر غير دقيق؛ لأن محمد ابن مروان هو جد أبي العلاء، وأقدم منه معرفة بعلم الطب وغيره، فكيف يكون الحفيد أولى من جده؟! (الباحث).

(١) ابن بشكوال، «الصلة» (٥١٤ / ٢).

(٢) البستاني، فؤاد افرام، «دائرة المعارف»، ١٩٦٠م، (٣ / ١٤٢).

(٣) المقري، «نفح الطيب» (٤٠٠ / ٤).

(٤) عياض، القاضي، «ترتيب المدارك» (٧٤٧ / ٤).

وأبي علي البغدادي، ومحمد بن حارث القروي^(*)، وأبي عبيد القاسم الحميري، وأبي محمد الباجي، وغيرهم^(١).

وحدث عن أبي علي القالي، وطائفة من العلماء الأفاضل^(٢)، ولذلك تفقه به الناس من أهل طليطلة؛ لكونه فقيهاً مشاوراً، ومن أهل العلم والحفظ للمسائل، قائماً بها، وكان مطبوعاً في الفتيا على الأصول، وكان ممن يفتي في الإيمان اللازمة بطلقة واحدة، علماً بأن بعض الطليطليين كان يفتي بواحدة بائنة^(٣). وكان واسع الرواية على الإسناد^(٤).

كان أبو بكر بن زهر يعد من الأعلام، فلقد ظهر في عهد هشام ابن الحكم (ت ٤٢٣هـ / ١٠٣١م) من الأعلام هم بحار في العلم زاخرة، قولهم مسموع، وأثرهم متبوع؛ من أمثال: قاضي الجماعة أبي بكر يحيى ابن محمد بن زرب، وأبي بكر زهر الإيادي^(٥) الذي كان عالماً بالرأي،

(*) عند الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (١٧ / ٤٢٢) (القيرواني).

(١) ابن بشكوال، «الصلة» (٢ / ٥١٤).

(٢) الذهبي، «العبر في خبر من غبر»، تحقيق: فؤاد سيد، الكويت ١٩٦١م، (٣ / ١٥٠).

(٣) عياض، القاضي، «ترتيب المدارك» (٤ / ٧٤٧).

(٤) الذهبي، «العبر في خبر من غبر»، تحقيق: فؤاد سيد، الكويت ١٩٦١م، (٣ / ١٥٠).

(٥) ابن الخطيب، لسان الدين السلماني (٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)، «تاريخ إسبانيا»

حافظاً للأدب، ومتقناً للعلوم^(١). وهو الذي ازدهر العصر الأندلسي به، وقد جمع بين الطب والجراحة، وامتنع في كثير من الحالات عن إتمام عملية الشق على الحصة^(٢).

أما ديانته، فكان أبو بكر أحد أركان المذهب^(٣)، [المالكي]، ومن رؤوس المالكية، بصيراً بالمذهب، أخذ الناس عنه الكثير^(٤).

تتلمذ على أبي بكر بن زهر عدد من طلاب العلم، فقد حدث عنه أبو المظفر بن سلمة الطليطلي، وحاتم بن محمد، وأبو عبدالله الحصار، وابنه، وابن الفرات البطليوسي، وأبو جعفر بن المغيث^(٥). وحدث عنه: أبو محمد بن خزرج [الذي] قال عنه: «كان فقيهاً، عالماً بالحديث والرأي، واقفاً على المسائل، مطبوع الفتيا، معتياً بطلب العلم قديماً، واسع

= الإسلامية، أعمال الأعلام فيمن بويح قبل الاحتلال من بين ملوك الإسلام»، تحقيق: إل. ليفي، بروفنسال، دار الكشف، ط ٢، بيروت، ١٩٥٦م، (ص ٥٦).

(١) المقري، «نفع الطيب» (٣ / ١٣).

(٢) طوقان، قدرى حافظ، «العلوم عند العرب» الأردن، نشر مكتبة مصر، ١٩٥٦م، (ص ٢٠).

(٣) الذهبي، «العبر في خبر من غير» (٣ / ١٥٠).

(٤) الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (١٧ / ٤٢٢).

(٥) عياض، القاضي، «ترتيب المدارك» (٤ / ٧٤٧).

الرواية عن علماء الأندلس». وذكره أبو المطرّف عبد الرحمن بن محمد الطليطلي في كتاب تسمية رجاله الذين لقيهم، فقال: «أبو بكر محمد ابن زهر الإيادي الإشبيلي، قدم علينا من إشبيلية سنة سبع عشرة وأربع مئة، وكان شيخاً وسيماً فاضلاً، عالماً بالمسائل والآثار، متفنناً بالعلوم، متحلياً بالوقار والأصالة، وكان يألم في جلوسه، فقيل في ذلك، فأنشأ يقول:

سَمِئْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ

ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَالَكَ يَسَامُ

وحدث عنه من تلاميذه أيضاً: أبو حفص الزهراوي، وحاتم بن محمد، وجماهر بن عبد الرحمن، وأبو المطرّف بن سلمة، وأبو عبد الله الخولاني^(١). وحدث عنه جماعة من الأندلس، ووصفوه بالدين والفضل، والجود والبذل^(٢). وكان يلقب: الوزير^(٣).

وتلمذ عليه أيضاً: أبو المطرّف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى الذي كان يكنى بـ: (ابن البيروله)، سمع من الخشني، وأبي بكر بن زهر^(٤). وأبو حفص بن عمر بن يونس بن كريب الأصبحي الذي روى عن

(١) ابن بشكوال، (ق ٢ / ٨ / ٦١٦).

(٢) المقري، «نفح الطيب» (٣ / ١٣).

(٣) البستاني، فؤاد أفرام، «دائرة المعارف» ١٩٦٠ م، (٣ / ١٤٢).

(٤) أرسلان، شكيب، «الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية»، =

الجلة؛ مثل: القاضي أبي حزم خلف بن هشام البغدادي، والقاضي أبي
عبدالله بن الحذاء، والقاضي عبد الرحمن بن الجحاف، وأبي بكر عمر
الطلمنكي، وأبي بكر بن زهر^(١). وأبو عبدالله محمد بن عمر بن محمد
ابن حفص بن الشراقي، وكان يروي عن صهره محمد بن مغيث، وعن
أبي بكر بن زهر^(٢).

كان أبو بكر محمد بن مروان عالماً، فقيهاً، حاذقاً، جمع الدراية،
وكذلك الرواية، وصادف أن ضاقت دولة بني عباد عن مكانه فيها،
فعمدت قيادتها إلى إخراجه من بلده، وقررت تصفية أمواله، وأبعدته إلى
شرق الأندلس، وكانت وفاته بطلبيرة سنة (٤٢٢هـ / ١٠٣٠م)^(٣)، وهو
ابن ست وثمانين سنة^(٤). وأقام في شرق الأندلس بقية عمره^(٥).

كان لأبي بكر محمد بن مروان مساهمة فعالة في إقامة الدولة
العبادية في إشبيلية، بيد أن القاضي خشي منه أن ينافسه على منصبه،

= ط ١، مطبعة الرحمانية، ١٩٣٦م، (١٧/٢).

(١) أرسلان، شكيب، «الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية»
(٢/٢٠).

(٢) المرجع نفسه (٢/٢٣).

(٣) ابن الخطيب، لسان الدين، «جيش التوشيح»، تحقيق: هلال ناجي، ومحمد
ماصور، مطبعة المنار بتونس، ١٩٦٧م، (ص ٢٧٣).

(٤) المقرئ، «نفح الطيب» (٣/١٣).

(٥) المصدر نفسه (٤/٤٠٠).

فعمل على إخراجه عن بلده، وإرساله إلى شرق الأندلس، فأقام بمدينة
«وشقه»، ثم «طليبة»، وقضى بقية عمره هناك - رحمه الله^(١)..



(١) السعيد، د. محمد مجيد، «ابن زهر الحفيد»، مجلة المورد، العدد (٢)،

٩م، ١٩٨٠م، (ص ١١).

الفصل الرابع
أَبُو مَرْوَانَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدٍ
ت: ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م

أ - حياته :

تعريف به :

هو أبو مروان عبد الملك ابن الفقيه محمد بن مروان بن زهر الإيادي الإشبيلي . وصف بأنه كان فاضلاً في صناعة الطب، وكان مطلعاً وخبيراً بأعمالها، وشُهر بالحدق . وكان أبوه الفقيه محمد بن مروان بن زهر الإيادي الإشبيلي من فئة الفقهاء البارزين والمتميزين بالحديث في إشبيلية^(١) . وكان حكيماً، ومن الدافعين قوى الضراء، والتابعين لصواب الآراء^(٢) . وهو صاحب البيت الشهير بالأندلس^(٣) عميد أسرة بني زهر^(٤)، وهو طبيب أندلسي عاش في القرن الخامس للهجرة، الحادي

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٧).

(٢) العمري، ابن فضل الله (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)، «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»، السفر التاسع، إصدار فؤاد سزكين، جامعة فرانكفورت، ألمانيا الاتحادية، ١٩٨٨م، (ص ٣٢٣).

(٣) المقري، «نفح الطيب» (٣ / ١٢).

(٤) البدري، عبد اللطيف، «الطب عند العرب» (ص ٨٥).

عشر للميلاد^(١)، واشتهر بإصابة التشخيص والعلاج^(٢)، وكان اشتغاله بالفقه متأثراً بأبيه، بيد أنه شُهرَ بالطب. ومارس ذلك في بلاد الشرق أولاً^(٣).

قيل عنه: إنه ابن مؤسس^(*) الأسرة أبي بكر محمد بن مروان بن زهر، وأول^(**) طبيب من أبنائها، وكان أول من عُرف منهم [من أسرة بني زهر ممن كان يهتم بهذا العلم الطب] هو الوزير أبو مروان عبد الملك

(١) مجموعة من الأساتذة، «موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين» (١٠٢ / ٣).

(٢) وجدي، محمد فريد، «دائرة معارف القرن العشرين»، دار الفكر، بيروت، (٦٥٩ / ٤) ب. ت.

(٣) البستاني، فؤاد أفرام، «دائرة المعارف»، بيروت ١٩٦٠م، (١٤٢ / ٣).

(*) ليس صحيحاً القول: «إن مؤسس الأسرة محمد بن مروان»، والصواب: أن مؤسس الأسرة هو الجد الأعلى لها (زهر الإيادي الإشييلي) انظر: (ص ١٣٠)، هامش (*) (الباحث).

(**) لم يكن أبو مروان عبد الملك (ت ٤٧١هـ / ١٠٧٨) هو أول طبيب في أسرة بني زهر، وإنما كان أبوه أبو بكر محمد بن مروان بن زهر (ت ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م) هو الطبيب الأول على حد قول (قديري حافظ طوقان) في كتابه «العلوم عند العرب» (ص ٢٠)، حيث قال: «وقد جمع بين الطب والجراحة»، فهذا القول يشير - بوضوح - إلى أن أبا بكرأ محمداً كان هو الطبيب الأول، وليس ابنه عبد الملك. (الباحث).

ابن الفقيه محمد بن مروان بن زهر الإيادي^(١).

وزيادة في التعريف بهذا الطبيب الأندلسي الشهير قيل عنه : إنه من أشرف إشبيلية، ومن أسرة اشتهرت بالطب، وكان جدهم الأكبر (عبد الجبار بن أبي سلمة القرشي «الزهري» قد دخل بلاد الأندلس مع موسى بن نصير، واستوطن أبنائه وأحفاده في إشبيلية، ومال ابن زهر إلى الإبداع في مختلف أنواع العلوم من الطب وغيره^(٢).

لم تفصح المصادر ولا المراجع التاريخية عن تاريخ ولادة عبد الملك ابن محمد بن مروان بن زهر. وعلى فرض أنه كان يافعاً أو شاباً في وقت نزوح أبيه عن إشبيلية، إلا أن الابن (عبد الملك) لم يقطع صلته بمسقط رأسه، فالمصادر - حينما تذكره - تحرص على تسميته بـ: (الطبيب الإشبيلي)^{(٣)(*)}.

(١) التازي، عبد الهادي، «الدرس الافتتاحي»، جامعة ابن زهر، أغادير، (ص ٤٠). والملاحظ هنا أن أولوية عبد الملك هذا بالاهتمام بالطب لا تعني أولويته بعلم الطب في الأسرة.

(٢) البوشي، محمد عبد الحميد، «الإسلام والطب» (ص ١٤٨).

(٣) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن محمد»، مجلة الدارة، العدد (٣) السنة (١٢)، ١٩٨٦ م، (ص ١٤٦).

(*) وذلك ما بين (٤١٤هـ / ١٠٢٣ م)، سنة استئثار إسماعيل بن عباد بحكم إشبيلية، وبين (٤١٧هـ / ١٠٢٦ م)، السنة التي جاء فيها الفقيه محمد إلى دانية قادماً من طليطلة. المرجع نفسه (ص ١٤٦).

* ندرة المعلومات عن الطبيب عبد الملك بن محمد :

وممن ساء حظهم من أعلام الطب العربي ، فلم يصل أو يبق من تراثهم وأخبارهم إلا التزر اليسير : الطبيب الأندلسي الكبير أبو مروان عبد الملك ابن الفقيه محمد ، الذي ينتمي - كما سبق ذكره - إلى قبيلة إياد التي نزع البعض من أفرادها إلى الأندلس على إثر الفتح العربي الإسلامي ، وكانت حياة أبي مروان عبد الملك بن زهر هذا في القرن الخامس للهجرة الذي في أوائله سقطت الدولة الأموية المروانية في قرطبة ، وعلى إثرها قامت دول الطوائف في العديد من الحواضر الأندلسية^(١).

أشار عدد غير قليل من المصادر التاريخية القديمة إلى الطبيب (أبي مروان عبد الملك بن محمد) هذا ؛ لكونه طبيباً طائر الصيت في زمانه ، إلا أن أياً من تلك المصادر لم يأت بحديث عنه إلا لأسطر معدودات ، وكان ما أتت به المصادر من حديث عنه مقتضباً ، وتناقلته المصادر بعضها عن بعض ، وكان هذا الحديث الموجز يشيد بعظمة هذا الطبيب دون أن يتبين للقارئ مظهر هذه العظمة ، وأثنت المصادر على متانة علمه ، وعلو كعبه في العلوم ، دون أن توضح عن أنه صنف في الطب الذي نبغ فيه كتاباً ، أو مقالة واحدة ترك للأجيال اللاحقة فيها بصمة من بصمات عبقريته وقدرته الفذة^(٢).

(١) السباعي ، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن محمد» ، مجلة الدارة ، العدد (٣)

السنة (١٢) ، ١٩٨٦ م ، (ص ١٤٦).

(٢) المرجع نفسه (ص ١٤٤).

وكان ممكناً طيُّ ذكرِ هذا العَلَمِ لولا أنه خَلَفَ ابناً علَّمه الطب أثناء حياته، فصار ابنه من أشهر أطباء الأندلس، ذلك هو (زهر بن عبد الملك) المكنى بـ: (أبي العلاء)، وخلف أبو العلاء زهر - بدوره - ابناً طيباً، هو سَمِيَّ جده (عبد الملك)، وكنيته: (أبو مروان) الطبيب الذي اشتهر في عصره والأعصر التالية بتصنيف كتابه الشهير «التيسير في المداواة والتدبير».

ثم خَلَفَ - هو الآخر - ابناً طيباً، وشاعراً مبدعاً هو (أبو بكر محمد ابن عبد الملك)، وخلف هذا الأخير ابناً هو الطبيب (عبدالله بن محمد)، وأعقب عبدالله ابنه الطبيب (محمد بن عبدالله)^(١).

إن سلسلة أطباء بني زهر التي ملأت الأحقاب الزمنية في الأندلس، وحتى خارج الأندلس؛ كأوروبا، والمشرق العربي الإسلامي من القرن الخامس إلى القرن السابع، وهي ستة أجيال متتابعة، إضافة إليها طبيبتان أنثيان هما: (أم عمرو) بنت عبد الملك بن زهر، وابنتها. إن ذلك كله لم يعزز مكانة الطبيب الأول (عبد الملك بن محمد)؛ إذ ما فتى اسمه يحلق في سموات التاريخ، وتردده أفواه العلماء، وتدونه أقلام المؤرخين في موسوعاتهم العلمية والتاريخية، إلا أن غُصَّةَ بقيت في النفس بسبب عدم وصول نصوص إلى هذا الزمن كي توقف أهله على مدى علم هذا

(١) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن محمد»، مجلة الدارة،

العدد (٣) السنة (١٢)، ١٩٨٦م، (ص ١٤٤).

الطبيب الكبير في الطب، وتجربته في الحياة^(١).

وهكذا فإن من أراد أن يتناول دراسة تاريخ حياة هذا الطبيب وجهوده العلمية يضع نفسه بين أمرين متناقضين، هما:

الأول: أنه كان طبيباً مشهوراً في مدينة «دانية» بالتقدم في علم الطب، وانتشر صيته منها إلى أنحاء الأندلس، إضافة إلى كونه رأس أسرة تناقلت إرث الطب ستة أجيال على مدى قرنين من الزمان.

الثاني: أنه ما ترك كتباً من تصانيفه، ولم تذكر المصادر التي وصلت إلى هذا الزمان شيئاً من علمه ومعرفته، إلا رأياً واحداً في الطب^(*)، وذلك ما لا يشفي غليلاً^(٢)، لولا!.

قال الأستاذ فاضل السباعي: «أقول: لولا... وأمامي المؤلف الكبير الذي وضعه حفيده [أي: حفيد عبد الملك بن محمد، وسَمِيَهُ] أبو مروان عبد الملك بن زهر: «كتاب التيسير في المداواة والتدبير» الذي اعتنى بعلم صاحبه وتجربته العلمية، وهو الذي لم يمارس مهنة أو

(١) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن محمد»، مجلة الدارة، العدد (٣)، السنة (١٢)، ١٩٨٦م، (ص ١٤٤).

(*) كان رأياً شاذاً ومنتقداً من المصادر ذاتها، وسيرد تفصيله في محله القريب. (الباحث).

(٢) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي، عبد الملك بن محمد»، مجلة الدارة، العدد (٣) السنة (١٢)، ١٩٨٦م، (ص ١٤٤).

هواية سوى الطب»^(١).

الحق: إن كتاب «التيسير في المداواة والتدبير» لأبي مروان عبد الملك بن زهر ليحرز أهمية كبيرة جداً في إعداد هذه الدراسة، تظهر بارزة للعيان من خلال الذكريات الشخصية والعلمية التي كانت تظهر للقارئ من خلال ما سطره قلم مؤلفه حينما يتحدث عن أبيه الطبيب أبي العلاء زهر، وعن جده (مدار البحث) أبي مروان عبد الملك^(٢)، كلما شحذ الذاكرة لا يضمن على القارئ بشرح العلل والأمراض، ووصف الأدوية والعلاجات، وكان أبو مروان عبد الملك بن زهر مهتماً بالحديث عن أبويه العظيمين، وإجلاله لهما، وبره بهما، وافتخاره بما تركاه من ثروة علمية في مجال الطب والأدب. وسوف يكون ذلك مصدراً للدارسين في رسم ملامح شخص الجد (عبد الملك ابن الفقيه محمد) موضوع هذا البحث، وفي تقديم قبسات ولمحات من علمه وتجربته في صناعة الطب التي لم يصل منها إلا النزر اليسير، وهو لمح صغيرة ألفت بها بعض المصادر التاريخية^(٣).

(١) المرجع نفسه (ص ١٤٥).

(٢) كان الحديث عن الأخير نقلاً عن الأب، لأن الابن لم يعاصر الجد. السباعي، دارة، (ص ١٤٥).

(٣) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن محمد»، مجلة الدارة، العدد (٣) السنة (١٢)، ١٩٨٦م، (ص ١٤٥).

ب - نشأته ورحلته إلى المشرق، وجهوده العلمية:

نشأ الوزير أبو مروان عبد الملك بن محمد - بعد تفقهه على أبيه [أبي بكر محمد بن مروان بن زهر الإيادي الإشبيلي] - فما بلغ أشده حتى سَدَّ مسدَّه، وانكبَّ على التفنن في أصناف التعليم من الطب وغيره، ورحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج^(١).

كانت نشأته حينما وصل علم الطب في قرطبة بالأندلس في (القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد) إلى مستوى عالٍ، فاستمرت النهضة الطبية، وظهرت أسرة ابن زهر كأُسرة لامعة في الطب^(٢).

فسدَّ طبيها الأول عبد الملك ابن الفقيه محمد الرحال إلى المشرق، ودخل القيروان، ومصر، وتطبب هناك ردحاً من الزمن، ثم عاد إلى الأندلس، وقصد مدينة «دانية» واستوطنها، واستقر بها زماناً^(٣)، وكان ملكها حينئذٍ يدعى: (مجاهداً)، وحينما وصل أبو مروان عبد الملك ابن محمد، أكرمه إكراماً كثيراً، وأمره بالإقامة عنده، فاستجاب ونال في أيامه حظوة عظيمة، واشتهر في مدينة دانية بالتقدم في صناعة الطب، وشاع صيته، وطار اسمه إلى أصقاع الأندلس^(٤). ووصف بأنه صاحب

(١) المقري، «نفح الطيب» (٤/ ٤٠٠).

(٢) الهوني، د. فرج محمد، «تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية» (ص ١٥٢).

(٣) صاعد الأندلسي، «طبقات الأمم» (ص ١١١).

(٤) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٧).

البيت الشهير بالأندلس . وفي رحلته إلى المشرق تولى رئاسة الطب ببغداد، ثم بمصر، ثم القيروان، واشتهر بالتقدم في الطب حتى بَزَّ أهل زمانه^(١)، علماً بأنه لم يتلقَّ مبادئ الطب في الأندلس، بل تلقاها في رحلته الكبرى إلى المشرق، وعودته إلى دانية المطلّة على البحر الأبيض المتوسط (البحر الشامي) القريبة من «شاطبة» البلد الذي كان نزل فيه أجداده الأول الذين قدموا من جزيرة العرب أيام الفتح العربي الإسلامي - كما مرَّ ذكره -^(٢)، وانتقل إلى إشبيلية، وصار من مشايخ الأطباء هناك^(٣)، ولم يزل بها حتى توفي^(٤) (*)، وكان أغنى أهلها، ونظيرها من الرباع والضياع^(٥).

(١) المقري، «نفح الطيب» (٣/ ١٢).

(٢) صاعد الأندلسي، «طبقات الأمم» (ص ١٢٩).

(٣) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢/ ١٧٨).

(٤) البدري، عبد اللطيف، «الطب عند العرب» (ص ٨٥).

(*) جاء في «دائرة المعارف» (٣/ ١٤٢)، بيروت ١٩٦٠م، عن مكان وفاة عبد الملك بن محمد ما يخالف البدري بالقول: «وظل في دانية متمتعاً بالجاء العريض، والثروة الطائلة حتى وفاته»، ويقول ابن أبي أصيبعة: «إنه ترك دانية إلى إشبيلية، وفيها توفي» وهو الأرجح. «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٧) (الباحث).

(٥) وجدي، محمد فريد، «دائرة معارف القرن العشرين» (م ٤)، دار الفكر، بيروت، (ص ٦٥٩) ب. ت.

والجدير بالذكر أن بغداد التي رحل إليها الطبيب عبد الملك بن محمد كانت قد عرفت - منذ القرن الثالث للهجرة - نظام امتحان الأطباء قبل تسلمهم الإجازات التي يمارسون بمقتضاها مهنتهم^(١)، ولا بد أنه قد أجزى قبل توليه رئاسة الطب ببغداد، ثم بمصر، ثم بالقيروان^(٢)، وهو حيثما سار انتشر علمه، وسرى ذكره^(٣).

كان الطبيب عبد الملك بن محمد - على ما يبدو - متديناً، لأنه كان فقيهاً حافظاً، روى بالأندلس عن طائفة من أهل الأندلس، وفي رحلته إلى المشرق حجاً، ودرّس بمصر، والقيروان، وفي عودته إلى الأندلس، واستقراره في دانية، بدأ حياته بدراسة الحديث في قرطبة^(٤).

كان والد أبي مروان عبد الملك بن محمد قد اشتهر بالفقه والأدب، فاشتهر هو مثل أبيه، لكن بعلم الطب حسب، ولم يستقر في الأندلس^(٥)، بل مارس الطب، لا في الأندلس فحسب، وإنما في القيروان، والقاهرة، وبغداد^(٦).

(١) التازي، عبد الهادي، «الدرس الافتتاحي»، جامعة ابن زهر، أغادير، (ص ٤).

(٢) التجاني، الماحي، «مقدمة في تاريخ الطب العربي» (ص ١٢٠).

(٣) فراج، د. عز الدين، «فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية» (ص ٢٥٢).

(٤) عنان، محمد عبدالله، «عصر المرابطين والموحدين» (ص ٤٧٣).

(٥) أمين، أحمد، «ظهر الإسلام» (٣ / ٢٤١).

(٦) حتي، فيليب، «تاريخ العرب» (مطول)، ط ٤، دار الكشاف =

كان أبو مروان عبد الملك بن محمد متفناً في علم الطب وعلوم كثيرة أخرى، ولقد عُني بدراسة الطب في بلاد المشرق العربي الإسلامي على يد أقطابه حتى نبغ فيه، وبزَّ أقرانه، وكان ذلك بعد الخطوة الأولى التي كانت فاتحة الطريق أمامه للوصول إلى البراعة الطبية الفائقة التي شملت أسرته التي نالت شهرة كبيرة في حقل علم الطب، وامتدت إلى أبنائه وأحفاده وأحفاد أبنائه^(١).

لم يكتفِ هذا الطبيب البارِع بدراسته الطب في بغداد وحسب، وإنما استزاد في دراسة الطب في القاهرة، والقيروان، وإشبيلية، وعند عودته من رحلته إلى المشرق عمل طبيباً في مدينة دانية، وكذلك في إشبيلية، وحقق شهرة واسعة في الطب، وجمع أموالاً طائلة جزيلة، وضياًعاً واسعة على ما رواه ابن أبي أصيبعة^(٢).

بعد اطلاعه على جهود أبي مروان عبد الملك بن محمد من خلال أخباره في تاريخ الطب العربي في الأندلس، انبرى ابن فضل الله العمري

= للنشر والطباعة والتوزيع، مطبعة الغندور، بيروت، (٢/ ٦٨٧)،
ب. ت.

(١) عنان، محمد عبدالله، «عصر المرابطين والموحدين» القسم ١، ط ١، القاهرة، (١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م)، (ص ٤٧٣).

(٢) مجموعة أساتذة، «موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين» (٣/ ١٠٢).

(المتوفى سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) في وصفه بقوله: «حكيم دافع قوى الضراء، وتابع صواب الآراء»^(*)، فrazاً الأسقام، ومانع الداء وقد فتح فاه للالتقام، على لطف في علاجه، وتسكين لثوابير المرض وعجاجه، ورفق زانه في تأنيه، وزاده في تأنيه، فكان يُعدُّ فرداً، ويعدُّ ممن أمَّ مشربه ورداً، ثم لم يُخلف له موعدٌ، ولا يخاف معه من سحابة مرضٍ مرعدٍ، لكنه لم تُغنِ عنه حيلةٌ، ولم يكن له بُدٌّ أن يأتيه أجلُّه»^(١).

إن ما أورده ابن فضل الله العمري في وصفه للطبيب عبد الملك (مدار البحث) يتقاطع مع ما أخبر به عن هذا الطبيب صاعد الأندلسي (المتوفى سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) بقوله: «اشتهر [أبو مروان عبد الملك بن محمد] بالتقدم في صناعة الطب، وطار ذكره فيها إلى أقطار الأندلس»^(٢). ولم يتوقف صاعد عند هذا القول، بل أردف يقول: «وله في الطب آراء شاذة، منها: منعه من الحمام، واعتماده أنه يعفن الأجسام، ويفسد تركيب الأمزجة. وهذا رأي يخالف فيه الأوائل والأواخر، ويشهد بخطئه العوام والخواص، بل إذا استعمل على الترتيب الذي يجب بالتدريج الذي ينبغي، يكون رياضة فاضلة، ومهنة نافعة؛ لتفتيحه المسام، وتطريته للفضول، وتلطيف لما

(*) لكن أبا مروان عبد الملك له رأي في الاستحمام خالفه الأولون والآخرون، وسيأتي الحديث عنه قريباً. (الباحث).

(١) «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» (ص ٣٢٣).

(٢) «طبقات الأمم» (ص ١١١).

غلظ من الكيموسات»^(١).

لم يسكت الأطباء المعاصرون إزاء هذا الرأي الغريب المنسوب إلى أبي مروان عبد الملك ابن الفقيه محمد، بل أبدى عدد كبير منهم استغرابه من هذا الرأي، منهم: د. كمال السامرائي الذي قال: «إنه [يعني: أبا مروان عبد الملك بن محمد] لم يكن دقيق الحكم في بعض آرائه الطبية، ومن الغريب أنه كان يعتقد أن الحمام يتلف أخلاط البدن، ويفسد الأمزجة، وهو رأي يبدو غريباً لا يصدق إلا إذا قصد بالحمام: الشديد الحرارة»^(٢).

طارق صالح الزبيدي قال: «لم تكن أحكامه الطبية دقيقة، ومن أسوأها: أن الحمام يتلف أخلاط البدن»^(*).

أما المؤرخ (محمد فريد وجدي)، ففي تعليقه على رأي ابن زهر هذا جاء - هو الآخر - بمعلومة لا تخلو من الغرابة والطرافة؛ حيث قال:

(١) طبقات الأمم، (ص ١١١)، ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٧).

(٢) «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢/ ١٨٧).

«التراث العلمي العربي الطبي» (ص ٣٤٣).

(*) كان على المؤرخ (الزبيدي) أن يعطي رأيه إزاء رأي ابن زهر هذا، فالأرجح أن يسعى المؤرخون في البحث عن صحة وأسباب حمل ابن زهر على الإتيان بهذا الرأي اللامعقول. (الباحث).

«لأبي مروان في الطب آراء خالف(*) بها جمهور أطباء زمانه، منها: منعه من الحمّام، واعتقاده فيه أنه يعفن الأجسام، ويفسد تركيب الأمزجة». هذا هو رأي ابن زهر الغريب. أما رأي (وجدی) الأغرب، فهو يقول: «وهذا الرأي يوافقه عليه أطباء العصر الحاضر من بعض الوجوه»(1)(**).

وحول هذا الرأي الغريب شك الأستاذ فاضل السباعي في صحة (المنع من الحمام) بقوله: «وإذا كان مما يدعو إلى الإعجاب بطبيينا عبد الملك: أنه كان «يتفنن في أنواع التعاليم» التي نرجح أنها تعاليم تتعلق بـ (الطب)، لا بغيره من العلوم(***); فإن مما يدعو إلى العجب أن

(*) إن المخالفة المزعومة المنسوبة إلى الطبيب أبي مروان عبد الملك بن محمد مشكوك في صحتها؛ إذ لا يُعقل أن طبيباً مسلماً يأتي برأي من هذا النوع لسببين اثنين:

الأول: أن الطب عمره لا ينفك عن توجيه النصيح إلى كل الناس بلزوم التعود على النظافة تجنباً للعفونات التي تسبب الأمراض،

والثاني: أن الإسلام يؤكد على ملازمة المسلم للنظافة والطهارة؛ كواجب الوضوء خمس مرات في اليوم، ولا يعرف من أين أتى وجدی بادعائه بأن أطباء العصر الحاضر يوافقونه من بعض الوجوه. (الباحث).

(١) «دائرة معارف القرن العشرين»، م٤، بيروت، دار الفكر، (ص٣٠٢) ب. ت.

(**) حسناً فعل (وجدی) لو ذكر وجهاً واحداً من (بعض الوجوه) التي يوافق أطباء العصر الحاضر ابن زهر في رأيه هذا. (الباحث).

(***) علق (السباعي) هنا بقوله: «نقول هذا؛ لأن عبارة ابن الآبار جاءت في سياق =

«يمنع من الحمام!»، ولكن يلاحظ أن «المنع» - إن صحت هذه الرواية - من «معاصره» القاضي صاعد - ونحن نعرف ما للمعاصرة من محاذير في الحكم والتقويم - يَرُدُّ على الدخول إلى الحمام، وليس على الاستحمام والنظافة بطبيعة الحال^(١).

= يدعو إلى التأمل: كان عبد الملك من أهل العلم والفقه، سالكاً طريقة أبيه أبي بكر في ذلك، ومال إلى التفنن في أنواع التعاليم... وقد نقل هذه العبارة المقري فيما بعد، فقال: «ومال إلى التفنن في أنواع التعاليم من الطب وغيره» «نفح الطيب» (٢/ ٤٣).

(١) «مجلة الدارة»، العدد (٣)، السنة (١٢)، ١٩٨٦ م، (ص ١٤٧)، وعلق السباعي في الهامش (٢٢) (ص ١٦١) من هذه المجلة قائلاً: «في مناقشة هذا الرأي الشاذ والتلطيف بتفنيده، نقرأ ما كتبه الدكتور عبد الكريم اليافي عضو مجمع اللغة العربية بدمشق، يقول: «ونفهم من هذا أنه (عبد الملك) لم يكن راضياً عن الاختلاف إلى الحمامات في ذلك الوقت التي قد تعكر المزاج، وتزعج الأنفس، وتعرض لتفاوت الحرارة والبرودة، لا عن الاستحمام والنظافة اللذين هما ركن مهم من حضارة العرب والإسلام يعتمدان على الغسل والوضوء» «معالم فكرية في تاريخ الحضارة العربية والإسلامية» (ص ١١٧)، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ١٩٨٢ م.

وأضاف السباعي قوله: «أقول: إن لحفيده وسَمِيَّه الطيب عبد الملك رأياً في الحمام يختلف عن هذا الرأي المنسوب إلى الجد، معتدلاً، ولكن متحفظاً، ساقه في مطلع كتابه في جملة نصائح عامة قدمها بين يدي الطيب، يقول: «إن الحمام إذا دُخِلَ بمقدار معتدل على ما ينبغي، وذلك كل عاشر من الأيام، =

وعن جهود الطيب أبي مروان عبد الملك بن محمد في حقل الطب، فقد سبقت الإشارة الى ندرة المعلومات عن هذا الطيب الكبير الذي لم يترك كتاباً يفيد الأجيال اللاحقة في اختصاصه، ولقد أمكن الحصول على شيء لا بأس به من المعلومات عن جهوده في علم الطب من خلال ما دَوَّنه حفيدهُ وسميُّه أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر في كتابه الشهير «التيسير في المداواة والتدبير» الذي ألفه بطلب من صديقه وتلميذه (ابن رشد)؛ ليكون مكملاً لكتابه «الكليات» ولولا كتاب «التيسير» هذا، لما أمكن إسعاف الباحثين والدارسين في تناول علم هذا الطيب الكبير وتجربته في الطب، وقد ألفه حفيده أبو مروان عبد الملك ابن أبي العلاء زهر (المتوفى سنة ٥٥٧هـ / ١١٦١م).

إن المعلومات التي وصلت عن الطيب عبد الملك ابن الفقيه محمد في مجال الطب لم تكن بأوسع مما وصل عن حياته، فثمة لُمعٌ وجدت متناثرة في عدد من كتب تاريخ الطب، خاصة في كتاب «التيسير في المداواة والتدبير» لحفيده المذكور^(١).

= على خلو من المعدة، من غير احتياج فادح إلى الطعام، معينٌ على دوام الصحة، ما لم يكن حر الزمان مفرطاً «التيسير في المداواة والتدبير»، تحقيق: د. ميشيل الخوري، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (تونس) ١٩٨٣م، (ص ١٠٢).

(١) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن محمد»، مجلة الدارة، العدد (٣)، السنة (١٢)، ١٩٨٦م، (ص ١٤٧).

* جهوده في الطب الواردة في «التيسير» وغيره:

في كتاب «التيسير في المداواة والتدبير» لأبي مروان عبد الملك ابن أبي العلاء زهر (المتوفى سنة ٥٥٧هـ / ١١٦١م) أورد مؤلفه المذكور جملة من الروايات المتعلقة بنشاطات جده الأقرب، وسميّه أبي مروان عبد الملك ابن الفقيه محمد (المتوفى سنة ٤٧١هـ / ١٠٧٨م)، وهي مؤثر واضح لجهوده العظيمة المبذولة في خدمة الناس في شتى ضروب الخدمات الطبية، وهذا ما تيسر منها:

قال أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر مؤلف «كتاب التيسير»: «وكان أبي - رحمه الله - [يعني: أبا العلاء زهراً] يخبر عن أبيه - جدي الأقرب رحمه الله - [يعني: أبا مروان عبد الملك بن محمد]: أنه كتب في مجلس أحد الملوك في وقته عند وروده من المشرق دواءً سهلاً، وكان حاضر المجلس الحكم المشهور أبو المطرف^(١) بن وافد - رحمه الله - فنظر الحكم المذكور إلى المکتوب، فلحقه بموقع (النيلوفر*)»

(١) هو الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم بن يحيى بن وافد اللخمي أحد أشراف الأندلس وذوي السلف الصالح منهم، عني عناية بالغة بقراءة كتب جالينوس وتفهمها، وبمطالعة كتب أرسططاليس وغيره من الفلاسفة، وتمهر بعلم الأدوية حتى ضبط منها ما لم يضبطه أحد في عصره، وألف فيها كتاباً لا نظير له، جمع فيه ما تضمن كتاب أرسططاليس وكتاب جالينوس «التيسير»، تحقيق: الروداني (ص ٣٥٨ هامش ٨٣٩).

(*) النيلوفر: ضرب من النبات ينبت في المياه الراكدة، له أصل كالجزر، وساق أملس، يطول بحسب عمق الماء، فإذا ساوى سطح الماء، أورق وأزهر. =

من السهل أريحية عظيمة في ذلك، وتناهى استحساناً وطرباً»^(١).

وفي حديثه عن معالجة مرض المثانة أشار مؤلف «التيسير» الى سقيه المريض بشيء من الأدوية القوية التي من شأنها تفتيت الحصاة، فقال في هذا الشأن: ولم أجد - بالتجربة - أسرع فعلاً في ذلك من دهن كان جدي الأقرب عبدُ الملك الحاج - رحمه الله - [يعني: أبا مروان عبد الملك بن محمد] قد جلبه من المشرق، وكان يعرفه بـ (البشامي)^(٢)، وكذلك لم أجد شيئاً في نفع المفلوج إذا دُهِنَ به مؤخر رأسه مع فقاره مثله. وهو دهن أصفر اللون، رقيق القوام، عطر الرائحة حادّها، لطيف الجوهر، قد شاهدت مراراً خلقاً فتت حصاهم في أربع وعشرين ساعة، هذا أسرع ما رأيت وأعجبه، الشربة منه كما هو من ربع درهم إلى ما حول ذلك، غير أنه إن كان في الموضوع عقرٌ [جرح]، فاخلط إليه مثله من دهن اللوز الحلو»^(٣).

= الأب لويس معلوف، «المنجد في اللغة» (ص ٩٣٢).

(١) «التيسير»، تحقيق الروداني (ص ٣٥٨).

(٢) يظهر أنه نسبة إلى البشام، وهو نبات معروف، ومنهم من قال: إنه هو المعروف بـ (البلسان)، قال الشاعر:

أتذكر حين تصقل عارضينها بفرع بشامة سقي البشام
وإذا كانت تنقب به الأسنان قديماً، كان هو الأراك المعروف في الاستياك،
«التيسير» (ص ٣٠٢ - ٣٠٣).

(٣) «التيسير»، تحقيق: الروداني (ص ٣٠٢ - ٣٠٣).

وفي معالجته للحمى السوداء المعروفة بالربع قال صاحب
«التيسير»: «وقد كان جدي الأقرب عبد الملك - رحمه الله - [يعني: أبا
مروان عبد الملك بن محمد] استصعب عليه علاج حمى ربع، فأمر العليل
أن يأكل كل يوم ثلاث حباتٍ من الخوخ النضج أياماً نحو العشرة، ثم سقاه
- رحمه الله - دواءً مسهلاً، فبرئ من مرضه براء كلياً، وعجب أطباء وقته
من ذلك حيثئذٍ، ووقعت في ذلك رسائل كثيرة بينه وبين الشيخ الوزير أبي
المطرف بن وافد^(١) - رحمه الله - فإن أبا المَطرَف كتب إليه يتعرف حقيقة
ذلك، وما دعاه إلى فعله، فكتب إليه بما فعل، وبما ظهر له، وبمقصده
في ذلك، فأعظم الأمر استحساناً، والرسائل بأيدي الناس موجودة^(٢)».

وفي علاج أمراض الرئة يروي مؤلف «التيسير» حكاية عن جهود
جده عبد الملك بن محمد، فيقول: «كان أبي - رحمه الله - [يعني: أبا
العلاء زهراً] يخبر أن رجلاً بشرق الأندلس أصابته هذه العلة العظيمة
[يعني: مرض الرئة] حتى ذهب معظم لحمه، فحمله أبوه، جدي الأقرب
عبدُ الملك - رحمه الله - على التزام هذا الغذاء [الخبز المختمر بمربي
الورد السكري]، وعلى أكل الزبيب بالخبز المختمر، وبقي على ذلك
مدة طويلة جداً، فارتفع سعاله وهلاسه، وخصب بدنه، وبقي ليس فيه
شيء من السوء وطال عمره إلى أن مات جدي المذكور - رحمه الله -،
وبقي معاصراً لابنه - أبي رحمه الله - مدةً طويلة، وأظنه - رحمه الله - أخبر

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٤٩٦).

(٢) «التيسير»، تحقيق الروداني (ص ٤٤٧).

أنه بعد مدة طويلة مات الرجل من علة أخرى»^(١).

وتحدث صاحب «التيسير» عن علمية أبيه «زهر»، وجده (أبي مروان عبد الملك ابن الفقيه محمد)، وتقديره لما كان قد أخذ من أبيه الطبيب أبي العلاء زهر، ولما أخذه منه أيضاً من علم جده (مدار البحث) عبد الملك بن محمد، قال وهو يشرح كيفية معالجة من أصيب بجرح غائر في رأسه بلغ العظم، وتخلفت عنه مدّة، وتبعته حُمى، وحيثُذ يجب «استفراغ البدن بالفصد في» القيفال^(٢) «من الذراع اليمنى، اللهم إلا أن يكون الجرح من الجهة اليمنى، فإن رأيي أن يكون الفصد من الجهة المخالفة في مثل ذلك»... وأردف مؤلف «التيسير» قوله: «وكذلك كان رأي جدي الأقرب عبد الملك - رحمه الله -، وهو رأيي الذي أعتقده، ولا أنصرف عنه، ولم تزل التجربة تزيدني بصيرة فيه...»^(٣).

سبق الحديث عن رحلة قام بها الطبيب أبو مروان عبد الملك ابن الفقيه محمد إلى المشرق العربي؛ حيث عانى الطب في القيروان، والقاهرة،

(١) «التيسير»، تحقيق: الروداني (ص ٢٠٠).

(٢) الفصد: شق العرق، وعند الأطباء: تفريق اتصال يتبعه استفراغ كُلّي من العروق بواسطتها من جميع البدن، «والقيفال»: عرق في الذراع، كان القدماء يفصدونه لأمراض الرأس وسواها، لأنه ذو صلة بالرأس، أو أنه متجه إلى الرأس. «التيسير»، تحقيق: الروداني (ص ٤٨).

(٣) «التيسير»، تحقيق: ميشيل الخوري (ص ٢٦).

وبغداد، وأدى في تلك المرحلة فريضة الحج، فلما عاد، لم يكن بدُّ من أن يحمل معه من التعاليم الطبية، وكذلك من الأدوية ما يتسم بالجدة والطرافة في الوسط الطبي في الأندلس. ومما جلبه معه من المشرق إلى الأندلس من دواء ناجع كان ما سماه «الابن»: «البشامي»، وهو الذي يصفه بأنه «دهن أصفر اللون، رقيق القوام، عطر الرائحة حادّها، لطيف الجوهر، ينفع في تفتيت الحصى التي تلم بالكلّى والمثانة»^(١).

في العلاجات العديدة التي وصفها «التيسير» في صفحات طوال من الكتاب المذكور لأمراض الكلّى والمثانة، من الحصى المتكون فيها الأورام، وتلك العلة المسماة: (البركار^(٢))، ومن خروج البول لا إرادياً... يأتي ابن زهر في الآخر إلى الحديث عن دواء يفتت الحصى بصورة لا معهودة، فيقول: «ولم أجد - بالتجربة - شيئاً أسرع فعلاً في ذلك من دهن كان جدي عبد الملك [بن محمد] الحاج - رحمه الله -^(٣)، جلبه من

(١) «التيسير»، تحقيق: ميشيل الخوري (ص ٢٧٧).

(٢) البركار: هي إفراط الكلّى في إفراز البول الذي يحتمل أن يكون «سكرياً»، فهو ما يعرف اليوم بـ: «الداء السكري»، فاضل السباعي، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن محمد»، مجلة الدارة، العدد (٣)، السنة (١٢)، ١٩٨٦ م، (ص ١٦٣، هامش ٤٨).

(٣) لم يرد في المصادر ما يشير إلى حجة صاحب «التيسير» لبيت الله الحرام، ولم يُعرف أن أيّاً من أطباء أسرة زهر قد أدى الفريضة بعد الجد عبد الملك. «مجلة الدارة»، العدد (٣)، السنة (١٢)، ١٩٨٦ م، (هامش ٤٩).

المشرق، وكان يعرفه بـ (البشامي) (*)، وأضاف صاحب «التيسير» - مستطرداً - يقول: «فإن لم يمكنك هذا الدهن، فإن معجون الأنيسون بمثل زنته من لعوق الكثير نافع، وإن أمكنك دهن البلسان الخالص، فهو أيضاً يفتتها إذا شُرب»^(١).

وفيما يتعلق بشأن ما عرف الطبيب جَدُّ صاحب «التيسير» في زهر (النيلوفر) من خاصية كان يجهلها معاصروه من أطباء الأندلس، قال حفيده أبو مروان عبد الملك بن زهر: «يحسن أن نشير إلى مدى شغف أطباء زمان (الجد) بالأدوية المفردة، تلك التي تتألف خاصة من الأعشاب والحشائش والأزهار. وما كنا - في ذلك - لتتجاوز الحديث عن فرحة أطباء القرن الماضي (الرابع للهجرة) بوفود (الراهب نقولا) عليهم بقرطبة مبعوثاً من قبل إمبراطور بيزنطة (قسطنطين السابع)^(٢)، وذلك بعد أن كان قد قدَّم إلى صاحب الأندلس عبد الرحمن الثالث^(٣) هدايا ملكية،

(*) تنظر (ص ١٨٠) حيث سبق وصفه هناك، هامش (٢).

(١) «التيسير»، تحقيق: ميشيل الخوري (ص ٢٧٧ - ٢٧٨).

(٢) هو الملقب بـ (الأرجواني)، توفي سنة (٣٤٨هـ / ٩٥٩م)، وهو ليس (أرمانوس)، كما ذكر ابن أبي أصيبعة نقلاً عن ابن جلجل الأندلسي، فالثاني جاء إلى الحكم خلفاً لذاك (حكمه ٣٤٨ - ٣٥٢هـ / ٩٥٩ - ٩٦٣م)، وهذا التصحيح مستمد من بحث الدكتور عبدالله محمد العمراني، نشرة «الطب الإسلامي» العدد الثاني (٣ / ٣٧٠).

(٣) الملقب بـ (الناصر لدين الله) الذي استمر حكمه نصف قرن =

منها: كتاب ديسقوريدس الشهير (المادة Meteria Media) باللغة الإغريقية، فجاءهم الراهب المذكور، وكان عالماً باللغتين الإغريقية واللاتينية؛ كي يعلم منهم من يستطيع النهوض بإدراك فحوى الكتاب^(١).

وكان يومذاك، بقرطبة، على حد قول (ابن جلدل)، أطباء لهم القدرة على تعيين ما كان مجهولاً من أسماء عقاير كتاب ديسقوريدس إلى اللغة العربية^(٢). من هؤلاء الأطباء: حسداي بن شبروط الإسرائيلي، ومحمد المعروف بـ (الشجار)^(٣)، وأبو عثمان الجزار الملقب باليابسة،

= (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٠ - ٩٦١ م)، وهو الذي أعلن الخلافة من الأسرة الأموية المروانية منهاً بذلك عهد الإمارة، كان حازماً وعادلاً وشجاعاً، ومحباً للإصلاح، حريصاً عليه. المقرئ، «نفح»، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي (١ / ٣٣٧).

(١) كان كتاب ديسقوريدس هذا قد نقل إلى العربية زمن الخليفة العباسي (المتوكل) المتوفى (سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م)، نقله (إصطفن بن باسيل)، وصححه وأجازه حنين بن إسحاق، وهذه الترجمة قد وصلت إلى الأندلس، لكن ما كانت كاملة، لأن إصطفن كان قد ترك بعض الألفاظ على يونانيته، دون أن يجد ما يقابلها بالعربية، آملاً أن يهيء الله من يتم هذه المهمة. ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، (ص ٤٩٣).

(٢) المصدر نفسه (ص ٤٩٤).

(٣) (الشجار) و(النباتي) و(الحشائشي): ألقاب كان يعرف بها الأطباء المعنيون بالتطبيب بالنبات. فاضل السباعي، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن محمد»، مجلة الدارة، العدد (٣)، السنة (١٢)، ١٩٨٦ م، (ص ١٦٤، هامش ٥٧).

ومحمد بن سعيد الطيب، وعبد الرحمن بن إسحاق بن هيثم، وأبو عبدالله الصقلي الذي كان يعرف الإغريقية، فتعاون هؤلاء في تفسير المجهول لديهم من أسماء عقاقير الكتاب^(١).

كان أبو المطرف بن وافد^(٢) معاصراً للطبيب «مدار البحث» أبي مروان عبد الملك ابن الفقيه محمد، وبرغم أن ابن وافد كان وزيراً في بلاط طليطلة التي تبعد مسافة عن دانية؛ حيث إقامة الطبيب الوزير أبي مروان عبد الملك، إلا أن هذا الطبيب المتمكن من صناعة الطب، الذي ظهر رغباً في الاستزادة من المعرفة بالطب النباتي، لم يتوقف [عن] متابعة التجارب التي تُجرى قدامه، أو التي يسمع بها، ولا يتوانى في تلمس ما يقال عنها أينما تكون، فكان محتملاً أن يتصل الوزيران ببعضهما لإجراء حوار بينهما يخص الطب، وبالتحديد الطرف النباتي منه^(٣).

ويذكر الابن (عبد الملك بن أبي العلاء زهر) ما نقله له أبوه (أبو

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٤٩٤).

(٢) هو (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم بن يحيى بن وافد بن مهند اللخمي) (٣٩٨ - ٤٦٧ هـ / ١٠٠٧ - ١٠٧٤ م)، سماه صاحب «الأعلام»: ابن مهند (١ / ٣٢٦)، المتوفى في عهد (يحيى بن ذي النون) الملقب بـ: (المأمون) الذي تملك طليطلة بين (٤٣٥ - ٤٦٧ هـ / ١٠٤٣ - ١٠٧٤ م)، مجلة الدارة، (ص ١٦٥، هامش ٦١).

(٣) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن محمد»، مجلة الدارة، العدد (٣)، السنة (١٢)، ١٩٨٦ م، (ص ١٥٣).

العلاء زهر) عن (وصفة) كان الجذُّ [يعني : عبد الملك ابن الفقيه محمد] كتبها في أحد المجالس العامة، أورد فيها زهر النيلوفر، فقال : «وكان أبي - رحمه الله - يخبر عن أبيه، جدي الأقرب - رحمه الله - أنه كتب في مجلس أحد الملوك في وقته - عنده وروده من المشرق - دواءً مسهلاً، وكان حاضراً المجلس الطبيب المشهور أبو المطرف بن وافد - رحمه الله - فنظر الطبيب المشهور، فلققه، بموقع النيلوفر من الأدوية أريحية عظيمة، وأفرط في ذلك، وتناهى استحساناً وطرباً!«^(١).

لم يكن إفراط الطبيب الشهير ابن وافد - في إعجابه، وتناهيه في استحسانه وطربه من موقع زهر نبات النيلوفر في الوصفة الطبية التي دونها الطبيب الأندلسي العائد توماً من المشرق - إلا لاهتمامه البالغ بالأدوية المفردة، وهو الذي كان له في الطب - على حد قول معاصره صاعد الأندلسي - : «منزع ومذهب نبيل، ويلخص ذلك بأنه لا يرى التداوي بالأدوية ما أمكن بالتداوي بالأغذية، أو ما كان مشابهاً لها، فإذا اقتضى الأمر إلى تناول الأدوية، فلا يرى التداوي بمركبها ما وصل إلى التداوي بمفردها، فإن اضطر إلى المركب، لم يكثر التركيب، بل اقتصر على

(١) أبو مروان عبد الملك بن زهر، «التيسير»، تحقيق: ميشيل الخوري، (ص ٣٢٥)، ويرجح أن يكون الملك المشار إلى محله في النص هو (مجاهد العامري) صاحب دانية (الترجيح هذا لفاضل السباعي)، «مجلة الدارة»، العدد (٢)، السنة (١٢)، ١٩٨٦ م، (ص ١٦٥، الهامش ٦٣).

أقل ما يمكن منه»^(١).

وفي معالجة مرض نوع من الحميات تدعى بـ: (حمى ربيع) قال صاحب «التيسير»: «واضع في الترطيب كما تسعى في الإنضاج والتلطيف. وقد كان جدي الأقرب [يعني: أبا مروان عبد الملك بن محمد] - رحمه الله - استصعب عليه علاج حمى ربيع، فأمر العليل أن يأكل كل يوم ثلاث حبات من الخوخ النضج أياما نحو العشرة، ثم سقاه - رحمه الله - دواءً مسهلاً، برىء من مرضه برء أكلياً!»^(٢).

هذا وقد عَجِبَ أطباء وقت أبي مروان عبد الملك بن محمد من ذلك آنذاك، وتبودلت في ذلك رسائل عديدة بينه وبين الشيخ الوزير أبي المطرف بن وافد - رحمه الله - فإن أبا المطرف قد كتب إلى عبد الملك بن محمد ليتعرف حقيقة ما بلغه عن ذلك، وما دفعه إلى فعله، فكتب إليه أبو مروان عبد الملك موضحاً له حقيقة ما فعل، وما ظهر إليه، وبما كان يقصده من ذلك، فأعظم أبو المطرف الأمر استحساناً! والرسائل متداولة

(١) «طبقات الأمم» (ص ١٢٨).

(٢) «التيسير»، تحقيق: الخوري (ص ٤١٥)، الخوخ Pecher: الخوخ تستعمل في مصر، والدراقن في الشام، أما الخوخ في الشام، فيطلقونها اليوم - غلطاً على الشجر المسمى Prunier، هذا الشجر المثمر من الفصيلة الوردية. الأمير مصطفى الشهابي، «معجم الألفاظ الزراعية» (ص ٣٨٥)، ط مصر، ١٩٥٧ م. ومن منافعه التي ذكرها «قاموس الأطباء»: «الفج منه قابض، والحلو ملين صالح للمعدة، يشهي الطعام»، ط ١، (ص ٢٠).

في أيدي الناس، وموجودة^(١).

وليس غريباً أن يبدي ابن وافد صاحب ذلك «المنزع اللطيف والمذهب النبيل» في محاولة تجنب التداوي بالأدوية، والسعي - بعد سماعه الخبر - إلى التعرف على حقيقة ما بلغه وما سمعه، وإلى الاطلاع على العوامل التي دعت أبا مروان عبد الملك ابن الفقيه محمد على أن يصف للمحموم في حمى الربيع - بعد أن تعذر عليه علاجها - أن يتناول حبات من الخوخ النَّضج ثلاثاً في اليوم فقط. وعلى مدى عشرة أيام، وذلك قبل أن يعطيه الدواء المسهل، فيبرأ العليل من مرضه «برء أكلياً»!، وحبذا لو بقيت الرسائل التي تبودلت حول ذلك إلى يوم الناس هذا؛ ليرى الباحثون كيف يتم الحوار بين العلماء الوزراء في مثل هذه الابتكارات الطبية في العصر العربي الأندلسي^(٢).

وفي التأكيد على ضرورة تلطيف غذاء المصاب بعلّة الهلاس (السُّل) يقول صاحب «التيسير» أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر: «أفضل الأغذية له الخبز المختمر من البُر [الحنطة] بمربي الورد السكري»، ويضيف قائلاً:

(١) أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر، «التيسير»، تحقيق: ميشيل الخوري، (ص ٤١٦).

(٢) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن محمد»، مجلة الدارة، العدد (٣)، السنة (١٢)، ١٩٨٦ م، (ص ١٥٦).

«وكان أبي - رحمه الله - [يعني : أبا العلاء زهراً] يخبر أن رجلاً في شرق الأندلس أصابته هذه العلة العظيمة، حتى ذهب معظم لحمه، فحمله أبوه (جدي الأقرب عبد الملك) - رحمهما الله - على التزام هذا الغذاء، وعلى أكل الخبز المختمر بالزبيب، وبقي على ذلك مدة طويلة جداً، فارتفع سعاله وهُلاسه^(١)، وخصب بدنه، وبقي يحيا ليس به شيء من السوء، وطال عمره إلى أن مات جدي المذكور - رحمه الله -، وبقي معاصراً لابنه - [أبي العلاء زهراً] - مدة طويلة، وأظنه - رحمه الله -، أخبر أنه، بعد مدة طويلة، مات الرجل من علة أخرى»^(٢).

ولم يفت ابن زهر أن يروي في كتابه «التيسير» عن حالة مرضية مماثلة من التي وقعت له في تجاربه الطبية؛ حيث يقول : «ورأيت رجلاً وأنا فتى حديث السن، من القرينيين^(٣)، أصابته هذه العلة [السّل]، فألزمته مشروباً على نحو هذه السبيل [يعني : على نحو ما قام به جده من

(١) في «لسان العرب»: ... رجل مهلوس، وهلسه الداء يهلسه هلساً: خامره... الجوهرى: الهلاس: السّل (بالكسر)، ورجل مهلوسُ العقل: ذاهبه، ويقال: السلاس في العقل، والهلاس في البدن. «مجلة الدارة»، العدد (٣)، السنة (١٢)، ١٩٨٦م، هامش (٨٣).

(٢) أبو مروان عبد الملك بن زهر «التيسير في مداواة والتدبير»، تحقيق: ميشيل الخوري (ص ١٦٩).

(٣) القرويين بلغة أهل الأندلس، «مجلة الدارة»، العدد (٣)، السنة (١٢)، ١٩٨٦م، (ص ١٥٨، هامش ٨٥).

معالجة المصابين بمرض السل]، وأن يغتذي بما رسمته، فارتفع سعاله، وعاش، وخصب جسمه، وعاد إلى عمله وأشغاله، وبقي كذلك أعواماً، إلى أن عرض هواء وبائي، وكثر الموتان^(١) في الناس، فمات الرجل من حمى عظيمة أصابته^(٢).



(١) الموتان: الهواء الوبائي، وهذا المدى المستعمل عند الأطباء. «قاموس الأطباء» (١ / ٧٤).

(٢) أبو مروان عبد الملك بن زهر، «التيسير»، تحقيق: ميشيل خوري (ص ١٧٠).

الْفَضْلُ الثَّانِي
الطَّبِيبُ الْأَنْدَلُسِيُّ أَبُو الْعَلَاءِ زَهْر
ت: ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م

أ - (حياته):

تعريف:

لقد دون المؤرخون القدامى والمحدثون تعريفاً للطبيب الأندلسي الشهير أبي العلاء زهر، الثاني في سلسلة أطباء أسرة زهر الأندلسية، كل حسب فهمه للتعريف بأبي العلاء زهر. قالوا: هو «الوزير أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر الإيادي أحد الأفراد الأمجاد من إباد»^(١)، وهو «زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن عبد الملك ابن خلف بن زهر الإيادي، من أهل إشبيلية، يكنى: أبا العلاء»^(٢). «طبيب الأندلس، وصاحب التصانيف»^(٣)، «العلامة الأوحده، الطبيب

(١) ابن بسام، «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» (ق٢، م١)، تحقيق: د. لطفي

عبد البديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥ م، (ص ١٨٧).

(٢) ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٩ هـ /

١٢٦٠ م)، «التكملة لكتاب الصلة»، تصحيح: عزت العطار الحسيني،

القاهرة ١٩٥٦ م، (٢ / ٣٣٤).

(٣) الذهبي، «العبر في خبر من غبر» (٤ / ٦٤).

الشاعر^(١)، وهو فرد في بني آدم، وهو واحد ما أتى بمثله، وقد تقادم ابن أبيه، وفوق كل من يليه، لم يتوقف سيف ذهنه الماضي عند حده، ولا جارى البرق وقد أخفى له نار حقه، وأمسى وهو أبو العلاء، وأخو النجم في السؤدد والاعتلاء^(٢). أخذ الطب عن أبيه، فعلا فيه وألف حتى فخر به أهل الأندلس، وأخذ عن أبي علي الحياتي، وعبدالله بن أيوب^(٣).
كان قد عين وزيراً، وهو فيلسوف^(٤)، وشاعر وطبيب عظيم^(٥) وحكيم^(٥).

نشأ في شرق الأندلس، وسكن مدينة قرطبة، واشتغل بالحديث والأدب^(٦). وهو جد الحفيد [أبي بكر محمد بن عبد الملك بن زهر]،

-
- (١) الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (١٩ / ٥٩٦).
(٢) العمري، ابن فضل الله، «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» (ص ٣٢٤).
(٣) الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (١٩ / ٥٩٦).
(*) لم يرد في المصادر التاريخية المتيسرة أي شيء عن فكره الفلسفي، وأغلب الظن أن الموقف السلبي لملوك العهد المرابطي والموحدي حال دون ذلك. (الباحث).

- (٤) ابن الخطيب، لسان الدين، «جيش التوشيح» (ص ٢٧٢).
(٥) البغدادي، إسماعيل باشا، «هدية العارفين» المجلد الأول، طبع بعناية وكالة المعارف، إستانبول، ١٩٥١م، (ص ٣٧٥).
(٦) ابن الخطيب بن قنفذ (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م)، «الوفيات»، تحقيق: عادل نويهض، نشر المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، =

وزير ذلك الزمن وعظيمه، وفيلسوف العصر وحكيمه^(١).

إن أبا العلاء زهراً هو جد الحفيد أبي بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن زهر، وقد أشاد ابن بسام في «الذخيرة»، وقال - إضافة إلى ما تقدم ذكره قبل قليل - «وهو في وقتنا البحر الذي لا يبلغ بالتحصيل، والصبح الذي لا يفتقر معه إلى دليل»^(٢).

وأكثر البعض من المصنفين في الكلام في مجال التعريف به، فقالوا: «وكان منذ طفولته مولعاً بتعلم الطب عن أبيه»^(٣)، حتى عرف به، فتبوأ مكانة مرموقة في هذا المجال^(٤)، ونال شهرة واسعة تجاوزت حدود الأندلس إلى المشرق العربي الإسلامي حيث الشام والعراق^(٥). وقد عرفت له علاجات متميزة ومنتقاة تشير إلى متانة قدرته في صناعة الطب، وتمكنه من دقائقها، الأمر الذي جعله معتبراً لدى أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين، الذي اختصه طبيباً خاصاً به، وقد نال لديه حظوة لم يوفق

= ١٩٧٥ م، (ص ٢٧٥)، هامش (١).

(١) ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن (٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م)، «المطرب من أشعار أهل المغرب»، تحقيق: إبراهيم الأبياري، وآخرين، مطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٥٤ م، (ص ١٨٥).

(٢) «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة»، (٢ / ١٣٢).

(٣) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٧).

(٤) المقري، «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» (٢ / ٤٢٢).

(٥) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٧).

بنيلها أحد من أهل الأندلس^(١).

كان أبو العلاء موصوفاً بالبراعة في الطب، مشهوراً بالحدق في معالجة المرضى، وكانت له نواذر في مداواته المرضى، وأمور غريبة في كيفية معرفته بأمراضهم، وما يشعرون به من أعراض المرض، دون أن يعلمهم عنها، بل بنظرة إلى قواريرهم، أو حينما يجس نبضهم^(٢).

كنيته: (أبو العلاء)، وحُرِفَت كنيته هذه في العصور الوسطى فصارت (أبو ألي) (Aboali)، و(أبوللي) (Abuleli)، و(إيلولي) (Ebilule)، وقد أضيفت إلى زهر، ف قيل: (أبو ليليزور) (Abulelizor)، و(أبوليزور) (Albuleizor)^(٣). ومصدر الثلاثة الأولى منها كنيته (أبو العلاء)، فوردت (أبو ألي)، و(أبوللي) و(أيلولة)، ومن الكنية مضافة إلى الاسم (زهر) اشتق الاسمان الآخران: (أبوليليزور)، و(أبوليزور)، أما قولهم: (القوزير)، فمن لقبه (الوزير)، وهذا كله أدلة على مدى شهرته^(٤).

وأبو العلاء زهر هو أحد أفراد أسرة انتشر صيتها، وشاع أثرها في مجالات العلم والفضل والرياسة^(٥).

(١) ابن الأبار، «التكملة لكتاب الصلة» (ص ٣٣٤).

(٢) وجدي، محمد فريد، «دائرة معارف القرن العشرين» (٤ / ٦٥٩).

(٣) بروفنسال، ليفي وآخرون، «دائرة المعارف الإسلامية» (١ / ١٨٣).

(٤) البستاني، فؤاد أفرام، «دائرة المعارف» (٣ / ١٤٣).

(٥) ابن خلكان، «وفيات الأعيان» (٤ / ٦٣).

* ولادته ونشأته :

ولد أبو العلاء في مدينة إشبيلية من بلاد الأندلس^(١)، بين عام (٤٨٤ و ٤٨٧ هـ / ١٠٩١ و ١٠٩٤ م)^(٢)، ونشأ بشرق الأندلس، وإن أطلال داره بجفن شاطبة لم تزل معروفة به الى أن تملكها الروم، وأخرجوا منها المسلمين، وذلك في رمضان سنة (٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م)^(٣). «وري في بيت العلم ربيباً، أضحى منذ نعومة أظفاره حبيباً، فطلع كالبدرة تام الأنوار، وطمى كالبحر بتمسك له بجوار، حتى بان كالسحاب واستقل انسكاباً، وتأتيه زمراً وركاباً، يحج إليه ويعتمر»^(٤)، وسكن قرطبة، ودرس الحديث والأدب، ثم انكب على دراسة الطب، وتدرّب عليه تدريباً فنياً على يد أبيه وعلى أبي العيّن المصري، ووصف بالدقة المتناهية في تشخيص الأمراض إلى درجة عجيبة^(٥).

وعن نشأة أبي العلاء زهر قال المقرئ في «نفحه»: «ونشأ أبو

(١) الطنطاوي، محمود السعيد، «أضواء على تاريخ الطب، دراسات في الإسلام»، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، العدد ١٨٣، سنة ١٩٧٦ م، (ص ١١١).

(٢) فراج، د. عز الدين، «فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية» (ص ٢٥٣).

(٣) ابن الأبار، «التكملة لكتاب الصلة» (٢ / ٢٥٣).

(٤) العمري، ابن فضل الله، «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» (ص ٣٢٤).

(٥) ابن قنفذ، «كتاب الوفيات» (ص ٢٧٥).

العلاء زهر بن عبد الملك، فاخترع فضلاً لم يكن في الحساب، وشرع نبلاً
قصرت عنه نتائج أولي الألباب، ونشأ بشرق الأندلس، والآفاق تتهاذى
عجائبه، والشام والعراق تتدارس بدائعهم وغرائبهم، ومال إلى علم الأبدان،
فلولا جلالة قدره، لقلنا: جاد هاروت^(*) طرفاً من سحره، ولولا أن الغلو
آفة المديح، لما اكتفى فيه بالكناية عن التصريح^(١).

* دراسته وأساتذته:

قادته رغبته في دراسة الأدب والحديث إلى قرطبة، فاستفاد من
دروس أعظم شيوخ عصره هناك^(٢)، ففي رحلته الدراسية إلى قرطبة
لقي بها الأستاذ الجليل أبا علي الغساني، وثلةً من صحبه، وأخذ
عنه، وأشار عليه أستاذه المذكور أن يصحب أبا بكر مفوّزاً، وأبا جعفر
عبد العزيز؛ ليستفيد منهما، ويأخذ علم الحديث عنهما، وتلقى علماً من
أبي محمد عبدالله بن أيوب من الحديث في الأخذ باليد، وكتب إليه أبو
محمد الحريري، ورغب في علم الطب الذي علمه إياه أبوه، فجهر به،
وأنسى من قبله إحاطةً به، وفهماً لمعانيه، حتى إن أهل المغرب صاروا
يفخرون به وبأهل بيته في ظهوره بعلم الطب^(٣). بعد أن أخذ الطب

(*) هاروت: رفيق ماروت، ملكان هبطا ببابل، فعلمّا الناس السحر د. إبراهيم
أنيس وآخرون، «المعجم المتوسط» (٢ / ٩٦٨).

(١) «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» (٤ / ٤٠٠).

(٢) بروفنسال وآخرون، «دائرة المعارف الإسلامية» (١ / ١٨٣).

(٣) ابن الأبار، «التكملة لكتاب الصلة» (٢ / ٣٣٤).

عن أبيه^(١) أبي مروان عبد الملك بن محمد المتوفى عام (٤٧٠هـ / ١٠٧٨م)، والذي تولى رئاسة الطب ببغداد، فمصر، فالقيروان، وأخيراً في إشبيلية، دون أن يترك أثراً في الطب، أو غير الطب^(٢).

وكان أبو العلاء قد أتقن علم الطب على أبيه، وعلى أبي العيلاء المصري، أو درس الفلسفة والمنطق، ودرس الأدب والحديث عن شيوخها في قرطبة - كما سلف -، وصار يمارس مهنة الطب عملياً ونظرياً^(٣). فحذق في هذه الصناعة، واشتهر بها^(٤).

* سلوكه ومزاياه الشخصية :

يبدو أن المرء - مهما سطع نجمه، وعلا شأنه، وعظم نفعه - لا يسلم من رمي حاسد، وقذف مخاصم، ولعن منافق، خصوصاً من أصحاب الأقلام المعاصرين له. فهذا ابن أبي أصيبعة ينقل للأجيال اللاحقة رواية تحمل التقيضين: المدح الفائق، والذم المقذع؛ مما لا يليق بالعلماء تداوله، ولا العقلاء تناوله؛ حيث يقول بحق أبي العلاء زهر:

(١) كحالة، عمر رضا، «معجم المؤلفين، تراجم مصنفى الكتب العربية» (٤ / ١٨٥ - ١٨٦).

(٢) بنعبدالله، عبد العزيز، أسرة بني زهر، «كتاب التيسير» لأبي مروان عبد الملك بن زهر (ص ٢٦).

(٣) البستاني، فؤاد أفرام، «دائرة المعارف» (٣ / ١٤٣).

(٤) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ١٧٨).

«يفوق الجلة سماحة وندى، لولا بذاء لسان، وعجلة إنسان، وأي الرجال تكمل خصاله، وتتناسب أوصاله؟!»^{(١)(*)}.

وفي ذات الموضوع تناوله، ابن فضل الله العمري، فقال: «قال أبو يحيى اليسع بن حزم: إن أبا العلاء زهراً كان - مع صغر سنه - تصرخ النجابة بذكره، وتخطب المعارف بشكره، ولم يزل يطالع كتب الأوائل متفهماً، ويلقى جلة الشيوخ متعلماً، حتى برز في الطب إلى غاية عجز الطلب عن مرامها، وضعف الفهم عن إبرامها، إلى أن خرجت عن قانون الصناعة، إلى ضروب الشناعة يُخبر فيصيب، ويضرب في كل ما يتحلله بأوفى نصيب، ويستغرق المدى، ويعبر في وجوه سوابق الفضلاء محتداً، ويفوق الجلة سماحة لا توصف وندى، لولا بذاءة لسان، وعجلة رُكْب عليها الإنسان، وأي الرجال تكمل خصاله، وتتناسب أوصاله؟!»^(٢).

هذا وقد امتاز أبو العلاء بمهارة عالية وفائقة بزَّ بها أقرانه ومعاصريه؛ إذ أنه كان يعتمد على فحص أحداق العيون لتشخيص المرض، وجس النبض، وتحليل البول^(٣).

(١) «عيون الأنبياء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٧)، الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (١٩/٥٩٦).

(*) نعم لا يسلم المرء من عيب، وكشف العيب عيبٌ. (الباحث).

(٢) «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» (ص ٣٢٥).

(٣) بن عبد الله، عبد العزيز، «أسرة بني زهر، كتاب التيسير»، تحقيق: الروداني، (ص ٢٨).

ومما قيل عن وصف حاله : «السعد ينهج له منهاج التيسير، والقدر لا يرضى له من الوجاهة باليسير، حتى برز في الطب إلى أسمى الغايات، وسار فيه شوطاً لم ينله أحد من أطباء زمانه»^(١).

* تقربه إلى السلطان، ومنحه شرف الوزارة:

تمكن الطبيب أبو العلاء زهر من أن يقيم علاقة متينة مع رجال السياسة وقيادة الدولة المركزية، وجعل من السلطان محلاً لم ينله أحد من أهل الأندلس في حينه، وصارت إليه رئاسة بلده، ومساهمته ولاته في تدبير أمور الدولة^(٢).

وكان أبو العلاء في دولة الملمشين^(٣) (المرابطين)، وحظي في زمنهم، وظفر بالمنزلة الرفيعة والذكر الحسن^(٤).

قال الذهبي: «نال [أبو العلاء زهر] دنيا عريضة، ورئاسة كبيرة»^(٥).

(١) الشطبي، شوكت، «مختصر تاريخ الطب» (ص ١٣٦).

(٢) ابن الأبار، «التكملة لكتاب الصلة» (٢ / ٣٣٤).

(٣) اسم يطلق على قبائل الصنهاجة في أفريقية الشمالية العربية، كان رجالهم يضعون اللثام على وجوههم، والسلالة الملكية التي تركز عليهم هي المرابطون، فتحت المغرب وبسطت سلطانها على الأندلس، مؤسسها يحيى بن إبراهيم الجدلبي، وأشهر ملوكها يوسف بن تاشفين. ابن أبي أصيبعة، «عيون»، (ص ٥١٧)، هامش (١).

(٤) المصدر نفسه (ص ٥١٧).

(٥) «العبر في خبر من غير» (٤ / ٦٤).

ونفق على السلطان حتى صارت إليه رياسة بلده»^(١).

سبق ذكر نشأة الطبيب أبي العلاء بشرق الأندلس، وأن بقايا منزله في جفن شاطبة ما برحت قائمة إلى حين تملكها الروم، وغادرها المسلمون، فهو ما زال مقيماً بشرق الأندلس إلى أن كان من صولة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، ومن التحق إليه من ملوك الطوائف ما عُرف، وحضر أبو العلاء معهم، فصادف أن لقيه المعتمد بن عبّاد، ورعّبه واستهواه، واقترب من أن يغلب على هواه، وصرف ابن عباد على أبي العلاء أملاكه، فحن أبو العلاء إلى وطنه، ونزع إلى مقر آبائه وأجداده، بيد أنه لم يلبث بإشبيلية إلا بعد إسقاط المعتمد، وحلّ عند يوسف بن تاشفين محلاً لم يحظ به غيره، وحينما كتب إليه حسام الدولة بن رزين مالك السهلة يقول:

عاد اللثيم فانت من أعدائه	ودع الحسود بغله وبذائه
لا كان إلا من غدت أعداؤه	مشغولة أفواهُهم بجفائيه
أبا العلاء لئن حُسدت لطالما	حُسد الكريم بجوده ووفائه
فخر العلاء فكنت من آبائه	وزها السناء فكنت من أبنائه
كن كيف شئت مشاهداً أو غائباً	لا كان قلبٌ لست في سودائه

أجاب أبو العلاء زهراً بقوله:

يا صارماً حَسَمَ العدا بمضائه	وتعبد الأحرارَ حسنُ وفائه

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٩ / ٥٩٦).

ما أَثَّرَ الْعَضْبُ الْحَسَامُ بِذَاتِهِ إِلَّا بِأَنْ سُمِّيتَ مِنْ أَسْمَائِهِ^(١)

وأضاف المقرئ يقول: «دخل الوزير أبو العلاء زهر ابن الوزير أبي مروان عبد الملك بن زهر على الأمير عبد الملك بن رزين في مجلس أنس، وبين يديه ساقٍ يسقي خمريْن من كأسه ولحظه، وييدي درّين من حَبَابِهِ^(*) ولفظه، وقد بدا خَطُّ عِذارِهِ^(**) في صحيفة خده، وكمل حسنه باجتماع الضد منه مع الضد، فكأنه بسحر لحظه أبدى ليلاً في شمس، وجعل يومه في الحسن أحسن من أمس، فسأله ابن رزين أن يصنع فيه، فقال [أبو العلاء] بديهيّاً:

تضاعفَ وجدي أَنْ تَبْدَى عِذارُهُ ونَمَّ فخانَ القلبِ مني اصطبارُهُ
وقد كان ظني أن سيمحق ليْلُهُ بدائعَ حسن هام فيها نهارُهُ
فأظهر ضد ضده فيه إذ وَشَتْ بعنبره في صفحة الخدِّ نارهُ^(٢)

والظاهر أن الطيب أبا العلاء زهراً كان أول طبيب أندلسي جاء الى المغرب بعد استيلاء المرابطين على الأندلس (٤٤٨ - ٥٤١ هـ / ١٠٥٦ - ١١٤٧ م)، وقد كان الطيب الخاص ليوسف بن تاشفين على أثر انتهاء

(١) المقرئ، «نفع الطيب» (٤ / ٤٠٠).

(*) الحجب: تنضد الأسنان. لويس معلوف، «المنجد في اللغة» (ص ١٠٨).

(**) عِذاره، العذار: جانب اللحية؛ أي: الشعر الذي يحاذي الأذن المرجع نفسه (ص ٥١٤).

(٢) «نفع الطيب» (٤ / ٢٣٣).

عهد المعتمد بن عباد في إشبيلية^{(١)(*)}.

وكان المعتمد هذا قد ألحقه ببلاطه، وبعد خلعته من قبل المرابطين انضم أبو العلاء إلى يوسف بن تاشفين الذي منحه شرف الوزارة^(٢).

وقيل: إن أبا العلاء قد استدعاه المعتمد لمعالجة الرميكية^(**) عندما كان أسيراً باغمات^{(***)(٣)}.

كان أبو العلاء في دولة الملثمين (المرابطين) قد حظي بالمكانة الرفيعة، والذكر الجميل، وكان قد احترف بصناعة الطب وهو صغير أيام

(١) بنعبدالله، عبد العزيز، «الطب والأطباء العرب» (ص ٢٢).

(*) أورد طارق صالح الزبيدي في كتابه «التراث العلمي العربي الطبي» (ص ٣٤٣) قوله: «ويعد [أبو العلاء من أوائل الأطباء الذين دخلوا المغرب الأقصى، ولم يقل: (أول طبيب)، والواقع أن القول (أول طبيب) يصعب استيعابه؛ لأن علم الطب لا تعرف له بداية، والأطباء لا يمكن حصرهم والتثبت من تواجدهم هنا أو هناك. (الباحث).

(٢) ابن قنفذ، «كتاب الوفيات» (ص ٢٧٥)، هامش (١).

(**) زوجة المعتمد بن عباد، وأم أولاده، الملقبة بـ (اعتماد). المقرئ، «نفح الطيب» (١/ ٤٢٢).

(***) في المغرب، جنوبي مراكش، مياه غزيرة وبساتين، فيهما قبور أولياء المسلمين، كانت قديماً قاعدة البلاد قبل تأسيس مراكش، ومن أعمال مملكة بني إدريس. فردينان تونل، «المنجد» (ص ٢٦).

(٣) بنعبدالله، عبد العزيز، «الطب والأطباء العرب» (ص ٢٢).

المعتضد بالله أبي عمر، وعباد بن عباد^(١)، واشتغل أيضاً بعلم الأدب^(٢). واشتهر ببراعة في دولة الملتمين والمرابطين، ونفذت كلمته عندهم^(٣). ولقد استوزره الأمير يوسف بن تاشفين، وأصبح طبيباً خاصاً له كما سبق ذكره^(٤)؛ لأنه كان عالماً في الطب، عارفاً بالعلاجات الدقيقة واستقر في مراكش لعلاج الأمير^(٥).

وبعد أن هزم الموحدون المرابطين، صار أبو العلاء وزيراً وطبيباً لأول أمراء الموحدين عبد المؤمن الذي حكم من (٥٢٥هـ / ١١٣٠م) إلى عام (٥٥٨هـ / ١١٦٢م)^(٦).

ب - جهوده العلمية :

أولاً - في حقل الطب :

مال أبو العلاء إلى علم الطب الذي درسه وأخذه عن أبيه أبي مروان

(١) أحمد عيسى بك، «تاريخ النبات عند العرب» ط ١، جامعة فؤاد الأول، كلية الطب، ١٩٤٤م، (ص ٨٩).

(٢) وجدي، محمد فريد، «دائرة معارف القرن العشرين» (٤ / ٩٥٩).

(٣) المعلوف، عيسى إسكندر، «الأسر العربية المشتهرة بالطب» بيروت، المطبعة الأدبية، ١٩٣٥م، (ص ٢١).

(٤) الزبيدي، طارق صالح، «التراث العلمي العربي الطبي» (ص ٣٤٣).

(٥) البوشي، محمد عبد الحميد، «الإسلام والطب» (ص ١٤٨).

(٦) فراج، د. عز الدين، «فضل علماء العرب على الحضارة الأوربية» (ص ٢٥٣).

ابن الفقيه محمد، فظهر فيه، وفاق مَنْ قبله إحاطةً به، وحثاً لمعانيه، حتى فاخر به أهل المغرب، وبأهل بيته في صناعة الطب^(١)، وكان قد اشتغل بصناعة الطب هذه منذ نعومة أظفاره، وذلك في عهد المعتضد بالله أبي عمر عباد^(*) بن عباد^(٢)، وبرز أبو العلاء في هذه الصناعة إلى غاية عجز الطب عن مرامها، وتراجع الفهم عن إبرامها، وابتعدت عن قانون الصناعة، إلى أنواع من الشناعة، فصار يخبر فيصيب، ويضرب في كل ما يتحلله من التعاليم بأوفى نصيب، ويشعر سابق مدى، ويعبر في وجوه الأفاضل علماً ومحتداً^(٣)، فطارت شهرته في الحذق والمعرفة^(٤).

كان أبو العلاء زهراً وزيراً وفيلسوفاً، وشاعراً وطبيباً عظيماً^(٥)، وفي هذا المعنى قال المقرئ: «فقال ابن دحية - [يعني: أبا العلاء زهراً] -: كان وزير ذلك الدهر وعظيمه، وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه^(٦)»، نال

(١) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة (٢/ ٣٣٤).

(*) هو صاحب إشبيلية وأعمالها، خلف والده في الحكم واستبد، وكان معه وزراء فأفناهم، وحارب البربر وظفر بهم. محقق «عيون الأنباء» لابن أبي أصيبعة، نزار رضا، (ص ٥١٧)، هامش (١).

(٢) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٧).

(٣) المصدر نفسه (ص ٥١٨).

(٤) المصدر نفسه (ص ٥١٧).

(٥) ابن الخطيب، لسان الدين، «جيش التوشيح» (ص ٢٧٢).

(٦) «نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب» (٣/ ١٣).

أبو العلاء هذه المراتب بعد أن اشتغل بالطب، وتدرّب عليه تدريباً فنياً وفائقاً على يد أبيه - كما سبق ذكره -، وعلى أبي العيّن المصري^(١) فتفوق فيه، وكان يمتاز بالدقة في تشخيص الأمراض إلى حدّ عجيب، وكانت له علاجات مختارة تشير إلى سعة اطلاعه، وإحاطته بدقائق هذه الصناعة، وكانت له نواذر في مداواة المرضى، ومعرفة أوضاعهم وآلامهم من دون، أن يعلمهم، بل ينظر إلى قواريرهم، أو حينما يجس نبضهم^(٢).

نال أبو العلاء شهرة في الطب، حتى قيل عنه: لعله كان أكبر إكلينيكي^(*) في الإسلام بعد الرازي، وذلك لاتباعه بلا شك جالينوس في نظرياته؛ مثل سائر أطباء ذلك الزمان، بيد أنه مال ميلاً شديداً إلى التجريب، وإليه ينسب أول وصف للطفيلي الذي يسبب مرض الجرب، وهو حشرة مثل رأس الدبوس حجماً، تصيب الإنسان والكلاب على حد سواء. وكان أبو العلاء أكبر طبيب في زمانه في الإسلام بإسبانيا المسيحية^(٣). وكان أعظم طبيب سريري في الإسلام، وكان صديقاً

(١) بروفنسال وآخرون، «دائرة المعارف الإسلامية» (١ / ١٨٣).

(٢) الشطي، شوكت، «مختصر تاريخ الطب» (ص ١٣٥).

(*) إكلينيكي: سريري، مختص بفراش المريض: إلياس أنطوان إلياس، «القاموس العصري»، E - عربي، ط ١١، القاهرة، ١٩٥٤ م (ص ١٤٠).

(٣) فراج، عز الدين، «فضل علماء العرب على الحضارة الأوربية» (ص ٢٥٣).

للفيلسوف ابن رشد(*) (١).

ويعد أبو العلاء من أوائل الأطباء الذين غادروا الأندلس مرتحلين إلى المغرب، الأقصى، واستقر في مراكش (٢).

وفي مجال الحذق في الطب، والتقدم في معالجة المرضى، تحدث أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر عن أبيه المذكور، وكيفية الاستفادة منه في معالجة مرض الأمعاء، قال: «رأيت هذه العلة [مرض المعى] عرضت وأنا فتى لرجل قرياني**» شرب ماءً بارداً شديد البرد في

(*) هذه الرواية غير صحيحة، ذلك لأن تاريخ وفاة أبي العلاء كان سنة (٥٢٥هـ، وقيل: ٥٢٦هـ / ١١٣٠م، أو ١١٣١م)، وولادة ابن رشد سنة (٥٢٠هـ / ١١٢٦م)، وهذا يعني أن عمر ابن رشد كان خمس سنوات، أو ست سنوات لما توفي أبو العلاء زهر. فهل يصح والحالة هذه أن يصادق شيخ في الخامسة والسبعين طفلاً في الخامسة أو السادسة من عمره؟ الصواب: هو أن ابن رشد كان صديقاً لعبد الملك بن زهر «صاحب التيسير»، تنظر: (ص ٢٠٢) (الباحث).

(١) عرب، د. مرسي محمد، «لمحات من التراث الطبي العربي» (ص ٣٨).

(٢) الزبيدي، طارق صالح، «التراث العلمي العربي الطبي» (ص ٣٤٣).

(**) القرياني: نسبة إلى القرين (جمع قرى)، وهو سيل الماء من مكان مرتفع قليلاً إلى مكان منخفض، ويعني المؤلف: بالقرياني: صلب اللحم كالفلاحين والبدويين لأن أعضاءهم، تصلب بمباشرة الأعمال الشاقة، «التيسير» (ص ٦٣، هامش ٧٩).

وقت حر شديد؛ لتعب تعبته، فأصابه أن ثقله(*) لم يكن ينفذ، وكان يجد وجعاً شديداً لا يطيق احتمالته، وأعيتني العلة، فشافهت فيها من كان في ذلك الوقت من الأطباء. فلم يزدني أحد منهم إلا خبالاً، فمشيت إلى أبي [يعني: أبا العلاء زهراً] - رحمه الله -، وهو في باديته، فأعلمته بما عرض لي من الحيرة، وسألته أن يفرج عني، فمد يده إلى كتاب، وأخرج فيه قول جالينوس: «وأما للضعف من الأمعاء أن تدفع الثفل»، ودفعه إلي وقال لي: «انصرف»، من غير أن يزيدني شيئاً، وكلما رمت منه أن يفرج عني، أبى القول، وقال: «ردد هذه الصفحة على ذهنك، فإن أجدت علاجه، فبها ونعمت، وإن يكن ما سوى ذلك، فقد سخنت عيني بك، واحذر بعد ذلك أن تعرض إلى شيء من أعمال الطب، وتوليت علاج الرجل، وبريء من علته»^(١).

إن أبا العلاء كان قد خلف أباه الحاج أبا مروان عبد الملك ابن الفقيه محمد، وحمل اسم جد الأسرة الأول: (زهر). ولقد أشيع عن زهر هذا ذكره باختراعه العلاج بالبخار، بالعكس من والده الذي كان ضد الحمّام، واشتهر بخبرته الكبيرة في جس نبضات القلب، وأيضاً بعلمه لأحوال المرضى عن طريق فحص قوارير بولهم، على نحو ما أشيع

(*) الثفل: الغائط، «التيسير»، تحقيق: محمد عبدالله الروداني، (ص ٢٧١، هامش ٥٥١).

(١) أبو مروان عبد الملك بن زهر، «التيسير في المداواة والتدبير» (ص ٢٧١).

عن الطبيب المغربي عبد الوهاب أدراق^(١).

لم يكن أبو العلاء قد خلف أباه وحسب، وإنما أحيا وأعاد اسم الأسرة من جديد، وقد درس في قرطبة الطب، ونجح فيه، حتى إنه فاق نجاح أبيه عبد الملك ابن الفقيه محمد، والتحق ببلاط المعتمد بن عباد - كما سلف ذكره - آخر ملوك إشبيلية، وهو الوحيد من أسرة زهر كني بـ: (زهر) فهو إذن: (أبو العلاء زهر)^(٢).

* تَأْلِيفُهُ:

من تصانيف أبي العلاء زهر:

١ - كتاب الطرر^(٣)، الذي كتب عنه^(٤).

(١) التازي، د. عبد الهادي، «ابن زهر الحفيد، الدرس الافتتاحي للسنة الأكاديمية» سنة (١٩٩٧ - ١٩٩٨ م)، بأغادير، (ص ٤). قيل: إن اثنين من حساد هذا الطبيب المغربي اتفقا على أن يتقدما إليه كمريضين حملا معهما قارورتين، واحدة مليئة ببول خروف، والثانية بماء قطرة من سقف، وعندما وقف الطبيب على القارورتين ضمن القوارير الأخرى المرضى استدعى الاثنين، وقال لأحدهما: إن الخروف سمين، فلتلحقوه بالذبح، وقال للثاني: عليك بتبييض السقف قبل أن ينهار. المرجع نفسه (ص ٤).

(٢) فراج، عز الدين، «فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية» (ص ٢٥٢).

(٣) ابن الأبار، «التكملة لكتاب الصلة» (٢ / ٣٣٤)، ابن قنفذ، «الوفيات» (ص ٢٧٥، هامش ١).

(٤) عنان، محمد عبدالله، «عصر المرابطين والموحدين» (ص ٤٧٣).

٢ - كتاب في الأدوية، لم يكمله، وضعه على ما وعد به رئيس الصناعة، ولم يؤلفه^(١).

٣ - كتاب الخواص^(٢)، أخذ عنه ابن البيطار في خواص لحوم الحيوان^(٣)، يوجد منه مخطوط بمكتبة باريس^(٤).

٤ - كتاب الإيضاح بشواهد الافتضاح في الرد على ابن رضوان فيما رده على حنين بن إسحاق في كتاب «المدخل إلى الطب»^(٥).

٥ - كتاب حل شكوك الرازي على كتب جالينوس، وكان أبوه ملك الأطباء، وكان جده فقيهاً ومفتياً^(٦).

٦ - مجربات^(٧) دونها حين أقام بصحبة المرابطين بمراكش سنة (٥٢٦هـ / ١١٣١م). ولما توفي أمر علي بن يوسف بن تاشفين بجمعها، فألف منها كتاب «المجربات»، ومخطوطه في الإسكوريال^(٨)، وهي مقالة

(١) ابن الأبار، «التكملة لكتاب الصلة» (٢ / ٣٣٤)، عنان، «عصر المرابطين والموحدين» (ص ٤٧٣).

(٢) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٩).

(٣) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ١٧٩).

(٤) بنعبدالله عبد العزيز، «الطب والأطباء العرب» (ص ٢٢).

(٥) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء» (ص ٥١٩).

(٦) الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (١٩ / ٥٩٦).

(٧) لسان الدين بن الخطيب، «جيش التوشيح» (ص ٢٧٢).

(٨) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ١٧٩).

في الرد على ابن سينا في مواضع من كتاب «في الأدوية المفردة»^(١). كان ابن زهر قد سجلها في أوراق باسم «مجربات الخواص» أو «مجربات صحيحة» في مكتبة الصيدلية التي تحفل بمصنفات أخرى لأبي العلاء^(٢).

٧ - مقالة في الرد على أبي علي بن سينا في مواضع كتبه «الأدوية المفردة» ألفها لابنه أبي مروان عبد الملك^(٣).

٨ - كتاب النكت الطبية: كتب بها إلى ابنه أبي مروان عبد الملك ابن زهر^(٤).

٩ - مقالة في بسطه لرسالة يعقوب بن إسحاق الكندي في تركيب الأدوية وأمثلة ذلك^(٥).

١٠ - كتاب الأدوية المفردة، غير كامل^(٦).

١١ - كتاب التذكرة: يتضمن مشاهدات سريرية دونها الطبيب أبو العلاء لابنه أبي مروان عبد الملك، وله صيغة عبرية، وثانية لاتينية (مكتبة

(١) الدجيلي، عبد الصاحب عمران، «أعلام العرب» (ص ٢٦٤).

(٢) بن عبد الله، عبد العزيز، «أسرة ابن زهر»، كتاب التيسير لعبد الملك بن زهر (ص ٢٧).

(٣) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٩).

(٤) ابن الخطيب، لسان الدين، «جيش التوشيح» (ص ٢٧٢).

(٥) البغدادي، إسماعيل باشا، «هدية العارفين» (١ / ٣٧٥).

(٦) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٩).

كلية الطب في باريس)، وقد أعيد طبعها باللاتينية عدة مرات، وترجم الكتاب إلى الفرنسية أيضاً سنة (١٣٣٠هـ / ١٩١١م)، وتدعى: «تذكرة أبي العلاء في الطب، أو في الوصايا الصحية» لها مقدمة بالفرنسية باعتناء (غبريل)^(١)، وترجمه وطبعه (كولان) بباريس، وهو مجموعة من الملاحظات سجلها لابنه أبي مروان بن زهر؛ لتعريفه بالأدواء الغالية الثمن في مراكش، والأدوية المناسبة. وقد ترجم (جان دوكابو) التذكرة من اللغة العبرية إلى اللاتينية (نسخة منها في مكتبة كلية الطب بباريس)، ثم توالى التراجم عام (٦٧٩هـ / ١٢٨٠م)، والمطبوعات عشر مرات بين (٨٩٦ و ٩٦٣هـ / ١٤٩٠ و ١٥٥٤م)، وتوجد الآن نسخة في مكتبة مدرسة اللغات الشرقية بباريس يرجع تاريخ طبعها إلى سنة (٩٣٨هـ / ١٥٣١م)، وهي تحتوي على «كليات» ابن رشد^(٢).

١٢ - رسالة في أمراض الكلى، كتبها الطبيب أبو العلاء زهر لعللي ابن يوسف، ولا توجد سوى ترجمتها باللاتينية المنشورة عام (٩٠٣هـ / ١٤٩٧م)، ويوجد مخطوطة له^(٣). أما الأصل العربي منها، فيعد من المفقودات^(٤).

(١) الدجيلي، عبد الصاحب عمران، «أعلام العرب» (ص ٢٦٤).

(٢) بنعبداالله، عبد العزيز، «الطب والأطباء العرب» (ص ٢٢).

(٣) المرجع نفسه (ص ٢٢).

(٤) السامرائي، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ١٧٩).

- ١٣ - كتاب التبيين في قطع الشك باليقين، انتصاراً لجالينوس عن الشكوك المنسوبة لأبي بكر الرازي^(١).
- ١٤ - مسهلات باعتبار الفصول.
- ١٥ - نجح النجح.
- ١٦ - فوائد المنتخب، توجد نسخ منه في ليدن، القاهرة، الإسكوريال، وباريس^(٢).
- ١٧ - كتاب تدبير الصحة، توجد باللغة اللاتينية، ونشره (فينك) في مدينة «بال»^(٣) عام (١٠٢٨هـ / ١٦١٨م).
- ١٨ - جامع أسرار الطب^(٣) (الوطنية بالرباط)^(٤).
- ١٩ - كتاب المدخل إلى الطب^(٥).

(١) بنعبدالله، عبد العزيز، «أسرة بني زهر، كتاب التيسير لعبد الملك بن زهر»، تحقيق: ميشيل الخوري (ص ٢٧).

(٢) بنعبدالله، عبد العزيز، «أسرة بني زهر، كتاب التيسير لعبد الملك بن زهر»، تحقيق: ميشيل الخوري (ص ٢٧).

(*) بال: مدينة في سويسرا، وهي بلد تجارية وصناعية «آلات وعقاقير»، فردينان توتل، «المنجد» (ص ٦١).

(٣) بنعبدالله، عبد العزيز، «أسرة بني زهر، كتاب التيسير»، تحقيق ميشيل الخوري، (ص ٢٧ - ٢٨)، الزبيدي، طارق صالح، «التراث العلمي العربي الطبي» (ص ٣٤٣).

(٤) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ١٧٩).

(٥) وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين (٤ / ٦٦٠).

* تصويبات في ذكر مؤلفات أبي العلاء زهر :

لوحظ من خلال البحث عن تأليف الطبيب (الزهري) أبي العلاء زهر : أن البعض من المراجع كان قد وقع فيها وهم في تثبيت نسبة البعض من كتب الطب إلى مؤلفيها، وكانت غير دقيقة في ذلك، وفيما يلي ما تم كشفه وتصويبه :

أولاً: تحت عنوان : (أبو العلاء زهر بن عبد الملك) استعرض د. عز الدين فراج تأليف الطبيب المذكور بصورة صحيحة، لكنه ختم كشف التأليف بقوله : «هذا هو نجم هذه الأسرة وكبيرها الذائع الصيت، وإذا قيل : ابن زهر، كان هو المقصود، واسمه الكامل عبد الملك بن أبي العلاء زهر، وكنيته أبو مروان»^(١). إن في هذا القول وهماً واضحاً؛ فكشفُ الكتب لأبي العلاء زهر، والتعريفُ لابنه أبي مروان عبد الملك، والصواب : إعادة صياغة التعريف، وجعله لمؤلف الكتب المذكورة أبي العلاء، وليس لابنه أبي مروان عبد الملك .

ثانياً: ووقع المرجع أعلاه نفسه بوهم ثانٍ، فتحت العنوان نفسه المذكور أعلاه، قال : «وكتب كتباً طبية لم يبق منها غير ثلاثة : كتاب : «الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد»، وهو كتاب قصد به القارئ غير المتخصص في الطب، وفي أوله ملخص لعلم النفس، كتاب «التيسير في المداواة والتدبير»، وهو أخطر كتبه، وقد كتبه بإيعاز من الفيلسوف

(١) «فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية» (ص ٥٢٦).

العربي ابن رشد، وكان له صديقاً، وبه معجباً، وفي هذا الكتاب وصف تفصيلي للأمراض ودوائها، ومن هذه الأمراض: خراج الحيزوم^(*)، والتهاب شغاف القلب، وسل المصارين، وشلل البلعوم، والتهاب الأذن الوسطى، وله كتاب في التغذية^(١)، وهو فيه ينصح بالتغذية الاصطناعية عن طريق الفم والمستقيم عند الضرورة^(٢).

إن ما ورد من معلومات حول الكتب الثلاثة آنفة الذكر كانت مطابقة لما ورد عنها في سائر المصادر والمراجع المتيسرة، غير أن هذه الكتب الثلاثة هي من تصنيف أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر، وليست من تصنيف أبي العلاء زهر - كما يقول فراج متوهماً.

ثالثاً: وتحت عنوان: «ابن زهر أبو العلاء» قال د. مرسي محمد عرب: «واشتهر كتابه» «التيسير في مداواة والتدبير» بوصف الجرب والتهاب الناسور، والأذن الوسطى، واستخراج حصى الكلى، وفتح القصبة الهوائية، والتغذية الصناعية عن طريق الحلقوم والشرح، وترجم كتابه إلى اللاتينية، وكان له أثر كبير في الطب الأوربي^(٣).

(*) الحيزوم: ما يقع بين الرئتين في الصدر في أوسطه من بلعوم إلى قصبة هوائية إلى أصول شعب وأعصاب عز الدين فراج، «فضل علماء العرب على الحضارة الأوربية» (ص ٢٥٣).

(١) فراج، عز الدين، «فضل علماء العرب على الحضارة الأوربية» (ص ٢٥٣).

(٢) المرجع نفسه (ص ٢٥٣).

(٣) «لمحات من التراث الطبي العربي» (ص ٣٨).

الصواب : إن كتاب «التيسير في المداواة والتدبير» هو لمؤلفه أبي مروان عبد الملك بن زهر، وليس لأبيه أبي العلاء زهر^(١).

* تلاميذه :

في رواية لأبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر قال : «إن كان [الطبيب] حفظ عهود أبقراط^(*)، ومواثيقه، فقد أخذ عهد الله على كل من يقرأ كتبه في ذلك، وأخذ عليهم عهد الله وميثاقه في أن يأخذوا العهد والميثاق من تلاميذهم»، متأثراً بموقف أبقراط من تلاميذه، أخذ أبو العلاء زهر العهد من ولده أبي مروان عبد الملك حينما كان الوليد صبياً، وعندما بدأ بقراءة الطب على أبيه^(٢).

وروى عن أبي العلاء زهر كل من ابنه أبي مروان عبد الملك، وحفيده أبي بكر محمد بن أبي مروان (الحفيد)، وأبي عامر بن ينق

(١) ينظر ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢١). (الباحث).
(*) أبقراط (Hippocrate): أكبر أطباء العصور القديمة، ولد بجزيرة (قوص Cos) سنة ٤٦٠ ق. م، وتوفي سنة ٣٧٧ ق. م. قام بمدينة (لارسه Larissa) من قطر تيهاليه باليونان، ليس هو مخترع ومؤسس علم الطب كما يشاع عنه، لكنه العالم الذي جمع علوم عصره الطبية كلها وبرع في تطبيقها، وإليه يرجع الفضل في الاعتماد على الملاحظة، واختيار أقرب علاج يساعد على الشفاء، ووافق طبيعة المرض. «التيسير» (ص ١١٧، هامش ٢١٣)، تحقيق: ميشيل الخوري.

(٢) أبو مروان عبد الملك بن زهر، «التيسير في المداواة والتدبير»، تحقيق: ميشيل الخوري (ص ٢٧٦).

الشاطبي الشاعر^(١)، وابن بشكوال الذي سمع منه، وأجاز له في معجم شيوخه^(٢).

* علاجه لأمراض الرئة :

من الأدوية الناجعة التي استنبطها الطبيب أبو العلاء زهر، وأبدع في إحضارها، وأجاد فيها في معالجة أمراض قصبة الرئة : دهن الجوز العتيق، زيت النرجس، زيت الياسمين، شحم البرك^(*)، وقد وجد أفضل من هذا (شحم الزرازير) المعروفة بـ: (عصافير الزيتون)، هذا إذا قدم عهد الخنق. أما إذا كان عهد الخنق حديثاً، فإن زيت الورد العطر فيه كافٍ، وإذا كان له من عشرين يوماً فأكثر، فالأدهان الخليطة المذكورة^(٣).

وعالج أبو العلاء زهر أحد ثوار الأندلس يدعى : (ابن رزين)^(**)،

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٨).

(٢) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، (٢/ ٣٣٥).

(*) البرك : طائر مائي من قبيلة الوزجة . د. إبراهيم أنيس وآخرون، «المعجم الوسيط» (١/ ٥٢).

(٣) أبو مروان عبد الملك بن زهر، «التيسير في المداواة والتدبير»، (ص ١٨١)، (تحقيق ميشيل الخوري) (ص ٢٧٦).

(**) هو هذيل بن خلف بن لب بن رزين، يعرف بابن الأصلع، من أصل بربري، كني بأبي محمد، وكان قوي البنية والعزيمة، أديباً طموحاً، قاسياً، سفاكاً، تولى قتل والدته بنفسه، قيل : لأمر بلغه عنها، وأثرى الشراء الفاحش، وهابه ملوك الطوائف فتحاموا حماه، توفي (٤٣٦هـ / ١٠٤٤م) بعد أن حكم شتمريه ٣٣ سنة «التيسير» (ص ١٢٨، هامش ٢٣٤).

كان قد أصيب بمرض في رئته، ونهج له في المعالجة كل ما ينبغي أن ينهجه حتى عاد لحمه، وصلحت حاله، واعتقد أنه قد شفي، فعاد إلى مزاوله بعض الأعمال التي منعه منها، وحذره عنها أبو العلاء، وهي: الخلوة بالنساء، والتخليط بالأغذية. وأشد من هذا كان الطبيب أبو العلاء قد حذره من الحركات العنيفة، ومن ركوب الخيل العتاق، فسبقت إليه رمكة (*) فتن بها، فحركها، فلم يتم النهار إلا وقد صار يتزف دماً غزيراً، وكرر تلك الفعلة بأشكال من الأسباب الضارة: النساء، والأغذية المذمومة، فمات، ولم تطل بعد هذا الانتكاس مدته^(١).

وأصاب علة مرض الرئة امرأة، وصار يعالجها، وبقيت من التورم بقية تلتطف الطبيب حتى نقل المادة إلى خارج، فظهر التورم على الجلد بسببه، وانفجر إلى خارج، وبرئ براء تاماً، فعبر ابنه صاحب «التيسير» أبو مروان عبد الملك عن عجزه عن القيام بمثل هذا الفعل البديع^(٢).

كان أبو العلاء يوصي بتناول: (بطيخ فلسطين) - أي: البطيخ المسمى: (الدلاح) في عرف المغاربة - في أمراض الكبد، وكان يعالج المرضى بجس نبضهم، والنظر إلى قوارير البول^(٣) - كما سبق ذكره -.

(*) الرمكة من الخيل: الأنثى الجيدة من الخيل تتخذ للنسل في الغالب «التيسير» (ص ٢٠٦، هامش ٣٩٢).

(١) أبو مروان عبد الملك بن زهر، «التيسير» (ص ٢٠٦).

(٢) المصدر نفسه (ص ٢٥٤).

(٣) بنعبدالله، عبد العزيز، «الطب والأطباء العرب» (ص ٢٥).

وللطبيب أبي العلاء زهر رأي في معالجة أمراض الرئة مات عليه -رحمة الله-، وهو قوله: «والآفات العارضة للرئة وما ينصب إلى أنابيبها من الرؤوس، وعامة ما تقبله في لحمها وفي عروقها؛ كما يعرض لسائر الأعضاء: أن تمتلئ أنابيبها وحلقها من رطوبات تنزل من الرؤوس عند التزلات وانصباب المواد عن الرؤوس، وفي هذه الحالة يحدث سعال وضيق نفس، وعلاجه بإفراغ البدن من الخلط البلغمي بالحنظل وما أشبهه، وتقوية الرأس بما يحترّ ويجفف بما فيه عطرية؛ كالقرنفل، والبسباسة، والدارصوص، وجرت العادة باستعمالها ضماداً، ووجدت بالتجربة أن استعمالها ذروراً أنجع»^(١).

هذا ورويت لأبي العلاء زهر عجائب في تشخيص الأمراض^(٢).

* مواقفه مع بعض العلماء:

كان لأبي العلاء زهر مواقف مع عدد من العلماء والمعارف من شأنها إثارة التعجب والاستغراب من طيب عالم ومشهور بالحدق في علم الطب، وأديب شاعر، منها:

أولاً - موقفه مع العلامة الطبيب والفيلسوف ابن سينا و«قانونه»:

في رواية لابن جميع^(*): «أن رجلاً من التجار جلب نسخة فائقة

(١) أبو مروان عبد الملك بن زهر، «التيسير في المداواة والتدبير»، تحقيق: ميشيل الخوري، (ص ١٨٧، ١٨٨).

(٢) أمين، أحمد، «ظهر الإسلام»، ط ٤، (٣ / ٢٤١).

(*) ابن جميع: هو الشيخ الموفق شمس الرياسة، أبو العشائر، هبة الله بن زين =

بكتاب «القانون» إلى الأندلس، فأتحف أبا العلاء زهراً به، تقريباً إليه، ولم يكن وقف عليه، فلما تأمله، ذمّه، واطرحه، ولم يدخله خزانة كتبه، ثم جعل يقطع من طوره، ويكتب فيها نسخ الأدوية للمرضى»^{(١)(*)}.

وكانت نسخة القانون قد جلبت إلى الأندلس من العراق، وكانت قد بولغ في تحسينها، وصار أبو العلاء زهر يكتب على طوره نسخ الأدوية لمن يستفتيه من المرضى دون تروؤ ولا التفات إلى جواهره المخزونة، ولآلئه المكنونة، وما فيه من علوم ثمينة^(٢).

وكان أبو العلاء حسن التصنيف، وجيد التأليف^(٣)؛ حيث كتب مقالة في الرد على ابن سينا^(٤) منتقداً فيها على بعض مضامين كتاب «القانون»

= ابن حسين بن أفرايم بن يعقوب بن إسماعيل بن جميع الإسرائيلي، من الأطباء المشهورين، ولد ونشأ بفسطاط مصر، خدم الناصر صلاح الدين، له كتاب: «الإرشاد لمصالح الأنفس والأجساد» ابن أبي أصيبعة، «عيون» (ص ٥٧٦).

(١) ابن فضل الله العمري، «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» (ص ٣٢٤).
(*) إن رواية كهذه الأجدى أن تتحف ببيان الدوافع التي حملت زهراً على هذا الفعل الذي لا يليق بعالم مثله القيام به. وأغلب الظن أن زهراً كان لا يرضى أن يسمع أو يرى من هو خير منه. وإلا، فلماذا؟! (الباحث).

(٢) الخليلي، محمد، «معجم أدباء الأطباء»، مطبعة الغري، النجف، (١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م)، (١ / ١٧٣).

(٣) الشطي، شوكت، «مختصر تاريخ الطب» (ص ١٣٦).

(٤) البدري، عبد اللطيف، «الطب عند العرب» (ص ٨٦).

خاصة فيما يتعلق بالأدوية المفردة، وانتقد ردّ ابن رضوان(*) المصري على كتاب «المدخل الى الطب» لحنين بن إسحاق^(١).

لقد كتب أبو العلاء زهر مقالة تنتقد في قانون ابن سينا الأجزاء الخاصة بالمفردات (النباتات الطبية) التي تشكل المقالة الثانية منه، وذلك على أثر تسلمه النسخة التي جيء بها إليه من العراق، واطراحه إياها، وعدم إدخالها في مكتبته الخاصة - كما سبق ذكره قبل قليل -، وذكر في نقد للقانون من «أنه - أي: القانون - لا يصلح للمبتدئ في تعلم الطب؛ لما تضمنه من الألفاظ الحوشية، والمعاني الفلسفية...»^(٢).

بعد قرن من الزمن من إنجاز قانون ابن سينا أصبح متوفراً في قرطبة، فهل تبع طب الأندلس نهج ابن زهر، وهو الطبيب الأول(**) في عائلة

(*) هو أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر، مولده ومنشؤه بمصر، وبها تعلم الطب، كان كثير الرد على من يعاصره من الأطباء وغيرهم، وعلى من تقدم، وكانت له سفاهة في بحثه، وتشنيع على من يريد مناقشته. ابن أبي أصيبعة، «عيون» (ص ٥٦١).

(١) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢/ ١٧٨).

(٢) مركز دراسات الوحدة العربية، «موسوعة تاريخ الوحدة العربية»، إشراف: رشدي راشد، (٣/ ١١٧٨).

(**) الحق، أن أبا العلاء زهر لم يكن الطبيب الأول في أسرة بني زهر، فالطبيب الأول في سلسلة أطباء بني زهر وعميدها هو أبو مروان عبد الملك ابن الفقيه محمد، وقيل: إن الفقيه محمداً كان طبيباً أيضاً على حد قول قدرى حافظ =

قدمت خلال خمسة أجيال أطباء نطاسيين في بلاد الأندلس؟ وهل تطور هذا الطب بتبعية أقل إزاء أفكار ابن سينا؟^(١).

وفيما يتعلق برأي أبي العلاء زهر في ابن سينا، فيمكن الاستئناس بما قاله هبة الله بن جميع الإسرائيلي، طبيب الملك الناصر الأول صلاح الدين الأيوبي الذي حكم للمدة (٥٦٤ - ٥٨٩هـ / ١١٦٨ - ١١٩٣م)، فقد ردَّ هبة الله على انتقادات ابن زهر؛ مفنداً بأسلوب لا يخلو من الحس السليم:

قال: «أما ما اعتمده ابن زهر من أطراح كتاب الرئيس وتهجينه، فهو تحيز مستقيم، وإن هذا الكتاب - وإن كان مصنفه قد اعتمد فيه من الكلام المتكلف والأشياء البعيدة ما لا يليق بالعلوم، وكان فيه من الإبهام والنقص والتصحيف، والاختلاف والتشويش والتحريف، وبالجملة مواضع كثيرة -، فإنه كتاب من أصول الطب وقوانينه على ما لم يشتمل عليه غيره من الكنائيش الكبار^(*)، ثم فيه من الإيجاز والاختصار وحسن

= طوقان في كتابه «العلوم عند العرب» (ص ٢٠). تنظر: (ص ١٦٤، هامش **).
(١) مركز دراسات الوحدة العربية، «موسوعة تاريخ العلوم العربية» (١١٧٩/٣).

(*) الكنائيش: مجموعة الدفاتر التي تدرج فيها الشوارد والفوائد. لويس معلوف، «المنجد في اللغة» (ص ٢٤٥). والكنائيش: ملء تتعدد أسفاره من الكتب العلمية. الخطابي، محمد العربي «الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية» (٣٣٩/٢).

التأليف والترتيب وسهولة الكشف لما يراد كشفه منه ما ليس في غيره منها، بل ما يغتفر له معه عظيم الزلل، ويسمح به احتمال الخطأ والخلل، وبالجملـة: فليس في جميع ما لدينا من الكـتـانـيش الكبار ما يقوم مقامه، ولا يسد مسده»^(١).

ولأهمية كتاب «القانون» لأبي علي الحسين بن عبدالله بن سينا المتوفى سنة (٤٢٨هـ / ١٠٣٧م) لابد من الإشارة الى أصل هذا الكتاب، فلكتاب القانون مخطوطات كاملة ومجزأة في إسطنبول، وباريس، وبرلين، والهند، وإيطاليا، والجزائر، والفايكان، ودمشق، والقاهرة، وإيران، وكمبردج، والمتحف البريطاني، ومانجستر، وبغداد، كما يوجد لكتاب القانون عشرات الشروح، وكذلك المختصرات، والكثير من الحواشي والشروح، على الحواشي باللغة العربية، واللغات الشرقية الأخرى، وطبع في روما لأول مرة سنة (١٠٠٢هـ / ١٥٩٣م)، وفي بولاق (١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م)، وطبع عدة طبعات مختلفة أخرى، وأفضل ترجمات القانون إلى اللاتينية تلك التي قام بها (جيراردي كريموني المتوفى سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م)، وطبع في عصر النهضة مرات عدة كاملاً، أو أجزاء»^(٢).

(١) مركز دراسات الوحدة العربية، «موسوعة تاريخ العلوم العربية» (٣/ ١١٧٩).

(٢) ابن سينا، «الأدوية المفردة في كتاب القانون في الطب»، تحقيق: مهـنـد عبد الأمير

الأعسم، دار الأندلس، ط (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م)، (ص ١١ - ١٢).

ثانياً - مع ابن منظور:

ومن غرائب المعتقدات للبعض من الناس: أنهم يستبعدون تعرض الطبيب للإصابة بالأمراض، وفي هذا الشأن ذكر ابن عذاري رواية عن ابن الصيرفي، فقال: «قال ابن الصيرفي: ذكر كتاب «تقصي الأنباء في سياسة الرؤساء»... انبرى أبو العلاء بن زهر إلى مطالبة القاضي ابن منظور بإشيلية، وخبر ذلك: أن ابن زهر اعتلّ، فذكر ذلك للقاضي، فقال: «طبيب ماهر يمرض؟!»، فنهى ذلك إلى الوزير أبي العلاء بن زهر، فحرك منه، وقال:

إن ابن منظور تعجّب هازلاً لَمَّا مرضتُ فقلت: يعثر من مشى
قد كان جالينوس يمرض دائماً فمن الفقيه المرتضى أكل الرشا

فأنفذ أمير المسلمين علي (*) إليه كتاب عزلته^(١).

ثالثاً - مع الزهري:

وكان لأبي العلاء زهرٍ موقف مع صديقه وصهره (الزهري)، ففي سنة (٥١١هـ / ١١١٧م) أصاب الصداقة والمصاهرة القائمتين بين ابن زهر

(*) هو علي بن يوسف بن تاشفين. ابن عذاري المراكشي، «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب»، تحقيق: إحسان عباس، (٢ / ٤٩).

(١) ابن عذاري: أحمد المراكشي (ت: أواخر القرن السابع للهجرة). «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب»، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٧م، (٤ / ٤٩).

والزهري شيءٌ مما عكّر صفو علاقة الصداقة والمصاهرة، الأمر الذي أدى إلى أن يرمي كل منهما صاحبه بقاصمة الظهر، فبادر ابن زهر بمخاطبة علي ابن يوسف بن تاشفين، وبادر إليه الزهري إثر ذلك بنفسه، فتكلم في ابن زهر ملء فيه، فأمر الزهري بسكنى مراکش، ثم ورد ابن زهر بعد ذلك إليها، وقد أظلم له النير، وصعب عليه السهل، فتلقى من أمره ما فعله . . . ولم يأذن له بالوصول، وكان ابن زهر في غاية الجاه والعزة والمكانة الرفيعة في الدولة، يولّى من قبله حاكم يحكم من حاشيته، وصاحب المدينة من توليته، حتى شهود البلد هم بحكمه، أما أمر المستخلص، وأملاك السلطان، فكانت تجري بموجب أمره ونهيه، وذلك كله في مدينة إشبيلية، وكان الزهري في كل هذه الأمور يتبعه، ويقتدي به، لكن - للأسف - لم يراعوا حق الحرمة، ولا أدوا شكر النعمة^(١).

رابعاً - مع ابن خاقان صاحب «قلائد العقيان» :

نشأت بين أبي العلاء زهر وبين الفتح بن خاقان صاحب «قلائد العقيان» المتوفى سنة (٥٢٩هـ / ١١٣٤م) عداوة، وبسببها كتب الفتح في شأن أبي العلاء زهر إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ملك المرابطين كلاماً بحق ابن زهر، قال : «أطال الله تعالى بقاء الأمير الأجلّ سامعاً للنداء، دافعاً للتطاول والاعتداء، لم ينظم الله تعالى بلبّتك الملك

(١) ابن عذاري المراكشي (عاش في أواخر القرن ٥٧هـ / ١٣م)، «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب»، كتب «التعليقات»، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط ١، ١٩٦٧م، (٤ / ٦٥).

عقداً، وجعل لك حلاً للأمر وعقداً، وأوطأ لك عقباً، وأصار من الناس لعونك منتظراً ومرتباً، إلا أن تكون للبرية حائطاً، وللعدل فيهم باسطاً، حتى لا يكون فيهم من يضام، ولا ينال أحدهم اهتضاماً، ولتقصر يد كل معتد في الظلام، وهذا ابن زهر الذي أجرته رُسناً، وأوضحت له إلى الاستطالة سنناً، ولم يتعد من الإضرار إلا حيث انتهيته، ولا تمادى على غيه إلا حين لم تنه أو نهيته، ولما علم أنك لا تنكر عليه نكراً، ولا تغير له متى ما مكر في عباد الله مكرأً، جرى في ميدان الأذية ملءً عنانه، وسرى إلى ما شاء بعدوانه، ولم يراقب الذي خلقه، وأمدَّ في الخطوة عندك طلقه، وأنت بذلك مرتهن عند الله تعالى؛ لأنه مكنك لئلا يتمكن الجور، ولتسكن الفلاة والغور(*)، فكيف أرسلت زمامه حتى جرى من الباطل في كل طريق، وأخفق به كل فريق، وقد علمت أن خالقك الباطش الغيور يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وما تخفى عليه نجواك، ولا يستتر عنه قلبك ومثواك، وستقف بين يدي عدل حاكم، يأخذ بيد كل مظلوم من ظالم، ابن زهر ينجيك في ذلك المقام، أو يحميك من الانتقام، وقد أوضحت لك المحجة(**)؛ لتقوم عليك الحجة، والله سبحانه النصير، وهو بكل خلق بصير، لا رب غيره، والسلام»^(١).

(*) الغور: المطمئن، المنخفض من الأرض. المقري، «نفع الطيب» (٣/ ١٤)، هامش (١).

(**) المحجة: الطريق. المقري، «نفع الطيب» (٣/ ١٤).

(١) المقري، «نفع الطيب» (٣/ ١٤).

ثانياً - في حقل الأدب والشعر :

واشتغل الطبيب أبو العلاء زهرٌ أيضاً في علم الأدب والشعر، وهو حسن التصنيف، وجيد التأليف^(١). وكان - مع إمامته وشهرته في علم الطب - مقدماً في الأدب، معروفاً في ذلك، وقد قال شعراً في مختلف الأغراض، إلا أنه الظاهر كان مبدعاً في الغزل، وفيما يلي بعضاً من شعره في الغزل؛ حيث قال منشداً لنفسه :

يا راشقي بسهام ما لها غرضُ إلا الفؤاد وما منها له عَوْضُ
وممرضي بجفون كلها غنجُ صَحَّتْ وفي طبعها التمرِضُ والمرضُ
جُد لي ولو بخيال منك يطرُقني فقد يسد مسدَّ الجوهر العَرَضُ^(٢)
وقال أيضاً متغزلاً :

يا من كَلِفْتُ به وذَلَّتْ عزتي لغرامه وهو العزيز القاهرُ
رُمْتُ التصبر عندما ألقى الجفا ويقول ذلك الحسن مالك ناصر
ما الجاه إلا جاء من ملك القوى وإطاعة قلب عزيز قادر^(٣)
وقال أيضاً في الغرض نفسه :

تمت محاسن وجهه وتكاملت لما بدا وعليه صدغٌ مَوْثقُ

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٧).

(٢) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٨).

(٣) المقري، «نفح الطيب» (٤ / ٣٤٥).

وكذلك الدر المنير جماله في أن تكنفه سماء أزرق
وقال أيضاً متغزلاً:

سمعت بوصف الناس هذا فلم أزل أخا صبوة حتى نظرت إلى هند
فلما أراني الله هنداً وزِيَّها تمنيت أن أزداد بعداً على بعد^(١)

قال الذهبي الإمام شمس الدين محمد بن أحمد (المتوفى سنة ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م): «له [يعني: أبا العلاء زهراً] شعر رائق يكتب في الآخر من الدولة»^(٢)، «وله النظم الفائق»^(٣).

لقد قادت أبا العلاء زهراً رغبته في دراسة الأدب والحديث إلى مدينة قرطبة؛ حيث استقر هناك، واستفاد من دروس أعظم شيوخ ذلك العصر، وبذلك برز أبو العلاء شاعراً مجيداً ذا ديباجة رائعة، وصار محدثاً حافظاً، وذاع صيته، وجذب إليه أنظار الناس^(٤).

هذا ولأبي العلاء زهرٍ مقطوعات شعرية رقيقة، وفي أغراض متنوعة، فقد قال في الزهد، وأمر أن يكتب على قبره:

ترحم بفضلك يا واقفاً وأبصر مكاناً دفعنا إليه

(١) الخليلي، محمد، «معجم أدباء الأطباء» (١ / ١٧٥).

(٢) «العبر في خبر من غير» (٤ / ٦٤).

(٣) الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (١٩ / ٥٩٦).

(٤) الدجيلي، عبد الصاحب عمران، «أعلام العرب» (ص ٢٦٤).

تراب الضريح على صفحتي كَأني لم أَمْشِ يوماً عليه
أداوي الأنام حذار المنون فها أنا قد صرت رهناً لديه^(١)
وتبذل الشعر بين أبي العلاء زهر والبعض من الشعراء من معارفه،
فلما كتب إليه حسام الدولة بن رزين مالك السهلة بقوله :

عادِ اللئيمَ فانت من أعدائه ودعِ الحسود بغلّه وبذائه
لا كان إلا من غدت أعداؤه مشغولة أفواههم بجفائه
أبا العلاء لئن حُسدتَ لطالما حُسدَ الكريم بجوده ووفائه
فخرَ العلاءُ فكنت من آبائه وزها السناء فكنت من أبنائه
كن كيف شئت مشاهداً أو غائباً لا كان قلبٌ لستَ في سودائه
أجابه أبو العلاء زهر بقوله :

يا صارماً حَسَمَ العدا بمضائه وتعبَّدَ الأحرارَ حُسْنُ وفائه
ما أثر العَضْب الحسامُ بذاته إلا بأن سُمِّيت من أسمائه
وكلفه الحسام المذكور القولَ في غلام قائم على رأسه، وقد عذَرَ،
فقال أبو العلاء :

مُحِيتَ آيةَ النهار فأضحى بدرَ تَمَّ وكان شمسَ نهار
كان يُعشي العيونَ ناراً إلى أن أشعل الله خَدّه بالعِذارِ^(٢)

(١) ابن الأبار، «التكملة لكتاب الصلة» (٢/ ٣٣٥).

(٢) المقرئ، «نفع الطيب» (٤/ ٤٠٠ - ٤٠١).

وكتب أبو العلاء زهر إلى الوزير الوليد بن حزم، فقال :

أبا الوليد وأنت سيد مَذْحِجٍ هلا فككتَ أسيرَ قبضةٍ وعده
وحياةٍ مَنْ أمدُ الحياة بوصله وذهابُها حتماً بأيسرِ صده
لأقاتلنَّك إن قطعت بمرهفٍ من جفنه وبصعْدَةٍ من قدّه
فردَّ عليه أبو الوليد بقوله :

لييك يا أسدَ البرية كلُّها من صادقٍ عبثَ المطالُ بوعده
يمضي بأمرك سار أو سدَّ الفضا ويَفُلُّ حدَّ النَّائباتِ بجده
إيه ووافقت الصبا بمعرضٍ ذهب المشيب بهزله ويجده^(١)

وعلى ما يبدو: إن لأبي العلاء زهر - في علاقاته الاجتماعية -
مادحين وقادحين، فممن مدح أبا العلاء زهراً: محمد بن مذحج الذي
قال :

قدمتَ علينا والزمانُ جديد وما زلت تبدي في الندى وتعيدُ
وحق العلا لولا مراتبك العلا لما اخضرَّ في أفق المكارم عودُ
فلوحوا بني زهر فإن وجوهكم نجوم بأفلاكِ العلاءِ سعود^(٢)

أما في مسألة القدح، فقد كان بين أبي العلاء زهر وبين الإمام أبي

(١) المقري، «نفع الطيب» (٩ / ٢٧٨).

(٢) المصدر نفسه (٥ / ٢٢).

بكر بن باجه - بسبب المشاركة - ما يكون بين النار والماء، والأرض
والسما، فقال فيه ابن باجه :

يا ملك الموت وابن زهرٍ جاوزتما الحدَّ والنهاية
ترفّقاً بالورى قليلاً في واحدٍ منكما الكفاية
ردّ أبو العلاء بقوله :

لا بدّ للزنديق أن يُصلبا شاء الذي يعضّده أو أبى
قد مهّد الجذعُ له نفسه وسدّد الرمحُ إليه الشبا^(١)

ولقد اتهم خادم أبي العلاء زهر المدعو : (ابن معيوف) بقتل ابن
باجه ؛ إذ زعم الناس أنه سمّ ابن باجه ؛ لعداوته لابن زهر في باذنجان^{(٢)*} ،

(١) المقري، «نفع الطيب» (٤ / ٤٠١ - ٤٠٢).

(٢) المقري، «نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب» (٥ / ١٥٩).

(*) إن هذه الرواية ظاهرة الضعف، ذلك لأن أبا العلاء زهراً قد توفي سنة
(٥٢٥هـ / ١١٣٠م)، في حين كانت وفاة ابن باجه سنة (٥٣٣هـ / ١١٣٨م)؛
أي: بعد وفاة أبي العلاء بثمان سنوات، فموت أبي العلاء ماتت العداوة
بينهما وكل خصومه، ولم يبق سبب يدعو (ابن معيوف) الذي لم يعد خادماً
لزهر؛ نظراً لانتقال الأخير إلى جوار ربه، للقيام بفعل الجرم هذا، اللهم إلا
إذا كانت هناك متعلقات مادية كانت أو معنوية بين ابن باجه وخلف المرحوم
أبي العلاء، وهذا ما لم تذكره المصادر. المقري، «نفع الطيب» (٥ / ١٥٩).
(الباحث).

فقال الوزير أبو الحسن ابن الإمام الغرناطي يهجو مدينة مراكش :

يا حضرة المُلْكِ ما أشْهَك لي وطناً لولا ضروبُ بلاءٍ فيك مصبوبِ
ماءٌ زُعافٌ وجوُّ كلُّهُ كدرٌ وأكلُهُ من باذنجانِ ابن معيوف^(*)
* وَفَاتُهُ :

لقد أجمعت المصادر والمراجع المتيسرة على أن وفاة أبي العلاء زهر كانت سنة (٥٢٥هـ / ١١٣٠م)، خلا د. كمال السامرائي الذي قال : «توفي أبو العلاء سنة ٥٢٦هـ / ١١٣١م»، ولم يشر السامرائي إلى سند الأصل الذي استقى منه هذا التاريخ^(١).

واختلف المصنفون أيما اختلاف في ذكر مكان الوفاة، ومكان دفن الجثمان، وفيما يلي جملة من الروايات المختلفة في ذلك :

إن أول المصادر التي تحدثت عن وفاة أبي العلاء هو كتاب «التيسير في مداواة والتدبير» لمصنفه أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر (مدار البحث) الذي جاء فيه : «أصاب أبي - رحمه الله - ما ناله من علي ابن يوسف [بن تاشفين]، فإنه احترقت أخلاطه، فأصابته نغلة في الجانب الأيسر، وامتدت طويلاً نحو الشبر، ثم عاد الموضع لا يحس، وكان المتولي لعلاجه يقطع أجراف النغلة، فلا يحس بذلك، ولم يزل الأمر

(*) مظهر، إسماعيل، «سير ملهمة من الشرق والغرب» (ص ٣).

(١) «مختصر تاريخ الطب العربي» (١٧٩ / ٢).

كذلك حتى وصلت بالاتصال، فصار ذلك إلى قلبه، فعرضه سوء تنفس نحو يومين، ومات - رحمه الله -^(١).

الملاحظ - هنا - : أن صاحب التيسير «هو ابن المتوفى أبي العلاء لم يشر إلى سنة الوفاة، ولا إلى مكان الوفاة، ولا إلى مكان دفن جثمان المتوفى»، واتفق مع أبي مروان في هذا ابن قنفذ الذي قال: «توفي الفقيه المحدث أبو العلاء زهر الإيادي سنة خمس وعشرين وخمس مئة، وله بيت في الطب»^(٢).

أما ابن الأبار، فإنه يدعي أن وفاة أبي العلاء زهر كانت بقرطبة منكوباً، واحتمل جثمانه إلى إشبيلية^(٣)، ولم يفصح بشيء عن طبيعة النكبة التي وقعت لأبي العلاء.

واتفق مع ابن الأبار ابن قنفذ؛ حيث قال: «نكب في آخر عمره بقرطبة سنة ٥٢٥هـ، وحمل إلى إشبيلية، ودفن فيها»^(٤).

وعن سبب وفاة أبي العلاء زهرٍ أورد (فؤاد أفرام البستاني) قوله: «كانت وفاته من تأثير نغلة؛ أي دُمِّل فاسد بين كتفيه ونقل جثمانه إلى

(١) «التيسير في المداواة والتدبير»، تحقيق: محمد عبدالله الروداني (ص ٤١٣).

(٢) «الوفيات» (ص ٢٧٥).

(٣) «التكملة لكتاب الصلة» (٢ / ٣٣٥).

(٤) «الوفيات» (ص ٢٧٥).

إشبيلية، إلا أن ابن أبي أصيبعة يقول: إنه توفي بإشبيلية»^(١).

واعتمد بروفنسال وآخرون على رواية ابن الأبار التي تنص على «أن أبا العلاء توفي بقرطبة، وأن جثمانه نقل إلى إشبيلية، ودفن فيها، ويذهب (فستندفلد) معتمداً على رواية ابن أبي أصيبعة التي تنص على «أن أبا العلاء توفي بإشبيلية»^{(٢)(*)}.

أما ابن عذاري المراكشي المتوفى في أواخر القرن السابع للهجرة، فيذكر أن الوفاة حصلت في قرطبة^(٣). ورضا كحالة يقول: «توفي بإشبيلية، ودفن بها»^(٤).

ومما يلفت النظر أن اليافعي المتوفى سنة (٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)،

(١) «دائرة المعارف» (٣/ ١٤٣).

(٢) «دائرة المعارف الإسلامية» (١/ ١٨٣).

(*) لم يقل ابن أبي أصيبعة: «توفي في إشبيلية»، وإنما قال: «توفي أبو العلاء ابن زهر في سنة... وخمس مئة، ودفن بإشبيلية، وهنا تكون الوفاة حصلت في قرطبة، والدفن في إشبيلية، وقد تكون الوفاة والدفن في إشبيلية، وهذه الرواية هي الأرجح؛ لأن أغلب الروايات تؤيدها، ولأن مقبرة أسرة بني زهر هي في مدينة إشبيلية موطن الأسرة. (الباحث).

(٣) «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب»، تحقيق: إحسان عباس، (٤/ ٨٥).

(٤) «معجم المؤلفين» (ص ١٨٥).

وهو مصدر موثوق به يقول: «سنة خمس وعشرين وخمس مئة، وفيها توفي محمد بن عبد الملك بن زهر الإيادي الأندلسي الإشبيلي»^{(١)(*)}.



(١) «مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان»، ط ٢، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٩٧٠م، (٣/ ٢٤٥).

(*) إن في رواية اليافعي وهماً واضحاً قد يكون من فعل النساخ، فالصواب هو: أن السنة ٥٢٥ هـ هي سنة وفاة أبي العلاء زهر، أما سنة وفاة محمد بن عبد الملك، فهي (٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م)، وقيل: ٥٩٦ هـ. يراجع: ياقوت الرومي، «معجم الأدباء»، (١٨ / ٢١٨). (الباحث).

الْفَضْلُ السَّائِرُ

الطَّبِيبُ الْأَنْدَلُسِيُّ أَبُو مَرْوَانَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ زَهْرٍ

ت : ٥٥٧ هـ / ١١٦١ م

أ - حياته :

تعريف :

اختلف المصنفون في ذكر اسم هذا الطبيب الذي يعد واسطة العقد في سلسلة أطباء أسرة بني زهر الأندلسية، فمنهم من اكتفى بذكر اسمه الأول، فقال: «اسمه عبد الملك»، مضيفاً البعض من أوصافه، فقال: «شيخ الجلالة، وفتى العلم الذي ما ورثه عن كلاله... إلخ»^(١). وسماه ثان بقوله: «أبو مروان عبد الملك بن زهر»^(*) بن عبد الملك الإشبيلي^(٢)، وقال آخر: «أبو مروان عبد الملك زهر»^(**) بن عبد الملك

(١) العمري، ابن فضل الله، «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» (ص ٣٢٥).

(*) الصواب: زهر. ينظر: ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٩). (الباحث).

(٢) الحنبلي، ابن العماد، «شذرات الذهب»، القاهرة ١٣٥٠ هـ، (٤ / ١٧٨ - ١٧٩).

(**) الصواب: عبد الملك بن زهر. ابن أبي أصيبعة، «عيون» (ص ٥١٩). (الباحث).

الإشيلي»^(١) وقال مصنف رابع - وهو الأصوب فيما قال - : «وهو أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد ابن مروان بن زهر»^(٢).

وعرفه ابن سعيد المغربي (المتوفى سنة ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) دون أن يذكر اسمه المباشر، فقال : «هو صاحب التيسير في الطب والأغذية المشهورة، أبوه أبو العلاء [يعني : زهراً]، وابنه أبو بكر الوشاح [يعني : محمداً الحفيد]^(٣)، «وهو من أهل إشبيلية، لم يكن [في] زمانه من يماثله، أو يفوقه في صناعته الطبية»^(٤).

إن مما يشير الانتباه ويلفت النظر هو : عدم الدقة في ذكر اسم هذا الطبيب العربي العظيم لدى البعض من المؤرخين المحدثين، ففي دراسة عن هذا الطبيب نشرت من قبل مجموعة من الأساتذة جاء فيها : «هو ابن أبي العلاء بن مروان...»^{(٥)(*)}، ومثل هؤلاء قال طارق صالح الزبيدي :

(١) الذهبي، «العبر في خبر من غبر» (٤ / ١٦٣).

(٢) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٩)، ابن الأبار، «التكملة» (٢ / ٦١٦).

(٣) «المغرب في حلى المغرب»، تحقيق : د. شوقي ضيف، مصر، دار المعارف، ١٩٥٣م، (١ / ٢٧٠).

(٤) الزركلي، خير الدين، «الأعلام»، ط ٣، (٤ / ٣٠٣).

(*) الصواب : ابن أبي العلاء بن أبي مروان... إلخ. ابن أبي أصيبعة، «عيون» (ص ٥١٩).

(٥) «موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين» (٣ / ١٠٢ - ١٠٣).

«أبو مروان عبد الملك زهر...»^{(١)(*)}، كنيته أبو مروان^(٢)، وابن زهر^(٣)، أبو الوليد^(٤)، ولقب بعدة ألقاب، منها: (الحكيم)، و(اللامع)، و(المتحدي)؛ لأن الذي يقف تجاه الرأي العام المسحور بأفكار الإغريق دون تدقيقها يعد متحدياً، فهو الذي تحدى كل ما هو شاذ عن الدين من الأفكار الحرة، ولم ينحز إلى آراء من سبقوه، خاصة الرئيس ابن سينا، وهو الذي تحدى حتى أفكار الفيلسوف والطبيب الكبير جالينوس وآراءه التي يعتبر الخروج عنها أمراً من الأمور الشاذة، أو تحدياً للرأي في تلك الحقبة من الزمن^(٥). هذا ولقد حَرَفَ نساخ القرون الوسطى اسمه فقالوا: (أبمرون أفنزور)، Abhomeron Avenzoar، أو: أفنزور فقط^(٦).

✽ ولادته ونشأته:

ولد أبو مروان عبد الملك بن زهر حوالي سنة (٤٨٥هـ / ١٠٩٢م)^(٧)،

(*) الصواب: أبو مروان عبد الملك بن زهر... إلخ. ابن سعيد المغربي، «المغرب في حلى المغرب» (١ / ٢٧٠).

(١) «التراث العلمي العربي الطبي» (ص ٣٤٠). ابن الأبار، «التكملة» (٢ / ٦١٦).

(٢) الحاج قاسم، محمد، د. محمود، «الطب عند العرب» (ص ٨٢).

(٣) التجاني الماحي، «مقدمة في تاريخ الطب العربي» (ص ١٢١).

(٤) الزبيدي، طارق صالح، «التراث العلمي العربي الطبي» (ص ٣٤٠).

(٥) المرجع نفسه (ص ٣٤٠).

(٦) بروفنسال وآخرون: «دائرة المعارف الإسلامية» (١ / ١٨٤).

(٧) أمين، أحمد، «ظهر الإسلام» (ص ٢٤١).

وقيل : (٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)^(١) في بنافلور^(٢) بإشبيلية بالأندلس^(٣) . ونشأ أبو مروان عبد الملك بن زهر في بيت يظله العلم والأدب ، ويرفل بالعرز والجاه العريض ؛ فوالده أبو العلاء زهر كان يزاول صناعة الطب ، حاذقاً ومتفوقاً فيها ، فطار صيته إلى أصقاع الأندلس والمغرب ، وكذلك كان جده عبد الملك بن محمد ، وكانا قد طبيا الملوك والأمراء ، وتبوأ منصب الوزارة ، فكان الابن قد ترعرع في أحضان هذه الأسرة ، وهو واثق من نجاحات تسعى إليه كما كان يسعى هو إليها^(٤) ، وعاش عمره في إشبيلية ، وتردد على مراكش عاصمة الدولة المرابطية^(٥) .

عودة إلى ولادته ؛ حيث ذكرت المراجع : أنه ولد بإشبيلية في تاريخ غير معروف ، إلا أن البعض يرجح أن ولادته كانت سنة (٤٦٧هـ / ١٠٧٢م)^(٥) ، وقد أقيمت ذكراه بدمشق عام (١٣٧٢هـ / ١٩٧٢م) بمناسبة

(١) الرفاعي، أنور، «تاريخ العلوم في الإسلام» (ص ١٠٩).

(٢) سيديو. ل. أ. «تاريخ العرب العام»، تعريب: عادل زعيتر، (ط ٢)، نابلس، فلسطين، ١٩٦٩م، (ص ٣٨٧).

(٣) هونكه، زيغريد، «شمس العرب تسطع على الغرب» (ص ٣٤٦)، التجاني الماحي، «مقدمة في تاريخ الطب» (ص ١١٩).

(٤) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن زهر، كتاب التيسير»، مجلة الدارة، عدد (٢)، سنة ١٩٨٥م، (ص ١٠١).

(٥) المرجع نفسه، العدد (٣)، السنة (١٢)، ١٩٨٦م، (ص ١٤٨).

(*) قال عبد العزيز بن عبد الله : إن ولادته سنة (١٠٧٢م الموافقة لعام ٤٦٧هـ) ، =

مرور تسعة قرون على هذا المولد^(١).

وأورد الدجيلي عبد الصاحب عمران إشارة إلى أن ولادة أبي مروان عبد الملك بن زهر كانت بين سنتي (٤٨٤ - ٤٨٧ هـ / ١٠٩١ - ١٠٩٤ م)^(٢)، على ما استنتج جبرائيل كولن (G. Colin) من بعض المقارنات^(٣).

أما دراسته، وتلقي مختلف العلوم، فقد باشر الدراسة بتلقي أصول الفقه والأدب على علماء عصره، فأخذ والده يخرج به في الطب في الدروس النظرية والعملية، وكان أبو مروان ميالاً إلى التجارب، واكتشاف الأسرار وما هو مجهول، مفضلاً ذلك على نظرية الأمزجة المعروفة منذ عهد جالينوس، وما فتى أن أضحى أشهر أطباء زمانه في الأندلس^(٤).

وبعد ما أخذ نصيباً من دراسة الأدب والفقه وعلوم الشريعة دراسة وافية، علّمه أبوه الطب، وبلغ فيه مرتبة ومكانة أستاذه في فترة وجيزة ظهر في تجاربه، وابتكاراته في الأقرباذين^(٥).

= والصواب هو الموافقة لعام ٤٦٥ هـ: «التيسير»، تحقيق: الروداني، (ص ٢٨).

(١) بنعبدالله عبد العزيز، «أسرة بني زهر»، كتاب التيسير لأبي مروان عبد الملك ابن زهر، تحقيق: الروداني، (ص ٢٨).

(٢) «أعلام العرب» (١/ ٢٧٦)، فيليب حتي، «تاريخ العرب مطول» (٢/ ٦٨٦).

(٣) البستاني، فؤاد أفرام، «دائرة المعارف»، ١٩٦٠ م، (٣/ ١٤٣).

(٤) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) بروفنسال وآخرون، «دائرة المعارف الإسلامية» (١/ ١٨٤).

وولع بدراسة الأدوية المفردة وبتحضيرها، واتخذ نظرية الأخلاط(*) وسيلة في تفسير الأمراض، وكذلك الأغذية في معالجتها، وكان جل اعتماده في تحوله على المنطق والتمحيص بالاستنتاج بنفسه اعتماده على العمل باليد^(١).

أما دراسته للحوادث السريرية، فقد جاء في كتب الرازي وابن زهر تفصيلات وشروح لدرس السريرات، فبعد توسعهما في شرح نظريات المرض، وصفا أعراضه السريرية بعد الملاحظة الدقيقة^(٢)، حتى إن القسم الأكبر من مؤلف «الحاوي» للرازي كان يتكون من سجل دقيق لملاحظاته على مرضاه، وعلى طبيعة المرض وسيره، كما أن وصف ابن زهر أبي مروان عبد الملك للحوادث السريرية كان في غاية الدقة^(٣).

أخذ أول ما أخذ من والده، وبرع في الصناعة^(٤)، ولحق به^(٥)، وأخذ عن أطباء إشبيلية والأندلس والمغرب^(٦)، وكان أخذه في الفقه

(*) أجسام رطبة سيالة يستحيل إليها الغذاء، وهي: الدم، والبلغم، والمرّة الصفراء، والمرّة السوداء. الخطابي، «الطب والأطباء» (٢/ ٢٩٠).

(١) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢/ ١٨٠).

(٢) طوقان، قدري حافظ، «العلوم عند العرب» (ص ١٧).

(٣) المرجع نفسه (ص ١٧).

(٤) الحنبلي، ابن العماد، «شذرات الذهب» (٤/ ١٧٨).

(٥) البدري، عبد اللطيف، «الطب عند العرب» (ص ٨٦).

(٦) مجموعة من الأساتذة، «موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين» (٣/ ١٠٤).

والأدب والطب، إلا أن الطب صار الغالب عليه^(١)، ونبغ فيه، وذاع صيته^(٢).

والظاهر أن أبا مروان بن زهر كان قد أبدى نشاطاً غير اعتيادي في دراساته، خاصة في علم الطب، الأمر الذي حمل بعض المؤرخين على مدحه - في هذا المجال - بلا حساب، ويصفونه بأبداع الأوصاف. ومما قالوه بحقه: «ارتقى الذروة والغارب، وفاض على المشارق والمغارب، جنى من الفضل غَصَّةً، وختم ختامه وفَصَّةً. مُهَّدَتْ له المضاجع ليالي اشتغاله فأقْضَها، وزُفَّتْ عليه المعالي أبكاراً فافتَضَّها، فلم يستدر لثام عارضه، ولا تمت أيام رابضه إلا هو معنى الجملة، ورأس الأكابر الجلَّة، ثم لم يصدده شيء عن حائِثات الحِمَام، ولا رعاها إلا نايحات الحمام»^(٣). وقالوا عنه: «إنه لا مثيل له في زمانه في الطب»^(٤).

أما ديانتَه، فإنه كان بيِّن الإيمان بالعقيدة الإسلامية، يظهر ذلك من خلال موقفه حينما عرض له مرض بإصابته بدبيلة في جنبه، وتوفي بها. فكان يعالجها، ويصنع لها مراهم وأدوية، ولم تُجد الأدوية نفعاً

(١) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢/ ١٨٠).

(٢) الطنطاوي، محمود السعيد، «أضواء على تاريخ الطب»، عدد ١٨٣، سنة ١٩٧٦م، (ص ١١١).

(٣) العمري، ابن فضل الله، «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» (ص ٣٢٥).

(٤) الشطي، أحمد شوكت، «العرب والطب» (ص ٨٣)، «مختصر تاريخ الطب» (ص ١٧٥).

يستفاد منه، فكان ابنه أبو بكر محمد الحفيد يقول له: يا أبتى! لو غيرت هذا الدواء بالدواء الفلاني، ولو زدت من هذا الدواء، أو استعملت دواء كذا وكذا، فكان يقول له: يا بُني! إذا أراد الله تغيير هذه البلية، فإنه لا يقدر لي أن أستعمل من الأدوية إلا ما تتحقق به مشيئته وإرادته^(١).

*** انتماءه الأسري:**

ابتداءً، من المفيد أن يكون الأمر معلوماً أن أبا مروان عبد الملك ابن أبي العلاء زهر هو أشهر أطباء أسرة بني زهر، وهو مصنف كتاب «التيسير في المداواة والتدبير»، وبالرغم من شهرته وعلو شأنه بين أطباء عصره، يأتي بعض المؤرخين بأخباره وتاريخه بصورة غير دقيقة، مثال ذلك: قال المعلوف، عيسى إسكندر: «وأشهرهم [يعني: بني زهر] أبو مروان عبد الملك بن أبي العلي بن زهر الإشبيلي المتوفى (٦٠٥هـ / ١٢٠٨م)^{(٢)(*)}.

ينتمي أبو مروان إلى أسرة عظيمة، كُنِيَ أفرادها جميعاً بـ (ابن زهرة)^(**)، ونبغ منهم عدد غير قليل في الحقب بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر، وكان أبو مروان هذا أشهرهم، «وتولى رئاسة الطب ببغداد

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٠).

(٢) «الأسر العربية المشتهرة بالطب» (ص ٢١).

(*) الصواب: عبد الملك بن أبي العلاء (ت سنة ٥٥٧هـ / ١١٦١م). ابن أبي أصيبعة، «عيون» (ص ٥١٩).

(**) الصواب: ابن زهر، وليس ابن زهرة. المصدر نفسه (ص ٢١٩).

ثم بمصر، ثم بالقيروان»^(١*). وعن مكانته بين أبناء أسرته قال عبد العزيز ابن عبدالله: «أما ابن زهر عبد الملك بن أبي بكر بن محمد بن مروان (ت ٥٥٧هـ / ١١٦١م)، فقد عُرف عند الأوربيين باسم Avenzoar، وإذا أطلق اسم (ابن زهر)، انصرف إليه وحده، وقد كان أعظم طبيب في عصره بالنسبة للمسلمين والمسيحيين على السواء، وقد تأثر هذا الطبيب الفذ بتعاليم أبيه الذي وجه إليه كتابه «التذكرة»^(٢).

إن الجد الأعلى لهذه الدوحة هو: محمد بن مروان بن زهر، ولقبه: الإيادي؛ لأنه كان ينتمي إلى إياد بن معد بن عدنان^{(٣)**}.

* مميزات أبي مروان عبد الملك بن زهر:

تميز هذا الطبيب الكبير بأنه ألمع شخصية في أسرة بني زهر الطبية

(١) أبادير، د. فهم، «من تاريخ الطب عند العرب» (ص ٥٦).

(*) إن الذي قام بالرحلة إلى المشرق، وزار القيروان والقاهرة وبغداد هو: أبو مروان عبد الملك بن محمد (المتوفى ٤٧١هـ / ١٠٧٨م)، وليس أبا مروان بن أبي العلاء زهر (٥٥٧هـ / ١١٦١م)، ويبدو أن وهماً قد حصل بسبب تشابه الاسمين. تنظر: (ص ١٧٠ - ١٧١).

(٢) بنعبدالله، عبد العزيز، «أسرة بني زهر، كتاب التيسير في المداواة والتدبير»، تحقيق: الروداني، (ص ٢٨).

(٣) التجاني الماحي، «مقدمة في تاريخ الطب العربي» (ص ١٢٠).

(**) إن الجد الأعلى لهذه الدوحة هو: زهر الذي حملت اسمه، وليس محمد ابن مروان. (الباحث).

الأندلسية الإشبيلية^(١)، وأهم ما ميزه عن الآخرين من أطباء عصره: آراؤه المخالفة لآراء الطبيب اليوناني الشهير جالينوس المتعلقة بعلم التشريح، إن هذه الآراء ساعدته - فيما بعد - على التخلص من تهويمات النظرية الجالينوسية، ومن الخضوع المهين الذي ساد عصوراً ودهوراً بأكملها، وطبعها بطابع الجمود البغيض^(٢).

ومما تميز به أبو مروان بن زهر: اعتداده بالنفس. فمن أخلاقه الطيبة: أنه كان - إلى اعتداده بنفسه وبثروته العلمية - متواضعاً، لا يتردد أن يتراجع عن رأي له متى بدا له أن هناك رأياً أفضل منه، وأيضاً في اعترافه بخطئه - إن أخطأ - مع التعبير ببالغ الأسف والندم على ما بدر منه^(٣)!

إن ما يعزز صحة تواضع ابن زهر هذا ما رواه ابن أبي أصيبعة في ترجمته للطبيب (أبي بكر محمد) ابن المبحوث عنه، والمعروف بـ (الحفيد): أنه - «وقد كان طبيباً صائب الرأي، حسن المعالجة، جيد التدبير - سمح لنفسه، وهو في حال شبابه أن يشير على الخليفة عبد المؤمن وجوب أن يبدل بدواء مفرد كان أبوه قد وصفه له دواءً غيره قام هو بوصفه! فلم يتناول عبد المؤمن هذا الدواء، فلما رآه الطبيب الأب، قال: «يا أمير المؤمنين! إن الصواب في قوله!»، وبذل الدواء، فوجد

(١) الدجيلي، عبد الصاحب عمران، «أعلام العرب» (١/ ٢٧٦).

(٢) مظهر، جلال، «أثر العرب في الحضارة الأوربية» (ص ٢٤٤).

(٣) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن زهر من خلال كتابه:

التيسير»، مجلة الدارة، العدد (٢)، السنة ١٩٨٥م، (ص ١٠٦).

الخليفة نفعاً بيّناً»^(١).

ولقد ارتكب أبو مروان خطأً كبيرة ندم عليها أيما ندم. يقول في كتابه «التيسير في المداواة والتدبير»: «وتقف عقولنا فيما حجب عنها». ويروي ما بدر منه، وهو في بدء اعتقاله بمراكش، فقد شكت «المرأة»^(*) أمراضاً اقتضى الحال أن يصف لها أدوية، لم يكن لأحد قط أن يتخيل - مع شرب يسير منها - أن (الجنين يبقى) إن كانت المرأة حاملاً!، وقد استمر في تجريعها الدواء دون أن يؤثر فيها شيئاً، حتى تبين له أنها حامل! يقول: «فندمت، واستغفرت الله من الغلط» مع ذلك فهو يقول: «ولد ذلك الجنين سوياً بإذن الله، وها هو عندي»^(٢).

ومن خصائصه: أنه كان - كالأخرين من أفراد أسرته (بني زهر) - يعارض الأفكار الحرة التي تشذ عن الشريعة الإسلامية، وكان كأبيه لا يرغب بالأخذ بآراء ابن سينا، ولا يعتمد على كتاب «القانون»، وكانت أفل المراجع عنده: كتب جالينوس. ويبدو من نصوص مؤلفاته: أنه كذلك، أنه غير حذّي في عرض آرائه، وأنه لا يأخذ دائماً بما يقرؤه على غيره محمل الثقة واليقين سوى قلة من المؤلفين أولهم جالينوس^(٣).

(١) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(*) يعني زوجته. السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك من خلال كتابه:

التيسير»، مجلة الدارة، العدد (٢)، ١٩٨٥م، (ص ١١٣، هامش ١٧).

(٢) أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر، «التيسير في المداواة والتدبير»، تحقيق: ميشيل الخوري، (ص ٢٨٥).

(٣) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ١٨٠).

وتميز أبو مروان بن زهر عن بقية الأطباء في أنه اقتصر في عمله على التأليف في علم الطب وحده، في حين وزع أقرانه جهودهم على فروع العلم المختلفة^(١).

* شهرة الطبيب عبد الملك بن زهر:

كان قد لحق بأبيه أبي العلاء زهر في صناعة الطب، وكان جيد الاستقصاء في الأدوية المفردة، وكذلك المركبة، وحسن المعالجة^(٢). واشتهر أيضاً - بالأخص - بقوة الملاحظة الخاصة، وهو أوفر الأطباء المسلمين علماً وبراعة، ويظهر ذاك بوضوح في كتابه «التيسير في مداواة والتدبير»، وقد شغل مدى سنين طويلة منصب الطبيب الخاص لملك الموحيدين أبي يعقوب^(٣).

ومع أن أسرة بني زهر قد أنجبت بعد المبحوث عنه ثلاثة أطباء آخرين، وطبّيتين اثنتين في الأجيال الثلاثة التي تلت، كانوا قد اشتهروا، وسجلت أسماؤهم في كتب التاريخ بمداد من ذهب، إلا أن عبد الملك الذي تعرفه مراجع التاريخ بـ (الابن) كان أبعدهم شهرة وذيو عَصِيَّة، فهو بمثابة الدرة المضيئة والمتألقة، أو يشبه واسطة العقد في جيد أسرة

(١) حتي، فيليب، «تاريخ العرب» (مطول) (٢/ ٦٨٦).

(٢) كحالة، عمر رضا، «معجم المؤلفين»، دمشق، مطبعة الترقى، ١٩٥٨م، (٦/ ١٨٢).

(٣) أشباح، يوسف، «تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحيدين»، تعريب: محمد عبدالله عنان (ص ٥٠١).

بني زهر الطبية العربية العريقة، حتى إنه إن ذكرت كتب الطب والتاريخ اسم (ابن زهر) بصورة مطلقة، انصرف الذهن إليه هو دون أي أصل أو فرع^(١). وقالوا عنه: «إنه من الأطباء المشهورين بالأندلس، تورث الطب عن آبائه وأجداده، وهو الثالث من ستة أجيال، توارثوا الطب من أسرته الطبية الشهيرة في تاريخ الطب بالأندلس^(٢)».

وأخيراً قال عنه (غوستاف لوبون): «كان لابن زهر الإشبيلي الذي عاش في القرن الثاني عشر من الميلاد شهرة عظيمة، وإن كانت دون شهرة أولئك، فقد كان مجرباً مصلحاً موثقاً لعلم المداواة، قائلاً: إن في البدن قوة كامنة ناظمة للأعضاء، كافية وحدها لشفاء الأمراض على العموم...»^(٣).

* زَعَمَ بِيَهُودِيَّتِهِ:

وبسبب انتشار كتب أبي مروان عبد الملك بن زهر في أوربة بالترجمات العبرانية، مؤوة على البعض من الكتاب الغربيين، فحسبوه يهودي الأصل، وأذاعوا هذا الرأي، حتى قام المدعو (شتينشنيدر) Steinscheider، وستنفلد Wustenfled، فزيفاه وقضى عليه (كولن) في

(١) السباعي، فاضل، «الطبيب الأنديلسي عبد الملك بن زهر»، مجلة الدارة، العدد (٢)، ١٩٨٥م، (ص ١٠١).

(٢) النجار، د. عامر، «تاريخ الطب في الدولة الإسلامية»، ط ٢، القاهرة، دار المعارف ١٩٨٧م، (ص ٢٢٦).

(٣) «حضارة العرب»، تعريب: عادل زعيتر، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م، (ص ٥٩٢).

مصنف له أسماء: «ابن زهر وآثاره» نشره في باريس سنة (١٣٣٠هـ / ١٩١١م)^(١).

وكان قد جرّح (ستينسيدر، ووستنفلد) النظرية الخاصة التي زعم بها البعض بيهودية ابن زهر، وهدمها (كولان) في نهاية الأمر هدماً كاملاً^(٢).

وكان (كولار) قد زعم في كتاب له (حول تاريخ المغرب ص ٤٥٢) بيهودية أبي مروان عبد الملك، وأكد أن ابن زهر استعاض بالمنهج التجريبي والطريقة العقلية عن التقليد في ممارسة الطب، وكانت له عبقرية نادرة كانت العامل الأكيد في تطور الشعب الثلاث التي حاول توحيدها، وهي: الصيدلة، والجراحة، والطب^(٣).

وممن علق على الزعم القائل بأن أبا مروان عبد الملك بن زهر يهودي المعتقد: عبد العزيز بنعبدالله، فقال: «وتعقّبت شخصيته ترهات وافتراءات، حتى قيل: إنه يهودي المعتقد، ولعل ذلك راجع إلى تجريده فواتح كتبه مما يدل على إسلامه، وهذا التزييف لتاريخ الإسلام ماثل إلى اليوم في كتب شتى»^(٤).

أما أساتذته، فإنه كان «يروى عن أبي محمد بن عتاب، تناول منه

(١) البستاني، فؤاد أفرام، «دائرة المعارف» (٣ / ١٤٣).

(٢) بروفنسال وآخرون، «دائرة المعارف الإسلامية» (١ / ١٨٤).

(٣) بنعبدالله، عبد العزيز، «الطب والأطباء العرب» (ص ٣٠).

(٤) أسرة بني زهر، كتاب «التيسير في المداواة والتدبير» (ص ٢٨ - ٢٩).

«موطأ مالك»، و«الصحيحين»، و«الدلائل» لقاسم، وغير ذلك . . . وأخذ
عن أبيه أبي العلاء علم الطب»^(١).

* تَلَامِيذُ أَبِي مَرْوَانَ بْنِ زُهْرٍ:

وكان من تلاميذ الطبيب (الزهري) (*) الشهير أبي مروان بن أبي

العلاء زهرٍ الأجلَاءِ في صناعة الطب، والآخذين عنه:

١ - أبو الحسين بن أسدون المشهور بـ: (المصدوم).

٢ - أبو بكر ابن الفقيه القاضي أبي الحسن قاضي إشبيلية.

٣ - أبو محمد الشذوني.

٤ - الفقيه الزاهد أبو عمران بن أبي عمران^(٢).

(١) ابن الأبار، «التكملة لكتاب الصلة» (ص ٦١٦).

(*) نسبة إلى (زهر) الجد الأعلى لأسرة بني زهر.

(٢) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢١)، وعرف

الدكتور كمال السامرائي هؤلاء التلاميذ بإيجاز في كتابه: «مختصر تاريخ الطب

العربي» (٢/ ١٨٢)، كما يلي:

١ - المصدوم: هو أبو الحسين بن أسدون، من أطباء إشبيلية، عُرف متديناً

وأديباً وشاعراً، توفي سنة (٥٨٨هـ / ١١٩٢م)، من تلاميذه: عبد العزيز

ابن مسلمة الباجي.

٢ - أبو محمد الشذوني: من أطباء إشبيلية، درس على يد أبي مروان بن زهر،

خدم محمداً الناصر، ويوسف المستنصر المتوفى سنة (٦٢٠هـ / ١٢٢٤م).

٣ - أبو بكر بن أبي الحسن، من أطباء إشبيلية في أيام المستنصر الموحدي =

ويرى د. أسعد الحكيم «أن لا صحة لما قاله بعضهم من أن ابن رشد كان من تلاميذه»^(١)، دون أن يذكر سنداً واحداً ليُغضدَ قوله هذا^(٢)، علماً بأن ثمة شبه إجماع لدى المصادر والمراجع على أن «ابن زهر كان أستاذ الفيلسوف العظيم ابن رشد، وصديقه العزيز، وإليه أهدى كتابه الموسوم بـ «التيسير في مداواة والتدبير»؛ ليكون مكملًا لتأليف ابن رشد المسمى بـ «الكليات»^(٣).

وكان من تلاميذه وهو في محبسه لأمر ما حينما سخط عليه عليٌّ

= (ت ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م)، وتولى القضاء فيها، وكان يحسن لعب الشطرنج، فلقب به، فتضايق من ذلك، وتعلم الطب ليتخلص من اللقب، وصار يطبب الناس بلا أجر، توفي في دولة المستنصر وعمره خمس وثمانون سنة.

(١) «تاريخ الطب عند العرب»، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق ١٩٢٦م، (١١ / ٦ / ٥٠٨).

(*) الملاحظ - هنا - أن الحكيم كان قد تسرع في حكمه هذا، فالمعروف أن ابن رشد كان فيلسوفاً قبل أن يكون طبيباً، وأن عبد الملك بن زهر كان طبيباً قبل أن يكون فيلسوفاً، ولذا، فالأرجح هو أن ابن رشد كان تلميذاً لابن زهر في علم الطب، وأن ابن زهر كان تلميذاً لابن رشد في علم الفلسفة، ولا سيما أنهما كانا صديقين، ولا شك في ذلك. تنظر (ص ٢٠٦) (الباحث).

(٢) خير الله، أمين أسعد، «الطب العربي»، (ص ١٥٧).

(٣) خير الله، أمين أسعد، «الطب العربي»، بيروت ١٩٤٦م، (ص ١٥٧)، الحاج قاسم، د. محمود، «الطب عند العرب والمسلمين» الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٨٧م، (ص ٨٢).

ابن يوسف بن تاشفين : أبو الحكم بن غلندو الإشبيلي ، وكان قد قرأ عليه كتاب «الاقتصاد» ، وهو أحد كتب أبي مروان بن زهر^(١).

* علاقته مع المرابطين والموحدين :

في سنة (٥١١هـ / ١١١٧م) أصدر علي بن يوسف بن تاشفين أمير المسلمين أمراً بصرف أبي زكريا يحيى بن علي ، وعيّن أخاه أبا حفص والياً على إشبيلية ، وحينما وصل الأمير الجديد أبو حفص إلى إشبيلية ، استقبله أهلها ، ومعهم الأمير أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر ، ويذكر أن أباه أبا العلاء كان يسكن بمدينة «فاس» ، فلما رآه ، استصغره ، وقصر به ، فترجل صاحب المدينة (خالصة بن زهر) ، فأخذ بيده ، وسلم عليه ، فلما أعلم به ، أمر بجره إلى السجن ، فاضطربت نفوس الحاشية ، وشعروا بالشر ، وجلس الأمير أبو حفص مساء ذلك اليوم في فناء القصر ، وأحضر رجلين من حاشية ابن زهر متلبسين بأمره ، فأمر بضرب عنقهما ، وطيف برمحه على شوارع المدينة . . . وأقبل الأمير أبو حفص على متابعة هذه الحاشية ، وجعل مراده الانتقام وتشريدهم^{(٢)*}.

وكان أبو مروان بن زهر يتردد على مراكش ، عاصمة دولة المرابطين

(١) السامرائي ، د. كمال ، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ١٨١).

(٢) المراكشي ، ابن عذاري ، «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧م ، (ص ٦٥ - ٦٦).

(*) لم يشر المؤلف إلى أسباب النكاية التي أنزلها ابن حفص بحق آل زهر في إشبيلية ، لذا يحسن أن تكون هذه المعلومة هدفاً لتحريات الباحثين . (الباحث).

في عهد علي بن يوسف بن تاشفين (٤٣٧هـ - ٥٠١هـ / ١٠٤٥م - ١٨٠٧م) الذي كان قد اعتقله لعدة سنوات، ولم تعرف أسباب الاعتقال، وكان ابن زهر طبيب الأمراء والملوك مثلما كان طبيباً للشعب^(١).

وكان أبو مروان هذا قد التحق بركب الأمراء المرابطين مثلما فعل أبوه حيث صحبوه معهم من إشبيلية إلى مراكش^(٢). وقدم خدمة لهم، ونال من جهتهم من النعم والأموال الشيء الكثير^(٣).

كان اتصال أبي مروان بن زهر بالمرابطين في أول شبابه، فخدمهم خدمة جُلّي، شأنه شأن أبيه من قبله في الأندلس والمغرب، لكن عليّ ابن يوسف بن تاشفين المرابطي (٥٠٠ - ٥٣٧هـ / ١١٠٦ - ١١٤٢م) أساء^(٤)، معاملته في مراكش، فحقره، ثم سجنه لأسباب بقيت خلف ستار الغيب^(٥)، علماً بأنه لم يكن مجرد طبيب وحسب، وإنما «كان

(١) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن زهر»، مجلة الدارة، العدد (٣)، السنة (١٢)، ١٩٨٦م، (ص ١٤٨).

(٢) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ١٨١).

(٣) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٩).

(*) إن الأمر بسجن ابن زهر، طالما كانت أسبابه ما زالت مجهولة، ليس سليماً القول بأن الأمير علي بن يوسف بن تاشفين قد أساء معاملته وحقره، فمن يدري؟! قد يكون ثمة سبب يوجب إنزال أشد عقاب من السجن والتحقيق؛ لاحتمال وقوع الإساءة من ابن زهر نفسه، فنال هذا العقاب. وقد تصل أيدي الباحثين يوماً إلى سر هذه الرواية في كتاب مفقود. (الباحث).

(٤) البستاني، فؤاد أفرام، «دائرة المعارف»، (٣م)، بيروت، ١٩٦٠م، (ص ١٤٣).

وزيراً، وخدم المثلثين [المرابطين]»^(١).

وأثناء دخول أبي مروان هذا في خدمة المرابطين صَنَّف كتابه المسمى «الاقتصاد في إصلاح الأجساد»، وقدمه للأمير أبي إسحاق بن يوسف بن تاشفين، علماً بأن أعظم تصانيفه هو كتاب «التيسير في المداواة والتدبير»، ولا شك في أنه من أعظم مصادر الطب في العصور الوسطى، وكان قد انتشر في أوروبا بعد أن ترجم إلى اللغة اللاتينية في زمن مبكر^(٢). (يوجد من هذا الكتاب مخطوط بباريس برقم ٢٩٥)، وأيضاً هناك نسخة منه في الإسكوريال حسب (رينو) مكتوب بالعربية، وبحروف عبرانية، وفرغ من تحريره سنة (٥١٥هـ / ١١٢١م)، وهو - على حد قول مؤلفه -: «عبارة عن تذكرة لمن سبق له أن قرأ كتاباً أخرى في الطب»، فالمؤلف - في هذا القول - «عبارة عن تذكرة لمن سبق له أن قرأ كتاباً أخرى في الطب»، فالموقف - في هذا القول - لا يكلم العموم، وإنما مع زملائه الأطباء^(٣).

إن الخدمة الجليلة التي قدمها ابن زهر لدولة المرابطين حملت أمراء مراكش على أن يسبغوا عليه شرفاً، وغمروه بالغنى^(٤)، وأنعم عليه أمير مراكش بأموال سخية وشرفه تشريفاً كبيراً. ومن طريف ما روي عن

(١) ابن الخطيب، لسان الدين، «جيش التوشيح» (ص ٢٧٢).

(٢) عنان، محمد عبدالله، «عصر المرابطين والموحدين» (ص ٤٧٤).

(٣) بنعبدالله، عبد العزيز، «الطب والأطباء العرب» (ص ٢٥).

(٤) ل. أ. سيدو، «تاريخ العرب العام» (ص ٣٨٧).

ابن زهر (طبيب الجيل الرابع*) في أسرة بني زهر الطيبة) يحسن ذكرها لطرافتها، وكان أبو مروان بن زهر قد سار على أثر والده في مرافقة ابن يوسف بن تاشفين من إشبيلية إلى مراکش، وفي مراکش كتب قطعة من الشعر(**) ضمنها تعبيراً عن أسفه وحزنه لفراق عائلته التي تركها في إشبيلية

(*) هو من الجيل الثالث - على حد قول بعض المراجع -؛ مثل: عبد اللطيف البدري في «الطب عند العرب» (ص ٨٦)، وجلال مظهر في (أثر العرب في الحضارة الأوربية) (ص ٢٤٤)، ومحمود الحاج قاسم في «الطب عند العرب» (ص ٨٢)، والأرجح هو أنه من الجيل الرابع؛ لأن أبا بكر محمد بن مروان المتوفى ٤٢٢ كان طبيباً. ينظر: قدرى حافظ طوقان، «العلوم عند العرب» (ص ٢٠)، (ص ١٦٣) من الأطروحة. (الباحث).

(**) إن هذه الرواية دارت بين أمير مراکش وأبي بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الملقب بـ (الحفيد)، وليس مع أبيه أبي مروان عبد الملك بن زهر، وللتأكد من هذا تراجع المصادر التالية:

- ١ - ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، «وفيات الأعيان»، (٤ / ٤٣٥).
- ٢ - ابن سعيد، علي بن موسى، أبو العباس بن موسى المغربي، «رايات المبرزين» (ص ٤١ - ٤٢).
- ٣ - الصفدي، صلاح الدين، «الوافي بالوفيات»، (٤ / ٤٠).
- ٤ - ابن الخطيب، لسان الدين، «جيش التوشيح»، (ص ٢٧٣).
- ٥ - المقرئ، أحمد بن محمد، «نفح الطيب»، (٤ / ٤٣٥). أما القطعة الشعرية لأبي بكر محمد (الحفيد)، فهي:

ولي واحد مثل فرخ القطا	صغير تخلف قلبي لديه
تشوقني وتشوقته	فيكي عليّ وأبكي عليه =

بالأندلس ، وحينما قرأها الأمير - صدفة - أوعز إلى صاحب إشبيلية - سرّاً - أن يعمل بأقصى سرعة على إرسال أسرة طيبه إلى مراكش ، ففعل ، وهناك أسكنها في بيت في غاية الأناقة ؛ هدية منه لها ، وأرسل ابن زهر الصغير إلى هذا البيت بحجة أنه مطلوب لزيارة بعض المرضى ، فكانت المفاجأة السارة والممتعة^(١) .

* الطَّبِيبُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ زُهْرٍ فِي سِجْنِ مَرَاكِش :

لأمر ما ، بقي خلف ستار الغيب تحرك الوشاة ، فأوغروا صدر أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ضد أبي مروان عبد الملك بن زهر ، فاستدعي إلى مراكش ، وزُجَّ به خلف قضبان السجن هناك ، مدة ، وأفرج عنه فيما بعد ، وعاد الى إشبيلية ليقضي ما تبقى من أيام حياته^(٢) .

إن ما أصاب أبا مروان عبد الملك من عَنَتٍ وأذى على يد علي بن يوسف بن تاشفين كان قد أصاب والده أبا العلاء زهراً قبله من محن وإحْن ؛ حيث سجن نحواً من عشر سنوات^(٣) ، ولم يعرف سبب سجنه

= نَأَتْ عَنْهُ دَارِي فَيَا وَحِشْتَا لَذَاكَ الْقَدِيدَ وَذَاكَ الْوَجِيه^(١)

(١) مظهر ، جلال ، «أثر العرب في الحضارة الأوربية» (ص ٢٤٤) .

(٢) عنان ، محمد عبدالله ، «عصر المرابطين والموحدين» (ص ٤٧٤) .

(٣) بنعبدالله ، عبد العزيز ، أسرة بني زهر ، كتاب «التيسير في المداواة والتدبير» لعبد الملك بن زهر ، تحقيق : محمد عبدالله الروداني ، (ص ٢٨ - ٢٩) .

(١) الفاسي ، علي بن أبي زرع ، «الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك

وتاريخ مدينة فاس» ، الرباط ، ١٩٧٢م ، (ص ٢٠٧) .

إلا أن هناك احتمالاً يقول : لعل ذلك كان إرضاءً للعوام لما نعموا عليه - أي : على أبي مروان بن أبي العلاء - اشتغاله بعلم الفلسفة^(١) . وحول البحث عن سبب لسجن عبد الملك بن زهر . قال الأستاذ فاضل السباعي : «إن عبد الملك بن زهر اعتقل ، وقضى مدةً في سجن بمراكش ! والواقع أن المصادر التاريخية لم تفصح لنا عن الأسباب التي حملت الخليفة المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين على سجنه ، وإن قال (ابن الأبار) عن أبيه (زهر) إنه توفي بقرطبة منكوباً»^(٢) .

وعن اعتقاله وسجنه أشار عبد الملك بن زهر نفسه في كتابه «التيسير» عدة مرات ؛ فقد كان يتوقف وقفات غارقة في المرارة والألم الشديد ، وذلك كلما عنت له ذكرى من أيام سجنه القاهرة ، وأشار مرة إلى تجوله في المنفى خارج الوطن صحبة أحد الثوار^(٣) ، وقد اتضحت معاناته عند استئنافه لعمله بعد مغادرته السجن ، وقبل أن يحدث ذلك الانقلاب الذي آل فيه الحكم إلى «الموحدين»^(٤) .

(١) أمين، أحمد، «ظهر الإسلام» (٣ / ٢٤١) .

(٢) الطبيب الأندلسي ، عبد الملك بن زهر من خلال كتابه «التيسير» ، مجلة الدارة ، العدد (٢) ١٩٨٥ م ، (ص ١٠٨) .

(٣) عبد الملك بن زهر ، «التيسير في مداواة والتدبير» ، تحقيق : ميشيل الخوري ، (ص ٢٥١) .

(٤) السباعي ، فاضل ، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن زهر ، من خلال كتابه : التيسير» ، مجلة الدارة (٢) ، سنة ١٩٨٥ م ، (ص ١٠٨) .

وعن أسباب اعتقال أبي مروان عبد الملك يتساءل الدكتور فاضل السباعي: «ترى هل مال عبد الملك وأبوه زهر إلى دعوة الموحدين التي بدأ انتشارها سنة (٥١٥هـ / ١١٢١م) قبل أن يستفحل أمرها، فتقوض أركان الدولة، فنقم عليهما الخليفة المرابطي علي بن يوسف، فنكب الأب في قرطبة، وساق الابن إلى السجن في مراكش؛ ذلك أن عبد الملك نال بعد أن رفرت رايات الموحدين في سماء الأندلس منزله كبرى عند خليفته (عبد المؤمن) حتى غدا طبيبه الخاص؟»^(١).

برغم إيداع الطبيب عبد الملك بن زهر السجن في مراكش بأمر علي ابن يوسف بن تاشفين، كان البلاط بحاجة إليه، فكان يعرض الخاصة عليه وهو في السجن لمعالجتهم، ومنهم: (خطيب الخليفة). قال ابن زهر: «كانت به حصاة، وهو في أسباب الهلاك، فأفتيته بشرب ثلث واحد من درهم واحد من دهن البلسان، فلم يلبث أن بالها بعد يوم أو أزيد من يوم، فاستغرب ذلك المعالجون المختصون به، وبالشقي [يقصد: علي بن يوسف] صاحبه، فسألني حيث ذكر، فقلت: قد ذكر»^(٢).

أخرج ابن زهر - في نهاية الأمر - من السجن، ويرى مستعرب إسباني يدعى: (نوغاليث) أن سبب إنقاذه من المضي في سجنه هو: «براعته الطبية؛ فقد كان يداوي رفاقه في السجن، وأفرد عائلة الحاكم، لذلك اتخذه أبو يوسف طبيباً خاصاً له، وأوصاه بتأليف كتاب بمثابة

(١) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٢) المصدر التالي (ص ١٠٩).

مختصر طبي يتداول في المحادثات العلمية في البلاط». ويرى (فاضل السباعي): «أن إطلاق سراح ابن زهر لم يعقبه استرداد لسابق مكانته عند الخليفة المرابطي، وهو بالتالي لم يعد طبيبه الخاص، وإن كان يشارك غيره من الأطباء في معالجته»^(١).

يفهم من رواية لعبد الملك بن زهر عما شاهده في السجن الذي زجه فيه علي بن يوسف لظروف غامضة، يفهم منها مدى القسوة التي كان يعامل بها الإنسان آنذاك من قبل السلطان. قال ابن زهر: «وقد شاهدت - وأنا في أسر علي بن يوسف وفي سجنه - قوماً كانوا في أطباق سجنه المعروف بـ (قرقيدن) يتطارحون على أعشاب كانت تزال عن السقوف، ويأكلونها، وإن مما كانوا يأكلون: نوعاً مدموماً من اليتوع(*)، وغير ذلك؛ لألم الجوع، وكان يموت كل يوم منهم عدة، من عشرة إلى ما حول ذلك»^(٢).

إن الطبيب أبا مروان عبد الملك بن زهر كان - على ما يبدو - ينضج خيراً للناس، حتى في سجنه، فلقد قرأ عليه - في السجن - أحدهم، وهو

(١) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن زهر من خلال كتابه التيسير»، مجلة الدارة، العدد (٢) سنة ١٩٨٥م، (ص ١١٥، هامش ٣١).

(*) اليتوع: كل نبات له لبن، دار، مُسهّل، محرق، مقطع... والناس في بوادي المغرب مولعون بأكل أنواع منه «التيسير»، تحقيق: محمد عبدالله الروداني، (ص ٤٦٠).

(٢) أبو مروان عبد الملك بن زهر، «التيسير في المداواة والتدبير» (ص ٤٤٩ - ٤٥٠).

الشاعر أبو الحكم بن غلندو الإشبيلي الأندلسي، قرأ عليه عام (٥٣٥هـ / ١١٤٠م) «كتاب الاقتصاد». والمنصور [الموحدي] هو الذي استقدمه إلى مراكش للمرة الثانية عام (٥٨٠هـ / ١١٨٤م) (*) (١).

ولما دب الضعف في دولة الملتئمين (المرابطين)، وصارت نذر زوالها تلوح في أفق المغرب العربي والأندلس، دخل (المهدي) إلى الأندلس، وهو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن تومرت^(٢) يصحبه عبد المؤمن، وياشر بنشر الدعوة لعبد المؤمن، وسهل أمره، فانتشرت دعوته، واتسعت مملكته، فسيطر على البلاد، ونال طاعة الناس، فصفا له الأمر، واستقل عبد المؤمن، ودُعي بـ: (أمير المؤمنين)، وبسط نفوذه على خزائن المغرب، وصار يبذل الأموال، ويظهر العدل، ويقرب أهل العلم، ويحسن إليهم، فاخص الطيب أباً مروان عبد الملك بن زهر طبيباً لنفسه، واعتمد عليه في تطييبه دون غيره، وأنعم عليه، وأعطاه أكثر مما كان ابن زهر يحلم به، فصار مكيناً عنده، رفيع القدر، متميزاً على أغلب أقرانه^(٣). فآلف ابن زهر كتاب «الترياق»، واختصره عشاريّاً،

(*) هذا التاريخ غير دقيق؛ لأن الطبيب أباً مروان بن زهر كان قد توفي سنة (٥٥٧هـ / ١١٦١م)، فكيف يصح القول باستقدمه سنة ٥٨٠هـ؟! (الباحث).

(١) بنعبدالله، عبد العزيز، «الطب والأطباء العرب» (ص ٢٩).

(٢) مصلح ديني مراكشي، يعرف بـ: (مهدي الموحدين)، ولد في جبل السوس. ابن أبي أصيبعة، «عيون»، (ص ٥١٩ هامش ١).

(٣) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٩)، العمري، =

واختصره سباعياً، ويعرف بـ: «ترياق الأتلة»^(١).

وكان عبد المؤمن بن علي الذي سيطر على مراكش عام (٥٤١هـ / ١١٤٦م)، وبقي في الحكم إلى عام (٥٥٨هـ / ١١٦٣م) قد احتفى بابن زهر، وخلع عليه ولقبه بالوزارة مثل أبيه أبي العلاء زهر، وجده أبي مروان عبد الملك بن محمد^(*) فاستمر أبو مروان بن زهر بأعماله بالتصنيف والتطبيب إلى نهاية عمره من جراء خراج خبيث سنة (٥٥٧هـ / ١١٦٢م) في مدينة إشبيلية، ووري الثرى خارج باب النصر، وأنجب ابناً هو الطبيب الشاعر أبو بكر محمد (الحفيد)، وكانت وفاة أبيه (زهر) بإصابته بنفس المرض (دُمْل خبيث)^(٢).

إن عناية أمير المسلمين عبد المؤمن بابن زهر كانت بعد أن تعرف على إمكانياته، فأُسندَ إليه منصب الوزارة؛ لأنه كان كثير النشاط، دؤوباً، يسهر الليل كله في خضم العمل، حتى يقال: إنه لم يتوقف عن العمل سوى ليلة زواجه، وليلة موت والده زهر^(٣).

= ابن فضل الله، «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» (ص ٣٢٦).

(١) البدرى، عبد اللطيف، «الطب عند العرب» (ص ٨٦).

(*) إن هذا الاحتفاء بابن زهر من قبل أمير الموحدين عبد المؤمن، كان - على ما يبدو - بسبب انتقال ابن زهر من خدمة المرابطين إلى الموحدين حال وقوع الحركة الموحدية، وسقوط دولة المرابطين سنة (٥٤٣هـ / ١١٤٨م). (الباحث).

(٢) البستاني، فؤاد أفرام، «دائرة المعارف» (٣ / ١٤٣).

(٣) قطاية، سلمان، «شخصيات الطب العربي في لوحات» (ص ٢).

ومما قدمه الطبيب ابن زهر من خدمة طبية للأمير المهدي بعد أن أخذ الأخير بلاد المغرب، وقرَّب ابن زهر، وأكرمه وأتحفه بالعطايا، ومما عمل له: «أنه أخذ أدوية مسهلة نَقَّعها، وسقى بمائها كرمه، فحملت عنبا، فأحمى الخليفة، فأعطاه عنقوداً منها، فأكل عشر حبات، فقال له: يكفيك تقوم عشرة مجالس؛ لأنك أكلت عشر حبات، فكان كما قال، فتزايدت قيمته عنده وعطاياه»^(١).

يستنتج مما تقدم: أن أبا مروان عبد الملك بن زهر كان قد خدم دولتي الملتمين (المرابطين)، والموحدين، وأنه نال تقديرًا وتكريماً من قبل حكام الدولتين، وكان قد صنف - بتوجيه منهم - كتاباً طبية قيمة، وإذا كان والده (أبو العلاء زهر) مختصاً بـيوسف بن تاشفين، ومشرفاً على علاجه، فإن عبد المؤمن خليفة الموحدين اعتمد على أبي مروان عبد الملك في تطييبه ومداواته، فأعطاه حتى أرضاه^(٢)، حيث ابتسم له الحظ مع الموحدين، وتحسنت أحواله، وصار - كما ذكر - طبيباً أميرهم عبد المؤمن بن تومرت، ومن بعد ذلك خدم يعقوب المنصور الموحدي (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٨٤ - ١١٩٨ م)، وذُكِرَ أنه توفي بالسرطان^(٣).

في أخريات أيام عُمر الخليفة عبد المؤمن كان الوالد الطبيب أبو

(١) ابن بطلان، «دعوة الأطباء» (ص ١٤٥).

(٢) السعيد، محمد مجيد، «ابن زهر الحفيد الأندلسي»، مجلة المورد، إصدار وزارة الثقافة والإعلام، م ٩، العدد (٢)، ١٩٨٠ م، (ص ١٢).

(٣) الزبيدي، طارق صالح، «التراث العلمي العربي الطبي» (ص ٣٤٢).

مروان عبد الملك بن زهر، وابنه أبو بكر محمد (الحفيد) يخدمانه معاً؛ لأنه كان ولي نعمة عبد الملك، وهو الذي أخرج من سجن علي ابن يوسف بن تاشفين المرابطي، وهو الذي أوعز إليه أن يصنف كتاب «التيسير في المداواة والتدبير»^{(١)(*)}، وهو أهم تأليف ابن زهر.

ومن مخطوطاته :

١ - مخطوطة الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط)، مجموع

. ١٥٣٨

٢ - مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس، الرقم 2960.

(١) التازي، عبد الهادي، «الدرس الافتتاحي للسنة الأكاديمية (١٩٩٧-١٩٩٨م)»، جامعة ابن زهر بأكادير، (ص ٩).

(*) هذه الرواية تتعارض ورواية ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م)، الذي يقول: «ولأبي مروان بن زهر من الكتب كتاب «التيسير في المداواة والتدبير»، ألفه للقاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد. «عيون الأنباء» (ص ٥٢١). والملاحظ أن جملة من المؤرخين كانوا قد ردوا رواية ابن أبي أصيبعة هذه، منهم: ليفي بروفنسال، «دائرة المعارف الإسلامية» (١ / ١٨٤)، فيليب حتي، «تاريخ العرب» (مطول) (٢ / ٦٨٦)، وآخرون. وذهب المؤرخ عبد الهادي التازي إلى أن سلطان الموحدين (عبد المؤمن) هو الذي أمره بتأليف كتاب: التيسير. «الدرس الافتتاحي لجامعة ابن زهر لسنة (١٩٩٧ - ١٩٩٨م)، (ص ٩)، ونفى المؤرخ فاضل السباعي أن يكون ابن زهر قد ألف «التيسير» بإشارة من أحد، وإنما ألفه بوحي من ذاته. «مجلة الدارة»، العدد (٢) ١٩٨٥م، (ص ١٠٢).

٣ - مخطوطة المتحف البريطاني - لندن N. 9128 .

٤ - مخطوطة المكتبة العبدلية - تونس 7 - N. 2867^(١) .

٥ - مخطوط بودليان . N. 355 fol. 1 - 80 v Bodleian Library , Oxford .

٦ - مخطوط N. 215 B. Medicea , Flore^(٢) .

ب - جُهُودُهُ الْعِلْمِيَّة :

لقد شهد أشهر العلماء بالمكانة العلمية السامية لأبي مروان عبد الملك ابن زهر، قال البيهقي ظهير الدين المتوفى سنة (٩٩٤هـ / ١٥٨٥م): ويمكن أن يقال: «إن تنمة صوان الحكمة في زمن نضجت فيه الفلسفة عند المسلمين، ولم ينشأ في القرن السابع وما بعده فلاسفة عظماء على ما كان في القرن الثالث إلى السادس، ولا قام عالم من عيار الرازي والبيروني، وابن الهيثم، (وابن زهر)، وابن باجه إلا على الندرة، وفي القرون الكثيرة مثل: ابن خلدون في أفريقية، وكمال الدين بن يونس في الموصل»^(٣).

(١) العامري، د. محمد بشير، «مجلة كلية التربية للبنات»، جامعة بغداد، العدد (١٢) (٢) ٢٠٠١م، (ص ١٧٤).

(٢) العامري، د. محمد بشير حسن راضي، «كشاف عن مشاهير الأطباء الأندلسيين ومؤلفاتهم المخطوطة والمطبوعة»، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، العدد ١٢ (٢) ٢٠٠١م، (ص ١٧٥).

(٣) «تاريخ حكماء الإسلام»، تحقيق: محمد كرد علي، ط ٢، مطبعة الترقى، دمشق ١٩٧٦م، (ص ٧).

والواقع أن علم الطب لم يتقدم في المغرب العربي الإسلامي إلا في القرن الخامس للهجرة حين امتزج الازدهار الأندلسي والمغرب في نهضة للعدوتين برعاية المرابطين، حيث كان هذا القرن وتاليه أبرز الأحقاب العلمية في الأندلس العربية المسلمة، برغم عدم الاستقرار الذي نتج عن حركة المرابطين والموحدين من بعدهم، كان ذلك بفضل عناية الخلفاء المرابطين، وكذا الموحدين بالحركة العلمية والعلماء، ففي هذا الجو العلمي ظهر الطبيب أبو مروان عبد الملك (بن أبي بكر بن محمد*) الذي عرف في أوروبا بـ (Avenzoar) المتوفى سنة (٥٥٧هـ/ ١١٦٢) كأبرز طبيب بين الأطباء الذين خرجتهم المدرسة العربية^(١).

وكان بارعاً في صناعة الطب، وموفقاً في معالجة المرضى^(٢)، وكان حسن الاستقصاء في الأدوية المفردة، وكذلك في المركبة، فاشتهر، وذاع صيته في أنحاء الأندلس كلها، واشتغل الناس بتأليفه^(٣).

(*) إن أبا مروان عبد الملك هذا هو ليس ابن أبي بكر بن محمد، وإنما هو (ابن أبي العلاء زهر)، وعلى ما يبدو أن وهماً حصل لدى المؤلف عبد العزيز بن عبد الله بسبب تشابه الإسمين، وهناك وهم ثانٍ في قوله: «أبو بكر بن محمد»، والصواب هو: (أبو بكر محمد). المقري، «نفح الطيب» (٣/ ١٣).

(١) بن عبد الله، عبد العزيز، «أسرة بني زهر، (كتاب التيسير) لعبد الملك بن أبي العلاء زهر»، تحقيق: محمد عبد الله الروداني (ص ٢٥).

(٢) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥١٩).

(٣) المصدر نفسه، (ص ٥١٩).

ومن العلماء الذين أشادوا بعلو كعبه في صناعة الطب: ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي البلنسي المتوفى سنة (٦٥٩هـ / ١٢٦٠م) الذي قال: «وأخذ عن أبيه أبي العلاء علم الطب، وتقدم في صناعته، وتحقق به مع جلالة البيت، ونباهة السلف، وكان - مع مهارته - موفقاً به . . . وألف كتاب «التيسير» في مداوى الأدوية على أعضاء الإنسان، شُهرَ في الناس، واستقل كثيراً، وكان القاضي أبو الوليد يثني عليه، ويجل أبا مروان، ويصرح بتفوقه في صناعته، وألف كذلك قبل كتاب «التيسير» كتاب «الاقتصاد في إصلاح الأجساد» للأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، وكان قد فرغ منه سنة (٥١٥هـ / ١١٢١م)^(١)، وهو أهم تأليف ابن زهر بعد كتاب «التيسير».

ومن مخطوطاته:

- ١ - مخطوط مكتبة دير الأسكوريال بمدريد، الرقم 834.
- ٢ - مخطوط الخزانة الحسينية (القصر الملكي بالرباط) الرقم مجموع 1538.
- ٣ - مخطوط المكتبة العبدلية، تونس، الرقم ٢٨٦٧ / ٩.
- ٤ - دراسة وتحقيق وترجمة للإسبانية Brahant R. Kuhne . مدريد ١٩٧١م. أطروحة دكتوراه غير مطبوعة، ولها موجز مطبوع^(٢).

(١) «التكملة لكتاب الصلة» (ص ٦١٦).

(٢) العامري، د. محمد بشير حسن راضي، «كشاف عن مشاهير الأطباء الأندلسيين ومؤلفاتهم المخطوطة والمطبوعة»، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة =

وممن أشاد بأبي مروان بن زهر من مشاهير العلماء : ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين أحمد بن يحيى المتوفى سنة (١٣٤٨هـ / ١٧٤٩م) حيث قال : «لحق بأبيه في المعالجة ، وشاع ذكره في الأندلس وغيرها ، وعكف الأطباء على مصنفاته ، ولم يكن - في زمانه - من يماثله في صفاته ، وله حكايات كثيرة في حسن العلاج مما لم يُسبق إلى مثله»^(١).

امتاز هذا الطبيب الكبير بالجد في إقامة صناعة الطب على أسس التجربة ، وتمسك بوصل مباحث هذا الفن بدراسة من الجراحة والصيدلة ، خلافاً لما كان سائداً في عصره من أساليب متخلفة ، وخرافات ساذجة ، فصارت المادة الطبية مدينة له بالكثير من الأدوية النافعة ، وكانت الجراحة هي الأخرى مدينة له ؛ لوصفه البعض من الأمراض الجديدة ؛ كالالتهاب المحزمي التاموري^(٢) . وكان يفصد المرضى بيده ، ويقوم بإجراء العمليات الجراحية ، خلا خزع الحصاة عن المرأة ؛ فقد كان يتجنبها لأسباب أدبية^(٣).

• حذقه في صناعة الطب :

روي أن أبا مروان عبد الملك بن زهر مرَّ يوماً بطريق ، وهو متجه

= بغداد ، العدد ١٢ (٢) ٢٠٠١م ، (ص ١٧٤).

(١) «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» (ص ٣٢٥ - ٣٢٦).

(٢) ل . أ . سيدو ، «تاريخ العرب العام» (ص ٣٨٧).

(٣) الحكيم ، د . أسعد ، «تاريخ الطب عند العرب» ، مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ٦م ، سنة ١٩٢٦م ، (١١ / ٥٠٧).

إلى دار أمير المؤمنين بإشبيلية، فوجد في طريقه مريضاً به سوء قته(*)، وقد عظم بطنه، وشحب لونه، فشكا المريض إليه حاله، وسأله النظر في أمره، وبعد أيام أعاد المريض عليه المسألة، فوقف الطبيب أبو مروان ابن زهر قربه، وصار ينظره، فرأى قرب رأسه إبريقاً بالياً يستخدمه لشرب الماء، فقال ابن زهر: «اكسر هذا الإبريق؛ فإنه سبب مرضك»، فقال المريض: «لا، بالله يا سيدي إني لا أملك غيره»، فأوماً الطبيب لبعض خدمه أن اكسروه، فكسروه، فبان منه ضفدع، وكان قد كبر لمرور زمان عليه في الإبريق، فقال ابن زهر: «خلصت يا هذا من المرض، انظر ما كنت تشرب»، فبرأ الرجل على أثر ذلك^(١).

ومن الحكايات الدالة على حذقه في صناعة الطب: أنه كان في إشبيلية حكيم يعرف بـ (الفار)، وكان الفار هذا لا يأكل التين، وإذا أكل منه، فواحدة في السنة، عكس أبي مروان عبد الملك بن زهر الذي كان يكثر من أكل التين، فقال الفار لابن زهر: «لابد أن تعرض لك نغلة (الدبيلة)**) صعبه بمداومتك أكل التين»، فقال ابن زهر: «لابد لكثرة حميتك وكونك لم تأكل شيئاً من التين أن يصيبك الشناج». قال: «فلم

(*) القتبة: المعى (المصران). ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٠ هامش ١).

(١) المصدر نفسه (ص ٥٢٠).

(**) النغلة: الدبيلة بلهجة المغرب العربي [الدنبلة بلهجتنا]. ابن أبي أصيبعة، «عيون» (ص ٥٢٠).

يمت المعروف بـ (الفار) إلا بعلة التشنج، وعرض لعبد الملك دويلة في جنبه مات فيها»^(١).

مما تقدم يستنتج أن لا غرابة بما وصف به ابن زهر من حذق في صنعة الطب؛ ذلك لأنه كان أنبغ الأطباء، وكان واحداً من الأطباء العرب القلائل الذين حصروا جهودهم في علم الطب فقط، ووصف بأنه كان أقرب الأطباء العرب إلى أبقرات في تفكيره وملاحظته وتدوين الحوادث، وفي التفريق بين الطب والفلسفة، وبين الدين والتنجيم، وكان ينتقد كتابات ابن سينا؛ للإطالة والإسهاب فيها، وللآراء الفلسفية غير المنطقية التي يأتي بها ابن سينا^(٢).

ويذكر أن ابن زهر كان يتقيد بالسلوك المهني، وبما كان يؤكد عليه أبقرات في القسم الخاص به، ويقول ابن زهر في «تيسيره»: إنه أقام هذا القسم أمام أبيه حينما شرع في بداية أمره بتعليم صنعة الطب عليه، وكان ابن زهر واضح التزم بأصول الممارسة، فلم يكن يرتجل الأدوية قبل فحصه لحال المريض، والوقوف على تشخيص مرضه، وفي كتابه المشار إليه كان ينتقد زملاءه الذين لا يعملون بهذه القاعدة^(٣).

* ممارسته عمل الطب :

كانت ممارسة الطبيب البارع ابن زهر في الطب واسعة، وكان يدون

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٠).

(٢) خير الله، أمين أسعد، الطب العربي، (ص ١٥٧).

(٣) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (١٨١ / ٢).

في تلك الممارسة مشاهداته بدقة وإتقان متناهيين، فوصف الأدوية التالية:

- ١ - التامور: غشاء القلب .
- ٢ - خراج الحيزوم، الذي قيل: هو نفسه كان مصاباً به .
- ٣ - وصف باسهاب عملية رفع الحصى من الكلية .
- ٤ - ووصف عملية فتح القصبة الهوائية^(١) .
- ٥ - ووصف (الغشاء المنصف)، وهو الغشاء الذي يشطر الصدر «طولياً» المسمى اليوم: (المنصف Mediastin)، قال ابن زهر في مصنفه:
«ويحدث في الصدر في الغشاء الذي يقسم طولاً، والرئة والقلب منوطة به، أن يَرم، وورمُ هذا العضو يتبعه سعال ملحّ، ووجع يمتد طولاً إلى اللية، واختلاط في الذهن، وَحُمى حادة، وأما النبض، فإنه يكون منشارياً بذات موضع الورم، ويجد صاحبه تلهباً وعطشاً شديداً، واستنشاق الهواء البارد يسكن عطشه أشد مما يسكنه شرب الماء البارد، وأما التنفس، فيكون صغيراً متواتراً شديداً الحرارة، وفي مثل هذا الورم الفصد فيه لازم»^(٢) .
- ٦ - ووصف ابن زهر طفيلي الجرب، فلقد أشار بعض المصنفين

(١) المرجع نفسه (٢/ ١٨٠) .

(٢) أبو مروان عبد الملك بن زهر، «التيسير في المداواة والتدبير»، تحقيق: ميشيل الخوري، (ص ٢٢٩) .

إلى أن ابن زهر كان أول من وصف طفيلي الجرب المسمى : (صؤابة الجرب) في قوله :

«ويحدث في الأبدان - في ظاهرها - شيء يعرفه الناس بـ: (الصؤاب)، وهو حكة تكون في الجلد، ويخرج - إذا قشر الجلد - من مواضع منه حيوان صغير جداً يكاد يفوت الحس»^(١).

والجدير بالذكر ما قاله (فاضل السباعي) حول صؤابة الجرب، قال: «إن الدكتور ميشيل خوري، محقق كتاب «التيسير» يبين في مقال له سابق على تحقيقه «التيسير» أن ما يقوله هؤلاء الباحثون يتفق مع ما جاء في «معجم دورلند» الطبي الأمريكي (طبعة ١٩٦٥م) من أن ابن زهر وصف صؤابة (الجرب)، ومع ما ورد في «دائرة المعارف البريطانية» (١٩٦٥م) من أن ابن زهر كان أول من وصف الجرب والصؤابة المسببة له». ويتابع الخوري القول: «إن ابن زهر - بوصفه صؤابة الجرب - كان أول عالم في الطفيليات بعد (الإسكندر التراقي البيزنطي) الذي كان من أهل النصف الثاني من القرن السادس للميلاد، ويضيف: «إنه يتضح من إحدى الدراسات الحديثة أن أحمد الطبري الفارسي هو من أهل النصف الثاني من القرن السادس الميلادي كان قد سبق ابن زهر إلى وصف صؤابة الجرب في كتابه: (المعالجة البقرائية)»^(٢).

(١) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي ابن زهر»، مجلة الدارة، العدد (٣)، السنة (١٢)، ١٩٨٦م، (ص ١٤٩).

(٢) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي ابن زهر»، مجلة الدارة، العدد (٣) =

٧ - وفي وصفه لداء الشقيقة، وتصنيف أوجاعه، قال ابن زهر: «وتعرض الشقيقة»، وهو اسم جرت عوائد الناس أن يجروه على ألسنتهم، وذلك وجع في قسم من الرأس، والعليل قد يحس بأنه غائر في الرأس، فلننظر أي موضع يكون الوجع فيه، فليس إلا: إما الغشاء الذي خارج القحف، وإما أن يكون في الغشاء الذي تحت القحف، وإما أن يكون في الغشاء الرقيق المحيط بالدماغ. وإنما خالف هذا الداء المعروف بـ: (البيضة)^(١).

نتيجة للاطلاع على جهود ابن زهر العلمية في مجال الطب يمكن القول بأنه يكاد يكون مختصاً في أمراض الجهاز الهضمي، فلقد استعمل أنبوبة مجوفة من القصدير لتغذية المصابين بعسر البلع، وتمكن من استعمال الحقن المغذية^(٢).

ومما يعزز القول بتخصص ابن زهر بأمراض الجهاز الهضمي: ما قاله (بوشوت) في «تاريخ الطب» (ص ٣٥٥): «اشتغل ابن زهر زمناً

= السنة (١٢)، ١٩٨٦م، (ص ١١٣، هامش ١٣).

(١) وكان ابن زهر قد عرف داء (البيضة)، فقال: «إنه وجع شديد يتقدمه - في أكثر الأحيان - صداع مزمن، وهذا الوجع يكون بأدوار في أكثر الحال لابتعادها، ويبلغ من شدة الوجع أن لا يحتمل العليل أن يسمع صوتاً شديداً، وإنما ذلك بسبب العصبية الآتية بحس السمع إلى الأذن». «التيسير»، تحقيق: ميشيل الخوري، (ص ١١٧).

(٢) بنعبدالله، عبد العزيز، «الطب والأطباء العرب» (ص ٢٨).

طويلاً بالجهاز الهضمي، حتى تمكن من معالجة الكسر والخلع معالجة دقيقة، وقد أجرى مراراً فتح الميت؛ مما ساعده على وصف التشريح المرضي في جراحة حيز مثلث الصدر، وذات غلاف القلب، واستسقاء غلاف القلب، والالتصاقات الليفية القلبية التي يسميها: (الزوائد القلبية)، وعني بعسر البلع، وأوصى باستعمال الحقن المغذية في المستقيم^(١).

وحينما كان في سجنه بمراكش، كتب وصفاً دقيقاً لأعراض سرطان المعدة الذي كان مصاحباً له في السجن مصاباً به^(٢). وكان أول طبيب عربي تجرأ فأشار بعملية شق الحجب، ومنها شرحه لطريقة تغذية المريض بطرق قسرية أو اصطناعية عن طريق الحلقوم أو الشرج، وقد دوّن كل ذلك الجهد في عدد من التصانيف^(٣).

* معالجاته للأمراض المختلفة:

إن الحديث عن جهود هذا الطبيب الكبير الخاصة بتشخيص الأمراض التي كانت منتشرة في زمانه سيكون واسعاً ومتشعباً، ويحتاج إلى مساحة يصعب تقديرها من حجم هذه الأطروحة، ونتيجة لهذه الحالة، رأى الباحث أن يصار إلى تنظيم الملحق المرقم (٩)، وتضمينه مجمل الأمراض التي تعامل ابن زهر معها، والعلاجات التي اشتغل بها في مكافحة تلك الأمراض، وبناء على هذا تم الاكتفاء بتناول مقتطفات

(١) الحكيم، د. أسعد، «تاريخ الطب عند العرب» (ص ٥٠٩).

(٢) خير الله، أمين أسعد، «الطب العربي» (ص ١٥٧).

(٣) البستاني، فؤاد أفرام، «دائرة المعارف» (٣ / ١٤٣).

من مختلف نشاطات الطبيب (مدار البحث).

إن الأسلوب الذي اتبعه ابن زهر في تشخيص الأمراض وكيفية معالجتها يتضح من خلال نظرة سريعة إلى (هيكلية) كتابه «التيسير في المداواة والتدبير» الذي جعله يتكون من عدة رسائل: الأولى: وصف لمرض الجرب وعلاجه^(١)، وفي الرسالة الثانية: يتحدث عن جراحات الرأس، وفي الثالثة: عن أمراض الرأس، وفي الرابعة: عن أمراض الأذنين، وفي الخامسة: عن أمراض الأنف، وهكذا يتحدث في باقي رسائله عن: الفم، والأسنان، والعين، والقلب، والكبد، والبطن، وأمراض الصدر، والأمراض الوبائية، ومختلف الأمراض المعروفة في زمانه، ويختم كتابه المشار إليه يتكلم عن قوائم الوصفات الطبية سماها ابن زهر: (الجامع)، ووصايا في تركيب الأدوية واستعمالاتها^(٢).

ومما عالجه ابن زهر من الأمراض: (حالات الشلل) الذي يصاب به البلعوم، عالجه بثلاث طرائق، نقلها، وعمل بها الأطباء:

الأولى: أن يحفظ حيوية المريض بوضعه في ماء فاتر به شيء من الأملاح المغذية، فتسرب إلى جثمانه بطريق الامتصاص الجلدي، إلا أنه لم يمل إلى الطريقة هذه.

والثانية: أن يغذي المريض بأنبوب مصنوع من الفضة ينقل الطعام

(١) أبو مروان عبد الملك بن زهر، «التيسير»، تحقيق: ميشيل خوري (ص ٥٩).

(٢) النجار، د. عامر، «في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية»، دار المعارف، ط ٢، القاهرة، ١٩٨٧م، (ص ٢٢٨).

إلى المعدة عن طريق البلعوم.

أما الطريقة الثالثة : فالحقن الشرجي بمادة مغذية^(١).

إن الطرق الطريفة التي اتخذها الأطباء العرب القدامى في معالجة المرضى جعلت علم الطب مديناً لهم ، عاد إليها على أنها اكتشافات طبية حديثة ، في حين هي منسوبة زمنياً طويلاً للعرب ، ومنها : طريقة امتصاص النبات بعضاً من الأدوية المذابة في مياه سقيه ؛ كما صنع ابن زهر الذي كان يقوم بمعالجة المرضى المصابين بالقبض بإطعامهم عنقيد عنب مجني من الكرمة المسقية بماء مُزج فيه دواء مسهل^(٢).

وعالج ابن زهر أبو مروان عبد الملك داء الجرب (الآكلة) باللقاح الذي اكتشفه الطبيب الطبري الذي تأثر جداً [بأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (المتوفى سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢م)] الملقب بجالينوس العرب ، لمعالجة داء الجرب ، واسمه باللاتينية (Erroger)^(٣).

وكان ابن زهر قد اعتمد على علاج الالتهابات بالفصد من الجهة المعاكسة لموضع الألم ، كما استخدم الحليب في معالجة الوهن ، وأيقن بإمكان معالجة العمى وشفائه ، على العكس مما اعتقد جالينوس^(٤). وذكر

(١) صموئيل نيسنسون ووليام دي ويث ، «سير ملهمة من الشرق والغرب» ، (ص ٨).

(٢) لوبون ، غوستاف ، «حضارة العرب» (ص ٥٩٢).

(٣) هونكه ، زيفريد ، «شمس العرب تسطع على الغرب» (ص ٢٧٢).

(٤) الزبيدي ، طارق صالح ، «التراث العلمي العربي الطبي» (ص ٣٤٢).

أمراض العينين وعلاجاتهما في كتابه «التيسير في المداواة والتدبير» (ص ٨٢ - ١٠٧)^(١). الملحق رقم (٩).

وعن تركيب العين أشار ابن زهر حسب تصوره إلى: «أن العين مركبة من عدة طبقات، أولاها مما يلي القحف، كأنها غشاء، ويليها إلى جهة الهواء شبه المشيمة، يلي المشيمة شبه الشبكة، وللعين رطوبات، أشرفها: الجليدية، وهي آلة الإبصار، وهي بين رطوبتين، فمن جهة القحف: الرطوبة الزجاجية، وهي للجليدية كالغذاء؛ لموافقتها لذلك، ومما يلي الهواء: الرطوبة البيضية تشبه العنبة، لونها أسود ففيري(*)، ويعلوها غشاء محيط يشبه القرن المنحوت، مركب من أجزاء كالصفائح ويحيط به، إلا اليسير منه ما يلي خارج العين، الملتحم، وهو لا يعم القرنية كلها، ولست أحتاج أن أذكر من حيث نشأ كل واحد مما يحيط بكل واحدة من هذه الرطوبات؛ فإن لكل واحدة منها منشأ، وأضرب عن ذلك

(١) تحقيق: محمد عبدالله الروداني.

(*) يقول محقق كتاب «التيسير» محمد بن عبدالله الروداني: «وقد بحثنا كثيراً عن مدلول هذه الكلمة في الألوان المعروفة، فلم نعثرفيها على شيء مقنع، وقد وجدنا كلمة (فيري) في حرف الفاء من أبجدية أسماء الأدوية في «تذكرة الشيخ داود الأنطاكي» وقد فسرها بالرجلة، وهي النبات المعروف الذي يفرش قضبانته متمددة على الأرض تتفرع منها وريقات ملحمة، يقطعه الناس ويطبخونه كالخبازي بالتوابل، ويقولون: إنه نافع». «التيسير» (ص ٩١، هامش ١٤٤).

لكيلا يطول الكلام، ولأن الأمر معلوم عن المباطشين(*) لصناعة اليد^(١).

إن من خصائص هذا الطبيب العظيم: أنه إنساني في سلوكه مع المرضى، فكان إذا عالج مريضاً، نسي نفسه، واستهلك في مريضه. فكان هذا السلوك هو سر عبقريته، فإذا واجهته حالة مرضية شائكة، حاول أن يتعايش معها، ويعمل على أن يستمد من ذكرياته وتجاربه ومنطقه، ولذلك كان نسيج وحده^(٢).

الدقة في معالجة المريض كانت المنهج المتبع لدى الطبيب ابن زهر، ففي معالجته لحصى الكلى والمثانة - مثلاً - كان يرقد على ظهره، ويأمره أن يهتز؛ لأن كل جسم أرضي ينزل بطبيعة الحال إلى جهة الأرض [بفعل قانون الجاذبية]، وبهذا فإن الحصى ترسب إلى المثانة، وليفعل المريض ذلك في الحمام (. . . وأن) يبول وهو على ظهره، ويوجه ابن زهر العليل، فيأمره بأن يغمز بيده غمزاً خفيفاً على مكان المثانة من الخارج، حيث يبول العليل تسكن شدة آلامه كلياً^(٣).

ولقد علق الأستاذ فاضل السباعي على معالجة ابن زهر هذه، فقال:

(*) المباطشون، البطش: هو الأخذ بعنف، ويطشت اليد: إذا عملت، فهي باطشة، وهذا المعنى الثاني هو الذي يقصده المؤلف. «التيسير»، تحقيق: الروداني، (ص ٦٢، هامش ٧٨).

(١) «أبو مروان عبد الملك بن زهر (التيسير)» تحقيق: الروداني (ص ٩١).

(٢) بنعبدالله، عبد العزيز، «الطب والأطباء العرب» (ص ٢٩).

(٣) أبو مروان عبد الملك بن زهر «التيسير»، تحقيق الروداني، (ص ٢٧٦ - ٢٧٧).

«ثم انظر إلى دقته وهو يشرح لك طريقة بها تستطيع - إن كنت طبيباً - أن تخلص مريضك من أوجاع تسببها له حصى في الكلى أو في المثانة، فإذا ما اشتد الوجع على العليل؛ لانسداد مجرى المثانة بسبب اندفاع شيء من الحصى إلى هذا المجرى، يقول ابن زهر بهذا التوجيه»^(١).

ونتيجة لما حصل عليه ابن زهر من معرفة في علم الطب، وتقديراً لما كان قد أخذ من والده الطبيب الشهير أبي العلاء زهر، وللعلم الذي أخذه من جده الأقرب عن أبيه، يقول وهو يشرح كيف يعالج من يصاب بجرح عميق في رأسه بالغ العظم، ونتجت عنه (مِدَّةٌ)، وتبعته (حمى): «وعند ذاك لزم استفراغ البدن بـ (الفصد) في (القيفال)»^(*) من الذراع اليمنى، اللهم إلا إذا كان الجرح من الجهة المخالفة في مثل ذلك»^(٢).

* جهود ابن زهر في صنع الأدوية:

الحقُّ أن الباحث ليَحْتَارُ في أمر الخوض في هذا الموضوع؛ لأن

(١) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك»، مجلة الدارة، العدد (٢)، السنة ١٩٨٥م، (ص ١٠٤).

(*) الفصد: شق العرق، وعند الأطباء: تفريق اتصال يتبعه استفراغ كل من العروق، وبواسطتها من جميع البدن. و«القيفال»: عرق في الذراع، كان القدماء يفصدونه لأمراض الرأس وسواها، ووصلة بالرأس، أو أنه متجه إلى الرأس: «التيسير»، تحقيق: ميشيل خوري، (ص ٤٨، هامش ٤١).

(٢) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك»، مجلة الدارة، العدد (٢) لسنة ١٩٨٥م، (ص ١٤٩).

ابن زهر كان قد صنف كتابه الشهير «التيسير في المداواة والتدبير»، وملحقه «الجامع»، وكان قد ضمنه مادة غزيرة في علم الطب، ومنها: ابتكاراته في شتى لوازم الطب، ومنها: الأدوية، تلك التي لو أطلق الباحث العنان لقلمه، لاحتاج إلى أكثر من مجلد في الأدوية فقط، لذلك فقد استقر الرأي على انتقاء شذرات مما قام به الطبيب ابن زهر من مجهود في مجال صنع الأدوية لمعالجة مرضاه، ومكافحة الأمراض والأوبئة التي كانت سائدة في زمانه، ومنها:

يقول ابن زهر في ملحق كتابه «التيسير» تحت عنوان: (صفة عمل أقراص الأفاعي)، وهي - أي: الأقراص - من مكونات شراب الترياق الفاروقي الذي «يقطع مضرة الهواء البوائي، ويطفئ القولنج، ويقطع الإسهال، ويسقط ديدان البطن، وينفع من الأوجاع المهلكة... إلخ»^(١). ويضيف: «يؤخذ من الأفاعي المعتدلة القد، الحُمْرُ الأعين، السريعة الحركة، الواسعة الرأس، التي يتحول طرف فكها الأعلى إلى فوق كأنه ثؤلول، تأخذها في فصل الربيع بعد أن يمضي عليها وهي تخرج من أجحارها نحو عشرين يوماً، ولا تكون أذنانها مُتَلَوِّتَةً، وهي صفة الإناث، وهي المستعملة، فأمر بقطع رؤوسها وأذنانها، وقُدِّر ما يقطع من أذنانها ورؤوسها أربعة أصابع تقطع في دفعة واحدة بسكين على هذه الصفة:

(١) أبو مروان عبد الملك بن زهر، «التيسير في المداواة والتدبير»، تحقيق:

محمد عبدالله الروداني (ص ٤٩٩).

«يوضع عليها ويضرب بمرزبة(*) لها ثقل معتدل على ظهر السكين؛ لينقطع طرفها دفعة واحدة، وأجودها ما تحركت جثتها بعد القطع بسرعة، ودامت حركتها، تُسلخُ الأفاعي برفق بعد قطعها، وأمر بإزالة لحومها ومعائنها، ثم توضع في قدر جديد على نار فحم فيما يغمرها من ماء العيون، ويوضع عليها في الماء ملح يسير رطب لا يابس، وتطبخ، فإذا نضجت لحومها نضجاً جيداً، فأمر بإنزال القدر، وأمر بتنقية الشوك من لحومها، ثم مر بسحق اللحم مع زنتها من خبز مختمر من سميد(**) حتى يأتي الجميع شيئاً واحداً، ثم يقرص ذلك، وإذا قرصتها، فامسح يديك بدهن لسان، وجفف الأقراص في الظل»^(١).

ومما ابتكره أبو مروان من الأدوية التي لم تذكر في كتابه «التيسير» هو: أن الخليفة عبد المؤمن بحاجة إلى معالجة حالة إمساك، وكان لا يرغب بشرب الأدوية المسهلة، فابتكر الطبيب ابن زهر دواء مسهلاً؛ بأن أتى إلى كرمه في بستانه، فوضع أدوية مسهلة في ماء سقي الكرمه، فأكسب الماء قوة أدوية مسهلة بنقعها فيه، فتشربت الكرمه، واكتسبت قوة الأدوية المسهلة التي أرادها، فأثمرت الكرمه عنباً، وله القوة نفسها، ولما أحصى الخليفة، أتاها ابن زهر بعنقود منها، فأكل منه، وكان الخليفة جيد

(*) المرزبة: عصية من حديد. لويس معلوف، «المنجد في اللغة» (ص ٢٦٠).

(**) سميد أو سميد: دقيق الحنطة الخالص الناعم. «التيسير» (ص ٥٠٠، هامش ٣٨).

(١) أبو مروان عبد الملك بن زهر، «التيسير في المداواة والتدبير»، تحقيق: الروداني، (ص ٥٠٠).

الاعتقاد بمعرفة ابن زهر في الطب، ولما أكل من العنب . . . وجد الراحة، واستحسن منه هذا الابتكار؛ فتضاعفت منزلته عنده^(١).

ولشدة إيمان ابن زهر بالله - جل وعلا -، وعندما أصيب بدبيلة صار يعالجها هو بنفسه بالأدواء التي يرى أنها شافية، قال له ابنه أبو بكر محمد (الحفيد): «لو زدت هذا الدواء كذا، أو أبدلته بكذا، أو عملت كذا»، فكان ابن زهر يقول له: «يا بُني! إذا أراد الله تغيير هذه البنية، لا يقدر لي أن أستعمل إلا ما تم بمشيئته»^(٢).

إن معرفة ابن زهر بالطب، وسعة علمه به، لم تمكنه من وقاية نفسه من العلة التي قضى بها هو أيضاً بعد أن مات أبوه بها، وذلك جعله يستسلم لها؛ لعجزه عن مداواتها، وكان يستمع - بعد أن كان بذل كل جهده في معالجة نفسه بمختلف أنواع المراهم والأدوية - إلى ابنه أبي بكر محمد الشاعر، وهو يقترح عليه: «يا أبي! لو غيرت هذا الدواء بالدواء الفلاني، ولو زدت من هذا الدواء، واستعملت من هذا الدواء، واستعملت دواء كذا وكذا! . . . يصغي الأب إلى ابنه، ثم يقول: «يا بني! إذا أراد الله تغيير هذه البنية، فإنه لا يقدر لي أن أستكمل من الأدوية إلا ما يتم به مشيئته وإرادته»^(٣).

كان أبو مروان بن زهر لا يميل إلى تدبير الدواء المشوش، وإنما

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٠).

(٢) ابن فضل الله العمري، «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» (ص ٣٢٧).

(٣) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢١).

كان ديدنه التجديد من المداواة، ونشر التدبير البسيط . وأبلى بلاء حسناً في تجنب الأدوية ذات المفردات الكثيرة، والتراكيب المتعددة^(١)؛ لأنه كان من طبعه جيد الاستقصاء في الأدوية المفردة، وكذلك في المركبة، وجيد المعالجة، حتى طار صيته في أنحاء الأندلس وغيرها من البلدان، وعمل سائر أطباء عصره مستفيدين بمصنفاته، حتى صار لا يماثله أحد في مزاولة أعمال صنعة الطب، وروي عنه: أنه كانت له حكايات كثيرة في إتيانه بمعرفة الأمراض ومداواتها مما لم يسبقه أحد من أطباء عصره إلى مثل ذلك^(٢).

كان ابن زهر معروفاً باهتمامه بالأدوية، ولم يأل جهداً في توجيه النصح إلى الأطباء فيما يخص لفت أنظارهم إلى العناية بشأن الأدوية وإعدادها؛ لتكون السلاح الفعال بأيديهم لخوض المعركة بوجه مختلف الأمراض والأوبئة، إذن، فيحسن الاستماع إليه وهو يقول: «ولا بد لك أن تنظر بحسب القوة والسن والمزاج، كما قد ذكرت لك؛ فإنه ليس يحتمل الدعة والخفض ونعامة الأبدان وأهل الزعر^(*) من الأدوية ما يحتمله القريانيون (أهل القرى) الذين أبدانهم سمر قحلة (يابسة)، والمزاج الطبيعي لأهل الدعة والزعر أرطب من المزاج الطبيعي للقريانيين

(١) الحكيم، د. أسعد، «تاريخ الطب عند العرب» (ص ٥٠٩).

(٢) الشطي، د. شوكت، «مختصر تاريخ الطب» (ص ١٣٧).

(*) الزعر: قلة الشعر، والزعر: القليل الشعر. «التيسير»، تحقيق: الخوري، (ص ٤٢٩).

أهل الجلد، فتذكر هذا أبداً، ولا تضرب بيدك إلى علاج حتى تُخطر هذا في نفسك. والله أسأل أن يوضح لك منهاج الصواب بقدرته»^(١).

ومن غريب ابتكارات ابن زهر في صنع الأدوية: أمره بأكل الحَيَّات التي سبق الحديث عن صفة عمل أقراص الأفاعي لتدخل في مكونات الترياق الفاروقي، وهنا يتجه الحديث إلى أن من الغذاء الذي اعتقد الأولون بنفعه هو لحم الحَيَّات؛ بشرط مراعاة حسن انتقاها وذبحها، وإعداد الأقراص من لحمها، واتخاذ الطرق الخاصة بها. فالمعروف عن الحَيَّات أنها يزداد شرها كلما ابتعدت عن أماكن المياه. تحدث ابن زهر عن أكل لحم الحَيَّات ونفعه: «وأما أنا مراراً كثيرة أمرت من يشكو فساد مزاجه أن يأكل من الأفاعي بيضها، فانتفع بذلك»، ولقد أطعم ابن زهر منها الخليفة المرابطي عليّ بن يوسف، فانتفع بها، وشرح ابن زهر طريقة ذبح الأفعى؛ ليضمن عدم انتقال سمومها إلى بدنها^(٢). وبهذا يكون ابن زهر قد انفرد في ابتكار دواء لم يسبقه أحد من الأطباء إلى صنعه.

مما تقدم يستنتج: أن ابن زهر كان قد اهتم كثيراً بأنواع مختلفة من الأغذية والأدوية المبسطة والصحية كذلك، واستطاع أن يترك مآثر في غاية الأهمية في وصف الأمراض؛ حيث ترك تحليلات أثرت عنه في

(١) أبو مروان عبد الملك بن زهر، «التيسير في المداواة والتدبير»، تحقيق: ميشيل الخوري، (ص ٤٢٩).

(٢) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن زهر»، مجلة الدارة، العدد (٢)، ١٩٨٥م، (ص ١٠٧).

الأورام المحزمية، والالتهابات التامورية، والسل المعوي، والشلل البلعومي، وغير ذلك^(١).

وبخصوص إحضار الأدوية، وتيسيراً للمرضى، فقد كان في ابن زهر جانب صيدلاني إلى جانب العمل الطبي في حاله العلمي، وكذلك العملي، قال ابن زهر في ذلك معترداً: «... وأما أنا، فإن في نفسي مرضاً من أمراض النفوس. من حب أعمال الصيدلانيين، وتجربة الأدوية، والتلطف في سلب بعض قوى الأدوية، وتركيبها في غيرها، وتميز الجواهر وتفصيلها، ومحاولة ذلك باليد، ومازلت مغرمًا بذلك، مبتلي بحبه، فسلكت هذا المنهاج شهرة فيه، وإن كان على ما هو عليه من الامتهان»^(٢).

والجدير بالذكر: أن الصيدلة العربية انتقلت إلى العالم اللاتيني بمختلف الطرق، منها: عن طريق ترجمة الكتب التي خصص مصنفوها فيها أبواباً خاصة بالمادة الطبية *Materia Medica*؛ ككتابات ابن سينا، وابن زهر^(*)، وغيرهما^(٣).

*** تأثر الطبيب عبد الملك بن زهر بالرازي:**

أكد المؤرخون على أن الطب يدين لابن زهر الطبيب الفيلسوف

(١) مظهر، جلال، «أثر العرب في الحضارة الأوربية» (ص ٢٤٤).

(٢) «التيسير في المداواة والتدبير»، تحقيق: الخوري (ص ٣٢٠).

(*) إن كل أطباء أسرة (زهر) كانوا يكتنون بـ (ابن زهر)، فأى ابن زهر إذن هو المطلوب؟! (الباحث).

(٣) مظهر، جلال، «أثر العرب في الحضارة الأوربية» (ص ٢٧٢).

الأندلسي الذي تأثر بأشهر أطباء المسلمين أبي بكر الرازي، وأخذ الكثير عنه، وتأثر بعلمه بأول وصف أو تشخيص سريري للالتهاب الذي يصيب الإهاب (الجلد الخام) الوسطي، وكذلك الالتهابات الناشفة والانسكابية لكيس القلب، وكان قد ميزها عن أمراض الرئة. ويدان كذلك لهذا الطبيب الكبير باكتشاف الحقنة الشرجية المغذية، وأيضاً بالغذاء الاصطناعي لشتى أنواع شلل عضلات المعدة التي أسهب فيها كل الإسهاب، ووصف سرطان المعدة وصفاً كاملاً؛ حيث وضعه أثناء وجوده في سجن علي بن يوسف بعد ملاحظته المرض على السجناء في الزنزانة^(١). كان تأثر ابن زهر بالرازي مثلما تأثر بتعاليم أبيه الذي وجه إليه كتابه «التذكرة»^(٢)، أو «النكت الطبية»، وهو كتاب ذو أهمية كبيرة في عالم الطب العربي القديم، ويوجد منه: مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط مجموع N. 1538) ومخطوط الخزانة العامة بالرباط الرقم 532، (2650D)^(٣).

إن ابن زهر (مدار البحث) ليعد - بحق - من علماء الطب العربي

-
- (١) هونكه، زيفريد، «شمس العرب تسطع على الغرب» (ص ٢٧٢).
 - (٢) بنعبداالله، عبد العزيز، أسرة بني زهر، «كتاب التيسير»، تحقيق: محمد عبدالله الروداني، (ص ٢٨).
 - (٣) العامري، د. محمد بشير حسن، «كشاف عن مشاهير أطباء الأندلس ومؤلفاتهم المخطوطة والمطبوعة»، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، العدد ١٢ (٢)، ٢٠٠١م، (ص ١٧٦).

الذين تفخر أمتهم العربية بتراثهم، كيف لا وهو أول من وصف خراج الحيزوم، والتهاب الطامور [غشاء القلب] الناشف والانسكابي، فدرس السريريات مدين للأطباء العرب، فهم الذين وضعوا أعراضه السريرية بعد أن توسعوا في توضيح نظريات المرض، وذلك بعد الملاحظة الدقيقة، ولقد جاءت مصنفات الرازي وابن زهر [عبد الملك بن أبي العلاء زهر] أكثر وضوحاً بعد تصانيف أبقرط، فمعظم كتاب «الحاوي» للرازي هو عبارة عن سجل في منتهى الدقة لملاحظاته على مرضاه، وعلى طبيعة سير المرض. وكان وصف ابن زهر للحوادث السريرية في دقة وجلاء، وعبر ابن زهر عن انتقاده لكتابات ابن سينا؛ لتوسعه في الحديث عن النظريات^(١).

وصف ابن زهر بأنه أعظم طبيب سريري بعد الرازي، وراح البعض من الباحثين إلى أن عبد الملك بن زهر هو أول من بحث في موضوع الإحساس بالعظام، وأول من وصف (صؤابة الجرب) - كما سبق ذكره - بيد أنه ظهر أخيراً أن أحمد الطبري^(٢) (في الشطر الثاني من القرن العاشر للميلاد) سبقه في وصفه صؤابة الجرب بذكر ذلك في كتابه

(١) خير الله، أمين أسعد، «الطب العربي» (ص ٩٠).

(٢) هو أبو الحسن أحمد بن محمد الطبري، من أهل طبرستان، عالم بصناعة الطب، له كتاب الكناش المعروف بـ «المعالجات البقراطية»، وهو من أجل الكتب وأنفعها، وقد استقصى في ذكر الأمراض ومداواتها على أتم ما يكون. ابن أبي أصيبعة، «عيون» (ص ٤٢٧).

«المعالجة البقراطية»^(١).

وذهب البعض من الباحثين إلى أن ابن زهر أعظم طبيب سريري في الإسلام^(٢). ليس غريباً أن يتأثر ابن زهر وغيره من الأطباء العرب وغير العرب بالرازي صاحب الابتكارات في الطب بنوعيه النظري والعملي، التي شاركت بكثرة في فضل العرب على الإنسانية جمعاء في حقل الطب والتطبيب، وصور الرازي المثبتة على جذران فصول الدروس في كليات الطب الأوربية سوف تبقى لتذكّر طلبة العلم في تلك الكليات أن ما يتعلمونه من الطب كان مبدؤه من إبداع هذا الطبيب العبقرى العظيم وأمثاله من الأطباء العرب^(٣)، الذين ظهوروا في المشرق العربي؛ كالرازي وأمثاله شموساً سطعت بأنوارها على الغرب؛ فإن كل ما ظهر من تقدم طبي في الأندلس، أو في مصر، أو في تونس وغيرها من البلدان العربية الإسلامية إنما أوقد شعلته أطباء خرجوا من بغداد مغربين، فنشروا هناك معارفهم، أو من طلاب الطب والعلم والأدب جاؤوا فاستزادوا علماً، ثم عادوا إلى بلدانهم يرفعون بها شأن علم الطب^(٤).

(١) حتي، فيليب، «تاريخ الطب القديم» (ص ٦٨٦).

(٢) مراد، د. أمّنة صبري، «لمحات من تاريخ الطب القديم» (ص ٢٦٩).

(٣) السامرائي، د. كمال، «التعريف بأبي بكر الرازي، أبو بكر الرازي وأثره في الطب»، بغداد ١٩٨٨ م، (ص ١٩).

(٤) شمانى، د. توما، «أثر الفترة الرازية على الطب العربى، أبو بكر الرازي وأثره في الطب» (ص ١٥٨).

* ابتكارات ابن زهر في علم الطب :

للطبيب المبدع أبي مروان عبد الملك بن زهر ابتكارات أسهمت في تطور علم الطب العربي، وقد تحدث عنها بعض الباحثين من الشرق والغرب، فأكدوا على أن له ابتكارات مستحدثة لم يسبقه إليها أحد؛ مثل : وصفه للأورام التي تعرض في الغشاء الذي يقسم الصدر طولياً، أو يصف القرحة التي تحدث في الحجاب الحاجز، وهذه الأورام لم يسبقه إلى وصفها أحد. وكان ابن زهر أول طبيب من أطباء العرب يقدم على القيام بعملية (خزغ الرغامى)^(١)، وقد عرف ابن زهر التغذية الصناعية عن طريق البلعوم والشرح، وأوضح كيفيتها^(٢).

إن ابتكارات ابن زهر كانت نتيجة تعلمه الطب على أبيه، وابتكاره أشياء في الأقرباذين^{(٣)*}. ولعله قد توصل - بفضل قياساته الطبية وتجاربه الشخصية - إلى إمطة اللثام عن أمراض جديدة لم يُكشف عنها من ذي قبل. ولقد أبدى اهتماماً بالأمراض الرئوية، وأجرى عملية القصبة الهوائية

(١) الرغامى : الأنف (لويس معلوف)، المنجد في اللغة، (ص ٢٧٢).

(٢) السباعي، فاضل، الطبيب الأندلسي ابن زهر، كتاب التيسير، مجلة الدارة، عدد (٢) ١٩٨٥ م، (ص ١٠٤).

(٣) أمين، أحمد، «ظهر الإسلام»، (٣/ ١٤١).

(*) الأقرباذين: كلمة اعتبرها العرب مرادفة لعلم طبائع الأدوية، أو ما نسميه اليوم بعلم (الفارماكولوجي). د. عليا رشيد عزة، «الرازي وعلم الفارماكولوجي، أبو بكر الرازي وأثره في الطب» (ص ٤٩).

المؤدية إلى الرثة، وتمكن - بعدئذ - من تشريح القصبة في الإصابة بمرض الذبحة، فعولج المريض، وشفى من مرضه^(١).

ومن الاختراعات التي لم يسبق إليها: أنه أول من توصل إلى تغذية المريض عن طريق الشرج، ويمص السوائل عن طريق أنبوبة قصدير لمصابين بعسر البلع، وابن زهر يُعدُّ ثاني طبيب بعد الإسكندر التراقي^(٢). ومما توصل إليه من مبتكرات باستعماله الحقن المغذية في المستقيم، وكانت هذه الطريقة مجهولة قبل ذلك؛ حيث كانوا يستعملون خصائص الحليب للمصابين بهذا المرض، وانتقد ابن زهر هذه الطريقة، ورفض استعمال المسهلات الشديدة، وكان يستبدلها بالمليينات.

وكان لابن زهر مهارة تامة في معالجة الكسور بالتجبير، ولقد قام بإجراء عمليات في غاية الخطورة؛ مثل: خزع القصبة الهوائية^(٣).

ومن ابتكارات ابن زهر: استحداثه طرقاً جديدة في علاج بعض الأمراض التي يتعارض فيها ما هو معروف من العلاج مع حالة المرضى، من ذلك: ما مر ذكره في معالجة الإمساك الذي أصيب به ملك مراکش

(١) بنعبدا لله، عبد العزيز، «الطب والأطباء العرب» (ص ٢٧).

(٢) اسمه عند ابن النديم: (الإسكندروس)، ويعرف بـ (طراينوس)، وهو الإسكندر الطيب، عاش قبل جالينوس، له من الكتب: كتاب «علل العين وعلاجاته»، كتاب «الرسام»، كتاب «الصغار والحيات والديدان». «الفهرست»، (ص ٤٠٨).

(٣) الحكيم، د. أسعد، «تاريخ الطب عند العرب» (ص ٥٠٨).

عبد المؤمن، وهو أن يأمر المريض بتناول حبات من العنب الذي يُروى كرمه بماء وضعت فيه مادة مسهلة؛ لكي تتحرك أمعاؤه حركة غير مجهدة، واستعمل في المادة الطبية العقاقير ذات الفائدة المجربة^(١).

إن مبتكرات ابن زهر تقوم على الحقائق الثابتة، فهو قد أضاف إلى العلم أشياء لم يكن لها وجود؛ مثل: وصف أورام الحيزوم، وخراج شغاف القلب (التامور)، وكان أول طبيب عربي أشار بإجراء عملية شق الحجب، وكان عارفاً التغذية الصناعية، سواء أكانت عن طريق الحلقوم، أم عن طريق الشرج، وكان قد شرح هذه الطريقة في التغذية بمهارة وحذق^(٢).

واستطاع ابن زهر أن ييسّط طرق العلاج القديمة، وكشف أن الطبيعة إذا اعتبرت قوة داخلية تدبر شأن الجهاز البشري، فهي تكفي لوحدها - على الأغلب - لعلاج الأدوية^(٣).

لقد رفع ابن زهر سمعة الأطباء العرب في الأوساط الطبية الغربية، فعن اكتشافه صؤابة الجرب - مارّ الذكر - تحدث (جيار) أحد أساتذة جامعة (ليون) في بحث له عن داء الجرب في مصنفه «الطفيليات» (ص ٥٠١) بما تعريبه: «والذي وصف الجرب هم الأطباء العرب، فقد أثبتوا أنه مرض سارٍ، يظهر غالباً بين الأصابع، ويظهر أن ابن زهر في القرن

(١) صموئيل نينسون، ووليام دي ويت، «سير ملهمة من الشرق والغرب» (ص ٨).

(٢) بروفنسال، غوستاف، ليفي وآخرون، «دائرة المعارف الإسلامية» (١ / ١٨٤).

(٣) لوبون، غوستاف، «حضارة العرب»، الطبعة الفرنسية (ص ٥٣٠).

الثاني عشر هو الذي اكتشف طفيلية، وسماها: (صؤابة الجرب)، وإذا نظرنا إلى هذا الاكتشاف المهم، وصنفنا ما عدناه من أعمال أبي مروان ابن زهر يتجلى لنا في شخصه الطبيب المجرب المجدد في أجل مظاهره وأكمل أوصافه^(١).

ومن ابتكاراته: وصف التغذية الصناعية عن طريق الحلق^(٢).

* ابن زهر وعلم الجراحة:

نتيجة لقلة ممارسة الأطباء العرب لعلم الجراحة ما كان لها نصيب كبير من عنايتهم بها، وكان المشتغلون بعلم الطب العرب قد نقلوا من التراث الطبي اليوناني، ولم يزدوا عليه أكثر مما نقلوه، علماً بأنهم كانوا يذكرون العمليات الجراحية، لكن قلما أبدوا اهتماماً بها، أو قاموا بإجرائها، وبقوا على هذا الحال إلى عصر متأخر، ونتيجة لنقلهم كتب أبقرط، وجالينوس، وبولس الأجايني ارتقى هذا الفن عند العرب، وكان أول من اهتم بعلم الجراحة (محمد بن زكريا الرازي)، لكنه لم يقم بتنفيذها، ومن بعد إلى علي بن عباس المجوسي، ثم أبو علي الحسين ابن سينا، ولم ينفذها هو الآخر، وفي بداية القرن الحادي عشر للميلاد ازدهر الطب في الأندلس بأبي بكر محمد بن مروان بن زهر، الذي جمع بين الطب والجراحة، إلا أنه لم يتم عملية الشق على الحصة، وكان يشكو

(١) الحكيم، د. أسعد، «تاريخ الطب عند العرب» (ص ٥٠٩).

(٢) أمين، أحمد، «ظهر الإسلام» (٣ / ١٤١).

عدم وجود من يقدم على إجراء عملية ثقب الجمجمة^(١).

إن أبرز وأشهر من برع في (عمل اليد) في تلك الآونة، وأجرى العمليات الجراحية، واستعان بالآلات والأدوات^(٢) هو أبو القاسم خلف ابن عباس الزهراوي، المعروف بأنه من أهل الفضل والدين والعلم^(٣)، وكان علمه الذي علا فيه علم الطب، وصنف فيه كتاباً مشهوراً وافر الفوائد، سماه كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف»^(٤). ذكره العلماء، منهم: أبو محمد بن أحمد، وأثنى عليه، وقال: «وَلَكِنَّ قُلْتُ: إِنَّهُ لَمْ يُؤَلَّفْ فِي الطَّبِّ أَجْمَعَ مِنْهُ لِلْقَوْلِ وَالْعَمَلِ فِي الطَّبَايِعِ وَالْجَبْرِ، لِنَصْدَقَنَّ، مَاتَ بِالْأَنْدَلُسِ بَعْدَ الْأَرْبَعِ مِئَةِ»^(٥).

وممن شارك بالفعل - بتقدم الجراحة - : (مروان بن زهر)^(*)، وهو

(١) د. أحمد عيسى بك، «آلات الطب والجراحة والكحالة عند العرب» (ص ٤).
مقالة ألفت على أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق لمناسبة انتخابه عضواً بالمجمع، مطبعة مصر، شركة مساهمة مصرية.

(٢) ينظر: الملحق.

(٣) د. أحمد عيسى بك، «آلات الطب والجراحة والكحالة عند العرب» (ص ٥).

(٤) ينظر: ملحق رقم (١) صورة لأول صفحة منه مخطوط بخزانة كتب بصير أغا رقم ٥٠٢ في ٩٠٢ ب. م.

(٥) الضبي، «بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس» (ص ٢٧١).

(*) لا يوجد بين الأطباء الستة من أسرة (بني زهر) من اسمه (مروان)، وإنما يوجد اثنان منهم يكتنيان بـ (أبي مروان)، وهما متشابهان في اسميهما، الأول أبو =

يعد من المشهورين في الجراحة من الأطباء العرب، ومما اشتهر به : كونه أول من أبدى اهتماماً بدرس العظام والكسور، وأول من أشار إلى استعمال الحقن المغذية في أمراض المريء والمعدة ؛ لاكتشافه إمكان امتصاص قسم من المواد الغذائية من المعى الغليظ^(١).

إن من يدرس مزاج أبي مروان عبد الملك بن زهر يستتج أنفة فيه، وذلك من خلال رأي له : أن على الطبيب أن يمتنع عن ممارسة ما يسميه : (أعمال اليد)، وهي - وإن كانت ذات صلة مباشرة بالطب - الأجدرُ بها أن تقوم بأدائها فئة من العاملين في حقل الطب، وهم (صناع اليد)^(٢)، ولقد كشف عن موقفه الصريح إزاء التشريح والأعمال الجراحية بقوله : «... وأما الطريق العملي، فإني لا أعرف أجزاءه؛ ولا باطشت^(٣) شيئاً من ذلك، ولا عانيت تشريحاً، ولا وجدت في نفسي معيناً على ذلك، فإني متى رأيت الجراحات، ضعفت نفسي حتى أكادُ يُغشى عليّ،

= مروان عبد الملك ابن الفقيه محمد، والثاني حفيده أبو مروان عبد الملك بن زهر، وهو المقصود هنا. (الباحث).

- (١) البدرى، عبد اللطيف، «الآلات الجراحية عند العرب» (ص ٦).
- (٢) والبعض منهم يُسمَّون - في المصطلح الحديث - : (جراحين) وبعضهم (مساعدين)، وممرضين، أو خدم، «مجلة الدارة»، سبقت الإشارة إليها، (ص ١١، هامش ١٩).

- (٣) المباطشة: المعالجة، وأخذ الشيء بعنف. د. إبراهيم أنيس وآخرون، «المعجم الوسيط»، ط ١، ب. ت، (١ / ٦١).

ولا رأيت مِدَّةً^(١) إلا تهوعت معدتي، وربما تقيأت»^(٢).

إضافة إلى أنفته من الجراحة، كان ابن زهر يأنف من الفصد أيضاً - على الرغم من أنه لجأ إلى الجراحة في بعض الأحيان، ونجح فيها -، ومن آرائه: لا يتوجب على الطبيب أن يقوم هو بنفسه بتحضير الأدوية، وبذلك يكون قد سبق بهذا إلى مفهوم الطب الحديث من فصل الجراحة عن الطب الباطني، وكذلك عن الصيدلة، وذهب - كلياً - إلى الطب الباطني^(٣).

مما تقدم يظهر - بصورة جلية - أن ابن زهر قد كشف عن احتقاره للجراحة والتشريح، وصار يميل إلى صفة الطبيب الناصح على كونه الطبيب المعالج، ولقد ترك أعظم أثر له في حقل علم الطب، وهو: كتاب في تسهيل العلاج اسمه: «التيسير في المداواة والتدبير»، نُقِلَ إلى اللاتينية بهذا الاسم Paravicinus في عام (٤٨٧هـ / ١٢٨٠م) في البندقية؛ حيث طبع في أزمنة متأخرة مرات عدة، والكتاب يوصف بأنه مثال عظيم للاستقلال الفكري؛ لكونه مبنياً - بصورة رئيسية - على التجربة الشخصية، وبسبب ذلك لم ينل حظوة من العرب مثلما حظي به عند الأوروبيين من

(١) المِدَّة: القيقح المجتمع في الجرح. لويس معلوف، «المنجد في اللغة والأدب والعلوم» (ص ٨٠٦).

(٢) أبو مروان عبد الملك بن زهر، «التيسير في المداواة والتدبير»، تحقيق: ميشيل خوري (ص ٧٠).

(٣) بالنتيا، أنخل جنثال، «تاريخ الفكر الأندلسي» (ص ٤٧١).

نجاح، ومن تلاميذ ابن زهر: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (المتوفى سنة ١٠١٩م) (*)، وهو من أعظم الفلاسفة الأرسطيين^(١).

من غرائب العادات والتقاليد في أوساط المشتغلين في حقل الطب في القرون الوسطى: أن ممارسة الجراحة تعد من المهن (الخشيسة)، فإذا ما نادى أحدهم باتخاذ مهنة جديدة غير محترمة، يُعتبر متحدياً. وكان من المتحدين في استخدام مهنة الجراحة: أبو القاسم [خلف بن عباس] الزهراوي، وبعد حين ليس بالبعيد كان شأن أبي مروان عبد الملك بن زهر شأن أبي القاسم، فمارس الجراحة بدقة متناهية، وبرع فيها، وأجرى عمليات تفتيت الحصى التي اعتبرها الإغريق من الأمور الوضيعة^(٢).

كان أبو مروان من أسبق الأطباء إلى الدعوة لفصل الجراحة عن الطب، وعن الصيدلة^(٣). وكان له موقف تام على التشريح، خاصة الهيكل العظمي، وكان يتردد على المقابر ليدرس العظام فيها^(٤). وأجرى محاولات لتفتيت النموات العظمية الزائدة عن طريق استخدام

(*) الصواب: أن وفاة ابن رشد كانت سنة ١١٩٨م، وليس كما ورد أعلاه. ينظر:

ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٣٢).

(١) آرنولد، سير توماس، «تراث الإسلام» (ص ٤٩٨).

(٢) الزبيدي، طارق صالح، «التراث العلمي الطبي» (ص ٣٤٠).

(٣) بالثيا، أنخل جتالث، «تاريخ الفكر الأندلسي»، تعريب: حسين مؤنس،

(ص ٤٦٦).

(٤) الحكيم، د. أسعد، «تاريخ الطب عند العرب» (ص ٥٠٨).

المغناطيس^(١). وتدين الجراحة له ولتعليماته الدقيقة عن انتقال العظام، وعن الكسور^(٢). واشتهر بمعالجة الكسور، والخلع، واعتمد عليه وعلى آرائه أطباء بلاده^(٣). وكانت مباحثه في الجراحة تشتمل على بيان واضح وصحيح في الكسر والانخلاع^(٤).

ولأبي مروان تدين الجراحة؛ لكونه صاحب أول فكرة عن جراحة الجهاز التنفسي^(٥). ومن أجل الاطلاع على أعضاء الحيوان؛ كي يستفيد منها في تطبيق العمليات الجراحية استعداداً لإجرائها على الإنسان، قام بتشريح الحيوان. ومن نتائج دراساته في علم التشريح كان من مآثره: أنه أول من قام باستئصال الرحم الذي نشأ فيه ورم، وحاول أن يزيل حصى المثانة باستخدام زيت التمر، واستعمله داخلياً^(٦). ولعل الذي قام به ابن زهر يرجع - بالدرجة الأولى - إلى أنه كان عالماً بعلم التشريح، والدليل على ذلك: ما قدمه من وصف للالتهابات وخراجات الصدر، وقيامه بتشخيصه بأن ذلك الخراج مختلف عن التهاب غشاء الرئة، وعن

(١) الزبيدي، طارق صالح، «التراث العلمي الطبي» (ص ٣٤٠).

(٢) مظهر، جلال، «أثر العرب في الحضارة الأوربية» (ص ٢٤٤).

(٣) المعلوف، عيسى إسكندر، «الأسر المشتهرة بالطب» (ص ٢٢).

(٤) لوبون، غوستاف، «حضارة العرب» (ص ٥٩٢).

(٥) مظهر، جلال، «أثر العرب في الحضارة الأوربية» (ص ٢٤٤).

(٦) الزبيدي، طارق صالح، «التراث العلمي العربي الطبي» (ص ٣٤٠).

إستسقاء تامور القلب؛ أي: شغاف القلب^(١).

وكان ابن زهر قد قام بجمع دراسة الجراحة والطب والصيدلة معاً، وقد ظهرت براعته في وصف الأمراض، وقد عُرِفَ بتحليلاته في الورم المحزمي، والالتهاب التاموري، والشلل المعوي، والشلل البلعومي^(٢).

إن ابن زهر (مدار البحث) المولود سنة (٤٨٤هـ / ١٠٩٤م)، والمتوفى سنة (٥٦٤هـ / ١١٦٨م)^(٣)، اعتبره ابن رشد أعظم طبيب بعد جالينوس، كانت له جملة اختراعات واكتشافات في علم الجراحة، وألف وصنّف كتاب «الاقتصاد»، وكتاب «التيسير» ذا الأثر البالغ الأهمية في تطور الطب الأوربي^(٤). وبذا يكون ابن زهر هذا قد طور هو وابن القف (السابع للهجرة) أعمال الجراحة في المغرب والمشرق العربيين الإسلاميين على التوالي، وتناول ابن القف علم الجراحة بكتابه هو: «كتاب العمدة»^(٥). وصار نجم ابن زهر يعلو في الأندلس وخارج الأندلس

(١) النجار، عامر، «في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية» (ص ٢٢٦).

(٢) خودا بخش، «الحضارة الإسلامية»، تحقيق: د. علي الخربوطلي، دار إحياء الكتب العربية (ص ١٨٢).

(*) إن تاريخ وفاته هذا يختلف عما أورده غالبية المصادر والمراجع التي أشارت بشبه إجماع على أنه توفي سنة (٥٥٧هـ / ١١٦١م). ينظر: لسان الدين بن الخطيب، «جيش التوشيح» (ص ٢٧٢).

(٣) هونكه، زيغريد، «شمس العرب تسطع على الغرب» (ص ٣٤٦).

(٤) مجموعة من الأساتذة، «موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين» (١ / ٢١).

حتى ارتفع مقامه في علم الطب، وصار يوازي مقام أبي القاسم الزهراوي في الجراحة، وبرز كألمع شخص في أسرة عربية أندلسية عُرِفَتْ بتفوقها في الطب في الأندلس^(١).

إن علم ابن زهر بالطب، وبراعته في الجراحة والتشريح، قاده إلى محاولة توجيه الأنظار إلى صحة العلاقة الوظيفية بين سائر أعضاء الإنسان؛ لذلك آمن بأن كل عضو لا يستطيع أن يؤدي عمله لوحده بصورة كما ينبغي بدون تعاون الأعضاء الأخرى، وهذا في غاية الأهمية؛ لأن سائر الأعضاء - في وظائفها - يؤثر بعضها البعض الآخر، وهذه من الحقائق المعروفة بالطب؛ أي: إن ما يحدث لأي عضو قد يؤثر على عضو آخر، وهذه خطوة صحيحة في التفكير الطبي، لذلك يلاحظ ابن زهر كأنه قد شدَّ عَمَنَ سبقه من الأطباء بتفضيل عضو على عضو آخر، فراهبه: أن كل الأعضاء تكمل بعضها. (الدماغ والقلب، الكبد والرئة مثلاً)؛ ذلك لأن الأعضاء تعمل بتناغم أشبه ما يكون بالأوركسترا التي يتعاون بعضها مع البعض الآخر كي تخرج لحن الحياة^(٢).

إن جهود ابن زهر في علم الطب والجراحة جعلته علماً يشار إليه بالبنان، وقد صنف كتباً عدة، وحرر رسائل مفيدة في هذا الفن، ونبغ تلميذه ابن رشد في الجراحة أيضاً، إلا أنه لم يصل إلى ما وصل إليه

(١) حتي، فيليب، «تاريخ العرب»، (مطول) (٢/ ٦٨٦).

(٢) الزبيدي، طارق صالح، «التراث العلمي العربي والطبي» (ص ٣٤١).

أستاذه ابن زهر^(١).

• من تجاربه :

قد يقوم الطبيب ابن زهر بتجربة طبية، إلا أنه - في الوقت نفسه - لا يشجع، ولا ينصح الأطباء على القيام بمثلها؛ لأنه يشعر - في ذاته - بأن الأمر عويص عليه، وهو لا يتردد في ذكرها للأطباء في حذر شديد عند انتهائه منها. ففي وصفه لما يحدث في الرقبة من الأورام؛ كانتفاخ اللهاة التي في حالة تفاقم ورمها، لا يؤمن اختناق المصاب، وكذلك الذبحة التي تحدث في عضل الحنجرة إذا ورمت، وأيضاً الأورام فيما خلف الرقبة. ويقدم ابن زهر في قصبة الرئة، وفي المريء حديثاً يعبر فيه عن كل ما عنده من علاجات، وبعد ذلك ينصح الأطباء المداوين بقوله: «وأقول لك في هذا الموضع قولةً اعتمد عليها في هذا، وفي سائر أورام باطن البدن: إنَّ تماطل العليل، وتدافعه عن النوم حتى يأخذ الخلط في التحلل والارتداع (...). واجتهد فيه بتلطف من غير عمل؛ مثل: أن تشغله بالأحاديث المطربة». وشمُّه رائحة الكافور؛ فإن ذلك يعينه على قلة نومه وسهره، أو رائحة شجرة الرهبان مفرّقة في هذا بين حالات يكون فيها العليل شاباً، أو كهلاً، أو شيخاً، وبين ما إذا كان الفصل صيفاً، أو شتاءً. إلى أن يقول: «وإني أضرب عما ذكره الأطباء في علاج الذبحة المفرطة من شق الرئة شقاً يكون قدره مثل ثقب الأنف الواحد، أو دون

(١) المعلوف، عيسى إسكندر، «تاريخ الطب عند العرب» (ص ٢٥).

ذلك، غير أنني وقت طلبي عندما رأيت ما ذكره الناس المتأخرون من ذلك، شققت قصبة عنز، بعد أن قطعت الجلد والغشاء تحته، وقطعت من جوهر القصبة قطعاً باتاً دون قدر الترمسة^(١)، ثم التزمت غسل الجرح بالماء والعسل حتى التأم، وأفاق إفاقه كلية، وعاش مدة طويلة...»^(٢).

وبرغم فوز ابن زهر، ونجاحه بتجربته في ذلك العنز ما ينبه بقوله: «ولكن هذا شيء لم يستعمله أحد ممن لحقناه، وممن لحقه سلفنا، فلهذا لم أذكره بدءاً...»^(٣).

إن لابن زهر جملة ملاحظات في حس العظام والأسنان، وهذه الملاحظات مختلف في أمرها إلى الآن، كما سجلت له مشاهدات في مرض السُّل الناتج عن القرحة المعدية، وفي الاختناق الحاصل من فلج المريء، وكذلك في المحجاج؛ أي: المنقب المنشاري، وأيضاً في الحصى البولية، وغيرها^(٤).

وله مشاهدات خاصة في الفلج، والكمنة^(٥)، وأمراض الجهاز

(١) الترمس: نبات له حب مفرطح، مُر الطعم، يؤكل بعد معالجته بالنقع. لويس معلوف، «المنجد في اللغة» (ص ٥٩).

(٢) أبو مروان عبد الملك بن زهر، «التيسير»، تحقيق: ميشيل خوري (ص ١٤٨).

(٣) المصدر نفسه (ص ١٤٨).

(٤) الحكيم، د. أسعد، «تاريخ الطب عند العرب» (ص ٥٠٩).

(٥) الكُمّة: ظلمة في البصر، أو ورم في الأجفان. لويس معلوف، «المنجد في اللغة» (ص ٧٤٣).

الهضمي، وخراجه غلاف القلب، وذات غلاف القلب، وغير ذلك^(١).
ففي كتابه «التيسير في المداواة والتدبير» اعتمد على التجربة والملاحظة
أكثر من الكتب^(٢).

* نبوغه وأقواله في الأمراض :

في الأندلس - وبالأذات في عائلة (بني زهر) - نبغت سلسلة من
أبنائها في علم الطب، وكان أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر
بمثابة (عين القلادة) بين أطباء [بني] زهر، ولقد خلّد هذا الطبيب الكبير
ذكره بتصنيف كتاب عظيم الفائدة هو: «كتاب التيسير في المداواة
والتدبير»، وكتباً أخرى، ورسالتين مشهورتين في الحمى^(٣)، وسيأتي
الحديث عن مؤلفاته بتفصيل لاحقاً.

وإذا ما قورن بين الطبيب ابن زهر والأطباء الآخرين في زمانه، فهو
أنبغهم، وأنبغ المؤلفين في علم الطب، ومن تأليفه المشهورة عدا
«التيسير»: «الترياق السبعيني والتغذية»^(٤).

صنف أبو مروان عبد الملك بن زهر «كتاب التغذية» - على
ما يبدو - نظراً لاهتمام أهل المغرب العربي الإسلامي بإعداد أصناف

(١) الحكيم، د. أسعد، «تاريخ الطب عند العرب» (ص ٥٠٨).

(٢) الزبيدي، طارق صالح، «التراث العلمي العربي والطبي» (ص ٣٤٢).

(٣) المعلوف، عيسى إسكندر، «الأسر العربية المشهورة بالطب» (ص ٢١).

(٤) البوشي، محمد عبد الحميد، «الإسلام والطب» (ص ١٤٨).

الأكلات الخاصة بمعالجة المرضى ، وبالطرق المناسبة لأوضاعهم الصحية ، وهي التي تعرف بـ: (الأغذية والأشربة الطبية) ، ولقد صُنِّفَ عدد من الكتب متخصصة بأطعمة المرضى ، وفي منافع الأغذية ، ومن نشاطات المغاربة والأندلسيين : إدخالهم المؤلفات المشرقية للأطباء والعلماء إلى بلدانهم ، وصُنِّفَ عدد من الكتب الأندلسية ، وأشارت إلى المؤلفات الخاصة بأغذية المرضى^(١) .

إن من العوامل التي أعانته على النبوغ في علم الطب هو : عدم اشتغاله بأي عمل آخر غير امتهان صناعة الطب ؛ بخلاف معاصريه من الأطباء^(٢) .

ينازع الطب الحديث ابن سينا بلقب المجدد ، ويجود في الوقت نفسه على أبي مروان عبد الملك بن زهر بوصفه بأنه أعظم طبيب عربي ، وهو قد فاق مَنْ تقدمه من الجانب العملي ، واعتبر أكبر مجدد في فن الطب ؛ ذلك لأنه نزع عن نفسه ما خلق من النظريات التي لم تؤيدها المشاهدات ، ولم تدعّمها التجارب ، فكان يسير بموازاة أرسطاطاليس حيثما جمع بينهما العلم ، وكذلك العمل ، ويختلف مع أرسطاطاليس لما خالفت نظرياته^(٣) .

(١) العامري ، د . محمد عبد الحميد ، «الإسلام والطب» (ص ١٤٨) .

(٢) الحكيم ، د . أسعد ، «تاريخ الطب عند العرب» (ص ٥٠٧) .

(٣) الحكيم ، د . أسعد ، «تاريخ الطب عند العرب» (ص ٥٠٧) .

ومما بذله من جهد بخصوص تشخيصه للأمراض : كان قد كتب أوصافاً في غاية الدقة للبعض من الأمراض ، وبخاصة : التهاب غشاء القلب ، وكذلك أعراض السرطان^(١) .

إن الجهود العظيمة التي بذلها ابن زهر الحفيد^(*) في الطب جعلته في نظر العلماء والباحثين أعظم الأطباء الثلاثة السابقين له من أسرة (بني زهر) ، كما يعد واحداً من أعظم الأطباء الأندلسيين ، سواء كانوا مسلمين ، أو مسيحيين^(٢) .

وللطبيب ابن زهر آراء في الأمراض وأسبابها . قال في (النفلات) : «وأما الحادثة منها عن خلط محترق ، فيكاد أن تكون لا براء لها! ، وأمراض كهذه لا جدوى معها في عمل اليد ، ومتى نالها الحديد^(٣) ، تفاقم أمرها ، وهي تأكل ما يتصل بالموضع أكلاً»^(٤) .

(١) السامرائي ، د . خليل وآخرون ، «تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس» ، وزارة التعليم العالي ، جامعة الموصل ، ب . ت ، (ص ١١٠) .

(*) هو حفيد أبي مروان عبد الملك بن محمد ، وليس الحفيد بن عبد الملك بن زهر . (الباحث) .

(٢) الشكعة ، مصطفى ، «مواقف المستشرقين» (٢ / ٣٣٦) .

(٣) الحديد : يعني : الجراحة . أبو مروان عبد الملك بن زهر ، «التيسير في مداواة والتدبير» ، تحقيق : الخوري (ص ٣٨٢) .

(٤) أبو مروان عبد الملك بن زهر ، «التيسير في مداواة والتدبير» ، تحقيق : ميشيل خوري (ص ٣٨٢) .

أما رأيه في مسببات الأمراض، فقد نسبها إلى الهواء الفاسد المنبعث من المستنقعات، وهذه نظرية من نظريات الإغريق. أما الأمراض التي عرفها، فهي: التهاب شَغاف القلب، والهزال الذي ينشأ عن خراج في المعدة، والتهاب المنصف، والنموات المعدية، ربما المقصود بها: أورام المعدة، كذلك ميَّزَ حصى الغدة اللعابية التي تحت اللسان، وعرف التهاباً لحنجرة الناشئ من التهاب وشلل البلعوم^(١).

وأخيراً تحدث ابن زهر عن كيفية وفاة والده، فقال: «إن النغلة أصابته في الجانب الأيسر، وامتدت طويلاً نحو الشبر، ثم عاد الموضع لا يحس، وكان المتولي لعلاجه يقطع أجوف النغلة، فلا يحس بذلك، ولم يزل الأمر كذلك حتى وصل بالاتصال، فصار ذلك إلى قلبه، فعرضه سوء تنفس نحو يومين، ومات - رحمه الله -»^(٢).

* تأليفه:

صنَّفَ الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر عدداً من التأليف في علم الطب، هي:

١ - كتاب «التيسير في المداواة والتدبير»:

ألّفه للقاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد^(٣)، لكن الأستاذ

(١) الزبيدي، طارق صالح، «التراث العلمي العربي والطبي» (ص ٣٤٢).

(٢) أبو مروان عبد الملك بن زهر، «التيسير في المداواة والتدبير»، تحقيق: ميشيل الخوري (ص ٣٨٢).

(٣) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢١).

فاضل السباعي ينفي أن يكون ابن زهر ألف كتابه هذا بإشارة أو بطلب من أحد، وإنما ألّفه بوحى من ذاته، ويزعم بأنه ليس صحيحاً ما بقي يكرره المؤرخون والباحثون خلال ثمانية من القرون من أن ابن زهر قد صنف كتابه هذا بإيعاز من معاصره أبي الوليد بن رشد، وأن ابن رشد حينما صنف كتاب «الكليات» في المسائل الكلية في الطب، أراد من ابن زهر أن يؤلف كتاباً في المسائل الجزئية؛ ليكون مجمل كتابيهما ككتاب واحد كامل في صناعة الطب^(١).

صنف ابن زهر كتاب «التيسير»؛ كي يتناول فيه فن المحافظة على صحة جسم الإنسان، وهو الكتاب الذي ترجمه إلى اللغة اللاتينية الدكتور (بارافاكي Paravaci) بمعاونة طبيب يهودي اسمه يعقوب سنة (١٢٨١) عن ترجمة عبرية؛ كي يستفيد منه (جون داندولو Dandolo) دوق البندقية، وطبع عدة طبعات في أوروبا^(٢). وطبع باللاتينية في البندقية سنة ١٤٩٠م، وسماه: Brock. s. i «عبد الملك بن أبي بكر بن محمد بن مروان»^(٣)، وتوجد منه نسخة في أوكسفورد، وباريس،

(١) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن زهر من خلال كتابه: التيسير»، مجلة الدارة، عدد (٢) ١٩٨٥م، (ص ١٠٢).

(٢) خودا بخش، المؤرخ الهندي، «الحضارة الإسلامية» (ص ١٨٢).

(٣) الزركلي، خير الدين، «الأعلام» (٤ / ٣٠٣)، ويلاحظ أن كتاب «التيسير» ليس لعبد الملك بن أبي بكر، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا يوجد في أسرة (زهر) من اسمه (أبو بكر بن محمد)، وإنما يوجد (أبو بكر محمد =

وله ترجمة عبرانية^(١).

لا شك في أن هذا الكتاب - بترجماته العبرية واللاتينية كان قد أحدث أثراً عميقاً في تطور صناعة الطب خلال القرون الوسطى؛ حيث كان الطب الأوربي لا يزال يحبو، ويؤكد مؤرخو الطب العربي أن هذا الكتاب «التيسير» في قائمة أعظم الكتب العربية التي شهّرت في تاريخ الطب، فهو لا يقل رتبة وشأناً عن كتاب «الحاوي» للرازي، وكتاب «القانون» لابن سينا، وبذلك ترتفع درجة مؤلف «التيسير» إلى مرتبة الطبيين هذين، اللذين نبغا في المشرق العربي الإسلامي، ويكفي الطب العربي فخراً أن كتاب «التيسير» بترجمته اللاتينية مكث إلى القرن الثامن عشر واحداً من الكتب التي كانت تدرّس في مدارس الطب الشهيرة في أوروبا الغربية؛ مثل: جامعة (لوفان Louvain)، و(مونبلييه Montpellier)^(٢).

يبدو أن ابن زهر عمد على تأليف كتاب «التيسير» ليضمّنه ثمرة معرفته بعلم الطب؛ لينفع الناس أثناء حياته، وبعدها، فقد ضمّنه وصفاً لعدد غير قليل من الأمراض التي كانت سائدة آنذاك؛ مثل: عثة الجرب التي لم يسبقه إلى وصفها غير (الإسكندر الطرولي)، وأنشأ فيه فصولاً في وصف التامور المصلي، والتهاب الأذن الوسطى، وشلل البلعوم،

= ابن مروان. تنظر: (ص ١٠٠) (الباحث).

(١) زيدان، جرجي، «تاريخ الأدب العربي» (٢/ ١١٦).

(٢) خوري، د. ميشيل، «كتب ابن زهر الطبية»، مجلة التراث العربي، العدد (٢)

السنة (١)، ١٩٨٠م، (ص ٥١).

وعملية استخراج الحصى من الكلية، وفتح القصبة الهوائية، وأصيب ابن زهر بخراج الحيزوم Mediastinal Abecess، وترك وصفاً للأمراض التي كان يشكو منها، ووصف لبن الماعز دواءً للمصابين بمرض السل^(١). وتطرق بإسهاب إلى: الخدر، والاسترخاء، والفالج، والتشنج، والاختلاج، والرعدة، والرعدة، والدوالي، وداء الفيل، والسرطان، وأوجاع المفاصل، والأوجاع بسبب الإعياء، والنقرس، والتشقق، وأمراض الفقار، وعرق النساء، وأوجاع الشراسيف^(*)(٢).

وتحدث ابن زهر في «تيسيره» عن الأعمال اليدوية في صناعة الطب، فرأى أنها لا تليق إلا أن توكل لأعوان الطبيب؛ كالفصد، والكلية، وفتح الشرايين. أما عمل الطبيب وواجبه، فينحصر في تقرير نظام الأكل للمريض، ووصف الأدوية له، والطبيب لا يمسك أي شيء بيده، ولا يركب دواءً، وقيل: إن والده أبا العلاء لم يعمل شيئاً من هذا النوع بيده عمره كله، ولو عمل ذلك، لما نجح؛ لعدم الرغبة.

وتحدث ابن زهر عن نفسه مشيراً إلى أنه كان هو نفسه مولعاً بالعمل اليدوي في الصيدلة، وتجربة صنع الأدوية، والوصول إلى

(١) التجاني الماحي، «مقدمة في تاريخ الطب العربي» (ص ١١٩).

(*) شراشيف: عظام الأضلاع، الخطابي، محمد العربي، «الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية» (٢/ ٣٢٤).

(٢) صالح، د. «راجي عباس، نظرات حديثة في الطب العربي» مجلة آفاق عربية، العدد (٥)، السنة (٤)، ١٩٧٩م، (ص ٩١).

قيمتها وتركيبها^{(١)(*)}.

لقد انتهج ابن زهر في «التيسير» منهجاً جديداً في الحكمة القياسية، واستخدم التدقيق العقلي للحصول على أفضل النتائج، فهو الميال إلى التجربة والتمحيص العملي، وهو ليس من صناع اليد - كما يذكر في «التيسير» - وقد لاحظ ابن زهر في الميدان العملي أنه يترفع عن إجراء العمليات الجراحية الكبرى بنفسه، وذلك لأن رؤيته للجروح تثير في نفسه ضعفاً يكاد يسفر عن إغماء، وهو - في الوقت نفسه - لا يكره إعداد الأدوية التي تخلو من الخمر في تركيبها، على سيرة والده أبي العلاء، حتى لو أوصى بذلك جالينوس، بالضد من الرازي^(٢) الطبيب الفيلسوف، ويذكر أن كتاب «التيسير» خال من النظريات الفلسفية^(٣)، وكان هذا الكتاب شبيهاً بكتاب أبقرط من سائر الكتب العربية^(٤).

تتفق المصادر والمراجع على أن كتاب «التيسير» أفضل وأشهر كتب ابن زهر، وسارت على نهج المؤرخين الموسوعات العربية، وكذا

(١) بنعبدالله، عبد العزيز، «الطب والأطباء العرب» (ص ٢٧).

(*) هنا يوجد تناقض فيما أورده (بنعبدالله)، فمرة يقول: إن الطبيب لا يليق به عمل اليد، ومرة يقول: كان ابن زهر مولعاً بعمل اليد، فكيف يصح هذا؟ (الباحث).

(٢) بنعبدالله، عبد العزيز، «الطب والأطباء العرب» (ص ٢٧).

(٣) الرفاعي، أنور، «تاريخ العلوم في الإسلام» (ص ١٠٩).

(٤) خير الله، أمين أسعد، «الطب العربي» (ص ١٥٧).

الأجنبية، والمعجمات الطبية الكبيرة التي تذكر أسماء وأعلام الطب، إضافة إلى ما حوته من مصطلحات التشريح، وأسماء الأمراض، وشتى طرق العلاج، إلى غير ذلك، ولقد ذكرت المعجمات الطبية عن ابن زهر ومؤلفاته ما جاء في «معجم دورلند الطبي» Dorland's Medical Dictionary (الطبعة ٢٥، السنة ١٩٧٤)، وترجمته: «ابن زهر (١١١٣ - ١١٦٢م)، أو Avenzoar - كما سماه الكتاب الإسبان واللاتين -: طبيب إسلامي شهير، ولد في إشبيلية بإسبانيا (الأندلس العربية حينذاك)، وأهم مؤلفاته: كتاب «التيسير» الذي هو خلاصة وافية Compendium لصناعة الطب، مع احتوائه على عدد كبير من المشاهدات الطبية؛ كوصف هامة الجرب Scabiei Acarus، ولم يكن يتردد عن إبداء معارضته لما كان يزعمه جالينوس»^(١).

إن ابن زهر كان قد عالج في كتابه «التيسير» مواضيع هي - في الحقيقة - أكثر خصوصية من مواضيع كتاب «الكليات»، لابن رشد - وكان هذا الأخير معجباً بابن زهر، وأثنى عليه كثيراً في «الكليات»، واعتبره أعظم طبيب عرّفه العالم بعد الطبيب اليوناني الشهير جالينوس^(٢).

وكان أبو مروان عبد الملك بن زهر قد صنف ثمانية كتب خاصة بعلم الطب الذي لم يمارس غيره؛ بخلاف ما درج عليه أطباء زمانه،

(١) الخوري، د. ميشيل، «كتب ابن زهر الطبية»، مجلة التراث العربي، العدد

(٢) السنة (١)، ١٩٨٠م، (ص ٤٩).

(٢) حتي، فيليب، «تاريخ العرب»، (مطول) (٢/ ٦٨٦).

والعلماء والأدباء العرب المسلمون، فلم يصل منها إلا ثلاثة كتب، أبرزها وأهمها «كتاب التيسير في المداواة التدبير»^(١)، بل أجلاً ما صنفه الطبيب ابن زهر، كان قد ألفه للقاضي ابن رشد الذي سأله ذلك؛ ليكون متمماً لكتابه «الكليات»، ولم يعثر على سواه من كتبه^(*). وكتاب «التيسير» كتاب عملي، سهل الفهم، بصورة (كناش)، عكس «الملكي»، و«القانون»، اللذين تميزا بكونهما عمليين ومدرسين، فقد درس فيه أبو مروان مختلف الأمراض التي تدخل على كل عضو من الأعضاء المفردة عرضاً، ومعالجتها، وطرق تركيب الأدوية بصورة ممتازة من الأقاويل الجزئية ذات المكانة العالية في فن الطب^(٢).

* ابن زهر وابن رشد و«التيسير» :

كان ابن زهر معاصراً^(**) لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القاضي

(١) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن زهر»، مجلة الدارة، العدد (٣) السنة (١٢) ١٩٨٦م، (ص ١٤٨).

(*) هذه المعلومة تناقض ما أورده السباعي قبل قليل حين يقول: «وصلنا منها ثلاثة» فأين الصح؟! إن الباحث لا يمكنه الترجيح في هذه الحالة.

(٢) الحكيم، د. أسعد، «تاريخ الطب عند العرب» (ص ٥٠٨).

(**) إن ما يشير الانتباه إلى مسألة المعاصرة هذه، هو موضوع البعد الزمني بين ولادتهما ووفاتيهما، فتاريخ ولادة ابن زهر سنة ٤٨٧هـ، وابن رشد سنة

٥٢٠هـ، ووفاة ابن زهر سنة ٥٥٧هـ، وابن رشد سنة ٥٩٥هـ، وعليه يكون ابن زهر قد بلغ من العمر ٣٣ سنة عند ولادة ابن رشد، وعند وفاة ابن زهر يكون ابن رشد قد بلغ ٣٧ سنة من العمر، وإن ابن زهر حين وفاته بلغ من العمر =

والطبيب والفيلسوف المعروف، ولقد ذكر ابن رشد في كتابه «الكليات» ابن زهر، وحشه على تصنيف كتاب في الأمور الجزئية كي يكون مع «الكليات» كتاباً كاملاً لمهنة الطب^(١). وهو مؤلف في العلاجات، والاحتماء (أي: اتباع أغذية الحمية)، وكان قد استجاب لحث صديقه ابن رشد الفيلسوف الذي كان قد اعتبره أعظم الأطباء منذ أيام جالينوس^(٢).

يبدو أن المؤرخين كانوا قد اختلفوا في إعطاء صورة موحدة لطبيعة العلاقة بين الطبيبين الكبيرين: ابن زهر عبد الملك بن أبي العلاء، وابن رشد، فلقد قيل: إن ابن رشد كان تلميذاً لأبي مروان عبد الملك بن زهر^(٣). إلا أن (د. ميشيل الخوري) ينفي ذلك بقوله: «ولكن لم يكن تلميذه»^(٤).

يرى ميشيل الخوري أن ابن رشد وابن زهر كانا يرغبان معاً أن

= (٨٠) سنة، وعليه يؤيد الباحث من قال: إن ابن رشد كان تلميذاً لابن زهر. وينفي:

- ١ - أن تكون هناك صداقة بين ابن رشد وابن زهر؛ للفارق الكبير بين عمريهما.
- ٢ - أن يطلب ابن رشد من ابن زهر تأليف كتاب «التيسير»؛ لأن ابن زهر - في أغلب الظن - لم يصنف «التيسير» بعد. (الباحث).

- (١) مراد، د. آمنة صبري، «لمحات من تاريخ الطب القديم» (ص ٢٦٩).
- (٢) مظهر، جلال، «أثر العرب في الحضارة الأوربية» (ص ٢٤٤).
- (٣) تنظر: (ص ٤٤) من هذه الأطروحة.
- (٤) «كتب ابن زهر الطبية»، مجلة التراث العربي، العدد (٢)، السنة (١)، ١٩٨٠ م، (ص ٤٩ - ٥٠).

يكون مصنف ابن زهر «التيسير» متمماً لمصنف ابن رشد «الكليات»؛ لأن «الكليات» يتناول المسائل العامة في الطب، بينما يتناول «التيسير» المواضيع الطبية الخاصة، فإن صح هذا القول، يكونا قد أجادا تقاسم العمل؛ لأن ابن رشد كان فيلسوفاً بالدرجة الأولى، في حين كان ابن زهر أكبر سناً من ابن رشد، وكان طبيباً سريراً ممتهداً للطب بالدرجة الأولى^(١).

ومما يعزز الشك في أن ابن زهر صنف كتاب «التيسير» بإيعاز من ابن رشد: ما ذكره ابن زهر في آخر كتابه المذكور؛ من أن الشخص الذي كُلف بمراقبته في التأليف، لم يُرَقَّه الكتاب؛ لأنه يخالف التعليمات الصادرة إليه، ولأن فهمه يصعب على غير المشتغلين بعلم الطب، الأمر الذي حمل ابن زهر على أن يلحق الكتاب هذا بالملحق الذي سماه: «الجامع» بآخر الكتاب. وهنا يطرح سؤال نفسه، فهل عبد المؤمن هو الذي أمره بتصنيفه^{(٢)؟}!. والباحث يرجح الإجابة بالإيجاب، وذلك لأنه من المستبعد - تماماً - أن يكلف ابن رشد أحداً بالقيام بمراقبة ابن زهر وهو يؤلف الكتاب، وأن يصدر تعليمات تقيد ابن زهر بتأليف «التيسير» بموجبها، فإن صح القول بالمراقبة والتعليمات، فالمسألة لا تعدو أن تكون أمراً صادراً من جهة عليا، ولعله من عبد المؤمن لا غيره.

(١) المرجع نفسه (ص ٤٩ - ٥٠).

(٢) بنعبدالله، عبد العزيز، «الطب والأطباء العرب» (ص ٢٦).

ومما يضيف إلى مسألة تصنيف كتاب «التيسير» تعقيداً على تعقيد: ما أظهره (لوكلير)^(*) لكليات ابن رشد المترجمة إلى اللاتينية أن ابن رشد كان ينقل من «تيسير» ابن زهر^(١).

إن ادعاء (لوكلير) بنقل ابن رشد من ابن زهر - إن كان له نصيب من الصحة - يشير بكل وضوح إلى أن ابن زهر كان قد صنف كتابه «التيسير» قبل تصنيف ابن رشد لكتابه «الكليات»، وبهذا يكون لوكلير - بمعلوماته هذه - قد فند كل الروايات القائلة بأن تصنيف كتاب «التيسير» كان بطلب من صديق ابن زهر أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد.

وإن مما يثير دهشة القارئ - أخيراً - ما أورده (ميشيل الخوري) من «أن ابن زهر ألف كتابه «التيسير» بناءً على طلب صديقه و(رضيعه!!) الفيلسوف القاضي ابن رشد»^(٢). فالباحث - هنا - يتساءل: ماذا يقصد الخوري بقوله؟! على كل حال، فالباحث يرى أن الكلمة هذه (ورضيعة) قد حُشرت في مكان غريب، فأعطت معنىً تعافه نفس القارئ الملمس للصدق والحقيقة.

(*) لوكلير: طبيب فرنسي عاش فيما بين سنة (١٨٤٦ و ١٨٩٣م)، درس العربية، واعتنى بآثارها، وخاصة بالطب فيها، أشهر أعماله: كتابه «تاريخ الطب العربي». د. كمال السامرائي، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢/ ٥٧٢).

(١) بنعبدالله، عبد العزيز، «الطب والأطباء العرب» (ص ٢٦).

(٢) «كتب ابن زهر»، مجلة التراث العربي، العدد (٢) السنة (١)، ١٩٨٠م، (ص ٤٩).

ولأهمية كتاب «التيسير» هذا انكب علماء الطب في القرون الوسطى على دراسته، وترجم في بادئ الأمر عن اللغة العبرانية من قبل شخص غير معروف، ويوجد منه مخطوط بمكتبة (ليدن)، وترجم إلى اللغة الإيطالية عام (٦٥٩هـ / ١٢٦٠م)^(١).

ومن طريف ما جاء في «التيسير» حديث مؤلفه ابن زهر عن يمين أبقرط الذي كان قد طالب بها كل من يدرس تأليفه، ويريد منهم إلزام تلاميذهم بها. وقد تلقى ابن زهر اليمين من والده أيام صباه حين ابتدائه تلقي علوم الطب. وحكى ابن زهر أن ثائراً من الثوار طلب منه سماً، فرفض معرضاً نفسه للخطر، فسقط الثائر مريضاً، وبدلاً من القضاء عليه، قام بمعالجته بإخلاص طبقاً لمبادئ أبقرط^(٢).

يتألف كتاب «التيسير» من سفرين اثنين، ومن ملحق بهما، سماه مؤلفه بـ «الجامع»، ويبدأ السفر الأول من الكتاب بمقدمة وجيزة أشار فيها ابن زهر [إلى] أنه أجبر على إلحاق كتابه بالجامع؛ نزولاً عند رغبة أحد الأمراء هو الأمير المرابطي حاكم مدينة إشبيلية؛ فقد أراد هذا الأمير أن يقتني كتاباً يحتوي على صيغ الأدوية المركبة التي كان يستعملها ابن زهر في المعالجة. وقد ذكر ابن زهر ذلك في مقدمة «التيسير» قائلاً: «ولقد دخل في خلال وضعي له مَنْ كان كالموكل عليّ فيه، فلم يُرضه

(١) بنعبدالله، عبد العزيز، «الطب والأطباء العرب» (ص ٢٩).

(٢) المرجع نفسه (ص ٢٩).

مني ذلك، وقال: «إن الانتفاع به لمن يحذق من أعمال الطب بعيد. وإنه ليس على ما أمر به، ولا على غرض مما يريد، فذيلته حيثُذ بجزءٍ منحط الرتبة سميته بـ «الجامع»، ألفته مضطراً، وخرجت فيه عن الطريقة المثلى كارهاً، ووضعت به حيث لا يخفى على المريض، ولا على من حول المريض»^(١).

الواقع أن لدى الباحث من المادة العلمية ذات الصلة بهذا الكتاب النادر المثل ما يكفي لتصنيف مجلد كبير، ولكن - لوضع حد للإطالة في الحديث عن «التيسير» - رأى الباحث أن يختم موضوع «التيسير» بما اختتم به مؤلفه بهذا الختام اللطيف. قال ابن زهر: «وهذا القانون يصحبك في أعمالك، فلا تعدل عنه إلى سواه، وعوّل عليه، وبالله التوفيق؛ فقد أقدرك الله على تركيب كل ما تريد تركيبه من شراب ودهن، وعلمتك ذلك بلفظ وجيز، ولو سلكت ذكرها شراباً ودهناً، لطال كتابي، واستثقل قلبي! وإنما كلامي نبذ تذكرتها، وأشياء من علم الطب وقوانينه حفظتها، فأثبتها من غير أن استظهر على ذلك بكتاب، أو أستعين بديوان، إلا فيما هو مركب قديم، لا يمكن إلا إثباته على ما ذكرته من هذه المعاجن، فنقلتها من مواضعها، فإن تكن، فتوفيق الله سبحانه، وإن يكن تقصير، فقد اجتهدت، والله شاهدي، وهو سبحانه ينفع بكتابي، ويعلي أمرك

(١) الخوري، ميشيل، «كتب ابن زهر الطبية»، مجلة التراث العربي، العدد (٢)

السنة (١)، ١٩٨٥م، (ص ٥١).

وذكرك بمنه، ولا رب سواه»^(١).

٢- كتاب «الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد»: مخطوطاته في (ص ١٧٢):

تحدث فيه ابن زهر عن الطب، وهو علاج الأمراض، وعن الوقاية بنظام خاص في العيش يسميه: (نظام المرتبة)، وتحدث فيه عن الطب النفساني، ويشتمل قسم الإصلاح والأجساد على سبع مقالات^(٢). ألفه لأمير المسلمين أبي يعقوب بن تاشفين^(٣) المتوفى سنة (٥٠٠هـ / ١١٠٦م)، ويعتقد أنه ألفه للأمير علي بن يوسف بن تاشفين المتوفى سنة (٥٣٧هـ / ١١٤٢م)^(٤).

ويتضمن كتاب الاقتصاد مؤشرات مفيدة لمن هو ملم بفن صناعة الطب، وضمّنه أيضاً أخباراً عن الأطباء الذين عاصروه، وتحدث عن بعض أعمالهم في صناعة الطب، وكان قد صنّفه للأمير إبراهيم بن يوسف

(١) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن زهر»، مجلة الدارة، العدد (٢)، سنة ١٩٨٥م، (ص ١٠٢).

(٢) بنعبدالله، عبد العزيز، «أسرة بني زهر، كتاب التيسير لعبد الملك بن زهر»، تحقيق: محمد عبدالله الروداني، (ص ٢٩ - ٣٠).

(٣) المراكشي، عبد الملك، «الذيل والتكملة»، السفر (١) ق (١)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة ١٩٨٥م.

(٤) السعيد، د. محمد مجيد، «ابن زهر الحفيد»، مجلة المورد، العدد (٢) م ٩٠ سنة ١٩٨٠م، (ص ١٢).

ابن تاشفين (المتوفى سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م)، وله مخطوطة في (المكتبة الوطنية بباريس)، و(العبدلية بالزيتونة)^(١) برقم ٢٨٦٧ / ٩، ومخطوط دير الإسكوريال بمدريد رقم ٨٣٤، ومخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي) بالرباط رقم مجموع ١٥٣٨^(٢). وقيل: إن إبراهيم بن يوسف هو الذي رغب ابن زهر في تأليفه، وهو الذي رسم له خطته^(٣)، وكان ذلك سنة (٥١٥هـ / ١١٢١م)^(٤).

إن كتاب الاقتصاد هذا مختصر في المداواة وتدبير الصحة، كان ابن زهر قد وضعه ليتفجع به غير الأطباء، وهو غير كامل؛ لأنه يشتمل على خمسة عشر اقتصاداً أو فصلاً، ويعتقد أن مصنفه كان في نيته إتباعه كتاباً آخر، لذا جعل فصول الكتابين معاً ثلاثين فصلاً، ومن عنوان الكتاب يفهم أنه يتناول النفس والجسد، إلا أن فصوله الأولى ما هي إلا موجز في علم النفس^(٥).

وفي هذا الكتاب كشف ابن زهر كيفية الفرق بين داء ي: الجذام،

-
- (١) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ١٨٢).
 - (٢) العامري، د. محمد بشير، «كشاف عن مشاهير الأطباء الأندلسيين» (ص ١٧٤).
 - (٣) بروفنسال وآخرون، «دائرة المعارف الإسلامية» (١ / ١٨٤).
 - (٤) السباعي، فاضل، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن زهر»، مجلة الدارة، العدد (٢)، ١٩٨٥م، (ص ١٠١).
 - (٥) الخوري، ميشيل، «كتب ابن زهر»، مجلة التراث العربي، العدد (٢) السنة (١)، ١٩٨٠م، (ص ٤٧).

والبهق، وقضية انتقال العدوى، وأفرد لذلك رسالة (فُقدت)، ويذكر أن ابن زهر هذا أعظم من ابن سينا، ولا يعدُّه إلا الرازي في الشرق. وقد تناول ابن زهر في كتابه «الاقتصاد» أطباء عصره، وذكر أنهم مختلفون في رعاية المرضى، وأن الناس كانوا يجهلون الطب، وذلك لأن الطبيب الذي يسأله المريض ويستشيرَه يسارع إلى وصف الدواء له دون تمحيص والتأكد من الحالة في كل خواصها^(١).

٣ - كتاب الأغذية:

ألف ابن زهر هذا الكتاب لأبي محمد عبد المؤمن بن علي^(٢)، ويحتوي على مبادئ علم الصحة، ومختلف أنواع المأكولات، وكذلك المشروبات المفيدة، وأوقات تناولها، وممارسة الرياضة، وعن الاغتسال والطيب^(٣). وهو كتاب مشهور، ومغتنب به في المشرق المغرب^(٤). وهو من أحسن الكتب من نوعه، ولقد اهتم بموضوعه الطب الإسلامي غاية الاهتمام^(٥). وكتاب «الأغذية» يُعد دراسة لعموم أنواع الطب^(٦).

(١) بنعبدالله، عبد العزيز، «الطب والأطباء العرب» (ص ٢٥).

(٢) الخوري، ميشيل، «كتب ابن زهر الطيبة»، مجلة التراث العربي، العدد (٢) السنة (١)، ١٩٨٠م، (ص ٤٥).

(٣) بنعبدالله، عبد العزيز، «أسرة بني زهر، كتاب التيسير» (ص ٢٩ - ٣٠).

(٤) ابن حزم وابن سعيد الشقندي، «فضائل الأندلس وأهلها» (ص ٢٧).

(٥) الهوني، فرج محمد، «تاريخ الطب» (ص ١٥٤).

(٦) بالشيا، أنخل جنتال، «تاريخ الفكر الأندلسي» (ص ٤٧١).

ولهذا الكتاب عدد من المخطوطات هي :

١ - مخطوطة الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) الرقم
مجموع ١٥٩٨ ، مجموع ٢٤٣ .

٢ - مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس ، الرقم ٢٩٦٠ .

٣ - مخطوطة الأكاديمية الملكية للتاريخ بمدير BRAHM ، الرقم
.N.CXXVII .

٤ - مخطوطة الخزانة العامة بالرباط ، الرقم ٧٦٨ .

٥ - مخطوطة المكتبة العبدلية ، تونس ، الرقم ٢١ - ٧٦٨٢ .

٦ - مخطوطة مكتبة طوب سراي أحمد الثالث ، الرقم ٢ - ٢٠٦٨ .

٧ - نسخة مصورة منه في مكتبة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ،
رقم الفلم ١٠٣٨^(١) .

٤ - كتاب «الزينة» :

ألف ابن زهر هذا الكتاب تذكرة إلى ابنه أبي بكر محمد الملقب
بـ (الحفيد) في أمر الدواء المسهل ، وكيفية أخذه ، وذلك في حداثة سنّه ،
وفي أول سفره سافرها ، فتاب عن أبيه فيها^(٢) . وهذا الكتاب (مفقود) ،

(١) العامري ، د . محمد بشير حسن ، «كشف عن مشاهير الأطباء الأندلسيين
ومؤلفاتهم المخطوطة والمطبوعة» (ص ١٧٤ - ١٧٥) .

(٢) الخوري ، ميشيل ، «كتب ابن زهر الطبية» ، مجلة التراث العربي ، العدد (٢)
السنة (١) ، ١٩٨٠ م ، (ص ٤٥) .

وهو مقالة في علل الكلية .

٥ - «الترياق السبعيني» :

ألف ابن زهر هذا الكتاب لابن تومرت ، واختصره عشارياً ، واختصره سباعياً ، ويعرف هذا المصنّف بـ : (ترياق الأنتلة) (*) (١) .

٦ - «مصباح الشفاء» :

وعلى ما يبدو : إن هذا الكتاب لم يدرجه أحد من المؤرخين ضمن مؤلفات ابن زهر ، وإنما انفرد المؤرخ المستشرق (سارتون) بذكره على أثر اطلاعه على ترجمته باللغة العبرية ، لا على نسخة أصلية باللغة العربية من التي اعتبرت في عداد المفقودات . وذكر سارتون في كتابه «المدخل إلى تاريخ العلم» : أن هذا الكتاب كان قد قام بترجمته يعقوب بن مهني بن طييون ، وهو من أهل النصف الأول من القرن الثالث عشر ، في حين كان عبد الملك بن زهر من أهل الربع الأخير من (القرن الحادي عشر ، والنصف الأول من القرن الثاني عشر) ، بيد أن الترجمة كانت قد فقدت على أثر مغادرة ابن طييون إيطاليا ، وتوجهه إلى فرنسا . ويبدو أيضاً : أن هذا الكتاب قد نال شهرة لدى المترجمين من العربية إلى اللغات التي

(*) الأنتلة : النباتات الملتفة على بعضها «المنجد في اللغة» (ص ٨٥٤) .

(١) ابن أبي أصيبعة ، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٠) . وادعى شوكت

الشطي أن ابن زهر ألف هذا الكتاب لعبد المؤمن . «مختصر تاريخ الطب»

(ص ١٧٥) . انظر : (ص ٩٥ ، هامش ٤) . دون ذكر السند . (الباحث) .

كانت منتشرة آنذاك في أصقاع أوربا الغربية، الأمر الذي حمل مترجماً آخر إلى ترجمته كرةً أخرى إلى العبرية، ذلك هو (صموئيل بن سلمون بن ناθαν المئاتي)، وهو من أهل النصف الأول من القرن الرابع عشر^(١).

٧ - «كتاب التذكرة» :

له مخطوط المكتبة العبدلية، تونس، الرقم ١٣ / ٢٨٦٧^(٢) :

وهذا الكتاب هو عبارة عن ملاحظات طبية تتعلق بعلاج البعض من صنوف الأمراض، وكان ابن زهر يوجه النقد إلى الأطباء الذين يكثرون من وصف العلاجات المسهلة^(٣). وكان ابن زهر قد زود ابنه أبا بكر محمداً (الحفيد) بهذا الكتاب^(٤).

٨ - كتاب «تفضيل العسل على السكر»^(٥) :

له مخطوط المكتبة العبدلية، تونس، الرقم ١٣ / ٢٨٦٧، ومخطوط الخزانة الحسنية، القصر الملكي بالرباط، مجموع ١٥٣٨.

(١) الخوري، ميشيل، «كتب ابن زهر الطبية»، مجلة التراث العربي، العدد (٢)

السنة (١)، ١٩٨٠م، (ص ٤٥).

(٢) العامري، د. محمد بشير حسن، «كشاف عن مشاهير الأطباء الأندلسيين

ومؤلفاتهم المخطوطة والمطبوعة» (ص ١٧٥).

(٣) الطنطاوي، محمود سعيد، «أضواء على تاريخ الطب» (ص ١١١).

(٤) التازي، د. عبد الهادي، «الدرس الافتتاحي لجامعة ابن زهر»، أغادير، (ص ٥).

(٥) المرجع نفسه، (ص ٥).

٩ - كتاب «القانون المقتضب»^(١):

له مخطوط المكتبة العبدلية - تونس، الرقم ١١ / ٢٨٦٧، ومخطوط
الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط رقم مجموع ١٥٣٨)^(٢).

١٠ - «مختصر لكتاب حيلة البرء» لجالينوس:

له مخطوط المكتبة العبدلية - تونس، الرقم ١٤ / ٢٨٦٧^(٣).

١١ - «جمع الفوائد المنتخبة من الخواص المجربة»^(٤).

١٢ - «مقالة في علل الكلى»^(٥):

(مفقود) ذكره ابن أبي أصيبعة «عيون» (ص ٥٢١).

١٣ - «رسالة في علتي البرص والبهق»:

كتب بها إلى بعض الأطباء بإشيلية^(٦).

(١) بنعبدالله، عبد العزيز، «أسرة بني زهر، كتاب التيسير لعبد الملك بن زهر» (ص ٢٩ - ٣٠).

(٢) العامري، د. محمد بشير، «كشاف من مشاهير الأطباء الأندلسيين ومؤلفاتهم المخطوطة والمطبوعة» (ص ١٧٥).

(٣) بنعبدالله، عبد العزيز، «أسرة بني زهر، كتاب التيسير لعبد الملك بن زهر» (ص ٢٩ - ٣٠).

(٤) المرجع نفسه (ص ٢٩ - ٣٠).

(٥) وجدي، محمد فريد، «دائرة معارف القرن العشرين» (٤ / ٦٦٢).

(٦) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢١).

١٤ - «الجامع في الأشربة والمعاجن»^(١):

له عدة مخطوطات هي:

أ - مخطوط المكتبة الوطنية بباريس، الرقم ٢٩٦٠.

ب - مخطوط المكتبة العبدلية - تونس - الرقم ٨ / ٢٨٦٧١٨.

ت - مخطوط مكتبة غوطا Gotha ألمانيا (Fol. 52v. - 67v.) N. 728

ث - مخطوط بودليان:

N. 355 (fol. 181v - 201v) Bodli\ean Library Oxford.

ج - مخطوط de L' Ecole de Medicine de Montpellier. N H25 B.

وعليه دراسات ومقالات باللغات المختلفة. تحقيق ودراسة وترجمة
للإسبانية F. Giron Irueste، أطروحة دكتوراه في كلية الطب، جامعة
غرناطة عام ١٩٧٦م^(٢).

* سيرة ابن زهر مع بعض العلماء:

أولاً - مع أبي الوليد بن رشد:

ذكر أبو الحسن المختار بن الحسن المكنى بـ (ابن بطلان) المتوفى
في القرن الخامس للهجرة، ذكر أن أبا مروان عبد الملك بن زهر هو

(١) البستاني، فؤاد أفرام، «دائرة المعارف» (٣ / ١٤٣).

(٢) العامري، د. محمد بشير، «كشاف عن مشاهير الأطباء الأندلسيين ومؤلفاتهم
المخطوطة والمطبوعة» (ص ١٧٥).

أستاذ ابن رشد^(١). فابن رشد كان معاصراً لابن زهر، وصديقاً له، وسمع عنه دروساً في الطب، وتلقى عنه العلم الطبيعي، وكان ابن زهر معجباً بجالينوس، ومال إلى تسفيه سير الدجالين في العلم، والمشتغلين بالتعاونيد والمنجمين^(٢). واشتهر ابن زهر بالجراحة، ونىغ تلميذه ابن رشد فيها، إلا أنه لم يبلغ في الجراحة مبلغ ما بلغه أستاذة ابن زهر^(٣).

وبالضد مما ورد في رواية ابن بطلان، وترديد عيسى إسكندر المعلوف لها، التي تنص على أن ابن زهر «هو أستاذ ابن رشد» يأتي (د. أسعد الحكيم) بالقول: «إن ابن رشد لم يكن تلميذاً لابن زهر، بل كان بينهما مودة، وإن ابن رشد ألف في الطب قبل أن يكتب فيه ابن زهر، وإنه كان ينظر إلى «تيسير» ابن زهر نظرة إلى كناش متمم لكتابه «الكليات» قد يستغنى عنه»^(٤)(*) .

(١) «دعوة الأطباء» (ص ١٤٥).

(٢) صموئيل نيسنسون، ووليام دي ويت، «سير ملهمة من الشرق والغرب» (ص ٨).

(٣) المعلوف، عيسى إسكندر، «تاريخ الطب عند العرب» (ص ٢٥).

(٤) «تاريخ الطب عند العرب» (ص ٥٠٩).

(*) الحق أن رواية ابن بطلان: «ابن زهر أستاذ ابن رشد»، ونفى د. أسعد الحكيم أن يكون ابن رشد تلميذاً لابن زهر، جعلاً الباحث يستنتج ما يلي:

١ - وقوع النساخ - في أغلب الظن - في خطأ جعل حديث ابن بطلان عن أبي مروان عبد الملك بن محمد المتوفى سنة ٤٧٠هـ، وهو من معاصريه؛ لأن ابن بطلان من أهل القرن الخامس للهجرة، أما أبو مروان مؤلف «التيسير»، فوفاته سنة ٥٥٧هـ؛ أي: هو من أهل القرن السادس. =

كان ابن رشد معجباً أشد الإعجاب بابن زهر، وأثنى عليه كثيراً في «كلياته»، واعتبره أعظم طبيب عرفه العالم^{(١)×*}. وكان أبو الوليد بن رشد يفضل ابن زهر في صناعته على سواه من أهل عصره، ويرفع من شأنه، ويشهد له بمهارته الفائقة^(٢).

عودة إلى ما يراه (د. أسعد الحكيم) من أن ابن رشد لم يكن تلميذاً لابن زهر، فلقد وجد من يقف إلى جانبه في هذه الرواية، وهو المستشرق

= ٢ - أما موضوع نفي د. أسعد الحكيم لأن يكون ابن رشد تلميذاً لابن زهر، فهو حكم غير دقيق للأسباب التالية:

أ - لم يأت الحكيم بسند يعزز ما ذهب إليه.

ب - لأن ابن زهر أكبر سنّاً من ابن رشد بكثير، فتاريخ ميلاد ابن زهر سنة ٤٨٧هـ، بينما تاريخ ميلاد ابن رشد سنة ٥٢٠هـ، ووفاة ابن زهر سنة ٥٥٧هـ، ووفاة ابن رشد سنة ٥٩٥هـ. من هذا نستنتج أن ابن رشد تتلمذ على يدي ابن زهر، ولا غرابة في الأمر.

ج - إن ابن زهر كان طبيباً أكثر منه فيلسوفاً، بينما كان ابن رشد فيلسوفاً أكثر منه طبيباً، فما المانع من أن يأخذ ابن زهر فلسفة من ابن رشد، ويأخذ ابن رشد علماً بالطب من ابن زهر؟.

(١) الشطي، د. شوكت، «مختصر تاريخ الطب» (ص ١٣٧).

(*) إذا كان أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء - في تقييم ابن رشد - أعظم طبيب عرفه العالم بعد جالينوس، فما هي حجة من ينفي كونه أستاذاً لابن رشد؟ إن الباحث يرجح إلى حد اليقين أن ابن رشد كان تلميذاً لابن زهر، ولا شك في ذلك. (الباحث).

(٢) المراكشي، عبد الملك، «الذيل والتكملة» (السفر ١، ق ١، ص ١٨).

(بروفنسال وآخرون) الذي يقول: «وقد كان ابن رشد (٥٢٠ - ٥٩٥هـ / ١١٢٦ - ١١٩٨م) صديقاً حميماً له، وكان يعتبر أعظم الأطباء منذ عهد جالينوس، ولكنه لم يكن تلميذه كما يقول الكثيرون»^(١).

وفي ختام الحديث عن سيرة ابن زهر مع الفيلسوف الطبيب ابن رشد هذا ملخص لحكاية تكليف لابن رشد بن زهر بتأليف «التيسير»: قال ابن أبي أصيبعة: قال ابن رشد ما نصه:

«فهذا هو القول في معالجة جميع أصناف الأمراض بأوجز ما أمكننا تبينه، وقد بقي علينا من هذا الجزء القول في شفاء عرض عرض من الأعراض الداخلة على عضو عضو من الأعضاء، وهذا - وإن لم يكن ضرورياً؛ لأنه منطوق بالقوة فيما بلغت من الأقاويل الكلية - ففيه تتميم ما، وارتياض؛ لأننا ننزل فيها إلى علاجات الأمراض بجس عضو عضو، وهي الطريقة التي سلكها أصحاب الكنائش^(٢)؛ حتى نجمع في أقاويلنا إلى الأشياء الكلية الأمور الجزئية؛ فإن هذه الصناعة أحق صناعة ينزل فيها إلى الأمور الجزئية ما أمكن، إلا أنا نؤخر هذا إلى وقت نكون فيه أشد فراغاً؛ لعنايتنا في هذا الوقت بما بهم من غير ذلك، فمن وقع له هذا

(١) «دائرة المعارف الإسلامية» (١ / ١٨٤).

(٢) الكنائش: واحدها (كناش)، و(كناشة)، كلمة سريانية عنت في الأصل: مجموعة مذكرات وفوائد طبية مكتوبة، وأطلقها العرب قديماً على كل كتاب يبحث فيه صاحبه موضوعات كتابه على وجه التفصيل. «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢١).

الكتاب دون هذا الجزء، وأحب أن ينظر بعد ذلك في الكنانيش فأوفق الكنانيش، له الكتاب الملقب بـ: «التيسير» الذي ألفه في زماننا هذا أبو مروان بن زهر»، وأردف ابن رشد ما يؤكد تكليفه لابن زهر بكتابة «التيسير» حيث يقول: «هذا الكتاب سألته أنا إياه، وانتسخته، فكان ذلك سبيلاً إلى خروجه، وهو - كما قلنا - كتاب الأقاويل الجزئية التي جعلت فيه شديدة المطابقة للأقاويل الكلية»^(١).

ثانياً - مع الرئيس ابن سينا:

في رواية لابن بطلان تنص على أنه «في زمانه [يعني: زمان ابن زهر] وصل «القانون» [يعني: قانون ابن سينا] إلى المغرب، فلم يعجبه، وصار يقطعه، ويصُرُّ به الأدوية»^{(٢)(*)}.

وانتقد ابن زهر آراء ابن سينا، وأيضاً الأطباء المشاركة؛ بسبب إكثارهم من الآراء الفلسفية غير المنطقية، وابن زهر يرى تبايناً بين الطب

(١) «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٣١).

(٢) «دعوة الأطباء» (ص ١٤٥).

(*) إن رواية ابن بطلان هذه تختلف مع رواية ابن جُمَيْع التي تشير إلى أن «القانون» جُلِبَ إلى الأندلس في زمن أبي العلاء زهر؛ حيث أتحفه أحد التجار تقريباً إليه. (تنظر ص ٢٢٠) من هذه الأطروحة)، وهنا يرجح الباحث رواية ابن بطلان؛ لأن ابن بطلان من أهل القرن الخامس، في حين ابن جُمَيْع من أهل القرن السادس؛ لأنه كان (يخدم الناصر صلاح الدين الأيوبي الذي جلس على العرش سنة ٥٦٥هـ / ١١٦٩م) «المنجد في اللغة» (ص ٥٥).

والفلسفة والمنطق^(١).

ثالثاً - مع الحكيم (الفار):

وقد سبق ذكر حكايته الطريفة مع هذا (الفار) في الصفحة (٢٦٩) من هذا الفصل.

رابعاً - مع ابن طفيل:

المعروف عن أبي بكر محمد بن عبد الملك المكنى بابن طفيل، والملقب بالقيسي، والقرطبي، المتوفى بمراكش سنة (٥٨١هـ / ١١٨٥م)^(٢) أنه كان عالماً بصناعة الطب، والرياضيات، والفلسفة، وكان متميزاً بسعة المعرفة... روي أنه ارتحل آخر أيامه إلى فاس؛ حيث وقع هناك فريسة لخصوم له، فقيل: دُسَّ له سُمٌّ قريباً من سنة (٥٣٣هـ / ١١٣٨م)، ووجهت أصابع الاتهام: بتدبير تلك المؤامرة عليه إلى الطبيب (ابن زهر)، وإنه لأمرٌ غريب أن يقع فيلسوف فريسة لفيلسوف ثانٍ، وكان أساس الاتهام: الإلحاد، والخروج عن الدين^(٣).

خامساً - مع جالينوس:

كان الطبيب ابن زهر من المعارضين لجالينوس معارضة شديدة،

(١) الرفاعي، أنور، «تاريخ العلوم في الإسلام» (ص ١٠٩).

(٢) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ١٨٩)، هامش (٥).

(٣) أمين، أحمد، «ظهر الإسلام» (٣ / ٢٣٩).

الأمر الذي دعاه بأن مراكز الحس هي الأسنان والعظام، وقد يكون موقفه هذا كان بسبب آلام أسنانه المبرحة جعلته يقول رأيه مار الذكر، وقد قيل: «لا يكون حكيماً من تؤلمه أسنانه»، وآمن ابن زهر بأن استمرار الحياة يعتمد على توافق طباع أخلاط الدم^(١).

إن ابن زهر كان بمثابة المعارض الكبير لنظريات جالينوس، وكان يقود المدرسة المعارضة لتعاليم جالينوس في الأندلس. فمعارضاته لجالينوس كانت - في الواقع - تعضد أطباء القرن السادس عشر في أوربا؛ من أمثال: فيسالميوس الرائد الكبير، وسواه من الذين اشتغلوا بعلم التشريح على أسس مبتكرة^(٢).

سادساً - مع الأطباء الآخرين:

كان ابن زهر مناقضاً لسائر أطباء عصره، وحتى للذين سبقوه، وذلك لاقتصاره على الطب فقط، ولتخصسه بهذه الصنعة، ولذلك صار وحيد زمانه، وأعلم طبيب بين الأطباء العرب، وحتى بين الأطباء اللاتين على السواء، ويعتبر أعظم معلم في الطب الإكلينيكي^(*) بعد الطبيب الشهير الرازي^(٣).

(١) الزبيدي، طارق صالح، «التراث العلمي العربي والطبي» (ص ٣٤٢).

(٢) مظهر، جلال، «أثر العرب في الحضارة الأوربية» (ص ٢٦٢).

(*) إكلينيكي: سريري. تنظر: (ص ٢٠٧، هامش *).

(٣) مظهر، جلال، «أثر العرب في الحضارة الأوربية» (ص ٢٦٢).

ومما تميز به ابن زهر: استعماله الفصد للشيخ في سن الأربعين سنة وأقل، وكذلك للأطفال، فلقد فصد لابنه وهو في سن الثلاث سنوات، فدهش معاصروه بعمله هذا^(١).

* أثر ابن زهر على الطب الأوربي :

لقد ترك ابن زهر عبد الملك أثراً بيناً على الطب في أوربا طوال القرون الوسطى، وإلى نهاية القرن السابع عشر للميلاد، كان ذلك بتأثير ترجمة تآليفه إلى اللغة العبرية، فاللاتينية، وفي 154 Gregaie كلمة عن أسرة بني زهر، جاء فيها: أن أشهرهم وأنبغهم عبد الملك هذا^(٢). وكان ابن زهر - نظرياً - يأخذ بنظرية الأمزجة مقلداً طريقة جالينوس، بيد أنه يرى أن التجربة خير مرشد من الناحية العملية^(٣)، ويرى بعض الباحثين أن تعاليم ابن زهر كانت ذات تأثير نافذ في القرون الوسطى، وعصر النهضة؛ حيث شرع المشتغلون في الطب بفصل الجراحة عن الأمراض الباطنية، وقد تدهور حال الأولى^(٤).

وممن تأثر - من مشاهير الطب والجراحة الأوربيين بأبي القاسم الزهراوي، وابن زهر: الجراح الفرنسي (جي. دي. شولياك ١٣٦٨م)،

(١) بنعبدالله، عبد العزيز، «الطب والأطباء العرب» (ص ٢٥).

(٢) الزركلي، خير الدين، «الأعلام» (٤/ ٣٣).

(٣) التجاني، الماحي، «مقدمة في تاريخ الطب» (ص ١١٩).

(٤) أبادير، د. فهميم، «من تاريخ الطب عند العرب» (ص ٥٦).

وهو من أعلام مدرسة (مونبلييه) التي أقامها العرب، فلقد تأثر هذا الطبيب بالزهرراوي، حتى ضم مؤلف له في الجراحة إلى أحد أعماله. ويعد (جي دي شوليك)، و(آرنولد الفيلايوف) أول من أدخلوا إلى الغرب عادة حفظ المسجلات، وهو تقليد كانا قد استقياه من ابن زهر الطبيب الأندلسي العربي المسلم الشهير^(١).

* زمان ومكان وفاة ابن زهر:

اختلف المؤرخون القدامى والمحدثون في ذكر زمان ومكان وفاة الطبيب الأندلسي أبي مروان عبد الملك بن زهر، فمنهم من يقول: توفي سنة (٥٥٧هـ / ١١٦١م) بإشبيلية، وهؤلاء هم الأكثرية، يتقدمهم لسان الدين بن الخطيب^(٢)، وليفي بروفنسال^(٣)، والتجاني الماحي^(٤).

ومن المؤرخين من أشار إلى تاريخ وفاة ابن زهر، فذكره غير تام؛ كابن أبي أصيبعة الذي يقول: «وتوفي أبو مروان عبد الملك ابن أبي العلاء بن زهر في سنة...»^(٥) وخمس مئة، ودفن بإشبيلية

(١) مظهر، جلال، «أثر العرب في الحضارة الأوربية» (ص ١٩٨).

(٢) «جيش التوشيح» (ص ٢٧٢).

(٣) «دائرة المعارف الإسلامية» (١ / ١٨٤).

(٤) «مقدمة في تاريخ الطب» (ص ١١٩).

(*) أغلب الظن أن الكلمة مكتوبة في الأصل، لكنها غير مقروءة؛ لقدّم المخطوط الأصل. (الباحث).

خارج باب الفتح^(١).

ابن بطلان يشير إلى وفاة ابن زهر، فيقول: «توفي وعمره ٩٢ سنة في إشبيلية سنة (٥٩٥هـ / ١١٦٢م)»^{(*) (٢)}.

ومن المحدثين د. أسعد الحكيم يذكر أنه توفي سنة خمس مئة ونيف، وكان دفنه بإشبيلية.

وممن ذكر أن وفاته كانت بإشبيلية^(٣) دون ذكر زمانها كل من: خير الدين الزركلي^(٤)، وعمر رضا كحالة^(٥)، وشوكت الشطي^(٦).

فئة من المؤرخين يذكرون أن الوفاة كانت بـ «دانية»، ومنهم: لسان الدين بن الخطيب^(٧)، ومحمد عبدالله عنان^(٨).

(١) «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢١).

(*) إن التاريخ (٥٩٥هـ)، هو تاريخ وفاة (الحفيد) أبي بكر محمد بن عبد الملك، والتاريخ الميلادي (١١٦٢م) هو تاريخ وفاة ابن زهر (مدار البحث)، إذن، فالأمر لا يعدو إلا أن يكون من فعل النساخ. (الباحث).

(٢) «دعوة الأطباء» (ص ١٤٥).

(٣) «تاريخ الطب عند العرب» (ص ٥٠٨).

(٤) «الأعلام» (٤ / ٣٠٣).

(٥) «معجم المؤلفين» (٢ / ١٨٥).

(٦) «مختصر تاريخ الطب» (ص ١٣٧).

(٧) «جيش التوشيح» (ص ٢٧٢).

(٨) «عصر المرابطين والموحدين» (ص ٤٧٣).

ومجموعة من المؤرخين المحدثين أجمعوا على أن وفاة ابن زهر كانت سنة (٥٥٨هـ / ١١٦٢م)، ومنهم: أمين أسعد خير الله^(١)، وشوكت الشطي^(٢).

ومن المؤرخين من ذهب إلى إعطاء فكرة عن تاريخ ولادته، وحاول أن يصل إلى تاريخ وفاته، لكنه لم يفلح، هذا المؤرخ هو فاضل السباعي الذي تناول الموضوع، فقال: «إنه لم تعرف السنة التي ولد فيها عبد الملك بن زهر، إلا أن هناك من يقول: إنه كان يوم حَضَرَتُ الوفاة قد بلغ السبعين، وهناك من يرى أنه تجاوز التسعين، وكانت وفاته مثل أبيه (بالنغلة) ذلك المرض المستعصي على البرء، الذي كان قد أتى على وصفه في «التيسير»، فقال: والنغلات هي أورام تكون تحت الكتف غائرة إلى الداخل، تعرض في اليمين وفي الشمال، وإنما تعرض لمن أسنّ، وأكثر ما تكون إذا تعرض للإنسان أنكاد، وكان يكثر الفكرة، وتتوالى عليه الهموم»^(٣).

إذن - في نهاية البحث عن تاريخ وفاة الطبيب ابن زهر - يستنتج أنه قد عُمِّرَ طويلاً بين سبعين سنة، أو تسعين^(٤) سنة، ويذكر أن ابن زهر

(١) «الطب العربي» (ص ١٥٧).

(٢) «مختصر تاريخ الطب» (ص ١٣٧).

(٣) «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن زهر من خلال كتابه: «التيسير»، مجلة الدارة، العدد (٢)، ١٩٨٥م، (ص ١٠٩).

(٤) ولا يزال عام مولد ابن زهر غير معروف، وقد قُلِّرَ المستعرب الفرنسي الطبيب =

هذا قد درجت أغلب المصادر على تسميته بـ (الابن)^(١).



= (غابرييل كولان) أن مولده في عام (١٠٩١ هـ / ١٠٩١ م)، أو بعد ذلك بثلاثة أعوام، في حين رجح «معجم لاروس الكبير» (عام ١٠٧٢ هـ / ١٠٧٢ م)، وهو التقدير الذي اعتمدته المجلس الأعلى للعلوم في الجمهورية العربية السورية؛ كي يتسنى له أن يحتفل بالذكرى التسع مئة لمولده عام ١٩٧٢ م. فاضل السباعي، «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن زهر، من خلال كتابه: التيسير»، مجلة الدارة، العدد (٣) السنة (١٢) ١٩٨٦ م، (ص ١٤٨، هامش ٢).

(١) تمييزاً له عن (الأب) أبيه الطبيب أبي العلاء زهر، وعن الجد جده الطبيب أبي مروان عبد الملك ابن الفقيه محمد، وعن (الحفيد) ابنه الطبيب أبي بكر محمد بن عبد الملك. المرجع نفسه، (ص ١٤٨، هامش ١).

الفصل السابع

الطبيب الأندلسي أبو بكر محمد بن أبي مروان
عبد الملك بن زهر (الحفيد،

ت: ٥٩٥هـ / ١١٩٨م

أ - حياته:

تعريف به:

هو محمد بن عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان ابن زهر الإيادي Avenzoar، وهو من أهل إشبيلية، كنيته: أبو بكر، أخذ علم الطب عن أبيه، وعن جده، وصار إمامه الوحيد، وله حظ وافر في الأدب، وفي اللغة، ونظم الشعر وحفظه، والمشاركة في مختلف العلوم، وله قصر منيف في مدينة مراكش^(١). وهو من سكة إشبيلية - في الأصل - لذا لُقِّبَ بالإشبيلي، الحكيم، وله شعر، وهو حسن، وهو مشهور بالأندلس يعرف ب: (الحفيد)^(٢).

(١) ابن صاحب الصلاة (ت ٥٩٤هـ / ١١٩٨م) «تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين»، السفر الثاني، تحقيق: د. عبد الهادي التازي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٤م، (ص ٤٧٧)، هامش (٢).

(٢) البغدادي، محمد بن عبد الغني (ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م) «تكملة الإكمال»، =

وعرفه ابن دحية بقوله هو: «ابن الوزير الكبير الطيب النحرير أبي مروان عبد الملك ابن وزير ذلك الدهر وعظيمه، فيلسوف ذلك العصر وحكيمه: أبي العلاء زهر ابن الوزير الكبير أبي مروان عبد الملك...»^(١).

ومما تقدم يتضح أن جُلَّ أطباء أسرة بني زهر كانوا قد تسنموا كراسي الوزارة، ولعبوا دوراً مهماً في توجيه سياسة الدولة العربية الإسلامية في العدوتين الأندلسية والمغربية. والطيب (مدار البحث) هو الآخر كان قد استوزر كأبيه أبي مروان عبد الملك، وجده أبي العلاء زهر، وجد أبيه أبي مروان عبد الملك ابن الفقيه محمد. قال ابن أبي أصيبعة في حديثه عن أبي بكر محمد (الحفيد): «هو الوزير، الحكيم، الأديب الحسيب أبو بكر محمد بن أبي مروان بن أبي العلاء زهر...»^(٢). وقيل عنه: إنه كان من أهل بيت جُلُّهم علماء، ورؤساء، وحكماء، ووزراء، ونالوا المراتب العلية، وتقدموا لدى الملوك، وأطاع الناس أوامرهم^(٣).

وأبو بكر هذا كان واحداً ممن أدار عليهم ابن سناء الملك حديثه في كتابه «دار الطراز» الذي كان القسم الأول منه حول الموشحات الأندلسية، وإذ كان أبو بكر وشاحاً وشاعراً عظيماً، مثلما كان فيلسوفاً

= تحقيق: د. عبد القيوم عبد النبي، نشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، (١٤١٠هـ / ١٩٨٩م)، (٣/ ٤٤).

(١) «المطرب من أشعار أهل المغرب» (ص ٢٠٣).

(٢) «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢١).

(٣) ابن خلكان، «وفيات الأعيان» (٤/ ٤٣٤).

وطبيباً كبيراً أيضاً^(١).

ووصف أبو بكر محمد (الحفيد) بالرئيس المجلس العالم المتفنن الطبيب، وهو أحد جلساء المنصور^(٢). ابن عبد المؤمن وخاصة^(٣). جالينوس زمانه^(٤)، كان يقال له: الحفيد كما يقال لمعاصره وصديقه ابن رشد: الحفيد أيضاً^(٥). وكان الشيخ (يعني: ابن زهير)^(٦) المذكور بمكان من علم اللغة مكين، وهو بمورد من علم الطب معين^(٧).

* ولادته:

ولد الطبيب أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن زهر سنة

(١) ابن سعيد، علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) «المغرب في حلى المغرب»، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر ١٥٥٣م، (١/ ٢٦٦)، هامش (٢).

(٢) يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ملك الموحدين من سنة (٥٨٠ إلى سنة ٥٩٥هـ). بوضون، د. إبراهيم، الدولة العربية في إسبانيا، (ص ٣٨٤).

(٣) ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)، رايات المبرزين وغايات المميزين، «تحقيق: د. النعمان عبد المتعال القاضي، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة ١٩٧٣م، (ص ٤١).

(٤) الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (٢١ / ٣٢٥).

(٥) المصدر نفسه (٢١ / ٣٢٦).

(٦) هو ابن زهر، وليس (ابن زهير)، الراجح أن هذا من تصحيف النساخ. (الباحث).

(٧) اليافعي، «مرآة الجنان» (٣ / ٢٤٥).

سبع وخمسين وخمس مئة^(١) وعلى ما يبدو أن تصحيفاً قد وقع من قبل النساخ في نقل هذا التاريخ الذي ذكره ياقوت الرومي المتوفى سنة (٦٢٧هـ / ١٢٢٩م)، وذلك لأن المصادر الأخرى كانت قد أجمعت على أن ولادة أبي بكر (الحفيد) بن أبي مروان عبد الملك كانت سنة سبع وخمس مئة للهجرة، ومن هذه المصادر: ياقوت الرومي نفسه في مصنف له آخر قال: ولد سنة ٥٠٧هـ^(٢)، وابن دحية الذي قال: «سألته [يعني: محمد بن عبد الملك] - رحمه الله - عن مولده، فقال: سنة سبع وخمس مئة، وأورد هذا التاريخ كل من الذهبي^(٣)، والصفدي^(٤)، والمقري^(٥).

أما المراجع الحديثة المتيسرة لدى الباحث، فقد اختلفت في ذكر ولادة أبي بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن زهر، فمنهم من ذكر وفاته سنة (٥٠٧هـ / ١١١٣م)^(٦)، ومنهم من يقول: (٥٠٤هـ / ١١١٣م)^(٧).

-
- (١) ياقوت الحموي، «معجم الأدباء»، (١٨ / ٢١٨).
 - (٢) ياقوت الحموي، «إرشاد الأريب، إلى معرفة الأديب»، تصحيح: مرجليوث، ط١، مصر، ١٩٢٥م، (٧ / ٢٢).
 - (٣) «سير أعلام النبلاء» (٢١ / ٣٢٦)، «العبر في خبر من غير» (٤ / ٢٨٨).
 - (٤) «الوافي بالوفيات»، تحقيق: محمد بن عبدالله، ومحمد بن محمود، نشر فرانز شتاينر بينسبادن، ط٢، ١٩٧٤م، (٤ / ٤٠).
 - (٥) «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» (٣ / ١٦).
 - (٦) البستاني، فؤاد أفرام، «دائرة المعارف» (٣ / ١٤٣).
 - (٧) الدجيلي، عبد الصاحب عمران، «أعلام العرب في العلوم» (ص ٢٠).

وآخر يذكر (٥٠٥هـ / ١١١١م) (١).

وأخيراً يتعرض ما يذكره محمد الخليلي حول تاريخ ولادة الطبيب الأندلسي أبي بكر محمد بن عبد الملك بن زهر بالتصحيح الواضح، فهو يقول: «وقد ولد الحكيم ابن زهر هذا في إشبيلية سنة ٥٧٠هـ (٢)، فأغلب الظن أنه يقصد (٥٠٧هـ)، فإن كان كذلك، فهو التاريخ الذي تذكره غالبية المصادر والمراجع.

وعن نشأته ذكر أنه ولد بإشبيلية، ونشأ بها (٣). وحفظ القرآن، وسمع الحديث، وأقبل على الأدب، وبرع في اللغة العربية (٤). ولقد تأثر أبو بكر محمد (الحفيد) بأسرته، فالمامة سريعة بأبائه تؤكد أنه نشأ في أسرة شُهرت بالعلم والأدب (٥).

إن أبرز المؤثرات التي صقلت مواهب الطبيب أبي بكر هي نشأته في إشبيلية - كما ذكر - عاصمة الأندلس، فلهذه المدينة والموقع أثر كبير في تكوين شخصيته، لا سيما مناخها الشعري المليء بالجمال، فإشبيلية كانت متميزة بواديها الذي كان «نيلاً بدون تمساح» على حد

(١) فراج، د. عز الدين، «فضل علماء العرب على الحضارة الأوربية» (ص ٢٥٤).

(٢) «معجم أدباء الأطباء» (٩٧ / ٢).

(٣) ياقوت الحموي، «معجم الأدباء» (٢١٦ / ١٨).

(٤) ياقوت الحموي، «إرشاد الأريب» (٢١ / ٧).

(٥) ابن الخطيب، لسان الدين، «جيش التوشيح» (ص ٢٧٣).

تعبير البعض من الأدباء^(١). فاشتهر، وذاع صيته في إشبيلية بطب العيون وبرز في الأدب والشعر، وفي نظم الموشحات^(٢).

ومن العوامل التي تركت أثراً في تكوينه أيضاً: ترعرع في بيت علم ومعرفة، إلا أنه في تلك النشأة لم يتمتع دائماً بالحرية والدلال، ولم يعيش كما يريد، ومع من يريد، فلقد كان مراقباً من قبل الأهل، ومتابعاً، وحتى معرضاً للتأديب العنيف والقاسي في بعض الأحيان، برغم كونه - على ما يبدو - الوليد الوحيد لأبيه الطبيب الكبير أبي مروان عبد الملك ابن زهر، فهو - يُعَدُّ معجزة طيبة - بقي والده بانتظار مولود ردها من الزمن، إذ حدث ذات يوم أن مرض الوالد، فتناول دواءً باضطرار، وعلى أثر تناوله الدواء شافاه الله، وصحب هذا الشفاء حمل زوجته بوليد أبي بكر محمد الحفيد^(٣).

أخيراً، وعن ولادته ومكانها تحدث تلميذه ابن دحية قائلًا: «كانت ولادته في إشبيلية عام ٥٠٧هـ»^(٤)، وفيها نشأ وترعرع، وتعلم العلوم الدينية واللغوية كبقية صبيان إشبيلية ممن يتوجهون نحو مدارس العلم والمعرفة، فحفظ القرآن، وسمع الحديث، ورشف من مناهل الأدب

(١) التازي، عبد الهادي، «الدرس الافتتاحي لجامعة ابن زهر»، أغادير (ص ١٨).

(٢) مجموعة أساتذة، «موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين» (٣/ ١٠٤).

(٣) التازي، عبد الهادي، «الدرس الافتتاحي لجامعة ابن زهر»، أغادير (ص ١٠).

(٤) «المطرب من أشعار أهل المغرب» (ص ٢٠٧).

العربي شعره»^(١). وكان أبو بكر الحفيد يحفظ «صحيح البخاري» كله متناً وأشعاراً وتفسيراً^(٢).

* دراسته وأساتذته :

درس أبو بكر محمد الحفيد علم الطب على أبيه أبي مروان عبد الملك، وياشر أعمال الصناعة، ففاق أطباء زمانه، وخدم بصناعة الطب دولة الملتمين [المرابطين] في آخر أيامهم، ومن بعد الملتمين خدم دولة الموحيدين بني عبد المؤمن. وكان حسن المعالجة، وجيد التدبير، لا مثيل له في فن الأطباء في الصناعة^(٣).

وتتلمذ الحفيد أبو بكر على يدي جده أبي العلاء زهر، وكان قد انفرد بإمامة الطب في زمانه^(٤). وفي أخذه عن جده برع في الطب، ونال تقدماً^(٥). بعد أن اشتغل بصناعة الطب، وكان شاعراً وأديباً، بيد أنه اشتهر

(١) الحموي، «معجم الأدباء»، (١٨ / ٢١٨).

(٢) الصفدي، «الوافي بالوفيات» (٤ / ٣٩)، الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (٢١ / ٣٢٦).

(٣) ياقوت الحموي، «معجم الأدباء» (١٨ / ٢١٧)، «إرشاد الأريب» (ص ٢١).

(٤) الصفدي، «الوافي بالوفيات» (٤ / ٣٩)، الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (٢١ / ٣٢٦).

(٥) الذهبي، «العبر في خبر من غبر» (٤ / ٢٨٨)، ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢١).

بالطب^{(١)(*)} الذي باشره منذ صباه وحتى الشيخوخة^(٢). وكان قد تميز بصناعة الطب، ولم يكن في زمانه من هو أعلم منه بها^(٣).

وانفرد د. محمد مجيد السعيد بذكر أستاذ آخر من أساتذة أبي بكر محمد (الحفيد) من غير أبيه وجده؛ حيث قال السعيد: «وكان من شيوخه ومعلميه الذين أخذ عنهم: عبد الملك الباجي، وهو الأستاذ الوحيد الذي ذكرته المصادر، وقد لازمه سبع سنين، وقرأ عليه «المدونة» لسحنون في مذهب مالك، و«مسند ابن أبي شيبة». وأردف السعيد القول: «ولكننا - مع ذلك - نتوقع أن يكون له أكثر من أستاذ وشيخ أغفلتهم كتب التراجم؛ لما نعرفه عنه سعة علم في الطب، وتبحر في علوم العربية... كان يحفظ شعر ذي الرمة، وهو ثلث لغة العرب، مع الإشراف على أقوال جميع أهل الطب»^(٤).

* تلامذته:

وكان من أجل تلامذة أبي بكر الطيب الأديب محمد (الحفيد) ابن عبد الملك بن زهر في علم الطب، والذين أخذوا عنه: أبو جعفر بن

(١) الطنطاوي، محمود السعيد، أضواء على تاريخ الطب (ص ١١٢).

(*) الواقع أن (الحفيد) اشتهر أديباً وشاعراً أكثر منه طبيباً. تنظر: (ص ٣٣٨). (الباحث).

(٢) الدجيلي، عبد الصاحب عمران، «أعلام العرب» (٢/ ٢٠).

(٣) البدري، عبد اللطيف، «الطب عند العرب» (ص ٨٧).

(٤) ابن زهر الحفيد، «مجلة المورد»، العدد (٢) سنة ١٩٨٠ م، (ص ١٣).

الغزال^(١). والغزال من أهل قنجيرة من أعمال مدينة المرية الأندلسية، أقبل إلى أبي بكر الحفيد محمد بن عبد الملك بن زهر، ولازمه، وقرأ عليه صناعة الطب، وعلى غيره، حتى تمكن من الصناعة، فخدم المنصور الموحي بالطب، وكان خبيراً بتركيب الأدوية، ومعرفة مفرداتها^(٢). وأخذ عنه: أبو علي الشلوبين^(٣) وأبو الخطاب بن دحية^(٤).

* دِيَانَتُهُ:

كان الطبيب أبو بكر محمد (الحفيد) بن عبد الملك بن زهر - علي ما يبدو - ديتناً؛ لأنه لازم عبد الملك الباجي^(٥) سبع سنين ملازمة جادة، وقرأ عليه «المدونة» في مذهب مالك^(٦). وحفظ القرآن الكريم، وسمع

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٤).

(٢) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٣٦).

(٣) هو عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله أبو علي الإشبيلي المعروف بـ: (الشلوبين). ترجمته في «بغية الوعاة» (٢ / ٢٢٤ - ٢٢٥)، المقرئ، «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، (٢ / ٤١٠، هامش ٢).

(٤) كحالة، عمر رضا، «معجم المؤلفين» (ص ٢٥٧)، وابن دحية هو: مجد الدين عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن فرج بن خلف، الظاهري المذهب، الأندلسي. المقرئ، «نفح الطيب»، تحقيق: البقاعي (٢ / ٣٠٥).

(٥) ترجمته في «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» (٢ / ٢٧٦)، تحقيق: البقاعي.

(٦) ياقوت الحموي، «إرشاد الأريب» (ص ٢١).

الحديث^(١)، وكان (الحفيد) ملازماً للأموال الشرعية، ومتين الدين. قال عن نفسه: إنه لازم عبد الملك الباجي سبع سنين يشتغل عليه، وقرأ عليه «مدونة سحنون»^(٢) في مذهب مالك، وقرأ كذلك عليه «مسند ابن أبي شية»^(٣)، وقيل: إنه حفظ «صحيح البخاري» بكامله^(٤)، ومما يؤكد حفظه لصحيح البخاري: ما رواه ابن الأبار بقوله: «كان أبو بكر بن الجديزيكي، ويحكي عنه أنه يحفظ «صحيح البخاري» متناً وإسناداً». قيل: كان ديناً، عدلاً، قوي النفس^(٥). وكان أبو بكر (الحفيد) - إضافة إلى ما تقدم - محباً للخير^(٦)، ومهيباً، ذا جرأة في الكلام، وفصاحة في اللسان، وحجة قوية في الاستدلال^(٧). وكان أبو بكر قوي العقيدة الدينية، وملازماً لحدود الشرع، وكان جريئاً، فشاخ ذكره، وانتشر صيته^(٨).

-
- (١) ياقوت الحموي، «معجم الأدباء» (١٨ / ٢١٦).
 - (٢) هو عبد السلام سحنون (٧٩٦ - ٨٥٦هـ)، ولي القضاء بالقيروان، وصنف كتاب «المدونة» في فقه الإمام مالك، وعنه انتشر علم مالك بالمغرب. ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢١).
 - (٣) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢١).
 - (٤) الذهبي، «العبر في خبر من غبر» (٤ / ٢٨٨).
 - (٥) الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (٢١ / ٣٢٦)، والصفدي، «الوافي بالوفيات» (٤٠ / ٤).
 - (٦) ابن الخطيب، لسان الدين، «جيش التوشيح» (ص ٢٧٣).
 - (٧) الشطي، د. شوكت، «معجم أدباء الأطباء» (٢ / ٩٧).
 - (٨) وجدي، محمد فريد، «دائرة معارف القرن العشرين» (٤ / ٦٦٢).

وأخيراً قيل عن أبي بكر الحفيد بن أبي مروان عبد الملك بن زهر :
إنه كان حجة في حفظ وفهم القرآن الكريم ، واستظهاره في الحديث
الشريف ، وفي الفقه المالكي^(١) .

* صفاته الشخصية :

حقاً إن الطبيب أبا بكر محمداً الحفيد قد تحلى بصفات شخصية
وخصال حميدة لم تذكر المصادر والمراجع التاريخية المتيسرة للباحث
مثلها لأبائه وأجداده الذين سبقوه ، ومن أبرز وأهم تلك الخصال :

أولاً : كرمه ، حُكي أن أحد معارفه من بني البناتي كان صديقاً حميماً
له ، وكان يكثر من مجالسته ، ويلعب معه بلعبة (الشطرنج) ، فلاحظ
الحفيد صديقه على غير عادته من الاستقرار النفسي والانبساط ، فقال
الحفيد لصديقه : « ما لخاطرك كأنه منشغل بشيء ؟ عرّفني ما هو ؟ ! » أجابه
صديقه بقوله : « نعم ، إن لي بنتاً زوجها لرجل ، وهو يطلبها ، وقد احتجت
إلى ثلاث مئة دينار . فقال الحفيد : « اللعب وما عليك ؛ فإن عندي في وقتنا
هذا ثلاث مئة دينار إلا خمسة دنائير تأخذها ، فلعب معه ساعة ، واستدعى
بالذهب ، ودفعه إلى صديقه ، فلم يمض إلا وقت قصير حتى أتاها صاحبه ،
ووضع بين يديه ثلاث مئة دينار إلا خمسة . فقال له ابن زهر : « ما هذا ؟ ! »
فقال : « إنني بعت زيتوناً أملكه بسبع مئة دينار ، وقد أتيتك منها بثلاث مئة
دينار إلا خمسة عوض الذي كنت قد تفضلت به عليّ ، وبقي عندي أربع

(١) التازي ، عبد الهادي ، «الدرس الافتتاحي لجامعة ابن زهر» ، أغادير (ص ١٨) .

مئة دينار. فقال ابن زهر: «ارفع هذا عندك، وانتفع به، فإنني ما دفعت إليك الذهب لاسترداده إليّ أبداً»، فأبى الرجل قائلاً: «إنني - بحمد الله - بحال سعة، ولا حاجة لي أن آخذ هذا ولا غيره من أحد أصلاً. وتفاوضا في الأمر، وقال ابن زهر: «يا هذا! أنت صديقي أو عدوي؟»، فقال له: «بل صديقك، وأحب الناس فيك»، فقال ابن زهر: «والله! لئن لم تأخذه، لأعاديّتك بسبب ذلك، وسوف لن أعود إلى صحبتك ثانية أبداً»، فأخذه منه، وشكره على حسن صنيعه^(١).

يستتج من الحكاية أعلاه: أن أبا بكر الحفيد كان جواداً، ممدّحاً، ومحتشماً. وقيل عنه: إنه كان كثير العلوم^(٢)، وأشير إلى خصلتي: الجود والمدح بأنهما أعجوبتان لدى مغربي طيب كريم. وقيل: إنه كان نافعاً بماله وبجاهه^(٣)، وكان الطبيب أبو بكر محمد رفيع المنزلة عند أمراء عصره^(٤).

ثانياً - منزلته في أسرته:

لقد وصف أبو بكر الحفيد بأنه (عين ذلك البيت)، وإن كانوا أعياناً، علماء، رؤساء، حكماء، وزراء، وأنهم قد نالوا الرتب العليا، وتقدموا

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٢).

(٢) الذهبي، «العبر في خبر من غبر» (٤ / ٢٨٨).

(٣) الصفدي، «الوافي بالوفيات» (٤ / ٣٩).

(٤) ابن الخطيب، لسان الدين، «جيش التوشيح» (ص ٢٧٣).

لدى الملوك، وصارت أوامرهم مطاعة^(١)، علماً بأن أسرة بني زهر كانت قد أنجبت قرابة ستة أجيال متتابعة من الأطباء، ظهر بينهم بعد الطبيب الكبير أبي مروان عبد الملك بن زهر أبو بكر: محمد (المتوفى سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م)، أو بعد هذا التاريخ بسنة، وهو أعظم (*) أبناء هذه الأسرة مقاماً ومرتلة^(٢).

وحول مكونات الحفيد الشخصية كادت المصادر والمراجع التي تحدثت عنه أن تجمع على أنه قد بلغ القمة في مكوناته الشخصية، فقالوا عنه: «إنه وارث سر أبيه عبد الملك الذي توفي - كما هو معلوم - سنة (٥٥٧هـ / ١١٦٢م)، وذهب (عبد الهادي التازي) إلى أبعد من هذا بقوله: «إنه ورث سر جده، وجد والده، وسر كل العباقرة الذين عرفتهم الأندلس والمغرب على ذلك العهد، لقد نعته المقري بأنه عين الأسرة»^(٣).

* صفاته البدنية:

كان أبو بكر (الحفيد) صحيح البنية، قوي الأعضاء، ولقد بلغ الشيخوخة ولم يفقد قوة عضو واحد من أعضاء بدنه، إلا أنه صار يحس ثقلاً في السمع كان قد اعتراه في أواخر عمره، وكان شديد البأس، يتمكن

(١) المقري، «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» (٣ / ١٥).

(*) الملاحظ أن بعض المراجع قد وصفت كلاً من أبي مروان عبد الملك وابنه (الحفيد) بالأعظم، وهذا أمر محال. تنظر: (ص ٣٣٨). (الباحث).

(٢) حتي، فيليب، «تاريخ العرب» (مطول)، (٢ / ٦٨٧).

(٣) «الدرس الافتتاحي لجامعة ابن زهر»، أغادير، (ص ١٢ - ١٣).

من جذب قوس بقوة مئة وخمسين رطلاً بالقياس الإشييلي، وهو ست عشرة أوقية^(١).

وكان معتدل القامة، سليم الجسم، وطعن في السن، لكن نضارة لونه وقوة حركاته لم يتبين فيها أي تغيير، وإنما عرض له في شيخوخته ضعف في السمع - كما مر ذكره^(٢). وقيل: إنه مليح الشكل^(٣).

* صفات متفرقة أخرى:

عن كمال عقله وتوفر مروءته: تحدثت المصادر فأفادت بأنه - بعد فترة قصيرة من توجيه تعاليمه إلى تلاميذه - أراد أن يجيدوا حفظ القرآن الكريم، وأن ينهمكوا بقراءة التفسير والحديث والفقه، وأن يداوموا على قراءة الأمور الشرعية، والالتزام بها، ولا يخلوا بشيء من ذلك، وعندما استجابوا لأمره واستوعبوا معرفة ما أشار به عليهم، وتحققت لهم مراعاة الأمور الشرعية، عادت وصارت سجية قد ألفوها، اجتمعوا عنده يوماً، فأخرج لهم كتاباً كان قد رآه معهم في المنطق، وقال لهم: «الآن صلحتم لأن تقرأوا هذا الكتاب وأمثاله عليّ»، وأباح لهم الانشغال به، فأعجبوا بفعله هذا - رحمه الله -، وهذا دليل على كمال عقله، وتوفر مروءته^(٤).

(١) ياقوت الحموي، «معجم الأدباء» (٢١٧/١٨)، و«إرشاد الأريب» (ص ٢١).

(٢) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢١).

(٣) الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (٣٢٦/٢١).

(٤) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٣).

وانفرد (الحفيد) بالحظ العظيم من علم اللغة العربية وآدابها، ونظم الشعر بمختلف الأغراض^(١)، وفي حافظته القوية كان يحفظ شعر ذي الرِّمَّة^(٢)، وهو ثلث اللغة العربية^(٣).

وأخيراً: هذه خلاصة بخصال عشر تحلى بها أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن زهر، فلقد أجمع مترجموه على وصفه بالخصال العشر الآتية التي من شأنها تحبيبه إلى القلوب، كان عبد الهادي التازي قد لخصها، وهي:

أولاً: فهو [يعني: أبا بكر الحفيد] جميل الصورة، تروح النفس إلى رؤياه... إن سفير رسول الله ﷺ إلى بلاد الروم كان هو دحية الكلبي الذي كانت وسامته إحدى الصفات التي زكته للسفارة.

ثانياً: كان مفرط الذكاء، فلا بلادة، ولا بلاهة.

ثالثاً: نبيل الخُلُق، ونبيل الخلق يعني وحده عدداً من المزايا والخصال الرفيعة، يخاصمه الناس، ويحسده الناس، ويكون باستطاعته أن يقطع الطريق عليهم، لكنه يتكرم بالعفو، وغض الطرف، يؤمن بأن في البشر نقائص لا يستطيع التغلب عليها إلا بالغفلة عن نصيب النفس.

(١) الصفدي، «الوافي بالوفيات» (٤ / ٣٩).

(٢) هو غيلان بن عقبة بن بهيش، ويكنى: أبا الحارث، وهو من بني صعب، من ملكان بن عدي بن عبد مناة. ابن قتيبة، «الشعر والشعراء» (٢ / ٤٣٧).

(٣) الصفدي، «الوافي بالوفيات» (٤ / ٣٩).

رابعاً: إنه كان أنيق الثياب ؛ مما يدل على ذوقه الرفيع .

خامساً: كان ذا همة عالية ، لا يخضع للصغائر من الأمور ، وكان شديد الحرص على أن يكون فوق أن يؤذي الناس ، أو ينوي أن يخلق المتاعب لأحد .

سادساً: كان - كما مر ذكره - سليم الجسم ، والعقل السليم في الجسم السليم ، وهذا يعني : أنه رياضي .

سابعاً: كان كريماً ، لم يجدوا غضاضة في أمثلة من كرمه الفياض مع الذين يصحبونه .

ثامناً: سليم العقيدة ، عالم ويدون عقيدة ضبع يمشي على أربع في هذه الدنيا .

تاسعاً: هو موهوب بالعلم وبالمعرفة .

عاشراً: كان متواضعاً ، لا يعتبر نفسه طيب نخبة ، ولا طيب طبقة دون أخرى ، ولذلك أكد مترجموه على أنه يعالج الفقراء تقرباً إلى الله ، لا يتقاضى منهم أجراً ، لا في العلاج ، ولا في الأدوية التي كان يصرفها لهم سخية بها نفسه ، وهذه خصلة عظيمة تستحق الوقوف عندها^(١) .

كان أبو بكر الحفيد محباً للرياضة ، ولم تعجبه الأفكار ذات الطابع الفلسفي التي تقترب من الإلحاد ، لا خشية من غضب السلطان ، ولكن

(١) التازي، عبد الهادي، «الدرس الافتتاحي لجامعة ابن زهر»، أغادير،

عن عقيدة وإيمان بالعقيدة^(١).

* نشاطاته السياسية :

بقي أبو بكر، وابن رشد، وابن طفيل متنقلين بين الأندلس ومدينتي فاس ومراكش، وظلوا في مجلس الخليفة الموحي يثيرون أسامي النظريات، وينظرون في أدق المشاكل^(٢).

وشارك أبو بكر بن زهر، والفيلسوف أبو الوليد بن رشد، وابن صاحب الصلاة في حملة السوس، وعند الإياب من الحملة برفقة الخليفة، زاروا قبر المهدي، وقبر عبد المؤمن بـ (تينملل)^(٣)، وكان هؤلاء وأضرابهم من الأطباء والصيادلة والفلاسفة والفقهاء والفنانين والمهندسين والموسيقيين، فلقد عاش الفيلسوف ابن رشد وابن زهر وابن طفيل من العلماء يترددون على المجالس، أكان ذلك داخل القصر، أو خارجه، وإنهم كانوا يشاركون في المغاري وفي الحملات^(٤). ولقد عهدوا بمهمة الإشراف على فنون بناء جامع إشبيلية للطبيب ابن زهر، ولعل هذا الأمر

(١) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢/ ١٨٦).

(٢) ابن صاحب الصلاة، عبد الملك، «تاريخ المن بالإمامة» (ص ٦١).

(٣) ابن صاحب الصلاة، «تاريخ المن بالإمامة» (ص ٢٣)، وتينملل: المدينة التي دفن بها ابن تومرت. المقري، «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»

(٢/ ١٤٦، هامش ٣).

(٤) المصدر نفسه (ص ٦٠).

يدل على أن لابن زهر هذا معرفة حتى في الشؤون المعمارية^(١).

وكان في جملة أطباء الخليفة الموحيدي يوسف الملقب بأبي يعقوب (٥٥٨هـ - ٥٨٠هـ)^(٢) - إضافة إلى علي بن قاسم، وابن طفيل -: الوزير أبو بكر بن زهر، الذي كان يزور الحضرة بين الفينة والفينة، وكان من أطبائه أيضاً أبو الوليد بن رشد^(٣). وبلغ الغاية ورفعة المرتبة في العلاج عند الدولة، واتصف بالسخاء والجود والحشمة، وسمو النسب وكثرة النشب^(٤)، وكان في رتبة الوزراء^(٥)؛ حيث نال تقدماً وحظوة كبيرة لدى السلاطين^(٦). وكاد أن ينفرد بهذه الحظوة عند الملوك^(٧)، فصار من أطباء أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي؛ إذ كان يتكرر على الحضرة [كما سبق ذكره]، فيقيم بها، ويرجع إلى الأندلس، وأخيراً انتقل إلى مراكش، ونقل أهله معه، وذلك في سنة ثمان وسبعين وخمس

(١) المصدر نفسه (ص ٦٦).

(٢) بيضون، إبراهيم، «الدولة العربية في إسبانيا». ط ٣، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦م، (ص ٣٨٣).

(٣) ابن صاحب الصلاة، «تاريخ المن بالإمامة» (ص ٤١٠، هامش ٣).

(٤) النشب: العقار، أو المال الأصيل. الفيروزآبادي، «القاموس المحيط»، (١/ ١٣٧).

(٥) الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣٢٦).

(٦) الذهبي، «العبر في خبر من غير» (٤/ ٢٨٨).

(٧) الصفدي، «الوافي بالوفيات» (٤/ ٣٩).

مئة، وأقام بها إلى أن وقعت غزوة شترين، وحضرها، ثم اختص بخدمة المنصور في مجال الطب^(١).

لقد قدم الطبيب أبو بكر الحفيد خدمة جليلة في مجال الطب إلى دولتي المرابطين والموحدين، وفي عام (٥٩٥هـ / ١١٩٨م) وفد أبو بكر ابن عبد الملك بن زهر على مراکش، وذلك لتجديد بيعة الخليفة الموحدي أبي عبدالله محمد بن أبي يوسف، فدُسَّ إليه السم القاتل بأمر من وزير الخليفة المنصور عبد الرحمن بن يوجان، وذلك بدافع الحسد والبغض، ففارق الحياة، وصلى عليه الخليفة، ودُفِنَ في روضة الأمراء بمراكش^(٢).

كانت خدمة ابن زهر هذا لدولة الملمثين (٤٤٨ - ٥٤١هـ / ١٠٥٦ - ١١٤٧م) بمعية أبيه في آخر أيامهم، وبعد سقوط الملمثين على أيدي الموحدين (٥٤١ - ٦٣٣هـ / ١١٤٧ - ١٢٣٥م)، والموحدون هم بنو عبد المؤمن، فصار ابن زهر وأبوه في خدمة عبد المؤمن. وفي أيام عبد المؤمن توفي أبوه أبو مروان عبد الملك بن زهر سنة (٥٥٧هـ / ١١٦١م)، وبقي هو في خدمته، ثم خدم أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨ - ٥٨٠هـ)، ثم ابنه يعقوب أبا يوسف الملقب بالمنصور (٥٨٠ -

(١) الفاسي، علي بن أبي زرع، «الأنيس المطرب»، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م، (ص ٢٠٧).

(٢) ابن الخطيب، لسان الدين، «جيش التوشيح» (ص ٢٧٣).

٥٩٥هـ) الذي كان معاصراً للسلطان صلاح الدين الأيوبي، ثم ابنه عبدالله محمداً الناصر (٥٩٥ - ٦١٠هـ)، وفي أول دولة هذا الأخير توفي الحفيد أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر^(١).

وكان الخليفة الموحي يعقوب بن يوسف قد استدعى أبا بكر إلى بلاطه ليكون طبيبه الخاص، فخلع عليه، وبألف في إكرامه، وعزم المنصور هذا على القضاء أو إفتاء كتب المنطق والحكمة وإيادتها، فأسند مهمة ذلك إلى أبي بكر، وكلفه بمراقبة المشتغلين بها^(٢).

ولقد كان من أبرز الأحداث في حياة أبي بكر الحفيد هي: الأيام التي عين بها من لدن الخليفة قاضياً للجماعة والمحلة، وهو يسير رفقة الخليفة عام (٥٦٢هـ) إلى شمال المغرب، بغية القضاء على تمرد الثائر (سبع بن منخفاد)، كان عمره آنذاك خمساً وخمسين سنة^(٣).

وفي عام (٥٧٨هـ / ١١٨٢م) سحب أبو بكر الخليفة الموحي أبا يعقوب يوسف إلى الجنوب الغربي لحماية معدن الفضة الذي كان عرضة للاستيلاء عليه من قبل طائفة من الأشياء، وهي الحركة الهامة التي كان ابن صاحب الصلاة كشاهد عيان فيها، وهي: مصاحبة أبي بكر بن

(١) وجدي، محمد فريد، «دائرة معارف القرن العشرين» (٤ / ٦٦٢)، وإبراهيم بيضون، «الدولة العربية في إسبانيا» (ص ٣٨٤ - ٣٨٥).

(٢) الدجيلي، عبد الصاحب عمران، «أعلام العرب في العلوم» (ص ٢٠).

(٣) التازي، عبد الهادي، «الدرس الافتتاحي لجامعة ابن زهر»، أغادير، (ص ١٩).

زهر للخليفة أبي يعقوب إلى البرتغال في موقعة (شتيرين)^(١)... وبصفته كان والياً لإشبيلية، أو رئيساً لها، فقد استقبل عام (٥٩١هـ / ١١٩٤م) الخليفة يعقوب المنصور، وهو (يعني: أبا بكر الحفيد) الذي رتب نزول موكب الخليفة وحاشيته حسبما هو مطلوب من وظيفة الوالي. وهو في تنقلاته مع الخليفة، أكان في المغرب، أو في الأندلس.

يطرح سؤال نفسه: هل كان يقوم بمجرد سياحة صحبة الراكب؟!.

إن أبا بكر - قبل كل شيء - طبيب، ولذلك فهو ساهر - ليس فقط على صحبة الخليفة -، ولكنه كان قائماً على تقديم الخدمات الصحية للجنود الذين يمرضون، أو يصابون بسهام أو سيوف، وأبو بكر بن زهر يحمل معه دائماً أنواع الأدوية، وآلات وأدوات العمليات، شأنه شأن الأطباء في المعارك^(٢).

ب - جهوده العلمية:

١ - في الفلسفة:

كان الخليفة يعقوب المنصور صاحب الأندلس يكره الفلسفة القديمة كرهاً شديداً، حتى إنه أصدر أمراً يمنع الاشتغال بها، وأوعز بجمع كتبها

(١) هي من أعمال أشبونة (لشبونة) عاصمة البرتغال. المقري، «نفح الطيب» (١/١٥٩).

(٢) التازي، عبد الهادي، «الدرس الافتتاحي لجامعة ابن زهر»، أغادير، (ص١٩).

من أيدي مقتنيها، وأعلن أن من عثر لديه شيء منها، سيناله ضرر كبير^(١). وقد عهد الخليفة إلى أبي بكر محمد بن مروان هذا (ت ٥٩٥هـ / ١١٩٩م) في أن يقوم بجمع كل كتب الفلسفة^(٢)، وقام بما عهد إليه، إلا أنه كان بإشبيلية أحدهم يكره أبا بكر كرهاً شديداً، فعمل محضراً، وأشهد عليه عدداً من الناس بأن الحفيد أبا بكر بن زهر يحتفظ بالكثير من كتب المنطق والفلسفة، ويتهمه بدوام الاشتغال بها، ورفع المحضر إلى حضرة المنصور، فلما تأمله المنصور، أصدر أمراً بالقبض على مقدمه، وسجنه، ثم قال: «والله! لو شهد جميع أهل الأندلس على ما في هذا المحضر، لم أقل له قولة؛ لما أعرفه من متانة دينه وعقله»^(٣).

وبعد موقف الخليفة من الفلسفة وعلم المنطق، اتفق أن أتى إلى أبي بكر بن زهر من الطلبة اثنان كي يشتغلا عليه بعلم الطب، وصارا يترددان إليه، ولازماه مدة، وقرأ عليه بعضاً من كتب الطب في يوم من الأيام، وكان بيد واحد منهما كتاب صغير في علم المنطق، وكان أحد الحاضرين أبو الحسين المعروف بـ: (المصدوم)، وكان في نيتهم أن يشتغلوا فيه، فلما وجده في علم المنطق، اطرحه ناحية، ونهض إليهم حافياً ليضربهم، فانهزموا قدامه، وركض وراءهم على حالته مبالغاً في شتمهم بأرخص الألفاظ، وهم يترაკضون أمامه إلى أن عاد القهقري

(١) وجدي، محمد فريد، «دائرة معارف القرن العشرين» (٤ / ٦٦٣).

(٢) بالشيا آنخل خثالث، «تاريخ الفكر الأندلسي» (ص ٤٧١).

(٣) وجدي، محمد فريد، «دائرة معارف القرن العشرين» (٤ / ٦٦٣).

عنهم بعد أن قطع مسافة طويلة، فانقطعوا عنه أياماً لا يجرؤون على المجيء إليه، وصاروا يتوسلون طالبين مواصلته، فحضروا عنده وقدموا إليه اعتذارهم بأن ذلك الكتاب لم يكن ملكاً لأحد منهم، وليس لهم فيه غرض في الحقيقة، وأنهم إنما شاهدوه بيد صبي حدث في طريقهم الذي هم يقصدونه، فhezؤوا بصاحبه، وصاروا به يعبثون، وأخذوا منه الكتاب قهراً، وبقي الكتاب معهم، ودخلوا إليه وهم ساهون عنه، فتخادع لهم، وقبل معذرتهم، واستأنفوا القراءة عليه في صناعة الطب^(١).

كان المنصور قد قرر أن لا يبقى شيئاً من كتب المنطق والحكمة في بلاده، وأتلف الكثير بإحراقها بالنار، وأكد على أن لا يبقى أحدٌ يشتغل بشيء منها . . . وأراد الخليفة أنه إن كان عند ابن زهر شيء من كتب المنطق والحكمة، لم يظهر، ولا يقال عنه: إنه كان يشتغل بها، ولا يصاب بمكروه بسببها، برغم ما قام به خصم أبي بكر وحاسده الذي عمل محضراً ضمنه ادعاءه الذي مرَّ ذكره في أن ابن زهر كان دائم الاشتغال بهذا الفن والنظر، وكان المنصور حينذاك في (حصن الفرع)، هو موضع شيدته على قرب من إشبيلية يقدر بميلين منها، وكان ذلك الموضع صحيح الهواء؛ بحيث سلمت الحنطة فيه ثمانين سنة لم تتغير؛ لصحته، وكان أبو بكر الحفيد ابن زهر هو الذي أشار على المنصور أن يشيده في ذلك الموضع، ويقيم فيه أحياناً، وعندما كان المنصور هناك، وأتاه المحضر،

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٣).

نظر فيه، وأصدر أمره بسجن الذي عمله، وفرّ الشهود جميعاً^(١).

الواقع أن أبا بكر محمداً الحفيد لم يشتهر بالفلسفة، ولا ترجع مكانته في الطب بقدر ما ترجع إلى معرفته الشاملة بفروع الأدب العربي، وأشعاره بمختلف الأغراض التي تفيض بالمشاعر الرقيقة، والأحاسيس الدقيقة^(٢).

٢ - جهوده العلمية في الطب :

من المفيد - ابتداءً - : الإشارة إلى مكانة أبي بكر الحفيد بين العلماء، فلقد عبر عبد الهادي التازي في تحقيقه لكتاب «المن بالإمامة» لعبد الملك بن صاحب الصلاة (ت ٥٩٤هـ / ١١٩٨م)، وهو يقدم تعريفاً لمؤلف الكتاب المشار إليه، فقال : «اكتسب ابن صاحب الصلاة منزلة سامية لا تقل مكانة عن الطبيب أبي بكر بن زهر، والفيلسوف ابن رشد، فلقد زار بمعيتهما عند الإياب من حملة السوس ورفقة الخليفة، زاروا قبر المهدي، وقبر عبد المؤمن بتينملل»^(٣).

يستنتج مما تقدم : أن مكانة الطبيب أبي بكر محمد بين العلماء كانت يضرب بها المثل رفعة وقدرًا، فالدولة العربية الإسلامية كانت تنعم بنشاط فكري، ويمسلك هام من الأطباء والصيادلة والفلاسفة

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (٥٢٣).

(٢) بروفنسال، ليفي وآخرون، «دائرة المعارف الإسلامية» (١ / ١٨٥).

(٣) عبد الملك بن صاحب الصلاة، «تاريخ المن بالإمامة» (ص ٢٣).

والفقهاء والفنانين والمهندسين والموسيقيين . فلقد عاش ابن رشد، وابن زهر، وابن طفيل، وأمثالهم من العلماء يؤمون المجالس داخل القصر وخارجه، حتى إنهم كانوا يشاركون في الحملات العسكرية والمغازي^(١).

ولعلو مكانة أبي بكر محمد الحفيد وقدراته العلمية لم تنحصر في الطب والفلسفة والفقه، وغير ذلك، بل أبدى مقدرة في المشاركة في إدارة وقيادة دفعة سفينة الدولة في المجال السياسي، يتبين هذا من خلال ما رواه ابن دحية (المتوفى سنة ٦٣٣هـ / ١٤٣٥م) بقوله: «حدثنا شيخنا المبدأ بذكره، وهو الوزير أبو بكر عن جده الوزير أبي العلاء بجميع تواليفه وشعره...»^(٢).

وعن حذقه في صنع الدواء: ذُكرَ أبو بكر الحفيد بأنه كان صائب الرأي، حسن المعالجة، جيد التدبير، تبين منه عندما كتب أبوه أبو مروان عبد الملك بن زهر نسخة دواء مسهل للخليفة الموحيدي عبد المؤمن، فلما رآه ابنه أبو بكر بعد ذلك، وكان أبو بكر شاباً، قال: «يجب أن يبدل هذا الدواء المفرد منه بدواء آخر»، فلم يتناول عبد المؤمن من ذلك الدواء، فلما رآه والده، قال: يا أمير المؤمنين! إن الصواب في قوله، وغير الدواء المفرد بغيره، فترك الدواء أثراً نافعا^(٣).

(١) المصدر نفسه (ص ٦٠).

(٢) «المطرب من أشعار أهل المغرب» (ص ٢٠٣).

(٣) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٢).

ووصف أبو بكر بأنه كان قد أتم صناعة الطب، وأنه لم يكن في زمانه من هو أعلم منه بصناعة الطب، وانتشر ذكره في أنحاء الأندلس وما عداها من البلدان، ولم يكن في زمانه أحد يماثله في معرفة صنعة الطب^(١). ومن جهة أخرى: كان بمكان ومورد من الطب في غاية العذوبة، ومعين صافٍ وراقٍ، مع تكليفه بالإشراف على جميع أقوال المشتغلين بالطب، وله المنزلة الرفيعة عند أصحاب المغرب^(٢). وكان قد تأثر بأبيه وجده^(٣).

لقد شرع أبو بكر بن زهر بمعالجة الأمراض التي تعرض في الرأس؛ كالصداع، والإغماء، والأرق، والسُّبات، والنسيان، . . . إلخ، من غير ترك الأمراض التي تعرض في العيون؛ مثل: الماء في العين، السترة في العين، كما عالج من الأمراض: انتشار الشعر، ووجع الكليتين، والحصى فيهما، ووجع المثانة، والحصبة، والجدرى، وداء الفيل، والورم الخبيث، وعلل اللثة، ولسع الهوام، وعضة الإنسان، وانقطاع الشهوة^(٤).

سار الطبيب أبو بكر بن زهر الحفيد بخدمة الملوك والأمراء في دولة

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢١).

(٢) ابن خلكان، «وفيات الأعيان» (٤ / ٤٣٤)، والذهبي - «سير أعلام النبلاء» (٣٢٦ / ٢١).

(٣) ابن الخطيب، لسان الدين، «جيش التوشيح» (ص ٢٧٣).

(٤) التازي، عبد الهادي، «الدرس الافتتاحي لجامعة ابن زهر»، أغادير، (ص ٣٢).

الموحدين على سنن وطرائق آبائه من الثقيف بالطب والأدب والتمرس بهما^(١).

وبرغم أن الذين ترجموا للطبيب (مدار البحث) لم يذكروا له اهتماماً بالتشريح، إلا أنه كان مهتماً به، يعرف ذلك من حفظه لكتاب «التشريح الكبير» لجالينوس، وكان حفظه لهذا الكتاب، واستظهاره غير مألوفة، فلقد حبسه أبوه حتى يحفظ كتاب «حيلة البرء»^(٢). وانصرف في الشؤون الطبية إلى الأساليب العملية، فكان جيد المعالجة، وحسن التدبير، لا يزيه أحد من الأطباء في ذلك، وبذا أفاد الناس كثيراً، وصارت له شهرة واسعة في أنحاء الأندلس والمغرب^(٣).

إن انصراف أبي بكر الحفيد إلى الناحية العملية حَدَّ من نشاطه في التأليف، وبرغم ذلك، فقد خَلَّفَ رسالة عن طب العيون، ولم ينل شهرة في أوروبا المسيحية، في حين كان يتمتع بشهرة عالية في الأندلس والعدوة الإفريقية^(٤). فاشتهر بالطب، وكان طبيباً بارزاً منصرفاً إليه انصرافاً^(٥).

من أبرز نشاطات أبي بكر الحفيد: استظهاره لكتاب جالينوس «حيلة البرء» الذي يعتبر في مقدمة المصنفات الطويلة العريضة لجالينوس،

(١) البستاني، فؤاد أفرام، «دائرة المعارف» (٣/ ١٤٣).

(٢) التازي، عبد الهادي، «الدرس الافتتاحي لجامعة ابن زهر»، أغادير (ص ١٩).

(٣) البستاني، فؤاد أفرام، «دائرة المعارف» (٣/ ١٤٤).

(٤) بروفنسال، ليفي، «دائرة المعارف الإسلامية» (١/ ١٨٥).

(٥) الدجيلي، عبد الصاحب عمران، «أعلام العرب في العلوم» (ص ٢٠).

إلى جانب كتاب «علاج التشريح»^(١) الذي كان الحفيد قد استظهره قسراً بأمر من أبيه أبي مروان عبد الملك بن زهر، مثلما استظهر كتاب «حيلة البرء». وكان جالينوس قد صنف كتاب «حيلة البرء» في بادئ الأمر لواحد من سائليه، وهو يتكون من أربع عشرة مقالة، وكان هدف جالينوس فيه: أن يصف كيف يعالج كل مرض من الأمراض عن طريق القياس، ويقتصر فيه على الأعراض العامة التي يجب أن يقصد قصدها في ذلك، ويخرج منها ما يلزم أن يعالج به كل مرض من الأمراض، ويأتي بأمثلة سهلة من أشياء جزئية^(٢).

ولقد وضع جالينوس ست مقالات من «حيلة البرء» لرجل يدعى: (أيارن)... وتحدث في التاسعة حول معالجة الحمى المطبقة، ووصف في المقالة العاشرة كل ما يحتاج إلى معرفته من استعمال الحمام، إلى غير ذلك. تلك المقالات أقدم ابن زهر الحفيد - بعد أن هضمها وحفظها -

(١) كتاب «علاج التشريح» هو الذي يعرف بـ: «التشريح الكبير»، كتبه جالينوس في خمس عشرة مقالة، وذكر أنه قد جمع منه كل ما يحتاج إليه من أمر التشريح، ووصف في المقال الأول منه العضل والرباطات في اليدين، ثم العضل والرباطات في الرجلين... ووصف في المقالة العاشرة تشريح العينين... وقال جالينوس في آخره: إن هذا الكتاب هو المضطر إليه من علم التشريح. التازي، «الدرس الافتتاحي» (ص ٣٠، هامش ٣).

(٢) التازي، عبد الهادي، «الدرس الافتتاحي لجامعة ابن زهر»، أغادير، (ص ٣٠، ٣٢).

على اختصارها بأسلوب جعلها في متناول أيدي الناس، وجعل المختصر جداول مقسمة إلى ستة أقسام^(١).

وبالطريقة آنفة الذكر استعرض أبو بكر الحفيد ستة وتسعين ومئة مرض مقارنة مع الطبائع الأربع: الحار، البارد، اليابس، والرطب. ثم راح إلى ذكر النبض والبول، وقدم أقرباذينات (أدوية مركبة)، وأخيراً أعطى رأيه حول السماح بالفصد أو عدمه^(٢).

إن مبادرة أبي بكر الحفيد هذه إنما تعبر بصورة صادقة عن التبادل الثقافي بين الثقافة المغربية العربية مع الثقافة اليونانية. فلقد ألف ابن زهر كتابه «مختصر كتاب حيلة البرء لجالينوس» على مرأى ومسمع من الخليفة الموحي المنصور، وخصص وقتاً من أعماله لمدارسة كتب اليونان^(٣).

ومثلما تبين أن مجموعة مهمة من الألفاظ الفارسية الأصل الداخلة في تأليف أبي بكر بن زهر عشرات الكلمات اليونانية من تلك التي جرى ذكرها في مختصر ابن زهر؛ مما يؤكد مشاركة العلماء المغاربة في الاطلاع على الفكر اليوناني، ويؤكد على أن أبا بكر بن زهر الحفيد كان جسراً مهماً

(١) التازي، عبد الهادي، «الدرس الافتتاحي» (ص ٣٠). تنظر الصفحة رقم (٣٢٥) من هذه الدراسة.

(٢) التازي، عبد الهادي، «الدرس الافتتاحي لجامعة ابن زهر» (ص ٣٢).

(٣) المرجع نفسه (ص ٣٤).

في ربط الفكر الإسلامي والفكر الإغريقي، فيما يتعلق بعلم الطب^(١).

✽ تأليفه :

كان عدد تأليف أبي بكر الحفيد يقل كثيراً عما قام بتأليفه والده وجده، برغم الشهادة الواضحة التي وردت عند ابن دحية في كتابه «المطرب» - [على حد قول التازي] - من النص على تصانيف وتواليف شيخه وأستاذه أبي بكر من تلك التي أجازها فيها... وعلى ما يبدو أن ظروف حياته من جهة، وتكرار الأحداث من الجهة الأخرى، كان السبب في إهمال جمع ذلك التراث الكبير الذي صنفه، برغم كثرة مشاغله، وتعدد مهماته ومسؤولياته. فلقد كان أبو بكر الحفيد والياً ووزيراً، ومرتباً بالبلاط صباح مساء، كان يصعب عليه أن يبتعد عن القصر إلى حيث يملك الوقت للكتابة^(*)، لا سيما وهو غارق في مثل هذه النشاطات الملحة، مشدود كذلك إلى تلامذته الذين يترقبون مشاهدته في أي وقت، حتى ولو عند الصباح الباكر، أو حين تناول الغداء أو العشاء. إن وقت الرجل مملوء بعدد من الأمور الساخنة ذات الصلة بتعمير إشبيلية، ومنها مسألة متابعة الحركة الفكرية (تصفية كتب المنطق والحكمة) التي قرر الخليفة الموحي المنصور تنحيها، وكان الحفيد منشغلاً بالعلاقات

(١) المرجع نفسه (ص ٣٤).

(*) إن فيما نقله التازي: «التراث الكبير الذي ألفه»، وكان من الصعب عليه أن يغادر القصر إلى حيث يملك الوقت للكتابة تناقضاً صريحاً. فكيف يؤلف تراثاً كبيراً، وهو منشغل في أمور القصر؟! (الباحث).

الخارجية للموحدين مع الدول التي كانت دولة الموحدين لها صلات بها^(١).

برغم المشاغل الجمة، فقد ألف أبو بكر الحفيد عدداً من التأليف أهمها:

١ - «الترياق الخمسيني»: ألفه أبو بكر بن زهر للمنصور أبي يعقوب^(٢)، وحمل الناس عنه تصانيفه^(٣).

٢ - «الإيضاح في الطب»: ألفه أبو بكر الحفيد محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر الإيادي والقرطبي المالكي (المتوفى سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م)^(٤).

٣ - «مختصر كتاب حيلة البرء لجالينوس»: هذا الكتاب أجمعت المصادر على ذكره، والذي تتوفر الخزانة الحسنية في الرباط على نسختين منه، هو تأليف أبي بكر الحفيد^(٥).

(١) التازي، عبد الهادي، «الدرس الافتتاحي لجامعة ابن زهر»، أغادير، (ص ٢٩).

(٢) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٢).

(٣) الذهبي، «العبر في خبر من غبر» (٤ / ٢٨٨).

(٤) حاجي خليفة، «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، تصحيح: محمد شرف الدين، وكالة المعارف، ١٩٤١م، (١ / ٢١٣).

(٥) التازي، عبد الهادي، «الدرس الافتتاحي لجامعة ابن زهر»، أغادير، (ص ٢٩).

٤ - «رسالة في طب العيون»^(١): نسبت إلى أبي بكر الحفيد، لكن الأستاذ (لوسيان لوكير) نسبها لولده أبي محمد عبد الله^(٢).

٥ - «كتاب الأقضية»: مخطوط جامعة ليدن^(٣).

ومن الطريف - مع هذا العدد من تأليف أبي بكر الحفيد -: أن الأستاذ (التازي) يذهب إلى أنه لم يسمع من كتب ابن زهر الحفيد إلا على كتاب «الترياق الخمسيني» الذي ألفه ليقدمه إلى الخليفة الموحي يعقوب المنصور. هذا الترياق الذي كان مركباً من خمسين مادة الذي استحق وحده التعليق عليه باختصار من قبل المستشرق (أوكيست ملر A. Muller)^(٤).

٦ - «الأدوية المركبة»^(٥).

٧ - «رسالة في الطب»^(٦).

(١) ابن الخطيب، لسان الدين، «جيش التوشيح» (ص ٢٧٣).

(٢) التازي، عبد الهادي، «الدرس الافتتاحي لجامعة ابن زهر»، أغادير (ص ٢٩).

(٣) العامري، د. محمد بشير، «كشاف عن مشاهير الأطباء الأندلسيين ومؤلفاتهم المخطوطة والمطبوعة» (ص ١٧٦).

(٤) «الدرس الافتتاحي لجامعة ابن زهر»، أغادير (ص ٢٩).

(٥) الخليلي، محمد، «معجم أدباء الأطباء» (٩٧ / ٢).

(٦) المرجع نفسه (٩٧ / ٢).

وبرغم التأليف آنفة الذكر لأبي بكر الحفيد يعلق (محمد الخليلي) بقوله: «لم تعرف لابن زهر الحفيد مؤلفات جليلة غير كتاب: «في الأدوية المفردة»، و«رسالة في الطب»، وقد أذيع عنه: أنه اخترع معجوناً جليل القدر والنفع يعرف بـ: (الدرياق الخمسيني)، وقد عمله وركبه لأبي يوسف يعقوب المنصور، وذكر في غالبية القرباذينيات المركبة، وهو مجرب، ومعتمد عليه. وأبدى عبد الصاحب عمران الدجيلي، وهو في معرض حديثه عن تأليف أبي بكر الحفيد رأياً يقترب من رأي الخليلي، فهو يقول: «ولم يعن بالتأليف، مع غزارة علمه، وسعة اطلاعه»^(١).

ومما يدعو إلى الغرابة: أن بعض الباحثين لم يتردد في الادعاء بأن أبا بكر الحفيد لم يذكر من مصنفاته إلا رسائله في طب العيون، ولذلك لم يشتهر في أوربة النصرانية مثلما اشتهر أبوه وجده^(٢).

عودة إلى الهامش (١) من الصفحة (٣٦٤)، فللمزيد من التوضيح حول مصنف أبي بكر محمد الحفيد «مختصر كتاب حيلة البرء لجالينوس». فلقد وضع الوزير الرئيس أبو بكر بن زهر، أن هذا الاختصار هو عبارة عن جداول مقسمة إلى ستة أقسام على ضوء ما يلي:

الأمراض	الطبائع	النبض	البول	الأدوية	الفصد

(١) «أعلام العرب في العلوم» (ص ٢١).

(٢) البستاني، فؤاد أفرام، «دائرة المعارف»، (٣/ ١٤٤).

ولقد استعرض المؤلف بهذه الطريقة الموحدة (١٩٦) مرضاً مبيناً طبائعها، وحالة النبض والبول، ووصف ما يناسب كل مرض من دواء، وهل يستوجب الفصد أم لا؟.

بدأ المؤلف بأمراض الرأس، وانتهى بأمراض العيون، والنسخة ضمن المجموع الذي يضم مؤلفات ابن زهر (المجلد الثاني ص ٢٨٨ - ٣٠٣) في الخزانة الملكية ج ٢، ص ١٤٢ تسلسل ١٣٦ مجموع ١٥٣٨، وهي مكتوبة بخط مغربي قديم مجدول في غاية الجودة بمداد أسود، وبعض العناوين بماء الذهب، أو بمداد أحمر^(١).

٣ - أدبه وشعره:

أقبل أبو بكر الحفيد على الأدب واللغة العربية، فبرع في كل ذلك أيما براعة، وعانى الشعر، فبلغ الإبداع فيه، وكان شديد الحافظة إلى درجة أنه كان يحفظ شعر ذي الرمة، وهو ثلث اللغة، وانفرد بالإجادة في نظم ضرب من ضروب الشعر يدعى: (الموشحات) التي فاق أهل المغرب على أهل بلاد المشرق العربي الإسلامي^(٢).

كان أبو بكر في مكان من اللغة رصين، فكلّف من قبل السلطان بالإشراف على جميع أقوال الأطباء، وأصحاب المنازل العليا لدى

(١) الخطابي، محمد العربي، «فهارس الخزانة الملكية»، كشاف مستنسخ لدى د. محمد بشير العامري.

(٢) ياقوت الحموي، «معجم الأدباء» (١٨ / ٢١٦).

أصحاب المغرب، مع رفعة القدر في النسب، ووفرة في الأموال والنسب^(١). اشتغل بعلم الأدب واللغة العربية في حين لم يكن هناك أعلم منه بمعرفة قواعد اللغة، ولقد وصف بأنه قد أتم صناعة الأدب، وعانى عمل الشعر وأجاد، ونظم موشحات، وكانت يغنى بها، وهي من أبدع ما نظم في ذلك^(٢)، حتى قيل: إنه بلغ الغاية، ونال الحظ الوافر من اللغة والأدب والشعر، وعلو المرتبة في العلاج عند الدولة، إضافة إلى ما تحلى به من سخاء وجود وحشمة^(٣). صحبه تلميذه ابن دحية زماناً طويلاً، واستحسن أشعاره، وتلذذ بها^(٤). وقيل عنه: «إنه كان أمام الوشاحين دون منازع»^(٥)، فاشتهر بعلمه الواسع بفروع الأدب العربي وأشعاره، واطلاعه الواسع كذلك على اللغة، وظهرت له موشحات عُدَّت من أبدع ما قيل في الفنون الرائعة التي نالت الثناء عليها في كل الأماكن، خلا غرابة أن أغرب^(*) بها أهل المغرب، وشدا بها المغنون^(٦).

(١) ابن دحية، «المطرب من أشعار أهل المغرب» (ص ٢٠٦).

(٢) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢١).

(٣) الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (٣٢٦ / ٢١).

(٤) المصدر نفسه (٣٢٦ / ٢١).

(٥) ابن الخطيب، لسان الدين، «جيش التوشيح» (ص ٢٧٣).

(*) أغرب: جاء بالشيء الغريب. د. إبراهيم أنيس وآخرون، «المعجم الوسيط» (٦٤٧ / ٢).

(٦) الدجيلي، عبد الصاحب عمران، «أعلام العرب» (٢٠ / ٢).

لقد سمت مكانة أبي بكر الحفيد لا لمقدرته الطبية، وإنما لتفوقه في فروع الآداب العربية، وإليه نسبت أشعار كثيرة وجميلة، ومنها موشحات غنية، ومفعمة بالعواطف الرقيقة^(١).

لقد اشتهر أبو بكر الحفيد بن زهر بأدبه أكثر من اشتهاره بالطب، وبذا يتضح أن الحضارة العربية الإسلامية، وما تميزت به من تطور في شتى ضروب العلم والاجتهاد فيه بترجمة كتب الأقدمين وتبويبها وشرحها، والتأليف والكشف والإضافة إليها... وقد ازدهرت في المشرق إبان حكم العباسيين في أزهى عصر من عصور التاريخ، كما كانت قرطبة في المغرب تحاكي بغداد وتمائلها تحت حكم بني أمية، ولم تخلُ بقية البلدان العربية آنذاك من أن يسطع عليها نور هاتين العاصمتين، حيث ظهر في دمشق ومصر عدد كبير من الأطباء والعلماء الذين شاركوا في رفع مشعل الحضارة العربية الإسلامية في تلك الحقبة^(٢).

إن لأبي بكر الحفيد ديوان شعر، واحتوت قصائده على معان رقيقة ومبتكرة^(٣)، وكان حجة في اللغة العربية، وفي الشعر على اختلاف أنواعه وأغراضه، بما فيه الموشحات، وقيل: إنه حصل على إجازة من صاحب

(١) حتي، فيليب، «تاريخ العرب» (مطول)، (٢/ ٦٨٧).

(٢) مراد، د. آمنة صبري، «لمحات من تاريخ الطب القديم» (ص ٢٦٩).

(٣) الشطي، شوكت، «مختصر تاريخ الطب» (ص ١٣٨).

«مقامات الحريري»^{(١)(*)}، وقيل عنه أيضاً: إنه كان مولعاً وشغوفاً بالأدب يحرق الكلاً من فمه عذبا، وكان - لحفظه القرآن والحديث أثر في حديثه ولفظه، تعلم صناعة الطب على أبيه، وأتقنه بالمراس والتجربة^(٢).

* نماذج من شعر الحفيد بن زهر:

وموسدين على الأكف خُودهم قد غالهم شربُ الصبوح وغالي
ما زلت أسقيهم وأشرب فضلهم حتى سكرت ونالهم ما نالني
والخمر تعلم كيف تأخذ ثأرها أني أملتُ إناءها فأمالني^(٣)

وأنشد شعراً في آخر عمره، فقال:

(١) التازي، عبد الهادي، «الدرس الافتتاحي لجامعة ابن زهر»، أغادير، (ص ١٨)، والحريري هو: أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري (المتوفى سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م). «المقامات الأدبية» للحريري، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية المصرية، ١٣٢٦هـ.

(*) ليس معقولاً البتة حصول ابن زهر على إجازة من الحريري إذا علمنا أن ولادة ابن زهر سنة ٥٠٧هـ، ووفاة الحريري (سنة ٥١٦هـ)^(*). (الباحث).

(٢) الزبيدي، طارق صالح، «التراث العلمي العربي الطبي» (ص ٣٤٣).

(٣) التجيبي، أبو بحر صفوان بن إدريس (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م)، «زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر»، أعده: عبد القادر محداد، نشر دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٠م، (ص ٧١).

(*) كما ورد في كتاب «المقامات الأدبية»، ط ١، مصر، ١٣٢٦هـ، لأبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري، (ص ٧).

إني نظرت إلى المرأة إذ جُلِيتُ فأنكرت مقلتاَي كلِّ ما رأتا
 رأيت فيها شَيْخاً لستُ أعرفُه وكنت أعهدُه من قبل ذاك فتى
 فقلت أين الذي بالأمس كان هنا؟ متى ترحل عن هذا المكان متى؟
 فاستجھلتي وقالت لي وما نطقت قد كان ذاك وهذا بعد ذاك أتى
 كان الغواني يقلن لي يا أخَيَّ وقد صار الغواني يقلن اليوم يا أبتا! ^(١)

قال ابن دحية: «صحبته زماناً طويلاً، واستفدت منه أدباً جليلاً
 وطلبت منه الإجازة في جميع تأليف سابقيه وتأليفه، وكل شعره ونثره،
 ومن شعره:

رمت كبدي أخت السِّماك فأقصدتُ ألا بأبي رام يصيبُ ولا يُخطي
 قريبةً ما بين الخلاخل إن مَشَت بعيدةً ما بين القلادة والقرط
 نِعِمْتُ بها حتى أتحت لنا النوى كذا شِيمُ الأيام تأخذ ما تُعطي ^(٢)

وأنشد الحفيد أبو بكر بن زهر لنفسه يتشوق إلى ولده الصغير
 الذي فارقه قائلاً:

ولي واحدٌ مثلُ فرخ القطا صغير تخلف قلبي لديه
 نأت عنه داري فيا وحشتي لذاك الشَّخِصُ وذاك الوُجَيه

(١) ياقوت الحموي، «إرشاد الأريب» (ص ٢١)، والياضي، «مرآة الجنان»
 (٣/ ٢٤٥).

(٢) ابن دحية، «المطرب من شعر أهل المغرب» (ص ٢٠٧).

تَشَوَّقُنِي وَتَشَوَّقْتُهُ فَيَكِي عَلَيَّ وَأَبْكِي عَلَيْهِ

وَقَدْ تَعِبَ الشُّوقَ مَا بَيْنَنَا فَمِنْهُ إِلَيَّ وَمَنِي إِلَيْهِ^(١)

وأوصى أنه عند وفاته يكتب على قبره الأبيات التالية التي فيها إشارة إلى طبه، ومعالجته للناس ومداواتهم، فقال:

تأمل - بحقِّكَ - يا واقفاً ولاحظ مكاناً دفعنا إليه

تراب الضريح على وجنتي كأني لم أَمْش يوماً عليه

أداوي الأنام حِذارَ المنون وها أنا قد صرت رهناً لديه^(٢)

ومن شعره أيضاً:

معنى خصبٍ ويابٍ مرتجٍ أبداً والزُّقُّ والدُّنُّ والإبريقُ والكأسُ

ولي حبيب متى أسري أقبله حلُّو الشمائل ما في لثمه بأسُ

فلإن تعذر أو عزَّتْ مطالبُهُ فالكأسُ والكيسُ وسواسُ وخناسُ^(٣)

وهذه قصيدة رائئة قوامها أربعة وعشرون بيتاً، تركت في نفس الباحث أثراً عميقاً، الأمر الذي حمله على أن يدونها بكاملها؛ نظراً لكونها - كما قال المراكشي عبد الملك - من الشعر الرائق الذي لا يتعاطى مثله إلا المجيدون من الشعراء، المتقدمون حلبة البلغاء.

قال الحفيد أبو بكر بن زهر - وقد بلغ تسعاً وثمانين سنة - يندب

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٤).

(٢) ابن خلكان، «وفيات الأعيان» (٤ / ١٣٦).

(٣) ابن سعيد الأندلسي، «رايات المبرزين وغايات المميزين» (ص ٤١ - ٤٢).

نفسه، ويدعو إلى الله في المتاب، والتجاوز عنه يوم الحساب، والمرد إليه والمآب:

عمر قصير ودنيا كلها غررٌ
وكل نفس لها من حتفها رصد
والموت لا بد منه فاستعدَّ له
فاختر لنفسك ما ترجو النجاة به
دع فانياً والتمس ما لا فناء له
ولا تغرنك الدنيا وزخرفها
وهذه الدار دارٌ لا خلاق لها
والناس منها على خوف وفي غرر
وهم على غفلةٍ معاً له خلقوا
عمَّوا وصمَّوا عن الأمر المبرر
وما أبرئ نفسي إذ ألومهم
إني لأعظمهم جرماً وأثقلهم
لكن رجوت وأرجو عفو ذي كرم
والعمر في كل يوم قطع مرحلة
تحدو بنا وتسوق غيرَ وانية
وكل ذنب فإن الله يغفره
جزت الثمانين زادت (..) تسعة كمالاً

والعيش في نكد والموت منتظرٌ
ليس الفرار بمنجيها ولا الحذرُ
وبعده جنة الفردوس أو سقرُ
وانظر لها قبل أن يفوتك النظر
إن كنت تعلم ما تأتي وما تذرُ
عن المعادِ هناك الشأن والخبرُ
وجودها عدمٌ وصفوها كدرُ
محبب الناس ذاك الخوف والغررُ
مثل البهائم إلا أنهم بشرُ
حتى كان ما لهم سمعٌ ولا بصرُ
فكلنا وازرٌ وساء ما وزروا
حملاً، وما لي من عذرٍ فأعتذرُ
ورحمةً في يديه النفع والضررُ
في إثر مرحلةٍ كأنه سفرُ
إلى مصارعنا الآمال والبكرُ
إن شاء والشركُ ذنبٌ ليس يُغفرُ
يا ليت شعري ماذا بعد أنتظرُ

فَوَحَّدِ اللَّهَ لَا تَشْرِكْ بِهِ أَحَدًا اللَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنْهُ وَلَا وَزَرَ
وَفَرَّ مِنْهُ إِلَيْهِ رَيْمًا وَعَسَى وَاَعْمَلْ بِطَاعَتِهِ مَا سَاعَدَ الْعَمْرُ
لَيْسَ النِّجَاةُ بِأَعْمَالٍ وَإِنْ حَسَنْتَ بَلْ رَحْمَةُ اللَّهِ مِنْجَاةٌ وَمُدْخَرُ
يَا وَيْلَتَا مِنْ ذُنُوبٍ جَزَّهَا قَدْرُ فَلَمْ أَطُقْ رَدَّ شَيْءٍ جَرَّهُ الْقَدْرُ
يَا وَيْلَتَا مِنْ ذُنُوبٍ إِنْ تَكُنْ كَثُرَتْ فَإِنَّهَا عِنْدَ رَبِّ الْعَرْشِ تُخْتَقَرُ
سَبْحَانَ مَنْ هُوَ لَا تُحْصَى مُحَامِدُهُ وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَوْهَامُ وَالْفِكَرُ
سَبْحَانَ مَنْ سَبَّحَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَمَا فِيهَا وَمَا تَحْتَهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ^(١)

وَمِنْ نَظْمِهِ الرَّائِقِ أَنْشَدَ أَبُو بَكْرٍ الْحَفِيدُ بْنُ زَهْرٍ الْأُيَااتِ التَّالِيَةَ:

لِلَّهِ مَا فَعَلَ الْغَرَامَ بِقَلْبِهِ أَوْدَى بِهِ لِمَا أَلَمَّ بِلُبِّهِ
يَأْبَى الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ لِعَجْبِهِ رَدَّ السَّلَامِ وَإِنْ شَكَّكَتْ فَعَجْبُ بِهِ
ظَبْيٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ مَا تَرَكْتُ ضَنْيَ الْحَاضِظِهِ مِنْ سَلْوَةٍ لِمَحَبِّهِ
إِنْ كُنْتَ تَنْكَرُ مَا جَنَى بِلِحَاضِهِ فِي سَلْبِهِ يَوْمَ الْغَوَايِرِ فَسَلْ بِهِ
يَا مَا أُمِيلَحُهُ وَأَعَذِبَ رَيْقَهُ وَأَعَزَّهُ وَأَذَلَّنِي فِي حَبِّهِ
بَلْ مَا أَلْيَطَفَ وَرَدَةً فِي خَدِّهِ وَأَرْقَاهَا وَأَشَدَّ قَسْوَةَ قَلْبِهِ^(٢)

(١) المراكشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري (ت ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م)، «الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة»، السفر السادس، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط ١، ١٩٧٣م، (ص ٤٠١ - ٤٠٢).

(٢) الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (٣٢٦ / ٢١).

ومن الشعر المنسوب إلى أبي بكر بن زهر قوله في كتاب جالينوس
المسمى «حيلة البرء»، وهو من أجل كتبهم وأكبرها:

حيلة البرء صنعةٌ لعليلٍ يترجى الحياةَ أو لعليله
فإذا جاءت المنيّةُ قالت حيلة البرء: ليس في البرء حيلة^(١)

وله يتشوق إلى ابنه:

ولي واحدٌ مثل فرخ القطاة صغيرٌ تخليت قلبي لديه
أحن إليه فيا وحشتي لذاك الشَّخِصَ وذاك الوجْه^(٢)
وله أيضاً:

يا من يذكرني بعهد أحبتي طاب الحديثُ بذكرهم ويطيبُ
أعدِ الحديث عليّ من جناته إن الحديث عن الحبيب حيبُ
ملاً الضلوع وفاض عن أحنائها قلبٌ إذا ذكر الحبيب يذوبُ
ما زال يخفق ضارباً بجناحه يا ليت شعري هل تطيرُ قلوبُ^(٣)
* أدبه وموشحاته:

ابتداءً: من المفيد أن يُعطى تفسير لمعنى الموشحات. فالموشحات

(١) الصفدي، «الوافي بالوفيات» (٣٩ / ٤).

(٢) ابن الخطيب، لسان الدين، «جيش التوشيح» (ص ٢٧٣)، وعلي بن أبي زرع
الفاسي «الأنيس المطرب» (ص ٢٠٧).

(٣) المقرئ، «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» (١٩ / ٥).

هي: ضربٌ من الأساليب الشعرية ابتدعه الشعراء الأندلسيون المبدعون، وهذا النوع من الشعر على أوزان البحور تلك التي استنبطها الخليل [بن أحمد الفراهيدي]، بيد أنها مرة تكون من بحر البسيط، وأخرى من المجثث، وثالثة من المتقارب، وهكذا كانت كلها في بدء اختراعها في بلاد المغرب، فاستحسنها أهل المشرق، فقلدوا فيها أهل المغرب، ولعلهم فاقوهم في أمرها، وكانت جميعها - في أول أمرها - مبنية على القواعد الإعرابية، فكثرت تداول الناس لها، فخرجوا عن قواعد الإعراب، وخلفها الزجل، فكثرت، وانتشرت حتى طغى على الإعراب عبر الأزمان المختلفة، وعلى من أراد الزيادة في التعرف عليها، فليراجع «مقدمة ابن خلدون» الذي توسع في القول فيها^(١).

ويحسن أيضاً أن يعرف الباحثون والدارسون من هو مخترع الموشحات ومستنبط طريقتها؟ فأول رواية بين يدي الباحث تشير إلى أن أول من صنع أوزان هذه الموشحات واخترع طريقها هو (محمد بن حمود القبري الضرير) . . . وقيل: إن ابن عبد ربه صاحب كتاب «العقد الفريد» هو أول من سبق إلى هذا الضرب من الموشحات، ثم ظهر يوسف بن هارون الرمادي، فهو أول من أكثر فيها . . . واستمر على ذلك بشعراء عصره؛ كمكرم بن سعيد، وابني أبي الحسن، ثم ظهر عبادة،

(١) ياقوت الحموي، «معجم الأدباء» (١٨/٢١٦، هامش ١)، المحقق:

عبد الخالق.

فأحدث شيئاً من التغيير فيها، وهي أوزان أكثر الأندلسيون من استعمالها في الغزل والنسيب، تشق على سماعها مصونات الجيوب، لا بل القلوب^(١).

وذهب ابن خلدون إلى أن المخترع للموشحات بجزيرة الأندلس هو مقدم بن معافر الفريري، من شعراء الأمير عبدالله بن محمد المرواني، وأخذ عنه الموشحات: أبو عبدالله أحمد بن عبد ربه، ولكن لم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر، وكسدت موشحاتهما إلى أن ظهر عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صُماح صاحب المرية، الذي ادعوا أنه لم يسبقه وشَّاح من معاصريه من الطوائف. وقيل: إن أهل هذا الأمر بالأندلس يذكرون أن ثلَّة من الوشاحين اجتمعوا بمجلس في إشبيلية، فاصطنع كل منهم موشحةً، وتأنق فيها، فتقدم الأعمى الطليطلي للإنشاد، فقال:

ضاحكٌ عن جمان، سافرٌ عن دُرٍّ ضاقَ عنه الزمانُ، وحواءُ صدري

صرف ابن بقي موشحته، وتبعه الباقيون، وذكر الأعلام البطليوسي

أنه سمع ابن زهير^(*) يقول:

أما ترى أحمد، في مجده العالي لا يُلحَقُ أَطْلَعَهُ الغربُ فأرنا مثله يا مشرق^(٢)

(١) ابن بسام الشتريني، «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» (ص ١).

(*) لعله يقصد (ابن زهر) وإن هذا وقع سهواً من قبل النساخ. (الباحث).

(٢) ابن خلدون، «المقدمة» (ص ٥٨٣).

إن محاولات نظم الموشحات بدأت في بداية القرن الثالث للهجرة، إلا أنها فشلت، ومن الشعراء الذين حاولوا: مقدم بن معافى القبري^(*)، ومحمد بن محمود القبري.

وأبو عمر أحمد بن عبد ربه، ثم جاء بعدهم يوسف بن هارون، وغير هؤلاء كثير^(١).

ويمضي النواجي، شمس الدين بالقول معتبراً الشاعر الأندلسي (عبادة بن ماء السماء) الرائد الأول للموشحات، برغم المحاولات التي سبقته وفشلت في اختراع الموشحات، وأردف يقول: «ومع الأسف، فإن أكثر موشحاته قد ضاعت، أو نسبت لغيره، ولم يبق منها إلا القليل»^(٢).

أشار أحمد هيكمل - في حديثه عن مخترع الموشحات - إلى أن بعض الباحثين قد عزا اختراع الموشحات إلى الشاعر العباسي عبدالله ابن المعتز، وذلك لورود موشحة في ديوانه المطبوع، وابن المعتز كان

(*) يبدو أن تصحيفاً قد وقع على اسم (مقدم بن معافى القبري) عند ابن خلدون، فصار: (مقدم بن معافى القبري) عند شمس الدين محمد بن حسن النواجي، والأرجح هو الأول. (الباحث).

(١) النواجي، شمس الدين محمد بن حسن، «عقود اللآل في الموشحات والأزجال»، تحقيق: عبد اللطيف الشهابي (ص ٥).

(٢) المصدر نفسه (ص ٦).

معاصراً لـ (مقدم بن معافى) الذي قيل : إنه هو مخترع الموشحات،
برغم عدم وجود أي شيء من موشحات هذا الرجل ، في حين يحتوي
ديوان ابن المعتز على موشحة ، وهذا الأمر الذي أوهم بأن ابن المعتز هو
صاحب أول موشحة ، وأن اختراع الموشحات كان في المشرق ، والواقع
أن ابن المعتز لم يخترع الموشحة ، ولم يقلها ، وإنما هي تعود إلى شاعر
أندلسي وشاح هو (ابن زهر الحفيد)^(١) ، ووردت هذه الموشحة منسوبة
إلى هذا الأندلسي في العديد من المصادر الموثوق بها ؛ كـ «جيش
التوشيح» لابن الخطيب ، و«المغرب» لابن سعيد ، و«معجم البلدان»
لياقوت ، و«طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة^(٢) . وكان لسان الدين بن
الخطيب قد اطلع على فصل الموشح في «مقدمة تاريخ ابن خلدون» ،
فاستنتج تأكيد ما أورده ابن خلدون من أخبار حول هذا الموضوع أن ابن
زهر لم يكن شاعراً فحسب ، وإنما كان نقادة ذواقة ، عارفاً بما هو جيد
من النظم^(٣) .

ومما يؤكد سلامة ما ذهب إليه ابن الخطيب من تقييم أدبي وشعري

(١) «الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة» ، دار المعارف ، القاهرة ،
١٩٧٩م ، (ص ١٤٥) ، وتنظر ترجمته في ابن أبي أصيبعة ، «عيون الأنباء في
طبقات الأطباء» ، (ص ٥٢١) .

(٢) «الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة» (ص ١٤٥) .

(٣) «جيش التوشيح» (ص ٢٧٣) .

لأبي بكر بن زهر: ما أورده ابن خلدون في «المقدمة» حيث قال: «قليل لابن زهير [هكذا]: لو قيل لك: ما أبدع وأرفع ما وقع لك في التوشيح؟ قال: كنت أقول:

ما للمولّه من سكره لا يُفِيّق ياله سكران من غير خمر يا للكتيب المشوق جذب الأوطان

هل تستعاد أيامنا، بالخليج، وليالينا

أو تستفاد من النسيم الأريج مسك دارينا

وإد يكاد حسن المكان البهيج أن يحييّننا

نهرًا ظله دوح عليه أنيق مورك فينان والماء يجري وعائم وغريق من جنى الريحان^(١)

وأخيراً: فالموشحات أصلها عربية أندلسية صرفة، وإن نشأتها الأولى ونموها كان يعتمد على تأثرها بأنماط: المزدوج، المثلث، المربع، والمخمس؛ حيث كان البيت منها يبنى على قافية موحدة، وهي أنماط آتية من الشرق إلى الأندلس قبل نهاية القرن الثالث للهجرة، وذلك لأن رواد حركة التجديد في صياغة القصيدة العربية المتطورة هم الشعراء المحدثون في زمن بني العباس الذين سبقوا أصحاب الموشحات في المغرب^(٢).

(١) «مقدمة ابن خلدون» (ص ٥٨٥ - ٥٨٦).

(٢) النواجي، شمس الدين، «عقود اللآل في الموشحات والأزجال» (ص ٥).

الآراء هذه لمحقق «عقود اللآل» عبد اللطيف الشهابي.

نماذج من موشحات أبي بكر بن زهر (الحفيد):

١ - المركب قفله من جزأين:

شمس قارنت بدرأ	راح	ونـــــــديم
أدر أكؤس الخمر	عنبر النّشر	إن الروض ذو بشر
وقد درّع النّهر	هــــبــــوب	النـــــــسيم
وسلّت على الأفق	يدُ الغرب والشرق	سيوفاً من البرق
وقد أضحك الزّهر	بكــــاء	الغيــــوم
ألا إن لي مولى	تحكم فاستولى	أما إنه لولا
دموع تفضح السّرا	لكنــــت	كتــــوم
أنى لي كتمان	ودمعي طوفان	شبت فيه نيران ^(١)

٢ - المركب قفله من ثلاثة أجزاء:

حلّت يد الأمطار	أزّرة النّوّار	فياخذني
اشرب طاب الصبوح	في ذا اليــــوم	لــــوم
في روضة تفوح	لــــدى الغــــيم	لــــيم
قد أشرقت تلوح	لــــذي القــــوم	لــــوم
ووجه ذا النهار	مغطى بخمار	من الدجن
ظلمت إذا بعُدَتْ	عن الصــــبّ	لــــوم

(١) ابن سناء الملك، «دار الطراز» (ص ٦٠ - ٦١).

فَعَدُّ كَمَا قَدْ كُنْتَ إِلَيَّ قَرِيبِي
 غَدَرْتُ وَنَفَرْتُ فِي جَبِّي
 أَفْدِيكَ مِنْ غَدَارٍ تَدِينُ بِالْغَارِ وَلَا تَتَدْنِي
 هَذَا الْهَوَى يَجُورُ فَمَا صُنْعِي
 قَدْ ضَاقَ يَا مَنْصُورُ بِهِ ذَرْعِي
 إِذْ لَيْسَ لِي نَصِيرُ سَوَى دَمْعِي
 فَيَا ضَعْفَ انْتِصَارِي إِذْ أَدْمَعِي أَنْصَارِي عَلَى حَزْنِي^(١)

٣- المركب قفله من خمسة أجزاء:

يَا مَنْ أَجُودُ وَيَبْخُلُ عَلَى شَحِيٍّ وَافْتِقَارِي
 أَهْـوََاكَ وَعِنْدِي زِيَادَةٌ مِنْهَا شَوْقِي وَادْكَارِي
 أَمَا اسْتَحَى مَطَالُكَ مِنْ طَوْلِ مَا أَشْتَكِيهِ
 وَهَلَا كَانَ وَصَالُكَ أَدْنَى لِمَنْ يَرْتَجِيهِ
 وَأَيْنَ غَابَ خِيَالُكَ قَدْ سَاحَتِ الْمِزْنَ فِيهِ
 وَلَا تَقُلْ رُبَّمَا ضَلَّ أَثْنَاءَ تِلْكَ الْمَسَارِي
 ذَكَرَكَ قَدْ أَوْرَى زَنَادَهُ مِنْ وَجْدِي وَمِنْ أَوَارِي
 أَنَا الْمَشْتَاقُ الْمُعْنَى وَلَكِنِّي لَا أَبْـوَحُ
 إِنْ كَانَ لِلْكَتْمَانِ مَعْنَى فَلِي لَفْظُهُ الْفَصِيحُ

(١) ابن سناء الملك، «دار الطراز في عمل الموشحات» (ص ٦٢).

يا من جنى وتَجَنَّى شكوى لو كانت تريح
صِلْ وما أراك تفعل ولكن عيل اصطباري^(١)

ومن أشهر ما نظم أبو بكر بن زهر موشحته التي طار صيتها في
الآفاق، وشدا بها المغنون والمطربون، وأبدع بها الملحنون، وهي:

أيها الساقى إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

ونديم همث في غرته

وشربت الراح من راحته

كلما استيقظ من سكرته

جذب الزق إليه وأتكا وسقاني أربعا في أربع

غصن بان مال من حيث استوى

بات من يهواه من فرط الجوى

خفي الأحشاء موهون القوى

كلما فكر في البين بكى ماله يكي بما لم يقع

ليس لي صبر ولا لي جلد

يا لقومي هجروا واجتهدوا

أنكروا شكواي مما أجد

(١) ابن سناء الملك، «دار الطراز في عمل الموشحات» (ص ٦٤ - ٦٥).

مثلُ حالي حَقُّه أن يشتكى كمد اليأس وذللَّ الطَّمَعُ^(١)

قال ابن دحية - متحدثاً عن الموشحات الأندلسية -: «هي زبدة الشعر، وخلاصة جوهره وصفوته، وهي من الفنون التي أغربت بها أهل المغرب على أهل المشرق، وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضيء المشرق، فمن ذلك قول [الشيخ أبي بكر بن زهر]:

سَدَلْنَ ظِلَامَ الشُّعُورِ عَلَى أَوْجِهٍ كَالْبَدُورِ

سَفَرْنَ فَلَاحَ الصَّبَاحِ

هَزَزْنَ قَدُودَ الرِّمَاحِ

ضَحَكْنَ ابْتِسَامَ الْأَقْصَاحِ

كَأَنَّ الَّذِي فِي النُّحُورِ تَخِيرْنَ مِنْهُ الثُّغُورُ

سَلُّوا مَقْلَتِي سَاحِرِ

عَنِ السُّحْرِ وَالسَّاحِرِ

وَعَنْ نَظَرِ حَائِرِ

يَرِيشُ سَهَامَ الْفُتُورِ وَيَرْمِي خَيَابَا الصُّدُورِ

لَقَدْ هَمَّتْ وَيَحْيِي بِهَا

وَكُلَّ قَلْبِي لَهَا

أَمَّا وَالْهُوَى إِنَّهَا

(١) ياقوت الحموي، «إرشاد الأريب» (ص ٢٢)، «معجم الأدباء» (١٨ / ٢١٨).

لظبي كِناسِ نفورُ تغاورُ عليه الخدور
 حُرْمَتُ لذيذِ الكرى
 سَهْرَتُ ونام الـورى
 تُرى لیت شعري تُرى
 أساعات ليلي سهورُ أم الليلُ حولي يدورُ
 ظفرت بـصبِّ كئيبُ
 فنكدُ وعذبُ وجورُ أسرف غلامك صبورُ^(١)

وقال ابن زهر الحفيد:

قلبي من الحبِّ غير صاح	صاح
وإن لحاني على الملاح الملاح	لاح
وإنما بغية اقتراحـي	راحي
وإن درى قصـتر وشافـي	شافي
وبي من الحب قد تسلسل	سلسلُ
في صورة الدمع بعدما انهل	منهلُ
والعود عندي لمن تأول	أولُ
فالحسن فيه على المثاني	ثاني
يا أم سعدٍ باسم السعود	عودي

(١) «المطرب من أشعار أهل المغرب» (ص ٢٠٤ - ٢٠٥).

وبعد حين من الهجود	جودي
على ملك تحت البنود	نودي
فقال إني ممن دعاني	عاني
وناظري ناضر المحيّا	حيّا
أراك من قوله أليّا	ليّا ^(١)

إن أحسن موشحة من موشحات أبي بكر (الحفيد) بن زهر موشحته التي أولها:

مَدَّ الخليج ورفَّ الشجرُ لقد تباهى منظر ومختبر
وموشحته التي أولها:

مال للمولّاه من سكره لا يفيق يالهُ سكران
وموشحته التي أولها:

أيها الساقى إليك المشتكى كم دعوناك وإن لم تسمع^(٢)
لقد بزَّ أبو بكر بن زهر معاصريه من الشعراء في فن التوشيح،
وكان السابق في الحلبة، وقد شرّقت موشحاته وغرّبت، وقيل له: ما أبدعُ
ما وقع لك في التوشيح؟ فقال: كنت أقول:

(١) النواجي، شمس الدين محمد بن حسن، «عقود اللآل في الموشحات والأزجال» (ص ١٧٤).

(٢) الحجاري، أبو محمد وآخرون، «المغرب في حلى المغرب» (ص ٢٦٦).

ما للموَلِّهِ	من سكره لا يفيق	يأله سكران
من غير خمر	ما للكئيب المشوق	يندب الأوطان
هل تستعاد	أيامنا بالخليج	وليالينا
إذ يستفاد	من النسيم الأريج	مسك دارينا
وإذ يكاد	حسن المكان البهيج	أن يحيننا
روضٌ أظْلَلَهُ	دوحٌ عليه أنيق	مورق الأفنان
والماء يجري	وعائم وغريق	من جَنَى الريحان ^(١)

ومن موشحاته قوله :

سَلَّمَ الأمرَ للقضا فهو للنفْس أنفعُ
واغتمَّ حينَ أقبلا وجهُ بدرٍ تهللا لا تقل للهموم لا
كل ما فات وانقضى ليس بالحزن يرجع
واصطحب بابتة الكروم من يدي شادن رخيم حين يفتر عن تنظيم
فيه برق قد أومضا ورحيقٌ شعشعُ
أنا أفديه من رشا أهيف القد والحشا سقي الحسن فانتشى
مذ تولى وأعرضا ففؤادي يقطّع^(٢)

(١) المقري، «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» (٩ / ٢٤٤ - ٢٤٥)، تحقيق: البقاعي.

(٢) المقري، «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» (٩ / ٢٤٤ - ٢٤٥)، تحقيق: البقاعي.

لقي أبو بكر الحفيد بن زهر معاصره الشيخ الفقيه الحافظ محيي الدين أبا محمد عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي (المتوفى سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م) صاحب كتاب «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» لقيه سنة (٥٩٥هـ / ١١٩٨م)، فأنشده لنفسه شعراً، قال:

لاح المشيب على رأسي فقلت له الشيب والعيب لا والله ما اجتماعا
يا ساقِي الكأس لا تعدلْ إليَّ بها فقد هجرتُ الحُمَيَّا والحميمَ معاً^(١)
وفي آخر المطاف في البحث في مجالات شعر وأزجال وموشحات أبي بكر محمد الحفيد بن أبي مروان عبد الملك بن زهر يحسن الوقوف عندما ذكره (أنخل جنتالث بالنثيا) حول النشاط الأدبي لابن زهر حيث يقول: «وقد نظم أبو بكر بن زهر الطيب أزجالاً وموشحات بلغت من الكمال مبلغاً جعل الناس يروونها كنماذج لهذين الفنين، بيد أننا لا نجد بين أيدينا من هذه الأزجال والموشحات إلا أطرافاً قليلة وردت متناثرة في الكتب، فيما خلا «ديوان ابن قزمان» الذي وصلنا كاملاً على وجه التقريب، وهو لهذا يعطينا أكمل فكرة عما كان عليه فن الزجل»^(٢).

* وفاة أبي بكر بن زهر الحفيد:

كان ذلك صباح الخميس ٢٩ من ذي الحجة (٥٩٥هـ / ١٤ أكتوبر

(١) «المعجب في تلخيص أخبار المغرب»، مطبعة السعادة، مصر ١٩٠٦م، (ص ٥٥).

(٢) «تاريخ الفكر الأندلسي» (ص ١٥٧).

١١٩٩م^(١)، وقيل: سنة (٥٩٦هـ / ١١٩٩م)، ودفن بمقابر الشيوخ، وقد قارب التسعين من العمر^(٢). وقيل: آخر سنة خمس وتسعين وخمس مئة^(٣)، وكانت وفاته بمدينة مراكش بإجماع المصادر والمراجع المتيسرة للباحث^(٤).

أما كيفية وفاته: فلقد كان أبو زيد المدعو (عبد الرحمن بن يوجان) أحد وزراء المنصور الموحيدي يكره الحفيد أبا بكر بن زهر، ويعاديه، ويحسده؛ نظراً لما يلاحظه من عظم أمره، وعلو منزلته، وغزارة علمه، فدبر له حيلة في أن دسَّ إليه سماً جعله مع أحد من كان يقوم بخدمة الحفيد بن زهر، فهيأة بصفة طعام، وقدمه إلى الحفيد بن زهر في بيض، وصادف أن كانت مع أبي بكر أيضاً أخته، وكانت أخته وابنتها هذه عالمتين بصناعة الطب وبالمداواة، ولهما خبرة واسعة فيما يخص أمراض

(١) ابن صاحب الصلاة، عبد الملك، «تاريخ المن بالإمامة» (ص ٤٧٧)، هامش
(٢) ابن الأبار، «التكملة على الموصول والصلة»، رقم (٨٥٥) التعليق رقم
(٣)، (ص ٤١٠).

(٢) ياقوت الحموي، «إرشاد الأريب» (ص ٢٢)، «معجم الأدباء» (١٨ / ٢١٨).
(٣) ابن دحية، «المطرب من شعراء أهل المغرب» (ص ٢٠٧)، ابن خلكان،
«وفيات الأعيان» (٤ / ٤٣٤).

(٤) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٢)، الحجاري،
«المغرب في حلى المغرب» (ص ٥٦٦ هامش ٢)، الذهبي، «سير أعلام
النبل» (٢١ / ٣٢٦)، الصفدي، «الوافي بالوفيات» (٤ / ٤٠).

النساء ومعالجتهن، وكانتا تدخلان إلى نساء المنصور، ولا يقبل للمنصور وعائلته ولادة إلا أخت الحفيد، أو ابنتها بعد ما توفيت أمها، وعندما تناول الحفيد من ذلك البيض وأخته ماتا، ولم ينفع فيهما علاجات. ومات أبو زيد عبد الرحمن بن يوجان قتلاً مع البعض من ذويه^(١).

وفي رواية لعلي بن أبي زرع الفاسي تنص على أن وفاة أبي بكر ابن زهر كانت في الحادي والعشرين من ذي الحجة من سنة خمس وتسعين وخمس مئة، وقد بلغ من العمر أربعاً وتسعين سنة^(٢)، مختلفاً مع رواية ياقوت الحموي الواردة في الصفحة السابقة، ومع رواية ابن أبي أصيبعة التي تقول: «وكانت وفاته - رحمه الله - في عام ستة وتسعين وخمس مئة بمراكش، وقد أتاها ليزور بها، ودفن بها هناك في الموضع المعروف بمقابر الشيوخ، وعُمر نحو الستين سنة»^(٣)، وذهب الصفدي إلى القول: «توفي بمراكش، وقد قارب السبعين»^(٤).

وكما اختلفت المصادر التاريخية في تحديد تاريخ وفاة أبي بكر الحفيد، اختلفت بعض المراجع هي الأخرى في هذا الصدد. فقد أشار عبد العزيز بن عبد الله إلى أن وفاته كانت عام (٥٧٦هـ / ١١٨٠م)، أو

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٤).

(٢) «الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس» (ص ٢٠٧).

(٣) «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٢).

(٤) «الوافي بالوفيات» (٤ / ٣٩).

(٥٩٥هـ / ١١٩٨م)^(١)، وهذان تاريخان متباعداً نسبياً، ولم يشتر بنعبدالله إلى سنده الذي نقل عنه التاريخ (٥٧٦هـ)، وجاء شوكت الشطي بتقدير سني عمره بـ (ستين سنة)^(٢).

اتفق أن توفي ثلاثة من مشاهير العلماء العرب المسلمين في سنة واحدة سنة (٥٩٥هـ / ١١٩٨م)، وهم كل من: ابن البيطار، وعبد الملك ابن زهر^(*)، وابن رشد، وكان قد سبقهم إلى الدار الآخرة ابن طفيل [٥٨١هـ / ١١٨٥م]، وأبو مروان بن زهر، وبوفيات هؤلاء العلماء توفيت الحكمة في أرض الأندلس، فهم الذين كانوا نقشاً جميلاً إطاره تلك البقعة المباركة، وهم الذين سطعت شمسهم في مطلع القرن السادس للهجرة، وغابت بنهايتهم^(٣).

الواقع أن وفاة الطبيب الشهير أبي بكر بن زهر كانت بمثابة حدث كبير في تاريخ مدينة مراكش، وهذا الحدث الجلل عاشته المدينة المذكورة على غرار ما يقع في بعض الأحيان من أحداث كبرى يتفاجأ

(١) أسرة بني زهر، «كتاب التيسير لأبي مروان عبد الملك بن زهر» (ص ٣٠).

(٢) «مختصر تاريخ الطب» (ص ١٣٨).

(*) إن الطبيب الذي توفي في سنة ٥٩٥هـ من بني زهر هو: أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر، وليس عبد الملك بن زهر؛ لأن وفاة عبد الملك بن زهر كانت (٥٥٧هـ / ١١٦١م). تنظر: (ص ٢٣٧) (الباحث).

(٣) جمعة، محمد لطفي، «تاريخ فلاسفة الإسلام»، القاهرة ١٩٢٧م، (ص ١١٩).

بها الخاص والعام .

جاء أبو بكر الحفيد هذه المرة إلى مراكش من إشبيلية بقصد التعزية أولاً في المنصور . . . جاء ليعزي ابنه الناصر الذي تسنم عرش الحكم الذي تقبّل منه المواساة، وتصور (يوجان) أن أبا بكر الحفيد سيحتل لدى الخليفة الجديد نفسه المكانة التي كانت له مع الخليفين الراحلين، وهكذا كانت الجريمة المنكرة التي حزن كل أهل مراكش الذين ساروا في موكب جنازته، وكان في مقدمة الموكب الخليفة الناصر، وهذه مبادرة لم يشهدها التاريخ في أيامه المعتادة^(١).

مما تقدم يستتج: أنه مهما يكن، فلقد كان أبو بكر محمد الحفيد ابن زهر عظيماً في حياته، كما أنه كان - بلا شك - عظيماً أيضاً في مماته، ورحم الله جلال الدين الرومي عندما يقول: «إذا متُّ فلا تبحثوا عن قبري في التراب، ولكن ابحثوا عنه في قلوبكم»^(٢).



(١) التازي، عبد الهادي، «ابن زهر الحفيد»، الدرس الافتتاحي للسنة الأكاديمية

(١٩٩٧ - ١٩٩٨م)، (ص ٣٧).

(٢) المرجع نفسه (ص ٣٨).

الْفَضْلُ السَّامِرِيُّ

الطَّبِيبُ أَبُو مُحَمَّدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَفِيدِ،

وَالطَّبِيبَةُ أُخْتُ الْحَفِيدِ

ت: ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م

أ - أبو محمد عبدالله بن الحفيد :

تعريف به :

هو المكنى بـ: (أبي محمد) عبدالله بن الحفيد أبي بكر محمد بن عبد الملك بن أبي العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر^(١). وَصِفَ بأنه نير في سماء، وكوثر في عذب الماء، نشأ في بيت مزدحم الإيوان، وأسس بين نجوم المجرة بيت شموخه وعلاه، ولا يقنع إلا أن يكون في أول القافلة، ولقد طالما كسب الفوائد الغزيرة، وهو المعروف بسهره الليلي في طلب العلم^(٢)، أخذ الطب عن أبيه أبي بكر محمد الحفيد بن زهر^(٣).

كان أبو محمد عبدالله جميل الصورة، مفرط الذكاء، محمود

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون «الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٨).

(٢) العمري، ابن فضل الله، «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» (ص ٣٢٧).

(٣) السامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ١٨٧).

الطريقة، كثير الاعتناء والاهتمام بصناعة الطب، والتفكر بها، والنظر فيها^(١).

• مولده:

ولد أبو محمد عبدالله بن أبي بكر محمد الحفيد بن زهر في سنة سبع وسبعين وخمس مئة في مدينة إشبيلية^(٢)، وقيل: سنة سبع وستين وخمس مئة^(٣)، وقيل: سنة سبعين وخمس مئة^(٤). وقيل: ولد في إشبيلية عام ٥٧٨هـ، ونشأ طبيباً ناجحاً في خدمة الموحدين^(٥). وكان أبوه حيثنذ يعيش شيخوخته، فاهتم به اهتماماً شديداً، وقام بتثقيفه على يده في علمي الطب والأدب^(٦)، ولقد انتشر صيته، وذاعت شهرته مثل اشتهاً أسلافه^(٧).

كان الطبيب أبو محمد عبدالله بن الحفيد قد أخذ الطب عن أبيه الحفيد^(٨). وكان هذا الطبيب جيد الفطرة، حسن الرأي، وكان ميالاً إلى

(١) البدرى، عبد اللطيف، «الطب عند العرب» (ص ٨٨).

(٢) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٩).

(٣) البدرى، عبد اللطيف، «الطب عند العرب» (ص ٨٨).

(٤) وجدي، محمد فريد، «دائرة معارف القرن العشرين» (٤ / ٦٦٨).

(٥) فراج، د. عز الدين، «فضل علماء العرب على الحضارة الأوربية»، (ص ٢٥٤).

(٦) البستاني، فؤاد أفرام، «دائرة المعارف» (٣ / ١٤٥).

(٧) المعلوف، عيسى إسكندر، «الأسر المشتهرة بالطب» (ص ٢٢).

(٨) الزبيدي، طارق صالح، «التراث العلمي العربي الطبي» (ص ٣٤٣).

ارتداء الزي الفاخر، وعرف بأنه كان شديد المتابعة لصناعة الطب^(١).

* مكانته العلمية :

اهتم بعلم الأحياء، فقرأ كتاب «النبات» لأبي حنيفة الدينوري^(٢)، وكان كثير التحقق والتقصي لمعاني صناعة الطب، واشتغل في هذه الصناعة على والده، ووقفه والده على الكثير من أسرار علم وخفايا هذه الصناعة وعملها^(٣).

كان أبو محمد عبدالله بن الحفيد مقدراً عند الخليفة الناصر بن المنصور الموحيدي^(٤)، الذي كان يأخذ رأيه كثيراً، ويكثر من احترامه^(٥). وكان الطبيب أبو محمد بن الحفيد قد برع في الطب براعة قلّ من يلحقه فيها، وكان شديد النظر لدقائقها وخفاياتها^(٦).

* علاقته بسلاطين الدولة :

اقتضى الظرف المحيط بأبي محمد عبدالله بن الحفيد أن يحضر لدى

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٩).

(٢) هو أحمد بن داود بن حنيفة الدينوري، من علماء اللغة، وعالم في الحيوان والنبات، توفي سنة (٢٨١هـ، أو ٣٩٠هـ). ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء» (ص ٥٢٩، هامش ١).

(٣) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٩).

(٤) الدجيلي، عبد الصاحب عمران، «أعلام العرب في العلوم» (ص ٢١).

(٥) البدري، عبد اللطيف، «الطب عند العرب» (ص ٨٨).

(٦) وجدي، محمد فريد، «دائرة معارف القرن العشرين» (٤ / ٦٦٧).

الخليفة الموحيدي، ولما توجه إلى الحضرة، خرج منه فيما اشتراه وهياه لسفره ونفقاته في الطريق قرابة العشرة آلاف دينار. وعندما التقى الخليفة الناصر بالمهدية^(١) - عندما فتحها الناصر - صار يقدم له خدمة على العادة السائدة هناك حينذاك، وقال للخليفة: «إنني يا أمير المؤمنين بحمد الله بكل خير من إنعامكم وإحسانكم عليّ وعلى آبائي، وقد وصل إليّ مما كان بيد أبي من إحسانكم ما يغنيني مدة حياتي وأكثر، وإنما أتيت لأكون في الخدمة كما كان أبي، وأن أجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه بين يدي أمير المؤمنين»، فأكرمه الناصر إكراماً كثيراً، وبالح في ذلك، فأطلق إليه أموالاً ونعماً ما يتجاوز حدود الوصف. وكان مكانه في المجلس - عند حضوره - قريباً من الخليفة في الموضع الذي كان يجلس فيه والده أبو بكر الحفيد. فكان يأخذ مكاناً بقرب الخليفة الناصر: أبو عبدالله محمد بن الحسن بن أبي يوسف حجاج القاضي، وكان يجلس تلوه القاضي الشريف أبو عبدالله الحسيني، وكان يجلس جنبه أبو محمد عبدالله ابن الحفيد أبي بكر بن زهر، وكان يجلس إلى جانبه أبو موسى عيسى ابن عبد العزيز الجزولي صاحب المقدمة المشهورة في النحو المعروفة بـ «الجزولية»، وكان هذا في النحو يشتغل عليه أبو محمد عبدالله بن الحفيد، ويجلس بين يديه، ويتعلم منه، وكان الخليفة يعرف مقدار علم

(١) موضع في المغرب على ساحل الأوقيانوس الأطلسي، كان قديماً محطة للفينيقيين. «المنجد» (ص ٥١).

ابن الحفيد وبيتوته^{(١)(٢)}. وبذا يكون الخليفان الموحدان: المنصور،
والناصر قد ألحقاه ببلاطهما، وغمراه بفضلهما^(٣).

رُوي عن ابن الحفيد هذا ما يثير الغرابة، فلقد ادعى أنه رأى أخته
الميتة في المنام، وطلب منها أن تعرفه كم يكون عمره، فروت عليه
زاعمةً: «طابيتين ونصف»، والطابية هي: الخشبة التي يكون طولها
عشرة أشبار تستعمل للبناء، فقال لها: «أنا أقول لك الجِد، وأنت
تجيبيني بالهزاء؟!»، فردت عليه: «لا، والله! ما قلت إلا جِداً، وإنما أنت
ما فهمت، أليس أن الطابية عشرة أشبار، فانظر إلى الطابيتين ونصف:
خمسة وعشرون شبراً، فيكون عمرك خمساً وعشرين سنة»، فقيل له:
«لا تتوهم من هذا، فلعله أضغاث أحلام، فلم تكمل تلك السنة إلا وقد
مات، فكان عمره كما ذُكر، لم يزد، ولم ينقص»^(٤).

اشتهر أبو محمد عبدالله بن الحفيد بأنه كان طبيباً ماهراً، ولذا قربه
الخلفاء الموحدون، وعاش مكرماً في بلاطهم باعتباره طبيبهم الخاص^(٥).

* وفاته:

توفي الطبيب أبو محمد عبدالله بن الحفيد - رحمه الله - مسموماً

(١) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٩).

(٢) بيتوته: نسبه. المصدر نفسه (ص ٥٢٩).

(٣) بروفنسال وآخرون، «دائرة المعارف الإسلامية» (١ / ١٨٥).

(٤) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٩).

(٥) أمين، أحمد، «ظهر الإسلام» (٣ / ٢٤٢).

في سنة اثنتين وست مئة في مدينة «سلا»^(١) في الجهة المسماة بـ: (رباط الفتح)^(٢)، ودفن بها، وكان متوجهاً إلى مراكش، فجاءه الأجل المحتوم دونها، ثم نقل جثمانه من الموضع الذي دفن فيه إلى إشبيلية، ودفن عند آبائه بإشبيلية خارج باب الفتح، فكانت مدة حياته خمساً وعشرين سنة^(٣).

أكد أكثر من مصدر ومرجع على أن وفاة أبي محمد عبدالله بن الحفيد كانت بدس السم^(٤) إليه؛ مثلما جرى لوالده - رحمهما الله -، وكان ذلك سنة (٦٠٢هـ / ١٢٠٥ - ١٢٠٦م)، وخلف ولدين هما: أبو مروان عبد الملك، وأبو العلاء محمد، وعاشا في إشبيلية، وكان

(١) سلا: مرفأ على الأطلسي في المغرب، شمالي الرباط عند مصب وادي أبو الرقراق. ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٩، هامش ٤). المحقق: نزار رضا.

(٢) رباط الفتح: ميناء على الأطلسي، عاصمة المغرب، مدينة قديمة، يرتقي تاريخ تأسيسها الأول إلى الفينيقيين وخلفهم الرومان، وأسس الرباط الحالية عبد المؤمن السلطان الموحد (القرن ١٢م). لويس معلوف، «المنجد»، (ص ٢١٢).

(٣) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٩).

(*) إن مسألة وفاة ابن الحفيد تبدو يحيطها الغموض التام أكثر من حادثة وفاة أبيه التي كانت بدس السم أيضاً، ففي تلك كان المتهم الوزير عبد الرحمن بن يوحان، بينما هذه فالفاعل مجهول، أمل أن يكون هدفاً للباحثين بغية كشف النقاب عنه. (الباحث).

أصغرهما أبو العلاء محمد طيباً كذلك، وكان على علم صحيح بمؤلفات
وتصانيف جالينوس^(١).

وعلى ما يبدو: إن الطبيب عبدالله بن الحفيد ونجليه: أبا مروان،
وأبا العلاء انتهت بهم سلسلة أطباء بني زهر، وبذا تكون أسرة بني زهر
قد قدمت خدمة إنسانية جليلة زهاء القرن والنصف، أو يزيد^(٢).

وفي ختام الحديث عن الطبيب أبي محمد عبدالله بن الحفيد تجدر
الإشارة إلى بيت الشعر الآتي آنف الذكر في (ص ٣٧٨):

ولي واحد مثل فرخ القطا صغير تخلف قلبي لديه

أن هذا البيت هو للطبيب الشاعر الأديب أبي بكر محمد الحفيد بن
أبي مروان عبد الملك بن زهر، وليس كما أسنده د. شوكت الشطي إلى
أبي محمد عبدالله بن الحفيد^(٣)؛ إذ لم يعرف عن هذا الأخير أنه كان يُعنى
بنظم الشعر أو بالأدب.

ب - الطيبة أم عمرو أختُ الحفيد، وابتُتْها:

لقد أجمع المؤرخون على أن النساء في المجتمع الإسلامي - إضافة

(١) بروفنسال وآخرون، «دائرة المعارف الإسلامية» (١ / ١٨٥).

(٢) الزبيدي، طارق صالح، «التراث العلمي العربي الطبي» (ص ٣٤٣)،
والسامرائي، د. كمال، «مختصر تاريخ الطب العربي» (٢ / ١٨٧).

(٣) ينظر: ابن الخطيب، لسان الدين، «جيش التوشيح» (ص ٢٧٣)، أو الصفحة
(٢٤٧) من هذه الأطروحة. (الباحث).

إلى قيام بعضهن بأعمال التمريض ، ومداواة الجرحى في السلم والحرب -
برز منهن نساء تفوقن بعلم الطب وصناعته ، وثلن شهرة عظيمة بين
المشتغلين بالطب من العرب والمسلمين ، واشتهر منهن :

١ - زينب طيبة بني هود^(١) ملوك الطوائف بسرقسطة وما إليها^(٢) ،
كانت عارفة بالأعمال الطبية ، وخيرة بالعلاج ، ومداواة آلام العيون
والجراحات ، ومشهورة بين العرب بذلك .

٢ - رفيدة الأسلمية ، كانت طبيبة متميزة بعلم الجراحة ، أمرها
النبي ﷺ بإقامة خيمة في غزوة الخندق ؛ كي تقوم فيها بمداواة الجرحى .
والمؤرخون المسلمون يعتبرون تلك الخيمة كنواة للبيمارستانات
(المستشفيات) في الإسلام^(٣) .

٣ - كعيب بنت سعد الأسلمية ، وهي إحدى النجيبات المعدودات
من طبيبات العرب ، وكانت لها خيمة تداوي فيها المرضى ، وتعالج
الجرحى^(٤) .

٤ - أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجاني ، كانت امرأة واسعة

(١) هم ملوك شرقي الأندلس المقري ، «نفح الطيب» (١ / ٢٨٢) .

(٢) المقري ، «نفح الطيب» (١ / ٤٢٣) .

(٣) عيسى ، أحمد ، «تاريخ البيمارستانات في الإسلام» ، دمشق ١٩٣٩ م ،
(ص ٤٠) .

(٤) الشطي ، أحمد ، «العرب والطب» (ص ٤٠) .

الاطلاع، كثيرة المعارف، أجادت عدة علوم مع الطب، إلا أنها في الطب كانت الأبرز والأشهر^(١).

ومنهن: ابنة شهاب الدين بن الصائغ رئيس أطباء المارستان المنصوري^(٢).

واشتهرت نسوة عربيات في الطب في عهود ما قبل الإسلام، وما بعد ظهور الإسلام، واشتهر الكثير من الأطباء بطب النساء، فألف (يوحنا بن ماسويه) في عهد هارون الرشيد كتاباً بعنوان: «لِمَ امتنع الأطباء من علاج الحوامل في بعض شهورهن؟»، وكتاب «علاج النساء اللواتي لا يحملن»، وذلك في القرن الثالث للهجرة، وفي كتاب «كشف الظنون» لحاجي خليفة «علاج اللواتي لا يحملن»، وكتاب «تدبير الحبالى»^(٣).

أما في العصور الإسلامية المتأخرة، فقد ورد في أخبار الطب وتاريخه في الأندلس أن عدداً من الطبيبات قد ظهرن هناك، وبرعن في الطب والجراحة، وكنَّ يقمن بإجراء العمليات الجراحية فيما يتعلق بالنساء، فلقد أنيط بهن واجب التوليد للنساء الحبالى، وإبداء العون للأطباء في الأعمال الإنسانية المعروفة والمحدودة.

ومن أشهر مولدات الحوامل في الأندلس ممن خلّدهن التاريخ

(١) ابن الخطيب، لسان الدين، «الإحاطة في أخبار غرناطة» (ص ٢٦٥ - ٢٦٦).

(٢) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص ٥٢٤).

(٣) المعلوف، عيسى إسكندر، «تاريخ الطب عند العرب» (ص ٢٦).

الأندلسي^(*): السيدة (أم عمرو) أختُ الحفيد أبي بكر محمد بن عبد الملك بن زهر، وابنتها^(١)، فالنبوغ في الطب لم يقتصر على الرجال فقط، وإنما نبغ من النساء في هذه الصناعة عدد غير قليل، هذه المرأة منهن، وابنتها؛ إذ كانتا عالمتين بصناعة الطب والمداواة^(٢)، فلقد قيل: إن لهما آثار معالجات مفيدة^(٣).

ويذكر أن ابنة أخت الطبيب أبي بكر محمد (الحفيد) قد استمرت بقبالة نساء الأندلس، وخاصة حرم المنصور بعد وفاة أمها^(٤).
والجدير بالذكر أخيراً: أن أخت الحفيد أم عمرو كانت قد توفيت معه بتناول طعام مسموم سنة (٥٩٥هـ / ١١٩٨م)^(٥).



(*) إن عبارة: «خلد من التاريخ» - في نظر الباحث - لا ينطبق على أخت الحفيد أم عمرو وابنتها، لأن كل ما وصل عنهما لا يشجع من جوع، ولا يروي من ظمأ. (الباحث).

(١) مجموعة من الأساتذة، «موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين» (٢٢ / ١).

(٢) طوقان، قدرى حافظ، «العلوم عند العرب» (ص ١٦)، أسعد الحكيم، «تاريخ الطب عند العرب» (ص ٥٠٧).

(٣) المعلوف، عيسى إسكندر، «الأسر المشتهرة في الطب» (ص ٢٢).

(٤) الشطي، شوكت، «مختصر تاريخ الطب» (ص ١٩٣).

(٥) الدجيلي، عبد الصاحب عمران، «أعلام العرب» (٢ / ٢١).

مُجْمَلُ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تَعَامَلُ مَعَهَا
أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ زَهْرٍ فِي كِتَابِهِ
«التَّيْسِيرِ فِي الْمَدَاوَةِ وَالتَّدْبِيرِ»

أ - أمراض الرأس :

داء القرع، داء الحية، الصلع، السعفة، الشاقة، اعوجاج الشعر،
الأبرية، القمل، تولد الصوآب، أوجاع الرأس، أورام الغشاء الغليظ،
أورام الدماغ، أمراض الأذنين، أمراض الأنف، داء كثير الأرجل، أمراض
الفم، أمراض الأسنان، أمراض الشفاه، أمراض القلاع، تشقق اللسان،
مرض اللقوة.

أمراض العينين :

أمراض باطن الجفن، اعوجاج الحدقة، أمراض رطوبات العينين،
أورام الملتحمة وأمراضه، ما يقع في العين، وغير ذلك.

الأمراض الأخرى :

ما يقع في الأذن، الصرع، علة المراقبة، علة الجمود، علة السبات،
الجنون، التخيل، داء البیضة، حس العظام، الشقيقة، أمراض الرقبة،
الفالج والخدر، التشنج في الرقبة، أمراض النخاع، أمراض اللهاة،

الذبيحة، أورام قصبة الرئة، أمراض المريء، أمراض الرئة، السعال، دويلة
الأحشاء، عظم الطحال، أمراض القلب، أمراض الكبد، اليرقان، فتوق
البطن، أمراض المعدة، أمراض الصدر، ذات الجنب، الكسر في الصدر،
أمراض البطن الأسفل، ما يحدث في المعى بسبب الرياح التي تحتقن
فيه، أمراض الكلى، أمراض المثانة، علل الأنثيين، أمراض الأرحام
والفروج، أمراض القضيب، أمراض العظام، الدماميل، الحكة، الجدري
والحصبة، البرص، البهق، الخيلان في الجسم، التآليل في الجسم، تقشر
الجلد، الجذام، علة الخدر، داء الكزاز، الاختلاج، العرق المدني، داء
البقر، داء الصفار، داء حب القرع، داء الديدان الصغار البيض، ديدان
الأذن، الدوالي في الساقين، داء الفيل في الساق، داء السرطان، أوجاع
المفاصل، داء النقرس، تشقق الأقدام والأيدي، تشقق الأظفار، عرق
النسا، مرض النغلات، مرض الداحوس، حمى الدق، الأمراض الوبائية
وما يكون من الحميات فيها.

ب - العلاجات :

أما العلاجات والأدواء، فهي كثيرة، ويصعب ذكرها؛ نظراً
لتشعبها، وعدم جدوى ذكرها هنا؛ لأن الدراسة هذه كانت قد سلكت
سبيلاً تاريخياً للطب، وليس تخصصاً دقيقاً فيه.



المصادر والمراجع

أولاً - المصادر الأولية:

١ - القرآن الكريم:

- * ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي البلنسي (ت ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م).
- ٢ - «التكملة لكتاب الصلة» (ج ٢)، تصحيح: عزت العطار، القاهرة، ١٩٥٦م.
- ٣ - «التكملة لكتاب الصلة» (م ٢)، طبع مدينة مجريط ١٨٨٧م.
- ٤ - «الحلة السراء»، تحقيق: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٦٣م.
- * أسامة بن منقذ، مؤيد الدولة، أبو مظفر (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م).
- ٥ - «كتاب الاعتبار»، حرره: فيليب حتي، الولايات المتحدة، مطبعة جامعة برستون، ١٩٣٠م.

- * ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس الخزرجي (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م).
- ٦ - «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، تحقيق: الدكتور نزار رضا، بيروت، مكتبة الحياة، بدون تاريخ.

- * ابن بسام الشنتريني، أبو الحسن علي (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م).
- ٧ - «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» (ق ٢، م ١)، تحقيق: د. لطفي عبد البديع، النهضة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م.

٨ - «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» (ق٢، م٢)، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٩م.

* ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م).

٩ - «الصلة»، (ق٢)، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م.

* ابن بطلان أبو الحسن المختار بن الحسن الطيب (ت في القرن الخامس هـ / الحادي عشر م).

١٠ - «دعوة الأطباء»، عُني بتصحيحه وطبعه: د. بشارة زلز، الإسكندرية، المطبعة الخديوية، ١٩٠١م.

* البغدادى، محمد بن عبد الغنى أبو بكر (ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م).

١١ - «تكملة الإكمال» (ج٣)، تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي، مكة المكرمة، نشر جامعة أم القرى (١٤١٠هـ / ١٩٨٩م).

* البيهقي، ظهير الدين (ت ٤٩٩هـ / ١١٠٥م).

١٢ - «تاريخ حكماء الإسلام»، تحقيق: محمد كرد علي، ط٢، مطبعة المفيد الجديد بدمشق، ١٩٧٦م.

* التجيبي، أبو بحر صفوان بن إدريس (ت ٥٦٠ أو ٥٩٨هـ / ١١٦٤، أو ١٢٠١م).

١٣ - «زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر»، أعده وعلق عليه: عبد القادر محداد، نشر دار الرائد العربي، بيروت ١٩٧٠م.

* ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حيان الأندلسي (ت بعد سنة ٣٧٧هـ / ٩٨٧م).

١٤ - «طبقات الأطباء والحكماء»، تحقيق: فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٥٥م.

- * حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (ت ١٠٨١هـ / ١٦٧٠م).
- ١٥ - «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، عني بتصحيحه وطبعه: محمد شرف الدين، وكالة المعارف ١٩٤١م.
- * الحجاري، أبو محمد وآخرون.
- ١٦ - «المغرب في حلى المغرب»، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ١٩٥٣م.
- * الحريري، أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان (ت ٥١٦هـ / ١١٢٢م).
- ١٧ - «كتاب المقامات الأدبية»، ط ١، المطبعة الحسينية المصرية، ١٣٢٦هـ.
- * ابن حزم الأندلسي وآخرون (ت ٤٥٧هـ / ١٠٦٤م).
- ١٨ - «فضائل الأندلس وأهلها»، ط ١، دار الكتاب الجديد، نشر وتقديم صلاح الدين المنجد، ١٩٦٨م.
- * الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت جمعة سنة ٨٦٦هـ / ٤٦١م).
- ١٩ - «صفة جزيرة الأندلس»، منتخبة من كتاب «الروض المعطار في خبر الأقطار»، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط ٢، بيروت، دار الجيل ١٩٨٨م.
- * الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).
- ٢٠ - «تاريخ بغداد»، (ج ٤)، تحقيق وطبع: أوفسيت كونر غرامير، بيروت، دار الكتاب العربي، بلا تاريخ.
- * ابن الخطيب، لسان الدين السلماني (٧٧٦هـ / ١٣٧٤م).
- ٢١ - «أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام»، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط ٢، بيروت، دار الكشلف، ١٩٥٦م.

٢٢- «جيش التوشيح»، تحقيق: هلال ناجي، ومحمد ماضور، تونس، مطبعة المنار ١٩٦٧م.

* ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م).

٢٣- «المقدمة»، مصر، مطبعة مصطفى محمد، بدون تاريخ.

* ابن خلكان، أبو العباس، شمس الدين أحمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م).

٢٤- «وفيات الأعيان»، تحقيق: إحسان عباس، م ٤، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧١م.

* ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن (ت ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م).

٢٥- «المطرب من أشعار أهل المغرب»، تحقيق: الأستاذ إبراهيم الأبياري وآخرين، القاهرة، مطبعة الأميرية، ١٩٥٤م.

* الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م).

٢٦- «سير أعلام النبلاء» (ج ١٧)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بدون تاريخ.

٢٧- «العبر في خبر من غبر» (ج ٣)، تحقيق فؤاد سيد، الكويت، ١٩٦١م.

٢٨- «العبر في خبر من غبر» (ج ٤)، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء ١٩٦٣م.

* ابن زهر، أبو مروان عبد الملك (ت ٥٥٧هـ / ١١٦١م).

٢٩- «التيسير في المداواة والتدبير»، تحقيق: محمد عبدالله الروداني، المملكة المغربية، الرباط، مطبعة فضالة المحمدية، ١٩٩١م.

٣٠- «التيسير في المداواة والتدبير»، تحقيق: ميشيل الخوري، تونس، نشر المنظمة العربية للثقافة والعلوم، طبع دار الفكر بدمشق، ١٩٨٣م.

- * ابن سعيد المغربي، نور الدين الأندلسي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م).
- ٣١- «المغرب في حلى المغرب» (ج ١)، تحقيق: د. شوقي ضيف، مصر، دار المعارف، ١٩٥٣م.
- ٣٢- «رايات المبرزين وغايات المميزين»، تحقيق: الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي، القاهرة، مطابع الأهرام التجارية، ١٩٧٣م.
- * ابن سناء الملك، أبو القاسم هبة الله بن جعفر (ت ٦٠٨هـ / ١٢١١م).
- ٣٣- «دار الطراز في عمل الموشحات»، ط ٢، تحقيق: د. جودت الركابي، دمشق، دار الفكر ١٩٧٧م.
- * ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبدالله (ت ٤٢٨هـ / ١٠٣٧م).
- ٣٤- «الادوية المفردة في كتاب القانون»، ط ١، تحقيق: مهدي عبد الأمير الأعسم، بيروت، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.
- * ابن صاحب الصلاة، عبد الملك (ت ٥٩٤هـ / ١١٩٨م).
- ٣٥- «تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين»، ط ١، السفر الثاني، استخرجه من مخطوط أكسفورد د. عبد الهادي التازي، بيروت، دار الأندلس للطباعة والنشر ١٩٦٤م.
- * صاعد الأندلسي القاضي أبو القاسم أحمد (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).
- ٣٦- «طبقات الامم»، مصر، مطبعة التقدم، بدون تاريخ.
- * الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٢٦٢م).
- ٣٧- «الوافي بالوفيات» (ج ٤)، ط ٢، تحقيق محمد بن عبدالله، ومحمد بن محمود، دار النشر فرانز شتاينر بفسبا، ١٩٧٤م.

- * الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م).
- ٣٨ - «بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس»، طبعة مدينة مجريط بمطبعة
روخس، ١٨٨٤م، المسيحية.
- * ابن العبري، أبو فرج بن أهرون الملطي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م).
- ٣٩ - «مختصر تاريخ الدول»، وقف على طبعه الأب أنطوان صالحاني اليسوعي،
بيروت، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٨٩٠م.
- * ابن عذارى المراكشي، (ت أواخر القرن السابع هـ / أواخر القرن الثالث عشر م).
- ٤٠ - «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب»، ط ١، ج ٤، تعليق: د. إحسان
عباس، بيروت، دار الثقافة ١٩٧٦م.
- * العذري، أحمد بن عمر بن أنس (ابن الدلالي، ت ؟).
- ٤١ - «نصوص عن الأندلس من كتاب: ترصيع الأخبار وتنويع الآثار»، تحقيق:
د. عبد العزيز الأهواني، مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٦٥م.
- * ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م).
- ٤٢ - «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، عنت بنشره مكتبة القدسي، القاهرة،
١٣٥٠هـ.
- * العمري، ابن فضل الله، شهاب الدين أحمد بن يحيى، (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م).
- ٤٣ - «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»، السفر التاسع، ألمانيا الاتحادية، إصدار:
فؤاد سزكين، جامعة فرانكفورت، ١٩٨٨م.
- * القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى بن عياض اليحصبي، (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م).
- ٤٤ - «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك»، تحقيق:
د. أحمد بكير محمود، ج ٤، بدون تاريخ.

* الفاسي، علي بن أبي زرع (ت؟).

٤٥ - «الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس»، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، ١٩٧٢ م.

* الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤ م).

٤٦ - «القاموس المحيط»، ط ١، بيروت، دار الجيل، بدون تاريخ.

* ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩ م).

٤٧ - «الشعر والشعراء»، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٤.

٤٨ - «عيون الأخبار»، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٩٦٣ م.

* القرطبي، ابن عبد البر النمري أبو عمر يوسف (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠ م).

٤٩ - «جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في رواحه وحمله»، ط ٢، ج ٢، تصحيح ومراجعة عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة، نشر مكتبة السلفية، باب الرحمة، ١٩٦٨ م.

* القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي ابن القاضي الأشرف يوسف (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨ م).

٥٠ - «أخبار العلماء بأخبار الحكماء»، تصحيح: محمد أمين الخانجي الكتبي، ط ١، مصر، مطبعة السعادة، بدون تاريخ.

* القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨ م).

٥١ - «صبح الأعشى في صناعة الإنشاء»، (ج ٥)، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، بدون تاريخ.

- * ابن قفّذ أبو العباس أحمد بن حسن (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م).
- ٥٢ - «الوفيات»، تحقيق وتعليق: عادل نويهض، ط ١، بيروت، المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧١م.
- * المراكشي، أبو عبدالله محمد بن عبد الملك الأنصاري (ت ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م).
- ٥٣ - «الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة»، السفر السادس، تحقيق: د. إحسان عباس، ط ١، بيروت، دار الثقافة ١٩٧٣م.
- * المراكشي، محيي الدين أبو محمود عبد الواحد (ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م).
- ٥٤ - «المعجب في تلخيص أخبار المغرب»، تحقيق: محمد سعيد العريان، الكتاب ٣، القاهرة ١٩٦٣.
- ٥٥ - «تاريخ الأندلس، المعجب في تلخيص أخبار المغرب»، مصر، مطبعة السعادة، ب ت.
- * المقرئ، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م).
- ٥٦ - «نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب»، تحقيق: الأستاذ يوسف الشيخ محمد البقاعي، ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.
- * ابن النديم (ت ٣٨٢هـ / ٩٩٥م).
- ٥٧ - «الفهرست»، المطبعة الرحمانية، ١٩٢٩م.
- * النواجي، شمس الدين محمد بن حسن (ت ٧٨٨هـ / ٨٥٩م).
- ٥٨ - «عقود اللآل في الموشحات والأزجال»، تحقيق: عبد اللطيف الشهابي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢م.
- * اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م).

٥٩ - «مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان»، ج٣، ط٢، بيروت، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧٠م.

* ياقوت الحموي، (ت ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م).

٦٠ - «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب»، ط١، ج٧، اعتنى بتصحيحه: د. س. مرجليوث، مصر، مطبعة هندية بالموسكي، ١٩٢٥م.

٦١ - «معجم الأدباء»، راجعته: وزارة المعارف العمومية، مصر، طبعة دار المأمون، بدون تاريخ.

* * *

ثانياً - المراجع الحديثة:

* أبادير، د. فهم.

٦٢ - «من تاريخ الطب عند العرب»، المؤسسة المصرية العامة للأدوية، بدون تاريخ.
* أرسلان، شكيب.

٦٣ - «الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية»، ج٢، ط١، مطبعة الرحمانية، ١٩٣٦م.

* أمين، أحمد.

٦٤ - «ظهر الإسلام»، ط٤، ج٣، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٦م.
* إلياس أنطوان إلياس.

٦٥ - «القاموس العصري»، إنكليزي - عربي، ط١، القاهرة، ١٩٥٤م.
* أنيس، إبراهيم، وآخرون.

٦٦ - «المعجم الوسيط»، ط٢، القاهرة، ١٩٧٢م.

* بدر، أحمد.

٦٧ - «دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة»، ط ٢، دمشق، ١٩٦٩م.

* البدري، د. عبد اللطيف.

٦٨ - «الطب عند العرب»، الموسوعة الصغيرة (٨)، نشر وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٨م.

* البستاني، فؤاد أفرام.

٦٩ - «دائرة المعارف»، قاموس عام لكل فن ومطلب، م ٣، بيروت، ١٩٦٠م.
* البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد أمين.

٧٠ - «هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين»، م ١، طبع بعناية وكالة المعارف، إستانبول، ١٩٥١.

* بنعبدالله، عبد العزيز.

٧٠ - «أسرة بني زهر، كتاب التيسير في المداواة والتدبير»، تحقيق: محمد عبدالله الروداني، مطبعة المملكة المغربية، ١٩٩١م.

٧١ - «الطب والأطباء العرب»، الرباط، المطبعة الاقتصادية، ١٩٥٩م.

* البوشي، محمد عبد الحميد.

٧٢ - «الإسلام والطب»، القاهرة، المكتبة الثقافية، دار القلم، ١٩٦٥م.

* بيضون، إبراهيم.

٧٣ - «الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة»، ط ٣، (٩٢ - ٤٢٢هـ/

٧١١ - ١٠٣١م)، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٦م.

- * التازي، عبد الهادي.
- ٧٤- «جامع القرويين»، المسجد والجامعة، بمدينة فاس، م ١، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٢ م.
- * د. التجاني، الماحي.
- ٧٥- «مقدمة في تاريخ الطب العربي»، ط ١، ١٩٥٩ م، الخرطوم- بحري.
- * جمعة، محمد لطفي.
- ٧٦- «تاريخ فلاسفة الإسلام» (ليون، فرنسا ١٩٠٩ م)، القاهرة، ١٩٧٢ م.
- * الحاج قاسم، د. محمود.
- ٧٧- «الطب عند العرب والمسلمين»، ط ١، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٨٧ م.
- * حتي، فيليب.
- ٧٨- «تاريخ العرب، مطول»، ط ٤، ج ٢، دار الكشاف للنشر والطباعة، توزيع مطابع الغندور.
- * الحججي، د. عبد الرحمن علي.
- ٧٩- «الحضارة الإسلامية في الأندلس»، ط ١، بيروت، مطابع دار الارشاد، ١٩٦٩ م.
- * حسين، د. محمد كامل.
- ٨٠- «الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب»، ليبيا، إدارة الثقافة، بدون تاريخ.
- * الخضري بك، الشيخ محمد.
- ٨١- «تاريخ الأمم الإسلامية»، ط ١٠، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ب ت.
- * الخطابي، محمد العربي.
- ٨٢- «الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية»، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨ م، ج ١ و ٢.

• الخليلي، محمد.

٨٣- «معجم أدباء الأطباء»، ج ١، النجف، مطبعة العزي، ١٩٤٦ م.

• خودا بخش، المؤرخ الهندي.

٨٤- «الحضارة الإسلامية»، تحقيق: د. علي حسني الخربوطلي، دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ.

• خير الله، أمين أسعد.

٨٥- «الطب العربي»، بيروت، المطبعة الأمريكية، ١٩٤٦ م.

• الدجيلي، عبد الصاحب عمران.

٨٦- «أعلام العرب»، ط ٢، ج ١، النجف، مطبعة النعمان، ١٩٦٦ م.

• الدوري، د. تقي الدين عارف.

٨٧- «تاريخ العرب المسلمين وحضارتهم في الأندلس»، ط ١، ليبيا، نشر جامعة ناصر الخميس، ١٩٩٧ م.

• الرفاعي، أنور.

٨٨- «الإنسان العربي والتاريخ، دمشق»، دار الفكر، ١٩٧١ م.

٨٩- «تاريخ العلوم في الإسلام»، دمشق، دار الفكر ١٩٧٣ م.

• الزبيدي، د. طارق صالح.

٩٠- «التراث العلمي العربي الطبي»، بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، هيئة المعاهد الفنية، دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩١ م.

• الزركلي، خير الدين.

٩١- «الأعلام»، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، ط ٣، ج ٤، بدون تاريخ.

* زيدان، جرجي .

٩٢ - «تاريخ آداب اللغة العربية»، ج ٣، دار الهلال، ١٩٥٧ م.

* السامرائي، د. خليل إبراهيم، وآخرون .

٩٣ - «تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس»، وزارة التعليم العالي، ب ت .

* السامرائي، د. كمال .

٩٤ - «التعريف بأبي بكر الرازي، أبو بكر الرازي وأثره في الطب»، بغداد، ١٩٨٨ م.

٩٥ - «مختصر تاريخ الطب العربي»، ج ٢، العراق، نشر وزارة الثقافة والإعلام،

١٩٨٤ م.

* الشطي، د. أحمد شوكت .

٩٦ - «العرب والطب»، دمشق، وزارة الثقافة ١٩٧٠ م.

٩٧ - «مختصر تاريخ الطب وطبقات الأطباء عند العرب»، دمشق، مطبعة جامعة دمشق،

١٩٥٩ م.

* الشكعة، د. مصطفى .

٩٨ - «مواقف المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية»، ج ٢، نشر المنظمة

العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج، بدون تاريخ .

* شماني، د. توما .

٩٩ - «أثر الفترة الرازية على الطب العربي»، أبو بكر الرازي وأثره في الطب .

* صموئيل نيسنسون، ووليام دي ويت، بقلم مظهر إسماعيل .

١٠٠ - «سير ملهمة من الشرق والغرب»، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ب ت .

* الطنطاوي، محمود سعيد .

١٠١ - «أضواء على تاريخ الطب»، دراسات في الإسلام، إصدار المجلس الأعلى

للمشؤون الإسلامية، القاهرة، العدد ١٨٣، ١٩٧٦ م.

• طوقان، قدرى حافظ.

١٠٢ - «العلوم عند العرب»، نابلس، الأردن، مكتبة مصر، ١٩٥٦ م.

• عاشور، سعيد عبد الفتاح.

١٠٣ - «المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية»، ط١، القاهرة، نشر دار

النهضة العربية، ١٩٦٣ م.

• عرب، د. مرسى.

١٠٤ - «دراسات في الشؤون الطبية العربية»، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٦٧ م.

١٠٥ - «لمحات عن التراث الطبي العربي»، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧٥ م.

• عزة، عليا رشيد.

١٠٦ - «الرازي وعلم الفارماكولوجي»، أبو بكر الرازي وأثره في الطب.

• عطية الله، أحمد.

١٠٧ - «القاموس السياسي»، ط٣، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٨ م.

• علي، محمد كرد.

١٠٨ - «الإسلام والحضارة العربية»، ط٣، ج١، القاهرة، مطبعة لجنة الترجمة

والنشر، ١٩٦٨.

• عنان، محمد عبدالله.

١٠٩ - «عصر المرابطين والموحدين»، القسم الأول، ط١، القاهرة، مطبعة لجنة

التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٤ م.

١١٠ - «دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي»، ط١، القاهرة، مطبعة

لجنة التأليف والترجمة والنشر، (١٣٨٠هـ / ١٩٦٠ م).

* عيسى بك، أحمد.

١١١ - «تاريخ البيمارستانات في الإسلام»، دمشق، ١٩٣٩م.

١١٢ - «تاريخ النبات عند العرب»، ط١، مصر، جامعة فؤاد الأول، كلية الطب، مطبعة الاعتماد، ١٩٤٤م.

* فراج، عز الدين.

١١٣ - «فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية»، دار الفكر العربي، ١٩٧٨م.

* قطاية، د. سلمان.

١١٤ - «مخطوطات الطب والصيدلة في المكتبة العامة بحلب»، ١٩٩٦م.

* كحالة، عمر رضا.

١١٥ - «العلوم الحقة في العصور الوسطى»، دمشق، مطبعة الترقى، ١٩٧٢م.

١١٦ - «معجم المؤلفين»، تراجم مصنفى الكتب العربية، ج٤، ب ت.

١١٧ - «معجم المؤلفين»، تراجم مصنفى الكتب العربية، ج٦، دمشق، مط الترقى، ١٩٥٨م.

* ماجد، د. عبد المنعم.

١١٨ - «تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى»، ط٣، القاهرة، ١٩٧٣م.

* د. ماهر، عبد القادر محمد علي.

١١٩ - «مقدمة في تاريخ الطب العربى»، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بدون تاريخ.

* مجموعة من الأساتذة.

١٢٠ - «موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين»، ج٣، القاهرة، دار ومطابع

المستقبل، بلا تاريخ.

• مراد، د. آمنة صبري.

١٢١ - «لمحات من تاريخ الطب القديم»، القاهرة، نشر مكتبة النهضة الحديثة، مطبعة الكيلاني، ١٩٦٦ م.

• مركز دراسات الوحدة العربية.

١٢٢ - «موسوعة تاريخ العلوم العربية» ج ٣، ب ت.

• مظهر، جلال.

١٢٣ - «أثر العرب في الحضارة الأوربية»، نهاية عصور الظلام وتأسيس الحضارة الحديثة، ط ١، بيروت، نشر دار الرائد، ١٩٦٧ م.

١٢٤ - «الحضارة الإسلامية»، مصر، نشر مركز كتب الشرق الأوسط، ب ت.

• المعلوف، عيسى إسكندر.

١٢٥ - «الأسر العربية المشتهرة بالطب وأشهر المخطوطات الطبية العربية»، بيروت، المطبعة الدبية، ١٩٣٥ م.

١٢٦ - «تاريخ الطب عند العرب إلى يومنا»، دمشق، ١٩٢٥ م.

• النجار، د. عامر.

١٢٧ - «في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية»، ط ٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٧ م.

• نصير، سيد حسين.

١٢٨ - «العلوم في الإسلام»، ليبيا، تونس، ١٩٧٨ م.

• الهوني، د. فرج محمد.

١٢٩ - «تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية»، ط ١، ليبيا، الدار الجماهيرية

للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، ١٩٨٦ م.

* هيكل، أحمد.

١٣٠ - «الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة»، ط٧، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩ م.

* وجدي، محمد فريد.

١٣١ - «دائرة معارف القرن العشرين»، م٤، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ.

* ولفنستون، د. إسرائيل (أبو ذؤيب).

١٣٢ - «موسى بن ميمون، حياته ومصنفاته»، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦ م).

* اليسوعي، توتل فردنان.

١٣٣ - «المنجد في العلوم»، بيروت، ١٩٥٦ م.

* اليسوعي، الأب لويس معلوف.

١٣٤ - «المنجد في اللغة والأدب»، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٦ م.

* * *

ثالثاً - المراجع الأجنبية المعربة:

* آرنولد، سير توماس.

١٣٥ - «تراث الإسلام»، تعريب: جرجيس فتح الله، ط٢، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٤ م.

* أشباخ، يوسف (المؤرخ الألماني).

١٣٦ - «تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين»، تعريب: محمد عبدالله عنان، القاهرة، ج١، ١٩٥٨ م.

• بالثيا، أنخل جثالث .

١٣٧ - «تاريخ الفكر الأندلسي»، ط١، القاهرة، ١٩٥٥م .

• براون، إدوارد جي .

١٣٨ - «الطب العربي»، محاضرات، ذكرى فترياتريك . تعريب: د. داود سليمان علي بغداد، مطبعة العاني، ١٩٦٤م .

• بروفنسال، ليفي وآخرون .

١٣٩ - «دائرة المعارف الإسلامية»، المجلد الأول، (١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م)، رقم نسخة مكتبة الأوقاف ٩٥٣ / ٣٠ / د٨٢٢ .

١٤٠ - «الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية»، تطوان، نشر معهد الجنرال فرانكو للأبحاث العربية الإسبانية، دار الطباعة المغربية، مطبعة كريماوس، ١٩٥٤م .

• روم، لاندو .

١٤١ - «الإسلام والعرب»، تعريب: منير البعلبكي، ط١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٢م .

• سيديو، ل. أ .

١٤٢ - «تاريخ العرب العام»، تعريب: عادل زعيتر، ط٢، نابلس، فلسطين، ١٩٦٩م .

• لوبون، غوستاف .

١٤٣ - «حضارة العرب»، تعريب: عادل زعيتر، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩م .

• هونكه، زيغريد .

١٤٤ - «شمس العرب تسطع على الغرب»، تعريب: فاروق بيضون، وكمال دسوقي،

ط ٤، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠ م.



رابعاً - الدوريات :

* الحاجم، غازي محمد.

١٤٥ - «دور العرب في تقدم الطب»، مجلة آفاق عربية، العدد (٨)، السنة الخامسة ١٩٨٠ م.

* الحكيم، د. أسعد.

١٤٦ - «تاريخ الطب عند العرب»، مجلة المجمع العلمي العربي، نشر في دمشق مرة في الشهر، ج ١١، م ٦، ١٩٢٦ م.

* حمدي، طارق إبراهيم.

١٤٧ - «الطب العربي، ماضيه التليد وحاضره المشرق ومستقبله المزدهر»، مجلة آفاق عربية، العدد (١٠)، السنة الخامسة، ١٩٨٠ م.

* الخوري، ميشيل.

١٤٨ - «كتب ابن زهر الطيبة»، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد (٢)، السنة (١)، ١٩٨٠ م.

* السباعي، فاضل.

١٤٩ - «الطبيب الأندلسي عبد الملك ابن الفقيه محمد»، مجلة الدارة، العدد (٣)، السنة (١٢)، ١٩٨٦ م.

١٥٠ - «الطبيب الأندلسي عبد الملك بن زهر من خلال كتابه: التيسير»، مجلة الدارة.

* السعيد، د. محمد مجيد.

١٥١ - «ابن زهر الحفيد الأندلسي»، مجلة المورد، إصدار وزارة الثقافة والإعلام،

المجلد (٩)، العدد (٢)، ١٩٨٠ م.

• الصالح، د. راجي عباس.

١٥٢ - «نظرات حديثة في الطب العربي»، مجلة آفاق عربية، العدد (٥)، السنة (٤)، ١٩٧٩ م.

• العظماني، د. إبراهيم.

١٥٣ - «الطب والأدب، نظرة بين الماضي والحاضر»، مجلة آفاق عربية، العدد (١٠)، السنة (٦)، ١٩٨١ م.

• العمراني، عبدالله محمد.

١٥٤ - «نشرة الطب الإسلامي»، العدد (٢)، ج ٣.

• مطلوب، د. نضير.

١٥٥ - «كسر العظم وخلع المفاصل عند الزهراوي»، مجلة آفاق عربية، العدد (٦)، السنة (٤)، ١٩٧٩ م.

• يوسف، شريف.

١٥٦ - «أهم الصناعات العربية الإسلامية وأثرها في الغرب»، (صناعة الآلات الجراحية)، مجلة آفاق عربية، العدد (١)، السنة (٥)، ١٩٧٥ م.



خامساً - البحوث والمقالات:

• أحمد عيسى بك.

١٥٧ - «آلات الطب والجراحة والكحالة عند العرب»، مطبعة مصر، مقالة ألفت على أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، ب ت.

* البدرى، عبد اللطيف.

١٥٨ - «الآلات الجراحية عند العرب»، مستل من البحوث والمحاضرات في مؤتمر الدورة الثانية والثلاثين لمجمع اللغة العربية المنعقد في بغداد، مط المجمع العلمي العراقي، ١٩٦٦م.

* التازي، عبد الهادي.

١٥٩ - «ابن زهر الحفيد، الدرس الافتتاحي للسنة الأكاديمية ١٩٩٧ - ١٩٩٨م لجامعة ابن زهر»، أغادير.

* الخطابي، محمد العربي.

١٦٠ - «فهارس الخزنة الملكية»، الطب والبيطرة والحيوان والنبات، الرباط ١٩٨٢م، مجموع ١٥٣٨، ج ٢، (٧٤ / ٢) «التيسير في مداواة والتدبير لأبي مروان عبد الملك بن زهر».

* العامري، د. محمد بشير.

١٦١ - «كشاف عن مشاهير الأطباء الأندلسيين ومؤلفاتهم المخطوطة والمطبوعة»، مجلة مكتبة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، العدد (١٢)، (٢)، ٢٠٠١م.

* قطاية، سلمان.

١٦٢ - «شخصيات الطب العربي في لوحات»، بريشة الفنان وحيد مغاربة، وقلم الدكتور سلمان قطاية.



فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
* المقدمة	٥
الفصل الأول الطُّبُّ وَحَالُهُ فِي الْأَنْدَلُسِ قُبَيْلَ الْفَتْحِ الْعَرَبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ وَبَعْدَهُ	
أ - نبذة عن ماهية الطب ومن استنبطه	١٥
أولاً: ماهية الطب	١٥
ثانياً: من استنبطه؟	١٧
ب - الطب في إسبانيا قبل بني أمية	١٩
ج - الطب في الأندلس بعد الفتح العربي الإسلامي	٢٦
د - النهضة العلمية بالطب في الأندلس	٢٧
هـ - حركة تأليف الكتب في علم الطب	٣٢
و - أثر الطب العربي في الأندلس على أوروبا	٤٠
ز - الظروف السياسية التي واكبت علم الطب في الأندلس	٥٣

الفصل الثاني

أ- أشهر الأطباء الذين سبّقوا أسرَ بني زهر

- ابن جلعج (ت بعد ٣٧٧هـ / ٩٨٧م) ٥٩
- أبو القاسم الزهراوي (ت ٤٠٤هـ / ١٠١٣م) ٦١
- ابن وافد (ت ٤٦١هـ / ١٠٦٨م) ٨٣
- ب - أشهر الأطباء الذين عاصروا أسرة بني زهر ٨٧
- ابن باجه (ت ٥٢٣هـ / ١١٢٨م) ٨٧
- ابن رشد (ت ٥٩٥هـ / ١١٩٨م) ٩٤
- موسى بن ميمون (ت ٦٠١هـ / ١٢٠٤م) ١١٤
- ج - الأطباء الأندلسيون الذين تتلمذوا على يد ابن زهر ١٢٣
- أولاً: المصدوم، أبو الحسين بن أسدون (ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢م) ١٢٣
- ثانياً: الغزال، أبو جعفر (ت أيام الناصر ٥٩٥ - ٦١٠هـ) ١٢٣
- ثالثاً: الشذوني، أبو محمد (ت في دولة المستنصر ٦١٠ - ٦٢٠هـ) ... ١٢٥
- رابعاً: أبو بكر ابن القاضي الزهري (ت في دولة المستنصر الموحدى ٦١٠ - ٦٢٠هـ) ١٢٥
- خامساً: أبو الحجاج يوسف بن موطير (ت في دولة المستنصر) ١٢٧

الفصل الثالث

أسرة بني زهر الأندلسية

- تعريفها ١٢٩

الموضوع	الصفحة
أصل بني زهر	١٣٠
وصف موجز لمدينة إشبيلية	١٣٣
فضل ومكانة بني زهر في الأندلس	١٣٥
شهرة أسرة بني زهر	١٣٨
أثر الظروف السياسية على أسرة زهر	١٤٧
الجد الأعلى لأسرة بني زهر	١٥٤

الفصل الرابع
أَبُو مَرْوَانَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدٍ
 ت. ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م

أ - حياته	١٦٣
- تعريف به	١٦٣
- ندرة المعلومات عن الطبيب عبد الملك بن محمد	١٦٦
ب - نشأته ورحلته إلى المشرق وجهوده العلمية	١٧٠
- جهوده في الطب الواردة في التيسير وغيره	١٧٩

الفصل الخامس
الطَّبِيبُ الْأَنْدَلُسِيُّ أَبُو الْعَلَاءِ زَهْرٌ
 ت. ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م

أ - حياته	١٩٣
- تعريف به	١٩٣

الموضوع	الصفحة
- ولادته ونشأته	١٩٧
- دراسته وأساتذته	١٩٨
- سلوكه ومزايه الشخصية	١٩٩
- تقربه إلى السلطان ومنحه شرف الوزارة	٢٠١
ب - جهوده العلمية	٢٠٥
أولاً: في حقل الطب	٢٠٥
- تأليفه	٢١٠
- تلاميذه	٢١٧
- علاجه لأمراض الرئة	٢١٨
- مواقفه مع بعض العلماء	٢٢٠
ثانياً: في حقل الأدب والشعر	٢٢٨
- وفاته	٢٣٣

الفضل السَّائِسُ

الطَّيِّبُ الْأَنْدَلُسِيُّ أَبُو مَرْوَانَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ زَهْرٍ

ت : ٨٥٥٧ / ١١٦١ م

أ - حياته	٢٣٧
- تعريف به	٢٣٧
- ولادته ونشأته	٢٣٩
- انتماءه الأسري	٢٤٤

الموضوع	الصفحة
- مميزاته	٢٤٥
- شهرته	٢٤٨
- زعم يهوديته	٢٤٩
- تلاميذه	٢٥١
- علاقته مع المرابطين والموحدين	٢٥٣
- الطبيب عبد الملك بن زهر في سجن مراکش	٢٥٧
ب - جهوده العلمية	٢٦٥
- حذقه في صناعة الطب	٢٦٨
- ممارسته عمل الطب	٢٧٠
- معالجاته للأمراض المختلفة	٢٧٤
- جهوده في صنع الأدوية	٢٧٩
- تأثيره بالرازي	٢٨٥
- ابتكاراته في علم الطب	٢٨٩
- ابن زهر وعلم الجراحة	٢٩٢
- من تجاربه	٣٠٠
- نبوغه وأقواله في الأمراض	٣٠٢
- تأليفه	٣٠٥
- هو وابن رشد وكتاب التيسير	٣١١
- بقية تأليفه	٣١٧

الموضوع	الصفحة
- سيرته مع بعض العلماء	٣٢٤
- أثره على الطب الأوربي	٣٣١
- وفاته	٣٣٢

وفاته والسابغ
الطبيب الأندلسي أبو بكر محمد بن أبي مروان
عبد الملك بن زهير الحفيد،
 ت. ٥٥٩٥ هـ / ١١٦٨ م

أ - حياته	٣٣٧
- تعريف به	٣٣٧
- ولادته	٣٣٩
- دراسته وأساتذته	٣٤٣
- تلاميذه	٣٤٤
- ديانتته	٣٤٥
- صفته الشخصية	٣٤٧
- نشاطاته السياسية	٣٥٣
ب - جهوده العلمية	٣٥٧
١ - في الفلسفة	٣٥٧
٢ - في الطب	٣٦٠
- تأليفه	٣٦٦
٣ - أدبه وشعره	٣٧٠

الموضوع	الصفحة
- نماذج من شعره	٣٧٣
- أدبه وموشحاته	٣٧٨
- وفاته	٣٩١

الْفَضْلُ الرَّشِيدُ
الطَّبِيبُ أَبُو مُحَمَّدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَفِيدِ،
وَالطَّبِيبَةُ أُخْتُ الْحَفِيدِ
 ١٦٠٥ هـ / ١٢٠٥ م

أ - أبو محمد عبدالله بن الحفيد	٣٩٧
- تعريف به	٣٩٧
- مولده	٣٩٨
- مكانته العلمية	٣٩٩
- علاقته بسلاطين الدولة	٣٩٩
- وفاته	٤٠١
ب - الطبيبة أم عمرو أخت الحفيد وابنتها	٤٠٣
* الملاحق	٤٠٧
* المصادر والمراجع	٤٠٩
* فهرس المحتويات	٤٣١



مِنْ إِصْدَارَاتِ
مَكْتَبَةِ التَّوَلَّدَاتِ

بِإِسْرَافِ
مُؤَدِّي الدِّينِ طَالِبِ
الْمَدِيرِ الْعَامِّ وَالرَّئِيسِ السَّفِيذِيِّ



حاشية مُسنَد الإمام أحمد بن حنبل

تأليف
المأمة أبي الحسن نور الدين محمد بن عبد الحماد السندي
المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١١٣٨ هـ
في سبعة عشر مجلداً

إعقابو
مكتبة جامعة طهران
فوق الدار نظام الدين

إعقابو
مكتبة جامعة طهران
فوق الدار نظام الدين

كشف الشبهات شرح عمدة الأحكام

تأليف
الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن ساليو الشافعي
الكاتب الحنفي
المتوفى سنة (١١١٤) - ودفن سنة (١١٨٨ هـ)
رحمه الله تعالى

في ٧ مجلدات

إعقابو
مكتبة جامعة طهران
فوق الدار نظام الدين



فتح السجدة في نفسه القدر

تأليف
الإمام القاضي محمد بن أبي بكر القاسمي
المتوفى سنة (١٠٦٠ هـ) - ودفن سنة (١١٢٧ هـ)
رحمته الله تعالى

في ٧ مجلدات

إعقابو
مكتبة جامعة طهران
فوق الدار نظام الدين

إعقابو
مكتبة جامعة طهران
فوق الدار نظام الدين

فتح السجدة شرح عمدة الأحكام

تأليف
الإمام تاج الدين ألكافري
أبي حفص محمد بن علي بن ساليو بن صدقة الأحمدي الإسكندري الكلاوي
المتوفى بالإسكندرية سنة ١٠١٨ هـ - ودفن بها سنة ١٠٧١ هـ
رحمته الله تعالى

في ٥ مجلدات

إعقابو
مكتبة جامعة طهران
فوق الدار نظام الدين

عَوْنُ الْبَارِي

بَحَلْ أَدَلَّةُ الْبُخَارِيِّ

تأليف
السَّيِّدِ السَّلَامَةِ

محمد صديق حسن خان القنوجي بخاري

المولود سنة ١٢٤٨ هـ والمتوفى سنة ١٣٠٨ هـ

رحمه الله تعالى

في ١٠ مجلدات

إعداد
عبد الكريم بن عبد الرحمن
فؤاد الدينوري

مَصَابِيحُ الْجَامِعِ

«وهو شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري
المستعمل على بيان تراجمه وأبوابه وعريبه وأغريبه»

تأليف

الإمام القاضي بدر الدين اللدمايني

أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عمر القزويني الشافعي

المولود في الإسكندرية سنة ٧٢٦ هـ وتوفي في القاهرة سنة ٨٢٧ هـ

رحمه الله تعالى

في ١٠ مجلدات

إعداد
عبد الكريم بن عبد الرحمن
فؤاد الدينوري



جَامِعُ الصَّحِيحِ حِينَ

يَحْدَفُ الْمَعَادُ وَالْطَّرْقُ

تأليف

أحمد بن أبي نعيم أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهاني

المولود سنة ٢٧٢ هـ وتوفي سنة ٣٢٧ هـ

في ٥ مجلدات

تحقيق وإعداد
مختصة من المختصين
بإشراف
فؤاد الدينوري

مُنْتَحَرُ الْبَارِي

فِي جَمْعِ رَوَايَاتِ

صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ

تأليف

العلامة محمد عابد السندي

محمد عابد بن أحمد بن علي السندي الأنصاري المدني الحنفي

المولود بالهند سنة ١٢٠٠ هـ وتوفي في المدينة المنورة سنة ١٢٧٠ هـ

رحمه الله تعالى

في ٦ مجلدات

تحقيق وإعداد
مختصة من المختصين
بإشراف
فؤاد الدينوري

حَسَنُ التَّنْبِيْهِ

لما ورد في التشبيه

وهو كتاب في بيان ما يشبه به الله تعالى من صفاته

تأليف

العلامة نجم الدين الغزي

عبد بن محمد الغزي القرشي القزويني الشافعي
الوفاء بموت سنة ٥٧٧ هـ وكذا في جملة سنة ١٠٩٠ هـ
توفي بمكة

في ١٢ مجلدات

تحقيق ورئاسة

مختصة من الحنفية
بإشراف
فهد الدين الظاهري

لَبَّ اللَّيْلِ

في

التي في ليلة الجواب

في شرح كتابه في الجواب

تأليف

العلامة عبد الحق الهادي

أبي محمد عبد الحق بن عبد الوهاب الهادي الشافعي
الوفاء بموت سنة ٥٧٧ هـ وكذا في جملة سنة ١٠٩٠ هـ
توفي بمكة

في ٦ مجلدات

تحقيق ورئاسة

مختصة من الحنفية
بإشراف
فهد الدين الظاهري

التبليغ المعتبر

في

أبناء من عبيد

وهو كتاب جامع في تاريخ الأئمة ودراسة الإمامة وتاريخ
أئمة الطائفة إلى عهدنا القريب والبعيد

تأليف

العلامة نجم الدين الشافعي

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي الشافعي
الوفاء بموت سنة ٥٧٧ هـ وكذا في جملة سنة ١٠٩٠ هـ
توفي بمكة

في ٣ مجلدات

تحقيق ورئاسة

مختصة من الحنفية
بإشراف
فهد الدين الظاهري

كتاب الأحكام الكبير

الكتاب الكبير، الأذان - المساجد - استقبال القبلة - جهنم والصلوات

المحرران ابن عزمه المؤلف

تأليف

أحمد بن محمد بن كثير

عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن كثير الشافعي
الوفاء بموت سنة ٥٧٧ هـ وكذا في جملة سنة ١٠٩٠ هـ
توفي بمكة

في ٣ مجلدات

تحقيق ورئاسة

مختصة من الحنفية
بإشراف
فهد الدين الظاهري

التعليق الكبير

في مسائل الخلاف

تأليف

القاضي أبي يعلى الفراء الحنبلي
محدث المحسنين بن محمد خلف البغدادي الحنبلي
المرقد ببغداد سنة ٥٣٨ ولفظت بمائة سنة ٥٤٨ هـ
رحمه الله تعالى

في ٢ مجلدات

تحقيق ودراسة

مختار من الحنفية
بإشراف
فؤاد الدينوري

الروض البدي

شرح

كافي المبتدي

تأليف

الإمام العالم الناسك
أحمد بن عبد الله بن أحمد البعلبي
(١١٠٨ - ١١٨٩)
رحمه الله تعالى

في مجلدين

إعقابه

مختار من الحنفية
بإشراف
فؤاد الدينوري



كتاب الهادي

أو
عمدة الحارفي الزوائد على مختصر أبي القاسم

تأليف

الإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي
المرقد بدمشق سنة (٥٥٥ هـ) ولفظت بمائة سنة (٦٦٠ هـ)
رحمه الله تعالى

إعقابه

مختار من الحنفية
بإشراف
فؤاد الدينوري

إعقابه

مختار من الحنفية
بإشراف
فؤاد الدينوري

حاشية حلي الطالب

نسيل الطالب

في الفقه الحنبلي

تأليف

العلامة مصطفى بن أحمد الدوماني الحنبلي
مستخرج من تصانيفه المطبوع في الأزهر
المرقد بدمشق سنة ١٢٩٢ هـ
رحمه الله تعالى

إعقابه

مختار من الحنفية
بإشراف
فؤاد الدينوري

يُطبع لأول مرة عن نسخة خطية فريدة بخط المؤلف

التوضيح لشيخ الجامع الصحيح

تصنيف
ميرزا الدين أبي حنيفة شمس الدين محمد بن أحمد الأنصاري الشافعي
المعروف بابن اللبان
(٧٢٢ - ٨٠٤ هـ)

في ٢٦ مجلدا

دار الكتب

بمطبعة دار الكتب

بإشراف

مكتبة دار الكتب

دار الكتب
بمطبعة دار الكتب
بإشراف

تجويد الإفكل شيخ معاني الإفكل

تأليف
الإمام بدر الدين العيني
تتمود بن محمد بن موسى الحافى كرام الله وجهه
المرور سنة ٧٢٢ هـ سنة ٨٧٥ هـ

في ١٩ مجلدا

تحقيق

ياسر بن إبراهيم

دار الكتب
بمطبعة دار الكتب
بإشراف

توابع الأصول في معرفة أحاديث الرسول (مسند آله عليه وآله وسلم) النسخة المسندة الكاملة

تصنيف
الحاكم النيزكي
أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر المؤدب
المتوفى في سنة ٤٠٤ هـ
توسعة خلد

بطبع في دار الفقه في مدينة سمرقند

في ٧ مجلدات

تحقيق

توفيق محمود بك

موسوعة الإغبيا الكافلت للإمام محمد الحضر حسين

شيخ الجامع الأزهر وعلامة بلاد المغرب
المرور سنة ١١٢٢ هـ سنة ١٢٧٧ هـ

في ١٥ مجلدا

تمتوا طبعها ابن أبي عمير

الحامي علي الرضا الحسيني

شرح مُسْنَدِ الشَّافِعِيِّ

تأليف
الإمام العلامة محمد بن الإمام
عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل بن الحسن القزويني
أبي القاسم الزافعي الشافعي
الوفات سنة ٥٢٢ هـ

محقق
أبو بكر وائل محمد بكر زهران
(الوافع بعث بهامتها شك)

في ٤ مجلدات

دار الفکر للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق

المَخْلَصَاتُ وَأجزاء أخرى لأبي طاهر المخلص

عبد بن عبد الرحمن بن القاسم البغدادي البغدادي
الوفات سنة ٨٧٩ هـ

- المخلصات بابتداء أبي القاسم إلى القاصدين
- جزء من المخلصات وهو لأبي طاهر المخلص
- المخلصات بابتداء أبي طاهر المخلص
- مقتطف من المخلصات وهو لأبي طاهر المخلص
- مقتطف من المخلصات وهو لأبي طاهر المخلص
- مقتطف من المخلصات وهو لأبي طاهر المخلص

تحقيق
بشير سعد الدين جزار

في ٤ مجلدات

دار الفکر للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق

شرح الإمام المصطفى بأحاديث الأحكام

تأليف
الإمام المصطفى بن أبي دقيق العيد
أبي القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن الفضل بن الحسن القزويني
الوفات سنة ٦١٥ هـ

في ٥ مجلدات

محقق
محمد خروف العبد الله

بَيِّنَاتُ الْمُحْتَمَلِ في شرح المنهاج

في ألفيد الشافعي
تأليف
الإمام ابن قاضي شبهة
بدر الدين محمد بن أبي بكر بن أحمد الأندلسي الشافعي
الوفات سنة ٨٧١ هـ

في ٧ مجلدات

تحقيق
لجنة محققين من المحققين



کتاب الایمان

للإمام محمد بن الحسن الشَّيْبَانِي

الترغيب سنة : ٥١٨٩ هـ

من أوائل كتب أدلة المذهب الحنفي

في مجلدين

يطبع كما تدور مرة مقابل على أصول خطية

تحقيق

خالد العواد



تبليغ البشرى

بإسلام

كتاب الكبرياء

تأليف

الحديث خمس الذين يحذرون الدنيا والآخرة الصالحين

الطبعة سنة ١٨٨٠ هـ - دار القلم سنة ١٩٥٢ هـ

تدقيقه عليه

مفتي داره عليه

رياح حسن عبد اللطيف الطحطاوي

تمت

الشيخ حسين سيد الدواني

يطبع وطاعة مرة من نسخة خطية فردية

قواعد الایمان والنجاة السنية

في

اختصار القرآن الحامدي عشرين

تأليف

العلامة مصطفى بن فتح الله الحسوي

الطبعة سنة ١١١٢ هـ

تدقيقه عليه

في ٦ مجلدات

تحقيق

الشيخ محمد باقر المجلسي



المختصر في الفقه

للإمام الفقيه عمر بن الحسين الخرفي

الطبعة سنة (١٢٢٤ هـ)

ترجمه الله تعالى

أول متن في الفقه الحنفي

مقابل على أصول نسخ خطية

تحقيق

الشيخ محمد باقر المجلسي

مختصر
صحيح مسلم

تأليف
الإمام النووي
أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي الأديب في الشافعي
الطبعة سنة ١٣٧١ هـ - دار الفقه سنة ١٣٧٩ هـ
تجويد الله تعالى

يطبع لأول مرة مطبوعاً على ندى مسخ خطية

تحقيق
عبد الحميد محمد النور
عبد السلام محمد النور

حديث
المتبايعين بالخيار

والكلام على روايته
تأليف
الحافظ المنذري
زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري
الطبعة سنة ١٣٦١ هـ
تجويد الله تعالى

في
المتبايعين بالخيار
بطرق حديث المتبايعين بالخيار
تحقيق
رياض حسن الطائي

دار الفقه
دار الكتب
دار الفقه

التبتيان
لبديعة البيان

يضم تراجم مشاهير أعلام المقاطع العربية

تأليف
الإمام ابن ناصر الدين الدمشقي
(المتوفى سنة ٨٤٤ هـ)

في ٣ مجلدات

يطبع لأول مرة على ندى مسخ خطية

ورأسه وتحقيق
د. عبد السلام الشاذلي
سعيد التوتسالي

كشف النقاب
عن آراء الشيوخ للأصحاب

تأليف
الحافظ العلافي
أبي سعيد صلاح الدين خليل بن كحلدي العلافي الشافعي
الطبعة سنة ١٣٦١ هـ - دار الفقه سنة ١٣٦١ هـ
تجويد الله تعالى

الشيخ
في

في التفسير كشف النقاب
نظمت
علاء الدين ابن عبد الله بن محمد بن بروس
(٧٤٥ - ٨١٦ هـ)
تأليف
عبد الحميد محمد النور

دار الفقه
دار الكتب
دار الفقه

فتاوى العلامة
أو
الفتاوى المستخرجة

تأليف
أخا فطر الماروني
إلى سيدنا صاحب الدين خليل بن كلداني الماروني الشافعي
المتوفى سنة ١٢١١ وارتد سنة ١٢١١ هـ

ترجمة وتحقيق
عبد الجواد حمام

إهداء
من دار الكتب

رسالة الإمام
أحمد بن حنبل
إلى الخليفة المتوكل العباسي

محققة وروى لها
علي محمد زينو

إهداء
من دار الكتب

الأول من كتاب
القول على الفقهية
على مذهب الإمام أحمد بن حنبل

تأليف
لابن قاضي المحبلي
قاضي القضاة شرف الدين أحمد بن الحسن بن علي بن قايون بن خنجر
المتوفى سنة ١٢١١ هـ

ترجمة وتحقيق
الدكتور صفوت عادل عبد الهادي

إهداء
من دار الكتب

سنخ
الإمام أحمد بن حنبل
من حديث
الإمام أحمد بن حنبل

تأليف
الإمام يوسف بن عبد الهادي
يوسف بن حسن بن عبد الهادي الشافعي الكوفي المتوفى سنة ١٢١١ هـ

ترجمة
د. العواد

إهداء
من دار الكتب

الْفِصُولُ

فِي اخْتِصَارِ

سِيَرَةِ الرَّسُولِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تأليف

أحافظ ابن كثير

عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كبير القيسقي الشافعي

المتوفى سنة ٥٧٢ هـ والقرن ٦ هـ

تبعه في سنة ٥٧٢ هـ

عن نسخة بخطه

عبد الحميد محمد الدرويش

الْفَرُّ وَالذَّرُّ

فِي

سِيَرَةِ خَيْرِ الْبَشِيَّةِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تأليف

شيخ الإسلام العلامة

عز الدين محمد بن جماعة

المتوفى سنة ٨١٩ هـ

تحقيق وتعليق

عبد الله بن عبد الله

يَوْمُ الْعَيْدِ

تكملة لخص سيرة الأئمة

سيدنا محمد

تأليف

الامام محمد بن سيد الناس

٦٧١ - ٥٧٢ هـ

عن نسخة بخطه

سليمان الأحمد

حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ

شَاعِرُ الرَّسُولِ

سيرة الشعراء المؤمنين المؤيد برفع القدر

ورأته فعدوية موطنة لتوثيق ونبول الشاعر

تأليف

محمد محمد حسن شراب

اَكْبَارُ الدُّعَا

المُسَوَّى
أَدَبُ الْمُتَّقِينَ فِي عِلْمِ الدُّعَا

تأليف
الإمام يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي الحنبلين
(٨٩١ - ٩٠٩ هـ)

تحقق وطبع في دار
محمد خروف العبد لله

بَغِيَّةُ الْمُتَشَبِّهِينَ

فِي سُبُلِ عِيَانِ حَدِيثِ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ

تأليف
أخا فطر العلاف
أبي سعيد صلاح الدين خليل بن ككلدي العلاف الشافعي
المرحوم سنة ٦١٤ وقرئ سنة ٦١١ هـ
بمكة المكرمة

تحقيق وتولف
حمدي عبد الحميد السلفي

فَضِيلَةُ الْخِيَلِ

تأليف
أخا فطر الدمياطي
شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي المصري السافعي
المرحوم سنة ٧١٣ هـ وقرئ سنة ٧٠٥ هـ
بدمشق

استحقاق منه
نظام محمد صالح يعقوبي

الْخِلَّةُ الْحَبَائِثُ

المُسَمَّاةُ
الْأَرْسَامَاتُ الْأَطْفَاءُ
فِي غَمَاطِ الْحَالِجِ إِلَى أَرْضِ سِنِّ رَطَائِنِ

بمكة
أبو الحسن
المرحوم سنة ٧١٣ هـ وقرئ سنة ٧٠٥ هـ
بدمشق

استحقاق منه
حسن السامي سويدي

نُظُمُ الْقِنَاءِ فِيمَنْ رَوَى لَهُ الْجَمَاعَةُ

نَظَّمُ الْإِمَامَ ابْنَ بَرْدَسَ الْبَلْبَكِي
عِمَادُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ بَرْدَسَ بْنِ نَصْرِ الْحَنْبَلِيِّ

تَحْقِيقُ
عَبْدُ الْجَوَادِ حَمَام

الْإِنْتِبَاهُ لِمَا قَالَهُ الْحَاكِمُ وَلَمْ يَخْرِجْ جَاهَهُ وَهُوَ فِي أَحَدِهِمَا أَوْ رَوَاهُ

تَأَلَّفَ
مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَطِيَّةَ

إِسْلَامِيَّةٌ
مَنْعُ الْإِسْلَامِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ
مَنْعُ الْإِسْلَامِ

ضَبْحُ الْكَوْنِ مَنْ لَبَسَ الْبَنَظْلُونَ

تَأَلَّفَ
أَلَمَّةُ سَالِمِ بْنِ جُحْدَانَ
أَبِي مُحَمَّدٍ سَالِمِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْعُلَوِيِّ الْحُسَيْنِيِّ الشَّافِعِيِّ
مَوْلَى أَمِيرِ الْقُرْبَى الرَّابِعِ عَشَرَ الْهَجْرِيِّ

اِعْتَقَى بِهِ
نِظَامُ مُحَمَّدِ صَاحِبِ عَيْقُوبِي

آدَابُ الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ وَزَهْدُهُ وَمَوَاعِظُهُ

تَأَلَّفَ
الْإِمَامُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ
أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَوْزِيِّ الْقُرَشِيُّ الْبَغْدَادِيُّ
الْمَوْلُودُ بِبَغْدَادٍ سَنَةِ ٥٠٨ هـ وَتُوفِيَ بِهَا سَنَةَ ٥٩٧ هـ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

تَحْقِيقُ
سَيِّدُ الْمُرُشِّ

عُمْدَةُ الْمُحْتَاجِ
فِي

حِكْمَةِ الشَّيْطَانِ

تأليف
الإمام أبي الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي
(٨١١ - ٨٩٠ هـ)
مكتبة الخزانة

أسامة امري
مكتبة كليلة

ثَلَاثُ رَسَائِلَ
فِي

مُؤَافَقَاتِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْخَطَّابِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

دِرَاسَةٌ وَتَحْقِيقٌ

عَبْدُ الْجَوَادِ حَمَام

أَهْلُ الْإِسْلَامِ

لِلْعَافِيَةِ الْمُحْسِنِينَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْخَامَلِيِّ
(الوليد سنة ٢٢٥ هـ ومنتصف سنة ٢٢٠ هـ)

رَوَايَةُ
ابن المهدي القاري
عبد الوهيد بن محمد بن عبد الله بن مهدي القاري
(٢١٤ - ٢٤١ هـ)

رَوَايَةُ
ابن الصلح القزويني
أحمد بن محمد بن عثمان بن الصلح القزويني
(٣١٧ - ٣٨٤ هـ)

تحقيق رَوَايَةُ
حمدي عبد الحميد السلفي

لِلْحَاوِي الْقُدْسِيِّ

فِي فُرُوعِ الْفَقْهِ الْحَنَفِيِّ

تأليف
القاضي القزويني
جمال الدين أحمد بن محمد بن محمد بن القاسمي القزويني الحنفي
تمت تصحيحه في سنة ١٢٠٤ هـ في مدينة القاهرة
الطبعة الأولى سنة ١٢٠٢ هـ
مكتبة الخزانة

تحقيق
الدكتور صلاح العلي

أستاذ الأدب والعلوم الإسلامية في جامعة القاهرة
في كتابات في تاريخ الفقه والحديث
مدرسة الإمامية في تاريخ الفقه والحديث

في مجلدين

معاني الأحرف السبعة

وشره مناهب العلماء فيه حقيقه مناهب الإمام الرزي
حل مشكله، جمع القرآن... مناقشات وزوده

تأليف
شيخ الإسلام
الإمام المقي أي الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن حسن الرزي
المرور ١٣٧١ هـ والفرغ سنة ١٤٠٤ هـ

مقدمه وشرح اماره وكرامه
الشيخ الفاضل
حسن ضياء الدين عمر
رحمته الله تعالى

احكام المطالب

بحاشية ابن عقيل على

الحلي المطالب

وهي حاشية للملاية الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العقيل
على دليل الطالب لمرام علي بن ابي بصير
المرور سنة ١٤٣٣ هـ

مجمع وتبسيط المتن
الدكتور وليد بن عبد البشير النيس

كشف النقاب لشيخنا الرضا

شرح منظومة «عقاب الرشيق» في نظم رافي بصيحه من المؤلف والمتألف
من علوم ومصطلح الحديث الشريف

تأليف
الشيخ الفاضل لاديب عبد الهادي بن ابي ابراهيم الشافعي المصري
المرور سنة ١٣٠٥ هـ
رحمته الله تعالى

تحقيق وتعليق
عدنان ابو زيد

فصل القضاء في احكام الاداء والقضاء

تأليف
الحافظ العلاءي
أي سيد صالح الدين خليل بن ككالي الملاقي الشافعي
المرور سنة ٦٩٤ والفرغ سنة ٧٦١ هـ
رحمته الله تعالى

دراسة وتحقيق
عبد الجواد حمام

كتاب أخلاق النبوة

تأليف

الحافظ المستغفر في
أبي العباس جعفر بن محمد المستغفر في
توفي سنة ٢٥٠ هـ - ولدت سنة ٤٣٢ هـ

وسمه رسالة في الرئيس تشبب إليه

في مجلدين

محقق، مرقوم
الدكتور أحمد بن فارس السلو

روضة المسائل

وتحفة طلاب الفضائل

تأليف

الإمام النووي

أبي زكريا يحيى بن زكرف بن مزي النووي الدمشقي الشافعي

الوفد سنة ٦٢١ هـ - والوفد سنة ٦٦٦ هـ
تجسس الله تعالى

دراسة وتحقيق

عبد الجواد حمام

أثار ذوات السوال

كتاب نسائي أخلاقي أدبي

يحتوي على مآثرين فاضلات النساء وبين كبار الرجال
من جميل الخاديات وتديع المطالعات الأدبية أجود الأطلع

تأليف

الأميرة عبد الرحمن العلبي

أبي عبد الله عبد الرحمن بن يحيى العلبي الشامي شمس الدين

رئيس القضاة في تفسير القصص في دائرة المعارف

المكتبة الرئيسية مكتبة الحرم المكي

طبعة دار الفجر سنة ١٣١٢ هـ في دمشق

مطبعة دار الفجر سنة ١٣١٢ هـ في دمشق

أقصد النشر

مجدد عبد العزيز الزبادي

تأليف
محمد علي حشيشو

فَيْحُ الْخَفُولِ

بِسْج

مِنْظُومَةُ الْقَبُولِ

لِلْعَلَّامَةِ أَحْمَدَ بْنِ خَلِيلِ الشُّبَكِيِّ

تَحْقِيقُ

أَحْمَدُ عَبْدُ الْمُعِينِ دَرْوِيشِ

الرَّأْيُ السَّجَادُ

فِي قِصَّةِ

بَانِتِ شَعْبَاكَا

دراسة أدبية تاريخية تأصيلية لتقصية بانات سُعاد

تأليف

محمد محمد حسن بشراب

مِبْلَاحُ تَهْمِيدِ سِتْرَا

فِي

عِلَالِ صَوْلِ الْفَقِيرَا

تأليف الدكتور

حَنَانُ فَتَالِ يَبْرُودِي

رُكْتَارُهُ فِي الْفَقْهِ الْإِسْلَامِيِّ وَأَصْرُلُهُ

مراجعة الدكتور

بَاسِلُ مُحَمَّدُ الْحَا فِي

رُكْتَارُهُ فِي الْفَقْهِ الْإِسْلَامِيِّ وَأَصْرُلُهُ

تَارِيخُ دَارِئَا الْكَبِيرِي

(دَارِئَا وَيَسْ)

تأليف

محمد حسام الدين الخطيب الداراني

في مجلدين

(١)

العَفْوُ

عند الأصوليين والفُقهاء
يَعْنَى رِأْسَةَ تَأْصِيلِيَّةٍ وَطَبِيعِيَّةٍ لِمَرْتَبَةِ الْعَفْوِ
عِنْدَ الْإِسْلَامِيِّينَ ابْنِ تَيْمِيَّةَ وَالسَّاطِطِيِّ

تأليف الدكتور
يوسف صلاح الدين طالب

مشروع ١٠٠
مكتبة جامعة القاهرة

(٢)

النَّبِيَّةُ

وَأَشْرُهَا فِي الْعِبَادَاتِ

تأليف
هناء المهاجر طرأبروني

مشروع ١٠٠
مكتبة جامعة القاهرة

(٣)

أَسْبَابُ الْخِلَافِ الْفَقِيرِيِّ

في
تفسير آيات الأحكام

تأليف الدكتور
عبد الإله حوري الحوري

مشروع ١٠٠
مكتبة جامعة القاهرة

(٤)

أَحْكَامُ الْعِدَّةِ

في الفقه الإسلامي
وقانون الأحوال الشخصية السوري
(عنة الوفاة - عنة الطلاق)

تأليف الدكتور
حنان فتال يبرودي

مشروع ١٠٠
مكتبة جامعة القاهرة

(٦)

الأثر الفيلسفي

في التفسير

تأليف الدكتور
بكار محمود الحاج جاسم

مشروع ١٠٠
لجنة البحث والتأليف والتدريس

(٥)

نظريات التفسير

في الفقه الإسلامي

تأليف الدكتور
تيسير محمد بزمو

مشروع ١٠٠
لجنة البحث والتأليف والتدريس

(٨)

أهل البيت والعقائد

في نظائر الحكم الإسلامي
بمقارنته

تأليف الدكتور
بلال صفي الدين

مشروع ١٠٠
لجنة البحث والتأليف والتدريس

(٧)

أحكام الغائب والمفقود

في الفقه الإسلامي
دراسة مقارنة

تأليف الدكتور
عبد المعرف فارس سقا

مشروع ١٠٠
لجنة البحث والتأليف والتدريس

(١٠)

الصِّيَاحَةُ الْجَدِيدَةُ

عِنْدَ الْإِمَامِ الْبَيْهَقِيِّ

فِي كِتَابِهِ

«شُعَبُ الْإِيمَانِ»

تأليف الدكتور

مُنَى عَبْدِ الْحَكِيمِ الْعَسَّة

مشروع ١٠٠

مكتبة الإمام الخميني

(١٢)

الْجِنْسِيَّةُ وَالْخَنَسَرُ

وَأَحْكَامُهَا فِي الْفُشَاءِ الْإِسْلَامِيَّةِ

تأليف الدكتور

سَمِيحُ عَوَّادِ الْحَسَنِ

مشروع ١٠٠

مكتبة الإمام الخميني

(٩)

الْبَيْدَةُ الْعَيْنِيَّةُ

وَسُجُودُهُ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ وَعُلُومِ اللُّغَةِ

فِي كِتَابِهِ

«عُمْدَةُ الْقَارِي شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»

تأليف الدكتور

هَنْدُ مُحَمَّدُ سَخْلُول

مشروع ١٠٠

مكتبة الإمام الخميني

(١١)

فَقْرُ الطُّفُولَةِ

أَحْكَامُ النَّفْسِ

وَدِرَاسَةُ مُقَارَنَةٍ

تأليف الدكتور

بَاسِلُ مُحَمَّدُ الْحَافِي

مشروع ١٠٠

مكتبة الإمام الخميني

(١٤)

حَجَرُ الْإِسْلَامِ

فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

الْمُكَلَّمَةُ وَالْعِلَالُ
وَرَأْسُ فُتُوهِ تَرْبُوتِيَّة

تأليف الدكتور
مُحَمَّدُ ربيع صَبَّاحِي

مشروع ١٠٠
رَبِّهِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

(١٣)

التَّفَرُّكُ

فِي رِوَايَةِ الْحَدِيثِ

وَمِنْهُمُ الْمُتَمِّينُ فِي قَبْلِهِ أَوْ رُوِّهُ
(دراسة تأصيلية تطبيقية)

تأليف
عَبْدُ الْجَوَادِ حَمَام

مشروع ١٠٠
رَبِّهِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

(١٦)

الْفُسُوقُ

وَأَحْكَامُهُ فِي الْفَقْهِ الْإِسْلَامِيِّ

تأليف الدكتور
بَسَامُ مُحَمَّدُ صَرْيُونِي

مشروع ١٠٠
رَبِّهِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

(١٥)

أَصُولُ التَّحْقِيقِ الْجَنَائِي

فِي
الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
وَرَأْسُ فُتُوهِ مَقَارَنَةُ

تأليف الدكتور
مُحَمَّدُ رَأْسُ الْعَمَر

مشروع ١٠٠
رَبِّهِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

(١٨)

التَّجَالُصُ فِي الْأَقْبِسَةِ
وَأَشْرُوهُ فِي الْفَقْهِ الْإِسْلَامِيِّ

تأليف الدكتور
مِيَادَة مُحَمَّد أَحْسَن

مشروع ١٠٠
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ الْمَدِينَةِ

(٢٠)

الْحَرْسَةُ الْأَقْبَسِيَّةُ
وَمَدْنِي سُلْطَان الدَّوْلَةِ فِي تَقْيِيدِهَا
فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

تأليف الدكتور
مُحَمَّد جَنِيْد الدَّيْرِي شَوِي

مشروع ١٠٠
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ الْمَدِينَةِ

(١٧)

أَشْرُ
الْقَلْبِ سِفَتِ الْيُونَانِيَّةِ
فِي عِلْمِ الْكَلَامِ الْإِسْلَامِيِّ حَتَّى الْقَرْنِ السَّادِسِ الْهَجْرِيِّ

تأليف الدكتور
مُحَمَّد مُعَاوِيَة نَفِيسَة

مشروع ١٠٠
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ الْمَدِينَةِ

(١٩)

الْبَفْتَانُ الْخَمِيْسُ
وَأَرَاؤُهُ الْبَلَاغِيَّةُ

تأليف
ضِيَاء الدِّين أَلْقَالِش

مشروع ١٠٠
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ الْمَدِينَةِ

(٢٢)

النَّبَقُ الدَّائِبُ

عِنْدَ الْعَرَبِ

فِي الْقُرُونِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ الْهَجْرَيْنِ

تأليف الدكتور
أحمد محمد نفوف

مشروع ١٠٠
مكتبة جامعة القاهرة

(٢١)

المعاني

بَيْنَ مَنْهَجِ الْحَقِيقَةِ وَمَنْهَجِ الْحَيَاتِيَّةِ
فِي قَبُولِ الْأَحَادِيثِ وَرَدِّهَا

تأليف
عبدان علي الخضر

مشروع ١٠٠
مكتبة جامعة القاهرة

(٢٤)

صِيغُ الْمَوْئِلِ الدَّائِمِ

فِي الشَّرْعِ الْإِسْلَامِيِّ وَإِمْكَانِيَّاتِ تَطْبِيقِهَا

تأليف الدكتور
عبدالله محمد ثوري الذيرشوي

مشروع ١٠٠
مكتبة جامعة القاهرة

(٢٣)

صَنْعَةُ اِسْتِثْنَاءِ السَّنَةِ

فِي تَارِيخِ ابْنِ عَسَاكِرَ

تأليف
باسل الكسم

مشروع ١٠٠
مكتبة جامعة القاهرة

(٢٦)

أَهْلِيَّةُ الْمَرْأَةِ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

تأليف الدكتور
عبد الله محمد عبد الوهاب المصري

مشروع ١٠٠
مكتبة جامعة القاهرة

(٢٥)

مَنْهَجُ بَحْثِ زَيْنِ بِنْتِ لَاهِرٍ فِي التَّفْسِيرِ

(١٢٤ - ١٤٠٠ هـ)

تأليف الدكتور
زكريا هاشم حبيب الحلوي

مشروع ١٠٠
مكتبة جامعة القاهرة

(٢٨)

الْإِسْتِزْلَاحُ خَلْقِيَّةٌ

في العهد القديم
مع مقارنتها بالقرآن الكريم

تأليف الدكتور
ريمه شريف الصياد

مشروع ١٠٠
مكتبة جامعة القاهرة

(٢٧)

مَنْهَجُ الْإِمَامِ فِي فَحْرِ الدِّينِ السَّارِيِّ بَيْنَ الْأَسَاءَةِ وَالْمَعْتَرِةِ

تأليف الدكتور
خديجة حمادي العبدالله

مشروع ١٠٠
مكتبة جامعة القاهرة

(٣٠)

تَجَقُّبَاتُ الْفَارِسِيِّ

لِشَيْخِهِ الرَّجَّاجِ فِي الْأَعْقَالِ،

تأليف

مُحَمَّدُ عَمَادُ سَمِيرِ بَيَّازِيد

مَشْرُوع ١٠٠

رَبَّنَا اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ

(٢٩)

نَقْدُ الْأَكْمَلِ السَّوَادِ

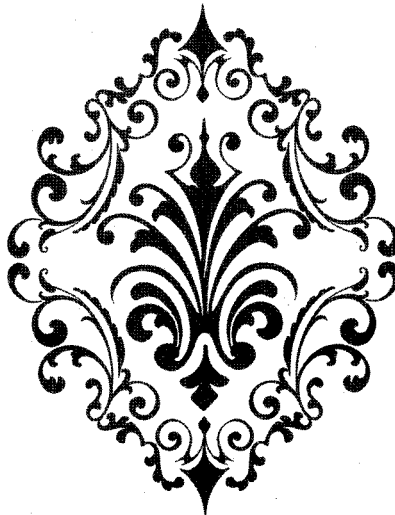
السَّعْرَ الْعَرَبِيِّ
حَتَّى أَوَائِلِ الْقُرْنِ الثَّالِثِ

تأليف الدكتور

عَبْدُ الْكَرِيمِ مُحَمَّدُ حُسَيْن

مَشْرُوع ١٠٠

رَبَّنَا اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ



(٢)

حج البيت الطبعية
في الشريعة الإسلامية
دراسة فقهية مقارنة

تأليف
صفاء مؤزة

كتاب الله تعالى

(٤)

الحديث المنكر
دراسة نظرية
في كتاب علي الحديث، لابن أبي حاتم

تأليف الدكتور
عبد السلام أبو سمحة

كتاب الله تعالى

(١)

أحكام من السجنا
وَحُوقُّهُمْ فِي الْفَقْدِ الْإِسْلَامِيِّ
دراسة مقارنة

تأليف الدكتور
محمد راشد العمر

كتاب الله تعالى

(٣)

الحرب النفسية
منذ بداية الدعوة الإسلامية حتى نهاية العصر الأموي

تأليف الدكتور
حسين حسن عداي

كتاب الله تعالى

(٥)

مَعْرِفَةُ أَصْحَابِ الشَّوَاهِدِ

وَأَشْرَاهَا فِي التَّعْلِيلِ
وَرَأْسُهُ نَظَرُهُ وَتَطْبِيقُهُ فِي مَعْلَمِ أَصْحَابِ الشَّوَاهِدِ

تأليف الدكتور
عبد السلام أبو مسنحة

مكتبة دار الحديث العامة

(٦)

لِبَابِ الْمُحْصُولِ

عَلَمِ الْأَصُولِ

أَوْ
مُخْتَصَرِ الْمُسْتَصْنَى، لِلْقُرْآنِيِّ

تأليف
القاضي الأحمدي بن توشين المالكي
جمال الدين الحسين بن حسين بن الحسين المالكي
المدني، تاليفه سنة ١٠١٩ هـ، طبعه سنة ١٢٧٢ هـ

تحقيق الدكتور
نساء محمد علي الخوافي

مكتبة دار الحديث العامة

(٧)

الطَّيِّبُ النَّبِيُّ

وَمَرْوِيَّاهُ النَّارِخِيَّةُ

تأليف
أحمد عدنان صالح أحمد كافي

مكتبة دار الحديث العامة

(٨)

مَبْدَأُ السَّبَبِيَّةِ

فِي الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ بِصِرِّ السَّامِ
فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ
رَأْسُهُ نَاصِلِيَّةُ مَقَارَنَةِ

تأليف الدكتور
محمود محمد عيد نفيسة

مكتبة دار الحديث العامة

(١٠)

الإمام
ابن تيمية الدينوري
وجهوده في الحديث النبوي

تأليف

زكريا عبد العزيز الجاسم

مكتبة ابن تيمية

(١٢)

شهادة المرأة
في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي

تأليف الدكتور

عبد الله محمد عبد الوهاب المصري

مكتبة ابن تيمية

(٩)

الحكام في الإسلام

وتطبيقاته في الفقه الإسلامي
دراسة مقارنة مع القانون

تأليف الدكتور

تيسير محمد بدمو

مكتبة ابن تيمية

(١١)

السياسة الشرعية

وأثرها في الحكم الشرعي التكليفي

تأليف الدكتور

نسيبة مصطفى البغا

مكتبة ابن تيمية

(١٣)

تَقْرِيبُ الْإِسْبَانِيَّةِ

و
تَرْتِيبُ الْإِسْبَانِيَّةِ

لِلْإِمَامِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْعِرَاقِيِّ
(١٨٠٦ هـ)

رِأَسَةُ مَحَقِّقِينَ

بِلَالُ مُحَمَّدٍ أَبُو حَوِيَّةٍ

مَكْتَبَةُ الْإِسْلَامِ وَالْمَدِينَةِ الْعِلْمِيَّةِ

(١٤)

زَكَاةُ
الْبُرُوحِ وَالْثَمَلِ

فِي صَوْعِ تَطْوِيرِ الزَّرَاعَةِ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ

تَأْلِيفُ الرَّكْتَمِ

مُحَمَّدُ قَاسِمُ الشُّومِ

مَكْتَبَةُ الْإِسْلَامِ وَالْمَدِينَةِ الْعِلْمِيَّةِ

(١٥)

الْشَّرْطُ الْجَرَّائِي

فِي

الْفَقْرِ الْإِسْلَامِيِّ

وَرِأَسَةُ مُقَارَنَةٍ

تَأْلِيفُ الرَّكْتَمِ

أَسَامَةُ الْحَمَوِيِّ

مَكْتَبَةُ الْإِسْلَامِ وَالْمَدِينَةِ الْعِلْمِيَّةِ

(١٦)

ابْنُ فُورَانَ

وَأَشَارَةُ الْأُصُولِيَّةِ

مَعَ تَحْقِيقِهِ

كِتَابُهُ

الْمُخْتَصَرُ فِي أُصُولِ الْفَقْهِ

تَأْلِيفُ الرَّكْتَمِ

مُحَمَّدُ حَسَّانُ عَوْضٍ

مَكْتَبَةُ الْإِسْلَامِ وَالْمَدِينَةِ الْعِلْمِيَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المؤسسات الإسلامية الإسلامية

مجمع البحوث الإسلامية الإسلامية

ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية
بعض نماذج مفرد من التمويل والاستثمار في بنك سورية الدولي الإسلامي

مع تطبيقات تحليلية لشرائح التامين الإسلامية
دراسة فقهية للتأمين التجاري والإسلامي

تأليف

الدكتور صالح حميد العلي

استاذ الاقتصاد الإسلامي والعلوم الشرعية في كليتي الشريعة والعلوم الشرعية بجامعة دمشق
مقر الهيئة الشرعية في بنك سورية الدولي الإسلامي

تأليف

الدكتور سمح احسن

مختص في تحليل الشريعة
بجامعة دمشق

الدكتور صالح العلي

استاذ الاقتصاد الإسلامي والعلوم الشرعية في كليتي الشريعة والعلوم الشرعية بجامعة دمشق
مقر الهيئة الشرعية في بنك سورية الدولي الإسلامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الوسائط المالية

أبرز التطبيقات المعاصرة

الأجل في عقد البيع

تأليف الدكتور

محمد أمين بارودي

تأليف الدكتور

عبدالله أوزجان